منبر الإسلام

مع العدد

- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- كتاب عن شهر رمضان المبارك
- أحكام الصيام في شهر رمضان وإمساكية
- "الفردوس" مجلة الطفل المسلم

عدد ممتاز
الثمن ٢٥ قرشاً

السنة ٣٥ العدد ٩ رمضان ١٣٩٧ هـ أغسطس ١٩٧٧

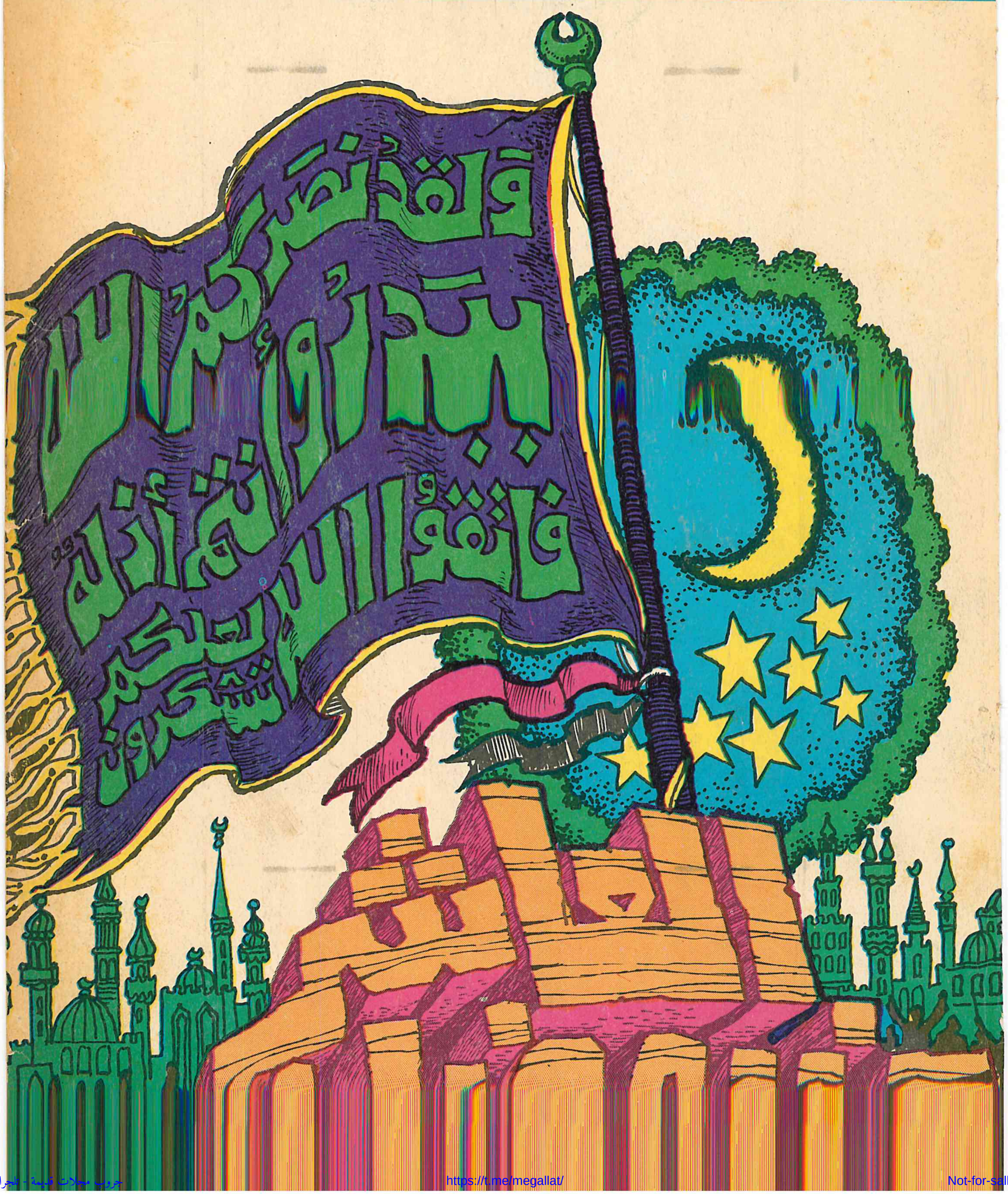

جروب مجلات قديمة - الجرا
https://t.me/megallat/
Not-for-sal

جروب مجلات قديمة - تلجرا https://t.me/megallat/ Not-for-sall

منبر الإسلام

يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة
كل شهر عربي

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

العدد ٩ ، السنة ٣٥ ، رمضان ١٣٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- مع الرئيس محمد أنور السادات فى الاجتماع الهام بأعضاء اللجنة المركزية ١٩٧٧/٧/١٦
- تفسير سورة آل عمران — الأستاذ أحمد حسين
- إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون — الشيخ عبد الجليل عيسى
- توزيع الأرض على المحرومين — د. أحمد الحوفى
- خصائص القصة القرآنية — الأستاذ فتحى رضوان
- من علوم القرآن — د. محمد عبدالمنعم القيعى
- فى رياض القرآن العظيم — الشيخ أحمد منصور
- البشرية فى ظل الشرائع الوضعية — الأستاذ عبد العظيم منصور
- بين العقيدة والأخلاق — د. أحمد عبدالحميد الشاعر
- ليلة الحب الالهى — الشيخ اسماعيل صادق العدوى
- منطق السلم ومنطق الحرب فى الإسلام — الدكتور عبدالغنى عبود
- الإسلام وقدرته على مواجهة التحديات — الشيخ حسين عرابى
- سماحة الإسلام — الدكتور محى الدين الألوائى
- الطب الوقائى بين الهدى النبوى والنظريات الحديثة — الدكتورة ابتسام عبدالحليم
- الاسلام والمجتمع المتعاطف — الشيخ سيد ناجى
- رجل ومعارك [قصة العدد] — الأستاذ محمد صالح

العنوان : ٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ - تلغرافياً : الإسلام - القاهرة .

الاشتراكات : ١٦٠ قرشاً فى جمهورية مصر العربية - ١٤٠ قرشاً للعمال والطلبة تدفع مقدماً ، ويضاف إليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى .. تقبل كوبونات البرى الدولى ذات القرشين .

معالم الطريق

الرئيس المؤمن محمد أنور السادات

مع الرئيس المؤمن

محمد أنور السادات

فى الاجتماع التاريخى الهام بأعضاء اللجنة المركزية

٢٩ رجب ١٣٩٧
١٦ يوليو ١٩٧٧

فى حديث سياسى جامع ، تناول الرئيس أنور السادات على امتداد سبع ساعات بالشرح والتحليل أهم قضايا الساعة . وأدار فى حوار ديمقراطى لم تشهده مصر فى تاريخها الحديث مع أعضاء اللجنة المركزية أخطر المشكلات التى تواجهها مصر فى الداخل والخارج . وأعلن الرئيس فى حديثه انه لا عودة بعقارب الساعة الى الوراء مهما كان الثمن ، لا مكان لادعياء الماضى . ولا مكان لمن يريد استغلال ثورة ٢٣ يوليو لزعامة أو لحقد ولا مكان لمن يريد أن ينصب نفسه كاهنا فى معبد عبد الناصر ولا مجال لليسار الحاقد ولا لليمين الحاقد . ولا مكان ممتازا لاى قوة فى هذا البلد الا لابناء هذا البلد ومؤسساته

واعلن الرئيس السادات موقف مصر بوضوح من المحاولات التى تبذلها اسرائيل لبلبلة الرأى العالمى حول التسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط . وأكد بشكل قاطع أنه مهما جمح الخيال باسرائيل فلا يمكن أن يقوم سلام مع بقاء الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية وأن الاقرار بالالتزامات المتبادلة فى قرار ٢٤٢ معناه عدم جواز احتلال الاراضى بالقوة وانسحاب اسرائيل من الارض المحتلة منذ ٤ يونيو ١٩٦٧ . وقال اننا على استعداد لتوقيع اتفاقية سلام دائم وعادل ينهى حالة الحرب سياسيا وقانونيا ، لتصبح اسرائيل - اذا ما التزمت بالشرعية الدولية - احدى دول الشرق الاوسط . وهو ما يعنى لاول مرة فى التاريخ أن اسرائيل سيسلم لها بحدودها ووجودها . . وهذا هو ثمن السلام .

وكان الرئيس قد بدأ حديثه الهام باستعراض تاريخى مستفيض لتاريخ نضال الشعب المصرى وممارساته السياسية منذ عهد عمر مكرم والشيخ السادات حتى ثورة ٥٢ وثورة التصحيح . وأعلن أن اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى يتم استنادا الى تشريع صدر من السلطة التشريعية طبقا للدستور . وأن هذا الاجتماع لا يمثل قيدا على الحرية وعلى الديمقراطية كما يزعم البعض ولكنه تطبيق للمسار الديمقراطى السليم بعد أن رفض الشعب فكرة التنظيم الواحد

٣ مهام للاتحاد الاشتراكى

وشرح الرئيس بالتفصيل جوانب تجربتنا الديمقراطية منذ اعلان المنابر الثلاثة تمهيدا لتشكيل الاحزاب ، وصولا الى الممارسة الديمقراطية وتعدد الاحزاب ثم اجراء انتخابات حرة نزيهة لاول مرة فى تاريخ الحياة السياسية فى مصر لمجلس الشعب ، الذى وضع وأقر قانون الاحزاب الجديد . وقال الرئيس السادات انه لم يطلب من مجلس الشعب شيئا أثناء مناقشته لقانون الاحزاب الا الالتزام بعدم العزل السياسى . وأكد أن الاتحاد الاشتراكى بعد قيام الاحزاب لا يمارس أى عمل سياسى وأنه ليس قيما أو وصيا على الاحزاب بل انه قد ترك الساحة . . ساحة العمل السياسى والممارسة اليومية السياسية للاحزاب .

وأوضح الرئيس مهمة اللجنة المركزية فقال ان الاتحاد الاشتراكى له ٣ مهام : الوحدة الوطنية ، والحل الاشتراكى الديمقراطى ، والسلام

تعلمنا ألا نخضع لأحد إلا لله وأن نلتزم بالكتب السماوية

الاجتماعى. وفى اجتماع اللجنة المركزية التى تمثل الاتحاد الاشتراكى والتى تتكون من نواب الشعب المنتخبين انتخابا مباشرا حرا نزيها، وتمثل العمال والفلاحين، والمهنيين والمثقفين كما تمثل عنصر الامة، يصبح من حق هذه اللجنة أن تقول لكل انسان أنت أخطأت اذا أخطأ. وأن تقول رأيها اذا دعا ما يهدد كيان مصر. فهى صمام الامان لكى لا يشرد أحد أو يحاول فرض ارادته.

وضرب الرئيس مثالا على ذلك فى التجربتين اللتين تعرضت لها مصر خلال الفترة الاخيرة: التجربة الاولى يوم ١٨ و ١٩ يناير من هذا العام التى تمثل أقصى اليسار. والتجربة الثانية هى الاحداث التى قام بها من يسمون أنفسهم بجماعة التكفير والهجرة. وقال الرئيس ان من الغريب أن كليهما: أقصى اليسار وأقصى اليمين كان يستهدف أن يفرض بالقوة والارهاب شيئا على مصر. ولكن أحد لن يستطيع ذلك بعد أن اكتشفنا ذاتنا فى ١٥ مايو ١٩٧١ ثم فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣. وطالب الرئيس أعضاء اللجنة المركزية بمناقشة هاتين الظاهرتين والتعرف على اسبابها والقضاء عليها.

حلقات التآمر لم تتوقف

وأشار الرئيس الى أن حلقات التآمر ضده وضد النظام لم تتوقف منذ توليه السلطة بعد انتخابه فى ١٦ اكتوبر عام ١٩٧٠، بعد تصفية الحراسات وتصفية مراكز القوى واخراج الخبراء السوفيت وأن حلقات التآمر هذه كانت تتدرج مرحلة بعد أخرى معتمدة على بعض الشراذم وعلى حالة التمزق التى كنا فيها قبل معركة اكتوبر ١٩٧٣، وذلك كله بهدف اشاعة الذعر لكى يسقط النظام ثم بذلت محاولات أخرى بعد ذلك فى نوفبر ٧٦ التى كانت «بروفة» لما حدث فى ١٨ و ١٩ يناير. ومع ذلك فان اليسار الذى جاهر بالعداء للنظام منذ ١٥ مايو لم يحصل على فرصته الا فى ظل هذا النظام.

ادانة المتاجرين بعبد الناصر

وتحدث الرئيس عن هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالناصريين أو الذين يلبسون قيص عبد الناصر فقال انهم ليسوا الا «جمعية للمنتفعين بعبد الناصر».

واشترك الرئيس السادات فى حوار صريح مفتوح مع أحد أعضاء اللجنة المركزية من ممثلى اليسار، ثم مع عضو آخر من أعضاء مجلس الشعب الذين يطلقون على انفسهم «الناصريين».. وأدان الرئيس هؤلاء الذين يتاجرون بالآم الشعب وبعبد الناصر وأعلن أن مصر لم تستبدل نفوذا غربيا بالنفوذ الشرقى وأن الانفتاح الاقتصادى هو لصالح القاعدة العريضة من العمال والفلاحين وصغار الموظفين. فالانفتاح الاقتصادى معناه فى النهاية زيادة الانتاج وزيادة العمالة. وأن يكون كل مصرى حرا لا يفرض احد رأيه عليه وان يكون له بيته وأرضه التى هى قطعة من ارض مصر.

وأعلن الرئيس السادات أن الدولة لن تسكت على أى انحراف سواء من أقصى اليسار أو أقصى اليمين الذى يحاول استغلال الدين وأن الدولة ستكون فى منتهى الحزم والشدة مع هؤلاء واولئك. وقال الرئيس انه سيرسل خطابا الى رئيس مجلس الشعب ورئيس الوزراء بأنه فى دولة العلم والايمان لن يتولى منصبا قياديا فى الاعلام والصحافة لا يسارى مركسى ولا يمينى هجرة وتكفير ولا أى منحرف.

مليارات الدولارات من العرب

وقال الرئيس ان موقف التمزق والتشتت الذى كان قائما فى الاسرة العربية قبل أن يتولى السلطة، قد حلت محله روح التضامن والاخوة. وأن الاشقاء العرب قدموا لمصر كثيرا من المساعدات التى تبلغ مليارات الدولارات بينما كان من الصعب على مصر فى ديسمبر ١٩٦٩ ان تحصل على ٢٠ مليون جنيه منها ١٠ ملايين جنيه وعد القذافى الرئيس الراحل عبد الناصر بدفعها ولكنه لم يدفع شيئا حتى الان. وأعلن الرئيس لاول مرة أن السعودية دفعت التزامات تطوير قواتنا المسلحة لخمس سنوات مقبلة دون أن نتكلف نحن مليما واحدا.

انذار سوفيتى مرفوض

وتعرض الرئيس لعلاقتنا مع الاتحاد السوفيتى منذ فرض الحظر على السلاح. وقال ان الاتحاد السوفيتى طلب فى الزيارة الأخيرة لاسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الى موسكو أمرين:

- توقيع اتفاق سياسى مع بريجنيف بعد اللقاء معى.. وذلك بأن يصدق مجلس الشعب المصرى على البيان المشترك الذى يصدر.
- الغاء الالتزامات والعقود العسكرية القديمة الخاصة بالاصلاح وقطع الغيار وأن تكون العقود الجديدة بالدفع فورا وبالعملة الصعبة.

كما بعث الاتحاد السوفيتى انذارا مغلقا يتضمن نقطتين:

- ألا يستبعدوا من التسوية السليمة اللازمة.
- انذار بخصوص افريقيا وأن السوفيت يؤيدون اثيوبيا ويقفون وراءها ضد تهديدات السودان.

ورد الرئيس على هذه المطالب فقال أن مصر لن تعقد معاهدات أو اتفاقيات جديدة مع السوفيت. وأن مصر ملتزمة بالدفاع عن السودان ضد أى تهديدات وأن أى عدوان يقع ضد السوادن سوف ندخل المعركة بكل قوتنا.

وقال الرئيس أنه لا خلاف بين مصر والاتحاد السوفيتى على مبادىء حل أزمة الشرق الأوسط ، ولكنه ليس فى حاجة الى استئذان أحد ولا يوجد نص فى الدستور يحتم عليه استئذان الاتحاد السوفيتى ولابسى قيص عبد الناصر.

وفند الرئيس أقوال هؤلاء الذين يصفون مصر بأنها هى الرجل الضعيف فى المنطقة فقال أن مصر تقف اليوم مع حركات التحرير ومع قوى المواجهة الأفريقية ضد المنظمة العنصرية . وأن مسئولية مصر فى افريقيا أكثر من مسئوليتها فى العالم العربى ، وسوف يأتى اليوم الذى يعرف فيه العالم ما قدمته مصر لهذه الدول .

الطلائع والمرأة مع الاتحاد الاشتراكى

وعرض الرئيس تصوره لما ينبغى أن يكون عليه الوضع بالنسبة لتنظيم الطلائع والشباب ، فقال أنه نتيجة لما حدث من مشكلتى اليسار المرفوض واتجاه اليمين المنحرف فى التكفير والهجرة : فأنه يطلب أن يبق كل من تنظيم الطلائع والتنظيم النسائى مع الاتحاد الاشتراكى حتى سن ١٨ سنة ، على أن ينضم من يشاء بعد ذلك الى الأحزاب بعد أن يكون قد تسلح بالايمان السليم ولكى لا يحدث انحراف بين الشباب فى هذه السن حفاظا على تراث هذه الدولة .. دولة العلم والايمان .

وقال الرئيس السادات فى بداية خطابه :

بسم الله

أيها الأخوة المواطنون اعضاء اللجنة المركزية .. أيها الأخوات اعضاء اللجنة المركزية .. فى هذا الشهر شهر يونيو سنة ١٩٧٧ نحتفل بعد أيام قليلة إن شاء الله بمرور ٢٥ عاما على قيام ثورة ٢٣ يوليو .. واليوم وأنا أتحدث الى هذا الجمع أشعر بسعادة غامرة لقد تحقق الحلم الذى طالما كافح من أجله أباؤنا واجدادنا منذ أكثر من قرن ونصف بدأت بكفاح شعب مصر أيام الحملة الفرنسية .. لا أريد أن أعود الى أبعد من هذا فتاريخ كفاح شعبنا ممتد عبر الأجيال ولكنى أريد أن أتحدث فقط عن فترة تعتبر فريدة ومتصلة كما هى حلقات تاريخ شعبنا اتصالا مباشرا باجتماع اليوم الذى نجتمعه .

لقاء العائلة

لأول ما أسعدنى ويسعدنى أن ألتق هنا فى شخصكم وشخص ممثلى المرأة المصرية .. التق بالعائلة المصرية على أروع وجه وعلى أروع تمثيل . فأولا يضم هذا الجمع نواب الشعب المنتخبين انتخابا حرا مباشرا من الشعب ، وشهد الجميع : الاعداء قبل الأصدقاء ، حتى أولئك الذين بنفوسهم مرض هنا فى مصر .. كل هؤلاء شهدوا ان هذه الانتخابات هى انزه وأنظف انتخابات حدثت فى تاريخ مصر . هؤلاء هم الجزء الأول الذين يحتلون اليوم مقاعدهم هنا فى هذا الجمع للعائلة المصرية . نلتق أيضا هنا مع أخوة لنا هم ممثلو التعاونيات الزراعية اى ممثلو الفلاحين ، ورؤساء للنقابات العمالية ورئيس الاتحاد العام لعمال مصر .. لأول مرة فى تاريخ مصر تجتمع العائلة المصرية على هذا المستوى .

ثم يأتى بعد ذلك شخصيات منهم نقباء نقاباتنا المهنية المنتخبين لكى يمثلوا نقاباتهم المهنية انتخابا حرا مباشرا أيضا لا تشوبه أيه شائبة .

ثم تمثل المرأة المصرية وهى نصف المجتمع أيضا فى هذا الاجتماع ونسعد جميعا حينما يلتئم شمل العائلة المصرية بوجود شخصيتين نكن لهما جميعا كل الحب والود فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر والبابا اخوتنا الأقباط فى هذا الوطن .

على هذه الصورة لا أعتقد أبدا أن هناك من يمثل شعب مصر على هذا المستوى الرائع الكامل فى كل جوانبه من أجل ذلك كانت سعادتى الأولى حينما سعيت اليكم هنا لكى أتحدث فى هذه المناسبة .. ليس أجدر من هذا الجمع أن يمثل العائلة المصرية وانتم تعلمون أننى انادى دائما بانه يجب أن نعود مرة أخرى الى تراثنا وترابنا لنستلهم منه كل ما نضع لأنفسنا من تنظيمات أو نختار لانفسنا من مقام .. أريد دائما أن تكون العائلة المصرية فى أوج ممثليها أو فى أوج تمثيلها وهم المجتمعون فى هذه القاعة .. أريد أن تعود العائلة المصرية عائلة متحابة متعاونة وتسترشد دائما بقيم الأرض والتراب والوفاء الحب التكاتف نبذ الاحقاد كل هذا علمته لنا شرائعنا السماوية وفى هذه البقعة من العالم نحن نفخر بأن وطننا ينتمى الى هذه البقعة التى نزلت فيها رسالات السماء الثلاث .

موسى كليم الله عاش هنا فى مصر ، المسيح عليه السلام هاجر مع أمه الى مصر ، محمد ﷺ قامت شريعته وازدهرت لأول ما أزدهرت هنا فى مصر صحيح وكلنا نعلم أننا ندين للجزيرة العربية بمولد محمد وبقبيلته ولكن عندما بدأ الفتح الاسلامى كانت مصر نقطة تحول للدين الجديد من هنا انطلقت الدعوة الى المحيط الاطلنطى ثم دافع هذا الشعب عن الاسلام عبر ازهره الشريف أكثر من ألف سنة أذن نحن نعتز بأننا هنا فى هذا الموقع من العالم وعلى هذا التراب نفخر بأن مهد الرسالات السماوية هو هنا فى بلدنا تماما كما ان مهد أول حضارة خرجت لهذا العالم منذ ٧٥٠٠ سنه خرجت من هذا التراب من على ضفاف النيل أول دولة فى تاريخ العالم كانت على ضفاف النيل أول حكومة تشكلت كانت هنا على ضفاف النيل منذ آلاف السنين من هنا أحس بالنشوة وأنا أتحدث الى العائلة المصرية ذات السبعة آلاف سنه و٥٠٠ سنه وكما قلت وفى هذه الايام بالذات التى نحتفل فيها بمرور ٢٥ سنه على قيام ثورة ٢٣ يوليو يحق لنا أن نستعرض القافلة عبر السنين الماضية قافلة الثورة بعد أن نطوف بتاريخنا القريب كما قلت وليكن منذ قرن ونصف حتى نرى هل تحققت لهذا الشعب طموحاته وآماله لنرى هل انقطع خط كفاح هذا الشعب يوما عن الحرية والديمقراطية التى كانت دائما وعبر قرن ونصف من الزمان محل معركة شرسة بين الشعب وبين أولئك الذين اغتصبوا حقوقه وحرياته منذ قرن ونصف كان عمر مكرم والشيخ السادات فى كفاح مرير كانت مصر كما تعلمون تحت الحكم العثمانى وكلنا يعلم ما عاناه الشعب تحت هذا الحكم .

.. قاموا منذ قرن ونصف لكى يقولوا لابد ان يكون لمصر رأيها فيمن يعين حاكما فيها . منذ قرن ونصف .. توالت الأحداث بعد ذلك الى أن جاء الاحتلال البريطانى وقاوم الشعب .. قاوم الشعب مقاومة مجيده بقيادة عرابى .. وقاومت الحكومة بقيادة سعد وكان هدف عرابى أيضا يوم أن وقف فى ميدان عابدين يخاطب الخديوى ويقول له لن نكون عبيدا بعد اليوم .

كانت طلبات عرابى باسم الشعب المصرى هى الدستور وهى تمصير الجيش المصرى .. كان كل قادته من الشراكسة ولم يكن يسمح

للمصريين الا برتب صغيرة قليلة . . أما السيطرة الفعلية فقد كانت للشراكسة . . ده هذا سنه ١٨٨٢ . . فى أول القرن عرفنا كيف وقف عمر مكرم وقاد الشعب . . استمر الكفاح فى نهاية القرن سنة ٨٢ تلقف عرابى العلم وسار به من أجل الدستور ومن أجل أن يمصر الجيش المصرى .

ووقع الاحتلال البريطانى بطلب من حاكم مصر الذى لم يكن ينتمى الى تراب هذه الأرض ، وكما تعلمون جميعا ، ليس سرا فى التاريخ أنه من قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ، وانتخاب جمال عبد الناصر رئيسا لأول جمهورية من الشعب ، كان قد مضى ألفى سنة وحكام مصر من الأجانب .

انجازات الثورة
تفوق مئات المرات سلبياتها

وتحدث الرئيس عن انجازات الثورة فقال :

ثورة ٢٣ يوليو لها انجازات ، ولها سلبيات وانحرافات ولكن فى الحساب الأخير . . الانجازات تتعدى مئات المرات ما كان هناك من انحرافات برغم اننى واحد ممن عاصروا هذا كله من موقع المسئولية فاننى أقرر أنه بنفس الدرجة والضخامة التى حققت بها ثورة ٢٣ يوليو انجازاتها أيضا كان بنفس الضخامة كان لها سلبياتها ، ولكن فى الناتج النهائى حينما نستعرض علميا ومنصفين نجد أن كفة الانجازات أرجح عن كفة السلبيات مئات المرات ، ولا أريد أن أستعرض هذا أمامكم وانما حصيلة . . حصيلة من هذا أن العائلة المصرية منذ آلاف السنين تجتمع هنا على هذه الصورة . . حصيلة من حصائل هذا . . من حصيلات ثورة ٢٣ يوليو . . حرب أكتوبر . . صحيح أن كل هذا لم يأت الا بعد ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ويجب أن نضعها فى حلقات كفاح هذا الشعب وثوراته إلأن هذه الثورة تعتبر ٢٣ يوليو هى الثورة الام . . صحيح قامت ثورة ١٥ مايو وبدأ تصحيح المسار ولأول مرة بعد ٤٠ سنة من قبل ثورة ٢٣ يوليو بزمان . . منذ ٤٠ سنة من مايو ٧١ أغلقت المعتقلات إلى الابد . قامت سيادة القانون . قامت دولة المؤسسات . قامت السلطة القضائية بواجبها وكان لها حصانتها وحرمتها . . عادت لها بالكامل . . كل هذه الأنجازات يجب أن تحسب فى حساب الـ ٢٥ سنة الماضية لثورة ٢٣ يوليو .

وأعز ما أفخر به كما قلت لكم اجتماع العائلة المصرية على هذه الصورة بممثلين لكل من يعيش على أرض مصر وبممثلين للقاعدة العريضة من هذا الشعب التى أهملتها كل الممارسات السياسية السابقة سواء كانت هذه الممارسات ما قبل الثورة ٢٣ يوليو أو ما شاب ثورة ٢٣ يوليو بعد أن قامت من انحرافات عطلت تطبيق المبدأ السادس من ثورة ٢٣ يوليو وهو إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

لن يفرض إنسان إرادته على مصر

وعن أحداث يومى ١٨ و ١٩ يناير العميلة وأن أحدا لن يستطيع أن يفرض إرادته على مصر قال الرئيس

احنا شفنا تجربتين قريبتين فى مصر . . التجربة الأولى يوم ١٨ ويوم ١٩ يناير من هذا العام وهى اللى قالوا عليها انتفاضة شعبية وثبت أنها انتفاضة حرامية زى بتوع نيويورك بتوع امبارح وضح ، والأمر الثانى هو ما حدث ممن بيسموا نفسهم جماعة التكفير والهجرة وما أرتكبوه فى حق الله أولا : وفى حق دينهم ، وفى حق بلدهم وأرضهم ، اللى شربوا ميتها من نيلها الصافى الجميل وعاشوا تحت سمائها الصافية اللى تكره الحقد وتنبذ التنافر وأسلوبها دائما الوفاء فى كل نسمة من نسمات هذا البلد ، بكل قطرة ميه من نيل هذا البلد حب وفاء تكافل اخاء ازاى يحول هذا إلى حقد .

لن يفرض انسان رأيه على مصر

والغريب انه ١٨ و ١٩ يناير أقصى اليسار والتكفير والهجرة أقصى اليمين ، والاثنين كل واحد كان هدفه انه يفرض بالقوة وبالارهاب شيئا على مصر لأ . . أبدا أبدا ، لن يستطيع هذا انسان بعد أن اكتشفنا ذاتنا بعد ثورة ١٥ مايو ، وبعدما حاربنا معركة ٦ أكتوبر ، وبعد ما عرفنا نقعد مع بعض هنا كعائلة مصرية مكتملة على أروع ما يمكن أن تمثل بأقوى من أى جمعية تأسيسية قد يقترحها أى واحد من رجال القانون . . لن تصل أى جمعية تأسيسية فى تمثيلها لهذا التمثيل اللى موجود النهارده . . لأ . . ولن يفرض انسان رأيه على مصر لا أقصى اليسار ولا أقصى اليمين ولا الأحلام اللى بتراود البعض لأنه بلدهم علمتهم فابتدوا يشعروا ان لهم امتياز أو يريدوا ان يفرضوا نفسهم على بلدهم اللى هى الشللية واللى يقولوا عليه حكم النخبة أو حكم المتميزين . . المتميزين بايه علشان بلدكم علمتكوا آه تميزوا لما كلكوا تتفانوا فى خدمتها مش أن تفرضوا ارائكم عليها لن يفرض أبدا انسان على هذا البلد أى وضع مرة اخرى أبدا وادى احنا شفنا حصل هذا زى ماحكيت لكم فى الست أشهر الماضية ، حصل مرتين منهم أنا عايزه . . كان مفروض النهارده كل الحديث اللى حكيته اللى فات ده اتركوه ولكن دا لأنه كان أول اجتماع لنا حبيت أأصل اجتماعنا هذا ومعناه لكن حقيقة الأمر ما كان مفروض أن أناقش معاكم النهارده الا هاتين الظاهرتين : محاولة أقصى اليسار وأقصى اليمين فرض أوضاع على الشعب ونقول رأينا كلنا فيه للشعب وهو ده دورنا الحقيق ، وزى ما قلت اللجنة المركزية لا هى وصى على الاحزاب الاتحاد الاشتراكى باق اسمه فقط كتعبير عن شىء واحد عن هذه العائلة ما عدش الاتحاد الاشتراكى أداة فرض شىء لا على انسان ولا على حزب ولا على كيان ، ليه كل هذا أصبح ينظمه الشرعية الدستورية ، كل شىء وارد فى الدستور كل مافى الدستور واجب التنفيذ وهو الذى يضع الخطوط والحدود بين الحاكم والمحكوم فى الممارسة الحزبية . . فى الممارسة الديمقراطية . . فى كل شىء ، لكن الاتحاد الاشتراكى لم يعد بلجنته اتى أصبحت اللجنة التى تمثل مصر العائلة المصرية لم يعد قيما على أى شئ . . وهنا أريد ان انبه قبل ان استأنف حديثى عن . . بقى جدول الأعمال الحقيق اللى كان لازم أناقشه معاكم بس وأقوم أروح وهو الظاهرتين اللى حصلوا دول علشان احنا كعائلة مصرية نقول ليه دول ونستقصى أسبابهم ونقضى

عليهم لكن حبيت ادى الخلفية لأن كفاحنا كله حلقة متصلة ماشية ، سلسلة حلقات كثير ماشية ، وزى ما شفتم جاءت برضه رسيت لما حملت ١٥ مايو الراية بتاعة ثورة ٢٣ وصححت ، وصلنا إلى الوضع اللى بنقعد فيه لأول مرة فى تاريخ مصر كعائلة وبنقول شئ من غير حقد أو تحامل أو أى شئ الا مصر ومصلحة مصر . . اللى حدث الحقيقة هم دول الحاجتين الاساسيتين اللى أنا عاوز أتكلم فيهم معاكم النهارده زى ما قلت لأنه ده هو جدول الأعمال اللى يجب أنه يكون .

اللى جرى يوم ١٨ و ١٩ ما هو مش بدون خلفيات لا ده له خلفيات كثيرة خالص . . له خلفيات من يوم أنا ما توليت بعد انتخاب الشعب لى يوم ١٦ أكتوبر ٧٠ . . فى ٧٠ أصدرت قرار تصفية الحراسات أدى أول قرار أصدره بعد شهرين من تولى السلطة . والجماعة المتربصين المتآمرين من هذا الوقت قاعدين ومن قبلها لكن من بدء اتخاذ القرارات وهم قاعدين يدبروا بعد شهرين

فى ديسمبر ٧١ أصدرت قرار تصفية الحراسات و ٧١ صفيت مراكز القوى . ٧٢ صدر قرار اخراج الخبراء السوفيت بعد تصرفات الاتحاد السوفيتى معايا وبعد ما روحت أنا فى سنة ٧٢ الى البرلمان هنا وواجهت نواب الشعب والحكام وكل من فى مصر وفى العالم ودافعت عن الاتحاد السوفيتى اشد دفاع لكن ده كل شئ والترتيب شئ آخر لأنه حتى المعاهدة اللى احنا عبد الناصر طلبها ثلاث مرات وفى آخر مرة وهو فى موسكو قبل ما يموت بشهرين قال له اذا كنتم مش مطمئنين على معاهدة طيب اعملوها حلف اخش فى حلف معاكم بس أدونى السلاح اللى أعمل به معركة وكلنا نعرف الاتحاد السوفيتى قراره انه مفيش معركة ومايخفيش حاجة ولا بينكره

القاعدة الطلابية بخير

وعاد عبد الناصر يائس خروج الخبراء السوفيت ٧٢ حركات العناصر المشبوهة بعد ذلك من ٧١ وهم بيتحركوا حاولوا على شراذم فى الجامعات وهنا قدام العائلة المصرية باكرر أمامكم القاعدة الطلابية الأساسية عندنا بخير الشراذم دى كلها ما عدتش فى أقصاها ٣٠٠ ـ ٤٠٠ واحد فى جميع الجامعات راحوا زقوهم .

١٨ و ١٩ ده مش حلقة منفصلة لا لا دى متصلة فى سلسلة حلقات ورا بعضها ومن مباشرة بعد ما توليت وزى ما حكيت لكم من ٧٠ و ٧١ و ٧٢ قرار الخبراء و ٧٣ قرار الحرب لـ ٧٤ الانفتاح لـ ٧٥ فتح قناة السويس لـ ٧٦ انهاء المعاهدة السوفيتية لـ ٧٧ واحنا داخلين النهارده مع تصفية الموقف السياسى . التآمر ماشى وخلفيات كثيرة قوى . إلى تطور فى ١٨ ، ١٩ يناير لا . لا ده بادى من بدرى ويتدرج مرحلة بعد الثانية ، حوادث الشراذم القليلة فى الجامعات اللى قامت معروفة انها كلهم كانوا اليسار الماركسى . مش عاوزه كلام انقبض عليهم مرة واثنين وثلاثة وهمه همه ومع ذلك انا كنت بافرج

عليهم يوم ما أحتلوا قاعدة المجلس الأعلى للجامعات افتكروا ايامها خلاص العملية استوت تماما وخلاص هاتسقط البلد وهاتسقط البلد فى ايديهم وبرغم هذا عافيت عنهم مرة عافيت ثانية عافيت عنهم ثالثة ٧٣ بدأت زى يوم ما بدأت ٧٧ دى ٧٣ اللى سمعتونى باقول ان يوم أول يناير ٧٣ كنت بأوقع الخطة للحرب تعرفوا فى هذا الوقت كان بعض الصحفيين الله يسامحهم متصلين بالأجانب وكاتبين مقالات أن مصر انتهت لا حرب ولا قرار ولا سياسة ولا شئ تشوبه صورة مصر ومحاولة وصف مصر بالرجل المريض ده كان فى ٧٣ ده مما جعلنى خت ايامها اجراء مع الاولاد دول ومع اكثر من ١٢٠ صحفى ايضا وما عافتش اللى فى ٢٨ سبتمبر من تلك السنة اى قبل المعركة بأيام لأنه كنا داخلين على المعركة ولعلهم جميعا انا عافيت ليه لأن االمعركة كانت معركتنا معركة الكل وانا كنت باقول ان التمزق ده أمر طبيعى احنا كلنا ممزقين لكن لا النفوس كان فيها شئ وكان فيه تدبير وفى كل مرة كان الهدف هو ما حدث فى ١٨ و ١٩ كل مرة حدث ده فى دخول الجامعة فى ٧١ فى شتاء ٧٢ فى أوائل ٧٣ حصل يوم أول يناير ٧٥ أيضا .

وبعدين السنة اللى فاتت ٧٦ . . ٢٥ نوفبر ما تنسهش ، البروفة اللى اتعملت علشان ١٨ و ١٩ برضه العناصر الشرذمة القليلة طلعت . . مرت فى الشوارع . . قال رايحة مجلس الشعب وبعدين حتى فى مناقشتهم فى مجلس الشعب وانتم قاعدين معايا أعضاء مجلس الشعب كلكم بعض الأعضاء عندكم حبوا يركبوا الموجة . . الله . . ده ناس بيهنوكم كممثلين للشعب ازاى تتساهلوا فى حقكم معاهم . . ازاى ده يوم ٢٥نوفبر كانوا فى منتهى الوقاحة مع اللى خرجوا لهم فن مجلس الشعب . . لا . . لا . . كل وقح نقول له مكانك . النهاردة وكل منحرف نقول له مكانك . كانوا فى غاية الوقاحة . . بعدين طلعوا راحوا هى كان مجلس الأمة حجة بس بدليل انهم راحوا . . رفضوا يناقشوا وقلوا حياهم كمان على مجلس الشعب وبعدين هى الحكاية كانت سكة علشان يوصلوا ميدان الاسماعيلية والشعب يختلط بهم بق ويعملوا العملية اللى توصلهم للهدف بتاع اشاعة الذعر وحرق البلد علشان النظام يسقط . تكتيك قديم معروف راحوا ميدان الاسماعيلية بعد مجلس الشعب وقعدوا فيه للمغرب . ولم يتعرض لهم البوليس ابدا . حاولوا مع سواقين النقل العام . وانتم عارفين ميدان التحرير فيه محطات . . مئات الاتوبيسات بتبق واقفة وآلاف الناس موجودين . . حاولوا مع السواقين . . حاولوا مع الناس اللى واقفين . . حاولوا فى الشوارع وهم ماشيين طالعين لما وصلوا لمجلس الشعب ثم إلى الميدان بالهتافات البذيئة الوقحة . . ما حد رد عليهم وفى المغرب روحوا ولم يتعرض لهم البوليس . . ده خطأ البوليس انه يوم ١٨ و ١٩ كان لازم خد اجراء ضربهم من الأول ، ما كانش جرى اللى جرى . ده خطأ البوليس مش زى ما بيتقال انه البوليس قمع . . البوليس قمع ده البوليس اتأخر !!

لن يفرض إنسان رأيه على إرادة أغلبية الشعب

وعلشان كده انا قلت لهم تعليقى ابدا عمركم ما تستنوا تانى ولا تتأخروا أبدا ابدا مرة أخرى لأن اللى قايم يحرق البلد ده .. ده انسان فقد كل وطنية وكل قيمة فى هذا البلد لابد أن يعامل هذه المعاملة وتحدث الرئيس السادات عن الانفتاح الاقتصادى فقال :

الانفتاح الاقتصادى

بالنسبة للانفتاح الاقتصادى .. اللى هو ما يمس .. فى رأى الجماعة اللى بيسموا نفسهم لأن انا برضه لسة مش معترف بحاجة اسمها ناصريين ليه ؟ .. لأن انا اللى مسئول عن الناصرية .. اذا كان هناك حاجة اسمها ناصرية ابق انا اللى مسئول عنها .. ليه دى ثورة ٢٣ يوليو وأنا بجتمع معاكو النهارده وبأصلها من أيام مكرم .. عمر مكرم والسادات بنوع الفرنسيون بأصلها معاكم من قرن ونص لغاية النهاردة : فأنا احق بهذا لكن أنا بأمشى جدلا .. الانفتاح الاقتصادى كل ما انكتب عن هذا الانفتاح الاقتصادى أو من يكتبون عنه حاجة غريبة جدا .. انه مغالطة متعمدة بشكل غريب ، يعنى لخلق أى مناخ يضللوا بيه أو يحافظوا بيه على

أوضاع قديمة كانت بتحصل .. بمعنى بيقولوا الانفتاح الاقتصادى بيضر القاعدة ، العمال والفلاحين ، طيب الانفتاح الاقتصادى يعنى ايه ؟ .. الانفتاح الاقتصادى كلمتين .. انتاج بنزوده وعماله بنزودها .. ما هو لازم كل مشروع يشتغل يبقى لازم عايز عمال تشغله ، وكل انتاج يطلع بيزيد إلى أنتاج البلد بيتوزع .. دى النهاردة مثلا لما بعمل الشركات بتاعة الفراخ (الدواجن) دى انفتاح لأنه مش قطاع عام زى اخواننا ما هم عايزين طيب .. احنا عملناها ليه ؟ .. عشان انتاج البيض ببساطة كده اللى كان عندنا ٥٠ مليون يبقى ٢٠٠ مليون ، علشان ما تبقاش البيضة بخمسة صاغ .. فعائد المشروع دا عايد لمين والسعر دا نازل لمين واللى بيشغل دا مين .. التكنولوجيا احدث ما فى العصر مش اللى احنا كنا عايشين عليه وقافلين على نفسنا وبنقول ستار حديدى حواليها .. يبقى دى نمرة واحد .. يبقى الانفتاح يضر الفلاحين والعمال والطبقة العاملة من الشعب ازاى ؟ .. دا المشاريع اللى عندى فى الانفتاح أسمنت .. دا رايح علشان البنا وعلشان أحل مشاكل الاسكان.

ـ متحدث : ليه ؟

ـ الرئيس : ليه .. دا سؤال تسأله بق يا أخى لا .. دا انت مكابر قوى بق .. لمين ايه بق هو الاسمنت انا ها أبيعه بره واللا بيتبنى به مصانع وبيوت جاهزة بيتعمل بيه شقق للناس .. ١٠ رمضان المليون متر اللى عرضتها طلعوا عشرة مين اللى اشتروهم ؟ .. مين اللى اشترى ١٠ مليون متر .. يبقى ما تقلش القادرين ، ما تقلش لانك انت ما انتاش عارف .. العشرة مليون متر دول سمعتوا الكفراوى وهو بيكلمنى من اسكندرية من يومين مش كده .

سمعتم ان ١٠ مليون متر اتباعت ده انت مش عارف استنم . استنم اسمع يا أبنى . أنا عاوزك تسمعنى علشان انا عاوز ارد اللى سمع حديث الكفراوى وقرأ الجرايد يعرف انه ـ بلاش الكلام ده يا محمد انت هناك ـ أنا مش عاوز كلام فارغ من ده لو كنت قاعد وبتابع مش واخد المسألة شخصية كنت سمعت الكفراوى فى التليفزيون والراديو مسموعة ومكتوبة فى الجرايد ان جاردن سيتى والزمالك دول بره العشرة مليون متر العشرة مليون متر دول .

الموظف الصغير

مانتاجرش أولا بكلمة عمال وفلاحين لانى انا عندى الموظف الصغير ما هو زى العمال والفلاحين وبتاجر ليه . بدول آه وبعدين لعلمك الصف ضابط فى الجيش . خلينى أكمل كلامى هو الصف ضابط فى الجيش يا بنى ده مش طبقة عمال وفلاحين واخدين وشاربين . المدن الجديدة اللى بتتعمل النهاردة بتتعمل لمين للعمال والفلاحين ليه كل مدينة معلش لو قلنا العمال موجودين والنقابات والفلاحين موجودين والتعاونيات لازم نفهم واحد من أولادنا مش فاهم بيتحركوا فى دائرة غلط الانفتاح الاقتصادى بق احطلك الصورة انا علشان احل الأزمة احنا سنة سنة . اسمع فى سنة ٧٠ قريت تقرير مكتوب من الغرب بيقول ايه بعد سنتين سيبو مصر فى حالها بعد سنتين هاتركع على ركبها طيب المسألة مراد بيها حرب نفسية زى اللى ماشية علينا و .. و .. وبعدين مات عبد الناصر سنة ٧٠ أول حاجة عملتها ندهت حسن عباس زكى وهو حى يرزق تعال يا حسن كان وزير الاقتصاد قلت له حال البلد ايه قبل هذا التاريخ بسنة كنت نائب رئيس الجمهورية ومن قبلها بـ ١٧ سنة كنت بعد مجلس قيادة الثورة يا اما فى الجمهورية أو فى الخارج ما مسكتش سلطة تنفيذية لكن نائب رئيس الجمهورية فى ٦٩ آخر ٦٩ . ٢٠ ديسمبر مات عبدالناصر فى سبتمبر اللى بعدها ندهت لحسن عباس زكى تعال يا حسن قلت له حال البلد الاقتصادى ايه ده يوم ١٧ و ١٨ أكتوبر ٧٠ بعد ما انتخبت على طول قال لى مفلسة قلت له انت عامل ايه كوزير اقتصاد قال لى بلبس طقيه ده لده . حسن عباس موجود حى يرزق وهو حته مش من اللى موجودين فى الحكم النهارده لأنه من زمان مش . تعال بق نأخذ الصورة مشينا ٧٠ و ٧١ و ٧٢ قلبنا اطرافها بكل صعوبة نفقات عسكرية تجهيز للمعركة استثمار علشان اقدر اشغل الناس اللى عندى والخريجين اللى بيطلعوا تذكر سمعت لأنى كررتها أكثر من مرة انه فى سنة ٧٣ قبل المعركة بـ ٥ أيام وأنا جامع مجلس الأمن القومى فى ٥ رمضان وجميع شهوده أحياء موجودين النهارده تذكر أنك سمعتنى أكثر من مرة أن الوضع الاقتصادى المصرى تحت الصفر حصل ومسجل فى التليفزيون يا ابنى اذا ما كنتش ما سمعتوش . تحت الصفر يعنى ايه ببساطة رغيف العيش لسنة ٧٤ مش

عندى ماقدرش اشتريه ليه لسبب بسيط عليه ديون والتزامات ان ما سددتهاش للموردين مش هايسلفونى أجيب القمح تانى اذن رغيف العيش وهو الأساس مش ها يكون عندى بدء من أول ٧٤ الكلام ده قلته من كذا سنة ما بقلوش دلوقتى طيب ! ببدء المعركة إخوانا العرب تقدموا اللى بيصوروا لك وللناس اللى زيك انهم بيتدخلوا فى شئون مصر.

٥٠٠ مليون دولار
من العرب

اخوانا العرب بعد أول اسبوع أول انقاذ جالى ٥٠٠ مليون دولار منهم حتى الشيخ زايد الله يصبحه بالخير كانت خزنته فاضية لأنه أمم شركاته واده شركاته الفلوس فاملقاش فاستلفهم من لندن وبعتهم لى أول ١٠٠ مليون دولار لكن مجموع ما وصلنى فى الأسبوع الأول حوالى ٣٠٠ مليون دولار واستمرت معونات العرب بعد ذلك أنا عاوز أقلك يابنى واقعة تاريخية حصلت سنة ٦٩ يوم ٢٠ ديسمبر ٦٩ عبد الناصر سافر إلى الرباط لحضور آخر مؤتمر قمة عربى عادى مش الاستثنائى بتاع فلسطين اللى مات لا العادى فى هذا المؤتمر يابنى الواقائع ترجع للجامعة العربية تلاقى عبد الناصر طلب ٢٠ مليون جنيه الاتحاد السوفيتى قال له ما بيعلكش سلاح الا بفلوس والسلاح جزء من معركتنا فراح يستلف ٢٠ مليون جنيه من العرب معمر القذافى خدته الحمية ومعمر القذافى انت لك صلة بيه لا ـ لا ـ لا ـ أقلك طيب يا ابنى واقعة. استنه طيب يا كمال اسمع يا ابنى ها أقلك واقعة صغيرة ما تنفعلش. ما تنفعلش ما تقوليش أنا لا أقبل اسمع سؤال ما طلعتش مرة جريدة الأخبار وكتبته أنك قابلت القائم بالأعمال الليبى وأنت رديت وقلت ايوه قابلته استنم استنم ها قولك حاجة لا أنا عاوز أتكلم أنا عاوز أتكلم أحب أقولك حاجة. احب أقولك حاجة يا كمال لما كنت سمعت وقلت آه أنا قابلته لعلمك بقه القائم بالأعمال الليبى ده كان اصله صول فى الجيش الليبى يابنى اسمعنى. اللى انت قابلته كان أصله صول فى الجيش وبعته معمر للتآمر هنا قام لما رجع ليبيا حطه فى السجن لأنه طلع حرامى سرق فلوس من القذافى بعتها للتآمر هنا انت يومها سافرت وقلتوايه يعنى ما هو طبعا ما هى حرية وايه يعنى لما قابلته .يابنى عاوز أكمل الواقعة ياولاد بتاعة مؤتمر القمة عاوز أكمل واقعة مؤتمر القمة واقعة مؤتمر القمة. عاوز أكمل واقعة مؤتمر القمة ـ آه ـ آه ـ لا عاوز أكمل تكمل بأكمل لكم مش له أنا بكمل لكم مش له .لا. لا. لا معمر القذافى فى هذا الاجتماع عبد الناصر تقدم وطلب ٢٠ مليون جنيه لأن الاتحاد السوفيتى قال له ما بدكش تانى سلاح الا بفلوسك قد ايه ٢٠ مليون جنيه كان قبل كده وقت السنوسى ما كان موجود ملك عمل نفس العملية الاتحاد السوفيتى لقيها نفعت قال لعبد الناصر ما فيش سلاح الا بفلوس حسب لقاهم ٢٠ مليون عبد الناصر بعت حسب الله يصبحوا بالخير السنوسى فالسنوسى يقرأ بعودة ألرسول باعت ١٠ مليون جنيه وقال له العشرة التانية بعد ٣ أشهر ساعة متاخد القسط من البترول.

٥ ـ السنوسى اللى كان عنده قاعدة انجليزية وقاعدة امريكية لما جه معمر القذافى وقعد مع عبد الناصر فى القبة وعبد الناصر بيقول له احنالنا عندكم ١٠ مليون جنيه تعهد بهم السنوسى علشان رايحين للاتحاد السوفيتى مش حتى هانأخذهم مصاريف.

وقاحة القذافى
أمام عبد الناصر

قام القذافى بكل وقائحه قال لجمال قدام الوفدين مش بينه وبين عبد الناصر لوحدهم لا. قدام الوفدين قال له السنوسى كان بيدفعها صدقة اما احنا مش عارف ايه و.. وعبد الناصر راح قافل اللى قدامه وقام وقطع صلته بالجدع ده الى أن مات وخلاها مجاملات بس عبد الناصر كان فى الحاجات دى شديد الحساسية جدا لكرامته.

لما راح بنفسه فى المغرب الاتحاد السوفيتى زقه نفس الزق وبعدين قال لهم يا جماعة أنا عاوز ٢٠ مليون جنيه على فكرة. القذافى فقد وعده وابتدأ يتطاول ويقل حياه على فيصل وأمير الكويت بالذات وبعدين الباقين انما دول الأول. وصلت المناقشة وتلافوا الجامعة العربية فانتهت باية فيصل قال له والله للقذافى لما تدفع من ميزانيتك النسبة اللى انا بادفعها من ميزانيتى علما بأنك مليون ونصف وانا ٨ ابق ادفع انا مش هادفع لأن التهجم كان على فيصل وعلى أمير الكويت من هنا الى هنا قام القذافى بحل الموضوع بطريقته القذافية قال انا هادفع عشرة مليون من العشرين من هايكمل بق قام اخونا امير الكويت قال طيب قال انا هادفع ٥ وانتهى الموضوع على ان عشرة هايجوا من معمر القذافى و ٥ هايجوا من الكويت وحتى وقتنا هذا العشرة بتوع القذافى ما جوش لغاية النهاردة مات عبد الناصر وقامت حرب اكتوبر الناس بتوع الكويت وفوا بالتزامهم والعشرين جه منهم ٥ فقط من أمير الكويت، بعد ذلك انا باضرب المثل ده ليه لأن ايه اللى كان فى الموقف العربى فى ذلك الوقت كان تمزق كنا متمزقين تمزق حقيق لما جيت عملت ايه بق ما هو ده الفرق بين الكلام اللى بيلقنهلهم والتطابق لما جيت انا قلت الله احنا ما يمكن نمشى بالشكل ده يا جماعة أول ما دخلت المعركة ٥٠٠ مليون دولار وبعدها ٥٠٠ فى ٥٠٠ و١٠٠ فى ١٠٠ فى ٢٠٠ لغاية ما جيت السنة اللى فاتت لازم اطور قواتى المسلحة طيب اطور قواتى المسلحة.. الاتحاد السوفيتى زى ما هتسمعوا منى دلوقتى هاقلكم موقفه نتيجة زيارة اسماعيل فهمى الاتحاد السوفيتى واقف منى موقف مش من دلوقتى من ساعة ما توليت من أيام زمان أصله هو برضه لابس نفس القميص بتاع الناصرية دلوقتى بيدافعوا عن عبد الناصر اللى موتوه كمدا وما دلوش سلاح الردع وبعوه للقذافى وهو ما يعلموش ومات كمدا وسمعتونى قبل كده بأقول الكلمة اللى قالها عبد الناصر يوم ما وصل من موسكو قبل ما يموت بشهرين ان الاتحاد السوفيتى حالة ميئوس منها يا أنور ليه كنا بنتكلم سوه ما كنش حد عارف العمليات ديه الا أنا وهو.

جت السنة اللى فاتت عاوز اطور القوات المسلحة والاتحاد السوفيتى حاطط عليه حظر من يوم وقف اطلاق النار لغاية النهاردة ايه اللى حصل فى موقف اخواننا العرب فى موقفين اثنين موقف التسليح بس السعودية دفعت التزامات لتطوير القوات المسلحة وسمعتونى باذكرها امام الجيوش وامام البحرية لأنها أخذت على نفسها التزامات لخمس سنوات مقبلة تؤديها هى بدون احنا ما ندفع مليم واحد لتطوير القوات المسلحة.

نمرة اثنين الوضع الاقتصادى. جت بق اداه الانفتاح لقنوا الأولاد ايه وفلسف هم فيلسوف الجماعة اللى لا بسين ثوب الناصرية اللى باقول انهم جمعيات المنتفعين فيلسوف يقف ويقول لهم كيسنجر قادنا الى الرمال

مصر قوية بالحب والوفاء

الناعمة فى سيناء يعنى بدلا ما يتقال حررنا قناتنا بارادتنا وفتحناها بالقوة يوم ما فتحتها قلت القناة دى فى مرمى الاسرائيليين حارجع المهجرين واذا ضربت اسرائيل القناة أو المدن ستضرب عمق وسأضرب عمق اسرائيل الكلام ده قلته . . لا بافتحها بالقوة وبعدين آجى فى ٧٥ وأقول ٣ أشهر بس انتداب بعدها أنا حر . . طلباتك ايه قلت المضايق والبترول باخد المضايق والبترول . . دى الرمال الناعمة اللى عند اخواننا أن احنا نأخذ المضايق والبترول بتاعنا وانه السنة دى ببساطة ٥٠٠ مليون دولار من دخل القناة داخلين على ٥٠٠ مليون دولار دخل البترول ده . . يبقى الرمال الناعمة والرمال الناعمة اللى بيعملوها له .

بأرجع بقى للانفتاح الاقتصادى والانفتاح الاقتصادى . . مفهوم الانفتاح الاقتصادى ايه ؟ مفهوم الانفتاح الاقتصادى علشان شعبنا انا قلت فيه ناس يعنى اذا كمال سمع كان بها ما اسمعش هو حر لأن انا عايز كل مصرى يبقى حر . . عايز كل مصرى يبقى حر ما حدش يفرض عليه حاجة ولا انا . . لكن كل واحد له قناعته الانفتاح بقى والمغالطة اللى فيه انه بيتقال ان ده ضد الفلاحين والعمال طيب الفلاحين ارتفعت الضرائب عن الثلاثة فدادين . . اترفع أدنى الأجور مرتين . . أنا رافعه مرتين فى ست سنين من ستة لتسعة ومن تسعة لـ ١٢ ولا لا . . ده للعمال . . ادى العمال وادى الفلاحين . . محاصيل السنة دى ارتفعت قد ايه للفلاح . . ارتفعت . . برضه انا باحكى يا بنى الكلام ده كله علشان التلقين اللى بيلقنوه لكم غلط . . الانفتاح الاقتصادى هدفه زيادة انتاج وفيه مثل بسيط قوى انه بدل ما عندى ٥٠ مليون فى سنة واحدة حنضاعف ده حنضاعف نبقى ١٠٠ بعدها بنتضاعف بقه لسنة ٢٠٠٠ لأن المشاريع كلها لألفين بتضاعف على طول . . الخط البيانى بيجرى ده لمصلحة مين . . للمستهلك . . المستهلك بقه بشاوات ولا الفلاحين والعمال . القاعدة الأساسية ما بيكلوش بيض الفلاحين والعمال .

سمع الانفتاح يا جماعة اللى بيسموا عقل الناس به . . الانفتاح الاقتصادى شيئين انتاج وعماله . . انتاج يوزع على القاعدة العريضة عمالة . . عمال جداد يشتغلوا ويأخذوا رواتب ويرتفع مستواهم وبعدين اشتراكيتنا برضه فى حاجة من ملامحها نسى هو بقول الفرق بين زمان وبين دلوقت . .

معالم الإشتراكية

زمان كان بيتقال انه والله اللى عنده تاكسى ده رأسمالى اللى عنده لورى ده رأسمالى . . طيب النهاردة لا . . انا من معالم الاشتراكية عندى ان فيه كذا الف سواق اشتروا تاكسيات . . انا عاوز كل انسان يملك تاكسى . . سواق وعايز كل انسان مصرى يملك حتة أرض عليها بيت زى انا منا فى ميت ابو الكوم افقر واحد فى ميت ابو الكوم عندنا له بيت وبنيه بالطوب النى ويبقى عبارة عن الواحد يخش يلاقى الفسحة ـ ده أفقر واحد ـ فسحة وأولاده بره المسطبة على الباب وبيقفل بابه عليه فى بيته ملكه حتة من مصر . أنا بقى بأقول لا . . لازم كل مصرى يملك حتة من مصر . . تاكسى . . لورى . . ارض . . غيط . . زراعة فى حدود القوانين اللى احنا حطيناها .

وقد قوطع خطاب الرئيس السادات مرات كثيرة بتصفيق مدو من أعضاء اللجنة المركزية . . كما ارتفعت أصوات الحاضرين منددة بالعملاء والخوارج وجبهة الرفض التى تعمل لمصلحة أسيادهم ضد قضية الشعب المصرى وحقه فى الحياة الحرة الكريمة .

دراسات
قرآنية

تفسير سورة آل عمران

الآيات من ١٣٨ - ١٥٢

- انتصار المسلمين فى أحد بعد الصدمة الأولى .
- عصيان بعض المحاربين لأوامر رسول الله .
- الدرس الذى أراد الله أن يلقنه للمسلمين .
- الآية التى أنقذت المسلمين من الفتنة بعد موت رسول الله .

الأستاذ احمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين * ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون * وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين * وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين * وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين * يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين * بل الله مولاكم وهو خير الناصرين * سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين * ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بإذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ماأراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين »

هذا بيان للناس

مع شدة وضوح الأمر لنا ولجميع المفسرين (تقريبا) ان هذا البيان الذى سوف يعلنه القرآن الكريم هو خاص بما سوف يليه من شرح وايضاح لمجريات موقعة أحد فقد وجد من قال إن البيان متعلق بما سبقه من قوله تعالى : « **قد خلت من قبلكم سنن** . . . الآية ولكننا من رأى الجماعة من أن البيان متعلق بما بعده .

وقد قدمنا ان المشركين والمنافقين واليهود قد استغلوا مجريات معركة أحد وما أشيع فيها من وفاة رسول الله ، ليبلبلوا الأفكار وليزعموا أن المسلمين منوا بهزيمة ساحقة يوم أحد ، وقد وجدوا من يستمع لهم فنزل القرآن الكريم بهذا البيان ، يوجهه للناس كافة ، ويؤكد للمؤمنين منهم ، انهم الأعلون دائما والأعزة بمقدار تمكن الإيمان من نفوسهم

وهدى وموعظة للمتقين

والقرآن الكريم ككل شأنه انما يذكر ما يذكر للناس إلى أبد الآبدين ، لا ليكون كتاب تاريخ ، ولكنه كتاب هداية وارشاد وانما قد يرد فى ثنايا وعظه وارشاده ما يكون أكبر سندا لتدعيم ما جاء فى سيرة رسول الله ﷺ ، كما سوف نرى

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين »

ولا تهنوا : أى لا تضعفوا وقيل لا تعجزوا وقيل لا تجبنوا

ولا تحزنوا : الحزن معروف وهو ضد السرور وهو حالة نفسية من الألم المعنوى لوقوع مالا يرضاه الانسان ، أو لفوات ما كان يؤمله ويرجوه ومغزى مطالبة المؤمنين بها فى هذا الموضع معناه انه لم يحدث لهم ، كما أنه لم يفتهم ، ما يحزن بسببه « **وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين** »

هذا ويعمد كثير من المفسرين إلى القول بأن ذلك يعنى المستقبل ، أى أنكم ستعودون للانتصار بعد أحد

أما نحن فنرى أن الآية تقرر امرا واقعا فى كل الأحوال والأزمنة من ان المؤمنين هم الأعلون دائما ، فإن ايمانهم بالله الواحد الأحد المنزه عن الشبيه والولد ، يجعل المؤمن فى أعلى عليين ، أيا كانت صفة خصمه وأيا كان مكان المؤمن ، فعلو المؤمن على غير المؤمن مسألة لا تتغير حسب الأحوال والظروف ، وليس أدل على أن العلو كان للمؤمنين فى غزوة أحد من ان سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكد يرجع إلى المدينة حتى ندب الناس فى اليوم التالى مباشرة أن يخرجوا لمطاردة قريش ، ولم يقبل ان يصحبه فى هذه المطاردة الا من كان معه بالأمس ، ولكن قريشا (التى زعمت أنها انتصرت) كانت قد عادت إلى مكة بأسرع من الريح

وسوف يرد علينا بعد قليل ، ان ابا سفيان بن حرب عندما تصور نفسه انه قد انتصر ، فحدد موعدا من العام التالى ليتلاقى مع المسلمين فى معركة جديدة ، فلما حان الموعد المضروب توجه اليه رسول الله ﷺ بجيشه ، ولم يذهب المشركون .

فقضية علو المسلمين على المشركين حتى فى ميدان القتال والتفوق العسكرى كانت قد حسمت وانتهى الأمر على ما قدمنا « **إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** » هذا هو تلخيص القرآن الكريم لما أصاب المسلمين يوم أحد ، والقرح يعنى الجرح ، فتشبه القرآن الكريم ما أصاب المؤمنين يوم أحد من استشهاد (٧٠) شهيدا بأنه لا يعدو أن يكون جرحا ، قد أصاب المشركين جرح مثله من قبل ، ولكن شتان ما بين الجرحين والآثار التى تركها كل جرح ، فقد كان ما لحق المشركين يوم بدر هزيمة نكراء بكل المقاييس يقابلها فى ناحية المسلمين النصر « **لقد نصركم الله ببدر** » حيث لم يترتب على غزوة أحد أى نصر للمشركين ، بل لم يترتب عليها أى أثر على الإطلاق وظلت الدعوة المحمدية فى تصاعد مستمر ، حيث كانت قضية المشركين فى خسارة وتدهور يوما عن يوم ، بل وساعة بعد أخرى

« وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين

وبعد أن بين الله تعالى للمسلمين ، أن ما أصابهم يوم أحد لا يعدو أن يكون من الناحية المادية البحتة مجرد « قرح » شرع يبين سبحانه ، لماذا اقتضت مشيئته أن تسير الأمور فى أحد فى الطريق الذى سارت فيه :

- **وتلك الأيام نداولها بين الناس**
- **وليعلم الله الذين آمنوا**
- **ويتخذ منكم شهداء**
- **والله لا يحب الظالمين**

هذه الأغراض التى أجملتها الآية الكريمة سوف تفصلها الآيات القادمة ولذلك فسنتحدث عنها على ضوء المستفاد من كل السورة ومن كل القرآن الكريم ، ومن تاريخ العالم الاسلامى كله

وتلك الأيام نداولها بين الناس

أول درس اراد الله سبحانه وتعالى ان يغرسه فى نفوس المسلمين إلى أبد الآبدين أن يفصلوا بين أحداث التاريخ ومجرياته وبين الايمان بالله ، فالايمان بالله على الوجه الصحيح يجعلك دائما الأعلى (معنويا على الأقل) أما بالنسبة للأحداث التاريخية الجارية فهذه قد شاءت إرادة الله أن يداولها بين الناس و « نداولها » أى نصرفها بصور مختلفة من حيث الضعف والقوة ، والخفض والارتفاع والغلبة والسلطان ، أو القهر والضياع ، إلى آخره ولقد عبر شاعر عن هذا المعنى فأجاد التعبير وذلك فى قوله :

ويوم لنا ويوم علينا ★ ويوم نساء ويوم نسر

فالدنيا لا تسير على خط واحد هابط أبدا أو صاعد أبدا ، والأمر فى النهاية منوط بارادة الله للسير فى هذا الطريق أو عكسه وهو درس مافتى والله عز وجل يعلمه للمسلمين من حين لآخر ، وسنرى كيف انهم عندما نسوه مرة أخرى فى مقبل الأيام وتصوروا ان الدنيا دانت لهم وانتهى الأمر ، فكان ان ذكرهم سبحانه بهذه الحقيقة مرة أخرى وهى ان مرجع الأمور كلها إليه وكان ذلك فى غزوة حنين

« ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا . . . (الآية)

وعندنا ان ما حدث فى حنين هو عين ما حدث فى أحد حيث بوغت المسلمون بأمر لم يتوقعوه والمهم فى كل هذا ان الأمور بيد الله يصرفها كيف شاء وانى شاء لحكمة اختص هو بعلمها ، فلا ينبغى أن تؤثر الأحداث الجارية على إيمان المؤمن ، ففى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، ، تصور كثيرون ، ان اوروبا علت وسادت المسلمين وانتهى الأمر ، وها نحن أولاء نشهد زوال سلطان أوروبا ، وعودة النهضة إلى العالم الاسلامى فعلى المؤمن ان لا يزعزع إيمانه تقلب الأحداث فقد شاءت إرادة الله كما قدمنا ، أن يجعل الغلبة والقوة والمنعة والغنى والفقر . . . الخ ليس وقفا ولا حكرا على صنف من الناس .

وليعلم الله الذين آمنوا

ويجب ان نفهم من مثل هذا التعبير ، أنه يخاطب عقولنا وافهامنا ، والا فعلم الله قديم وسابق على كل شئ ، ولكنه يعلم الدنيا عامة والبشر خاصة ، من هو العبد المؤمن ، ومن هو غير المؤمن ، من الذى لا تزده الأحداث المتقلبة إلا إيمانا ، ومن الذى يتسرب الشك إلى نفسه .

ويتخذ منكم شهداء :

وهذا هو درس آخر أراد الله سبحانه وتعالى إن يلقنه للمسلمين ليعدهم للقتال فى سبيل الله إلى أبد الآبدين

فما من حرب فى الدنيا ، صغرت أو كبرت ربح فيها من ربح ، وخسر فيها من خسر إلاوسقط فيها قتلى من الجانبين ، والقرآن هنا يعلم المسلمين ان الله سبحانه يريد ان يكون له شهداء يموتون فى سبيل اعلاء كلمته وفى هذا يقول تعالى : « **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون . . . الآية**

وليس يغير من صفة الشهيد ولا من مكانته عند الله ، نتيجة المعركة وهل كانت عند هذا الجانب أو ذاك .

ومرة أخرى نلفت النظر إلى أن ذلك كله تربية من الله واعدادا للمسلمين ، فعندما يقول لنا « **ويتخذ منكم شهداء** » ، فذلك لخيرنا نحن ، أما هو فغنى عن العالمين .

والله لا يحب الظالمين

ولما كان الله هو الحق ، وهو العدل ، وهو الرحمة فهو يذكر المؤمنين ليكونوا على ثقة بالنصر النهائى ، لأن كل من كان على باطل فهو ظالم وكل من كان غير عادل أو رحيم فهو ظالم ، والله لا يحب الظالمين ، فنهايتهم معلومة ومقررة **وليمحص الله الذين أمنوا ويمحق الكافرين**

يمحص : بمعنى يختبر ويبتلى : وقيل يطهر وقيل يخلص
يمحق : أى يهلك ويستأصل

والمعنى هو ما سبق ان اشرنا اليه

﴿أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ هذه الآية والتى سبقتها هى تأكيد للمعانى التى تضمنتها الآية الكريمة التى سبقتها فالله سبحانه وتعالى وهو فى مقام التشريع يحدد للمؤمنين المبادىء والقواعد التى تؤدى إلى الجنة ، وهو هنا يقرر لهم ان فى ميدان المعركة لا يدخل فى جنته الا من جاهد (اى حارب وقاتل :) أو ثبت فى أرض المعركة وكان من الصابرين

ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون

وهذا هو أحد ألوان التمحيص أى الاختبار فعقب غزوة بدر ولم يشترك فيها من المسلمين إلا ثلثمائة ، فقد تصايح كل من لم يشترك فيها أنه كان يرغب فى القتال وكان يتمنى لو استشهد فى سبيل الله

ولقد كانت هذه الحماسة هى التى جعلتهم يشيرون على رسول الله أن يخرج بهم لملاقاة المشركين ، فكان هذا الذى كان ، والقرآن هنا يذكرهم بما قالوه من تمنيهم الموت (اى الشهادة) فى سبيل الله وعندما بوغتوا على ما بينا وسوف نبين ، اذا بهم يفرون من الموت « **وانتم تنظرون** » أى وأنتم تعاينون وتشهدون

وما محمد إلا رسول فقدخلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين

نصل الآن إلى الآية الكريمة التى كانت هى الأصل والأساس ، لكل ما أشيع حول غزوة أحد وما مكن هذه الشائعات وساعدها على الرواج ، والحادث الذى تشير له الآية هو القول بأن رسول الله ﷺ قد قتل وانتهى أمره ، فكان مجرد سريان هذه الإشاعة المكذوبة ، أهم عامل حال دون عودة المسلمين للتجمع وهزيمة المشركين كما حدث فى أول المعركة ، كما كانت السبب فى تصور المشركين أنهم انتصروا ، وليس أدل على ذلك من أن مشركى قريش لم يكادوا يتثبتوا من أن سيدنا محمدا ﷺ لا يزال على قيد الحياة حتى اسرعوا مهرولين إلى مكة .

الآية التى انقذت المسلمين

ونحن نعلم اليوم ويعلم كل المسلمين الذين سبقونا منذ أن التحق الرسول صلوات الله عليه بالرفيق الأعلى ، ان هذه الآية الكريمة قد انقذت المسلمين فى أعقاب وفاة رسول الله من فتنة عارمة لم يكن يعرف سوى الله كيف كان يمكن أن تنتهى ، لولا أن أنطق الله سيدنا أبا بكر الصديق بهذه الآية ، فأنقذت الموقف وحسمت كل شئ ، ولأدع الآن الإمام البخارى رضى الله عنه يحدثنا عن هذه الواقعة الخالدة كما رويت له يسنده :

قالت السيدة عائشة ان ابا بكر رضى الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم [أى قصد] رسول الله ﷺ وهو مغطى ببنوب حبرة : فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى ثم قال : بأبى أنت وأمى والله لا يجمع الله عليك موتتين : أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها . . . وخرج ابو بكر وعمر يكلم الناس وقال : اجلس يا عمر ، قال ابو بكر : اما بعد فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت قال الله تعالى : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله وسيجزى الله الشاكرين قال فكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم ابو بكر فتلاها معه الناس كلهم فما اسمع بشرا من الناس إلا يتلوها واخبرنى سعيد بن المسيب ان عمر قال والله ما **إن سمعت أبا بكر تلاها فعرقت حتى ماتقلنى رجلاى وحتى هويت على الأرض . . .** الحديث بطوله ورواياته فى البخارى

وبقى ان تعرف ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول فى هذا الموقف العصيب ، على ما رواه ابن ماجه فى سننه ونقله عنه القرطبى : « والله مامات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى تقطع ايدى اناس من المنافقين كثير وأرجلهم » .

واذا كان هذا ما يقوله عمر بن الخطاب وهو من هو ، فعليك أن تتصور ماذا تكون عليه حالة بقية المسلمين

ويعنينا فى هذا المجال ان هذه الشائعة التى شاعت فى غزوة أحد عن وفاة رسول الله ونزلت الآية الكريمة بمناسبتها ، كانت هى التى أعادت للمؤمنين إيمانهم الذى تزلزل عند وفاة رسول الله فعلا أى ان ما حدث فى أحد كان درسا يلقنه الله سبحانه وتعالى للمسلمين ، ليس فقط على أيام النبى ، وانما إلى ابد الآبدين ان سيدنا محمدا مهما كبر وعظم فالله أكبر وهو فى نهاية الأمر عبد الله ورسوله ، ومن هنا فقد راحت الآية الكريمة تذكر المؤمنين بهذه الحقيقة وتعاتبهم فى نفس الوقت فتقول لهم : هبوا أن ما قاله الناعق صحيح ، وتقول بعض الروايات ، أن أبليس اللعين هو الذى صاح معلنا قتل محمد ، وسواء كان الناعق هو إبليس أو أى كائن آخر فالثابت بنص القرآن ، ان هذا القول تردد

ويقول القرآن الكريم ان هذا القول حتى ان صح فهو لا يعنى بحال ان يرتد المسلمون بعد ايمانهم كفارا ، وكم سبق سيدنا محمدا رسل دعوا إلى مثل ما دعا إليه ، ثم ماتوا فلم يرتد اتباعهم كفارا .

« **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** » خلت : أى مضت أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا .

يقال لمن عاد إلى ما كان عليه ، انقلب على عقبيه ، أو نكص على عقبيه ، ومعناه ان يرتدوا كفارا وقال بعض المفسرين ان المقصود بها هنا هو ارتداد المسلمين يوم أحد فرارا وهربا ولكننا نؤثر المعنى الأول ، فقد كان ذكر هذه الآية هو العاصم للمسلمين من الكفر بعد وفاة سيدنا محمد

ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا

والمعنى واضح فمن يؤمن انما يؤمن لنفسه ومن يكفر فلن يضر بكفره الله فى قليل أو كثير فالله غنى عن العالمين .

وسيجزى الله الشاكرين :

ومكافأة الله سبحانه وتعالى للحامدين الشاكرين ، هى احدى سننه ، ولكن الحديث عن جزاء الشاكرين بمناسبة أحداث « أحد » قاطع فى إنه كان من صحابة الرسول من وعى أحداث أحد وشكر الله عليها باعتبارها إحدى النعم .

وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا .

يقول رسول الله ﷺ : كفى بالموت واعظا وقد كان من مقاصد القرآن تعليم المؤمنين ان الموت آت لا ريب فيه وأن الله سبحانه وتعالى هو الذى يحيى ويميت ، وقد جعل لكل أجل كتابا ، لا يستطيع الانسان ، أى انسان ، إذا جاء هذا الأجل أن يؤخره ولو لما هو دون اللحظة

قال تعالى : « **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** »

وساعة هنا لا تعنى هذا القدر من الزمن (٦٠ دقيقة) وانما هى رمز لمطلق الزمن

وعندنا ان الايمان بهذه الحقيقة ، وأن الأعمار كما يقولون بيد الله ، هى التى تجعل الشجاع شجاعا فى كل زمان ومكان ، وقد كانت هى سر عظمة المسلمين عندما كانوا عظماء وعندما ضعف ايمانهم بها انتهوا إلى ما كانوا قد انتهوا اليه ، واذا كنت انا « شخصيا » أتفاءل بمستقبل المسلمين ، فذلك لأن هذا الايمان قد بدأ يعود اليهم ، فنرى المسلمين فى كل مكان وقد هبوا يقاتلون ، ايمانا منهم ان لكل أجل كتابا ، يستوى فى ذلك ان يحاربوا شجعانا ، أو ان يقعدوا ويستكينوا **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها**

وبعد أن وضعت الآية الكريمة ايدى المؤمنين على حقيقة الحياة الكبرى من ان الموت آت لا ريب فيه ، لا يؤجله فضلا عن ان يرده اى تصرف انسانى من أى نوع كان ، ترك الله سبحانه وتعالى لكل انسان ان يختار ما يريد ، أهو يريد الدنيا بكل ما فيها ، أم يتطلع إلى ما وراء الدنيا من حياة آخرة وهى الأبقى والأكمل ، ووعد الله سبحانه ، ان يعطى لكل انسان ما يريد فمن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهو المشاهد والملحوظ دائما فى كل زمان ومكان فمن جعل كل همه ان يحصل فى الدنيا على هذا الشئ أو ذاك ، فهو يحصل عليه فى أغلب الأحيان وقد يضحى فى سبيل الحصول عليه ، بكل المعانى الكريمة المتعارف عليها ، والمهم أنه يحصل على ما يريد فقد وعد الله ووعده الحق ، بذلك .

ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها : فى المقابل فإن من يرد ثواب الآخرة فإن الله سبحانه وتعالى سوف يحقق له ما يريد .

وسنجزى الشاكرين : ومرة أخرى تختم الآية بالنص على أن الله سبحانه وتعالى سيكافىء الشاكرين ، يعنى بهم المؤمنين ، ثم هو يطلق الجزاء فلا يقيده بالدنيا أو الآخرة ، لأنه تعالى اذا كان قد وعد بحسن الجزاء فى الآخرة ، فهو قد يمنحه فى هذه الدنيا قبل الآخرة .

فائدة للمسلمين :

ونريد أن نخرج قليلا عن السياق ، لنسوق للمسلمين فائدة ، فلا ينبغى ان يتصور متصور انه بموجب هذه الآية الكريمة ، أصبح من المتعين على المسلم ان لا يلتمس خيرا من الدنيا ، كلا . . ان مثل هذا التصور يكون خاطئا فقد جاء فى القرآن الكريم :

- **ولا تنس نصيبك من الدنيا**
- **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**
- **وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً**
- **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق**

وعندنا ان الآية التى تنظم القضية بأكملها قضية الموازنة فى العمل للدنيا والآخرة هى قوله تعالى فى سورة البقرة :

« **فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** »

أى أن المطلوب من المسلم المؤمن أن لا يجعل الدنيا هى همه الوحيد ، بل يجب أن يعمل من أجل الآخرة أيضا .

« **وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين *** »

مفردات

وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير - كأين : يعنى كم

ربيون : الجماعة الكثيرة ، وقدرها البعض بألف والبعض بعشرة آلاف ، وقال آخرون هى الألوف الكثيرة ، وخير من ذلك كله المعنى الأول من أنها الجماعة الكثيرة

فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله

الوهن : انكسار الحد بالخوف ، ونحن نختار « وهنوا » بمعنى خافوا ، وهذا أفضل من تفسيرها ، « ضعفوا » لأن الآية الكريمة لن تلبث ان تنفى عنهم الضعف .

وما ضعفوا وما استكانوا :

الاستكانة الذلة والخنوع **والله يحب الصابرين .**

والصبر فى القتال هو الثبات ، واحتمال كل صنوف المخاطر وما تبعثه فى النفس من خوف .

وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا .

وكل هذا القول يساق لصحابة رسول الله أولا فقد نزل بسبب ما حدث فى أحد وكانوا هم أول من سمعه ، والقرآن يعاتبهم ويذكرهم أن نبيهم ليس هو أول من يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يموت (الآية السابقة) وليسوا هم أول من يحارب الى جوار نبيهم ، بل لقد سبقهم الكثيرون فما خافوا ولا ضعفوا (ولم يفروا) بل إنهم توجهوا لله بالدعاء (وكأنهم عاينوا الموت) ان يغفر لهم ذنوبهم واسرافهم فى امرهم والاسراف هو تجاوز الحد ، أى أنهم واجهوا الموت بالتوبة وطلب المغفرة ، واذ كانت الحرب لا تعنى ابدا الموت ، فقد مضى المؤمنون وقد تطهروا بالتوبة وطلب المغفرة وبالتالى فقد ازدادوا قوة ومضوا يدعون الله .

وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وارجو ان تلاحظ تسلسل الدعاء فى درجات تنتهى بطلب النصر الذى يصبح بعدها شيئا محققا ، لقوله تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم » وهو ماتراه فى الآية التالية مباشرة « **فآتاهم الله ثواب الدنيا** » وثواب الدنيا ، للثبات فى القتال مع صدق النية واخلاصها هو النصر المؤزر « **وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين** » ومرة أخرى تلفت النظر لكلمة « وحسن » ثواب الآخرة فى هذا الموطن ، ففى آية سابقة قال تعالى : « **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها** » أما فى هذه الآية فقد زيدت كلمة « وحسن » ذلك ان جماعة المؤمنين استحقوا ما هو اكثر من الثواب العادى فى الآخرة فهم لم يضعفوا ولم يستكينوا ، وانما استغفروا وتطهروا بالتوبة وثبتوا فى القتال فى سبيل الله فكان فضل الله عليهم عظيما ، فمنحهم النصر فى الدنيا « وحسن » ثواب الآخرة .

« **والله يحب المحسنين** »

اشارة الى ما فى موقف هذا النفر وتصرفهم من امتياز يرفعهم فوق ايمانهم درجة ، وهى درجة الإحسان

ياأيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين .

التحذير من اتباع الذين كفروا قائم ودائم الى يوم الدين ، ومع ذلك فنحن نستشف من القول على ضوء ما ورد فى كتب السيرة مدى البلبلة التى نجح اعداء الدعوة المحمدية فى اشاعتها فى صفوف المسلمين من زعمهم بأن المسلمين هزموا شر هزيمة فى أحد وافترق المفسرون فيمن عناهم القرآن « بالذين كفروا » فقال البعض ، هم مشركو قريش وقال بعض هم اليهود ، وقال آخرون بل هم المنافقون واخترنا نحن ان يشمل التعبير هؤلاء جميعا فقلنا « اعداء الدعوة المحمدية » فلا بد ان يكونوا قد تضافروا جميعا وتعاونوا لتضخيم ما حدث ودعوا المؤمنين للرجوع الى دينهم ، وعندنا ان كل من هدف الى هذه النتيجة فهو كافر بلا جدال أو شبهة يستوى فى ذلك ان يكون من مشركى قريش أو يهود يثرب أو المنافقين ممن تظاهروا بالإسلام **بل الله مولاكم وهو خير الناصرين** فلا تلتفتوا لقول من حاول ان يردكم بعد ايمانكم كافرين ، واستمسكوا بإيمانكم بالله الواحد الأحد فهو فقط ولا أحد سواه « خير الناصرين »

سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين

اشرنا من قبل ان مشركى قريش الذين زعموا لنفسهم أنهم انتصروا فى « أحد » لم يكادوا يتبينون ان سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام لم يقتل وأنه لم يكد يرجع الى المدينة حتى ندب من حضر موقعه أحد معه ان يهبوا معه لمطاردة قريش ، تقول كتب السيرة : ان قريشا لم تكد تسمع هذا النبأ حتى امتلأوا بالذعر وحثوا خطاهم للرجوع

الى مكة ، وهذه الآية الكريمة ، تفسر لنا سر هذا الهلع الذى أصـاب مشركى قريش ففنى عن البيان أنهم كانوا فى حالة زهو بانتصارهم المزعوم ، وكان من غير المعقول أن يتمكن سيدنا محمد من اللحاق بهم بعدد كبير ، فما هو السر فى تراجعهم بهذه السرعة ، تكشف لنا الآية هذا السر وهو أن الله ألقى فى قلوبهم الرعب (أى الخوف الشديد) أما مصدر الرعب فهو معنوى نفسى ، وهو احساسهم أنهم يحاربون عن قضية خاسرة وهى اشراكهم بالله ، والشرك هو مصدر فعل أشرك تقول أشرك به ، أى عدل به غيره ليجعله شريكا ، وقد كانت هذه الفكرة فكرة الاشراك بالله قد تزعزعت فى نفوس الكثيرين ، وبدأ نور التوحيد ينفذ بالتدريج الى هذه القلوب المظلمة بالشرك ، ومن هنا نستطيع ان ندرك لماذا امتلأوا رعبا عندما سمعوا بمسير سيدنا محمد نحوهم ، ولم يحل انتصارهم المزعوم دون وقوع هذا الرعب .

« بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا » :

قدمنا أن أشركوا بمعنى جعلوا الله شريكا ، اى عدلا له وندا

ما لم ينزل به سلطانا : السلطان الحجة والبينة والبرهان

ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين مثوى : من ثوى يثوى ثواء ، بمعنى اقام ، والمأوى هو المكان الذى يرجع اليه الشىء ليلا أو نهارا

قبل أحد وبعد أحد والى أبد الآبدين

وهكذا نزل القرآن الكريم بعد غزوة أحد يتحدث عن المشركين بما أعتاد أن يتحدث به عنهم ، من أن مأواهم جهنم وبئس المصير **ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين**

تحسونهم : أى تستأصلونهم بالقتل وهذه الآية الكريمة هى التى شرحت صدرنا الى أن معركة أحد من الناحية العسكرية كانت نصرا للمسلمين ، وكان أن خالف بعض المسلمين الأوامر المعطاة لهم فكان ان حجب الله سبحانه وتعالى هذا النصر ليربيهم ويعلمهم ويختبرهم ولكن حجب النصر عن المسلمين ، لم يحوله الى هزيمة لهم وبالتالى لم يحرز المشركون اى نصر

ولقد أوضحت هذه الآية الكريمة هذه الحقائق بما لا مزيد عليه

ولقد صدقكم الله وعده

انظر الى هذا التعبير وتدبر دلالته ، **فهو يعنى ان الله سبحانه وتعالى قد حقق للمسلمين وعده ، بأن نصرهم على عدوهم ومن هو هذا العدو ، إنهم ثلاثة آلاف مقاتل جاءوا مجهزين بالعدد والعدة والتصميم على الأخذ بالثأر ، فلم يكادوا يخوضون المعركة مع سبعمائة مسلم فقط (أى دون ربع عددهم) حتى انتصر المسلمون ، ومعلوم ان قوة أى جيشين عند الالتحام انما تتجلى فى الصدمة الأولى وقد انتهت الصدمة الأولى بين المشركين والمسلمين بانتصار المسلمين ، وهذا المستفاد من قوله تعالى : ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بإذنه : ثم زادت الآية الكريمة الأمر تفصيلا فذكرت لنا كيف ان المؤمنين شرعوا فى قتال المشركين ، وهنا تزودنا كتب السيرة بمزيد من التفصيلات فتحدثنا كتب السيرة كيف أن حامل لواء المشركين قتل ، وقد كان قتل حامل اللواء يعنى أو يرمز لهزيمة الجيش ، فتقدم من المشركين من حمل اللواء من جديد ولكنه قتل بدوره وتقول كتب السيرة أن عدة من قتل من المشركين ممن تصدوا لحمل اللواء بلغوا سبعة قتلوا جميعا ولدينا بيت من الشعر منسوب الى حسان بن ثابت يفيد ان الأمر انتهى بأن توقف الرجال عن حمل اللواء فتقدمت امرأة لحمله وهى عمرة بنت علقمة الحارثية ، وفى هذا يقول حسان :**

فلولا لواء الحارثية أصبحوا

يباعون فى الأسواق بيع الجلائب

يبين من ذلك ان المعركة حققت نصرا كاملا للمسلمين ، ويبين ذلك من قوله تعالى : من بعد ما أراكم ما تحبون وأى شىء يحبه المسلمون اكثر من النصر

فما الذى حدث بعد ذلك

ويكون السؤال فما الذى حدث ليحجب هذا النصر الذى تحقق بالفعل ،تجيب الآية الكريمة على هذا التساؤل بقولها :

« **حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم** » فما الذى وقع من المسلمين مما يصفه القرآن الكريم ، فشل وتنازع وعصيان هنا وندع الحديث للإمام البخارى يفصل لنا ما حدث

روى البخارى عن البراء بن عازب قال : لما كان يوم أحد ولقينا المشركين أجلس رسول الله ﷺ اناسا من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم : لا تبرحوا من مكانكم ان رايتمونا ظهرنا عليهم فلاتبرحوا وأن رأيتموهم قد ظهروا علينا فلاتعينونا عليهم ، قال فلما التقى القوم وهزمهم المسلمون حتى نظرنا الى النساء ويشتدون فى الجبل وقد رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فجعلوا يقولون : الغنيمة ، الغنيمة فقال لهم عبد الله (بن جبير) امهلوا ، أما عهد اليكم رسول الله الا تبرحوا ، فانطلقوا فلما أتوهم صرف الله وجوههم وقتل من المسلمين سبعون رجلا .

ثم ان ابا سفيان بن حرب أشرف علينا وهو فى نشز [أى مرتفع من الأرض] فقال أفى القوم محمد فقال رسول الله : لا تجيبوه حتى قالها ثلاثا ثم قال ، افى القوم ابن أبى قحافة ؟ ثلاثا فقال رسول الله ﷺ ' لا تجيبوه ' ثم قال ، أفى القوم عمر؟ ثلاثا فقال ﷺ ' لا تجيبوه ' ثم التفت [أى أبوسفيان] الى أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا . فلم يملك عمر نفسه دون ان قال : كذبت يا عدوا الله قد أبقى الله لك ما يخزيك به . فقال : أعل هبل . قال النبى ﷺ : ' اجيبوه ' قالوا : ما تقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا الله أعلى وأجل قال ابو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال رسول ﷺ : ' اجيبوه ' قالوا : ما تقول يارسول الله ؟ قال : ' قولوا الله مولانا ولا مولى لكم : قال ابو سفيان :

يوم بيوم بدر والحرب سجال ، الا انكم ستجدون فى القوم « مثلة » لم آمر بها ولم تسؤنى . انتهى ما جاء فى البخارى وقد فصلت كتب السيرة حقيقة ما وقع نتيجة مخالفة الرماة لتعليمات سيدنا محمد ﷺ فقالوا بسندهم الموثوق به : « وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك وهى تنضح بالنبل فترجع مغلوبة ، وحمل المسلمون فنهكوهم قتلا ، فلما أبصر الرماة الخمسون أن الله عز وجل فتح لإخوانهم ، قالوا : والله ما نجلس ههنا لشىء ، قد أهلك الله العدو ، واخواننا فى معسكر المشركين . وقال طوائف منهم : علام تقف وقد هزم الله العدو فتركوا منازلهم التى عهد اليهم النبى الا يتركوها ، وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول . . . اه

وكان ما كان مما سبق ان قلناه ، من أن خالد بن الوليد الذى عجز كما رأينا ثلاث مرات ما بقى الرماة فى مكانهم ، فلما غادروا المكان ، انقض خالد بن الوليد من هذه الثغرة وباغت المسلمين .

« **نصر كامل لسيدنا محمد وحجب للنصر عن المسلمين** »

وهذا الذى حدث هو نصر كامل لسيدنا محمد ﷺ فما بقى المسلمون يعملون وفق خطته وتعاليمه فقد كان النصر .

« **حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم** »

فشلتم : من فشل يفشل فهو فاشل ، والفشل هو عكس النجاح ، ويفسرها المفسرون هنا بأنها تعنى جبنتم وضعفتم ، ولكننا لسنا من هذا الرأى ، فما حدث لم يكن نتيجة ضعف أو جبن ، وانما هو عدم التوفيق الذى جاء عقب الخلاف بين الرماة « وتنازعتم » ثم كان هذا العصيان لأوامر رسول الله ﷺ « وعصيتم »

وقد كشف القرآن الكريم عن الدافع لهذا العصيان .

منكم من يريد الدنيا . والدنيا هنا هى الغنيمة التى اراد الرماة ان يحصلوا على حظهم منها ولا مانع كما قدمنا فى أن يأخذ الانسان بنصيبه من الدنيا ، شريطة ان لا يخالف أبسط تعاليم الاسلام . فما بالك والمسألة هنا هى مخالفة صريحة لأوامر رسول الله ولذلك فقد جاء التقويم السريع من الله سبحانه وتعالى لجماعة المسلمين فحجب عنهم النصر الذى كانوا قد احرزوه فعلا .

« **ثم صرفكم عنهم ليبتليكم** »

(البقية ص ٢١)

• إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون •

جرائم بني إسرائيل

كما قصها القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

جرأة اليهود على مقام الألوهية حيث قالوا : [نحن أبناء الله وأحباؤه] يريدون نحن أفضل الخلق عند الله.

قال تعالى : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعذبكم بذنوبكم . بل أنتم بشر ممن خلق . يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير . يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير . » (المائدة ١٨ - ١٩)

المفردات : أبناء الله أي أحباؤه - فعطف أحباؤه عطف تفسير ، على فترة - على بمعنى (في) ومثلها - « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها » (سورة القصص ١٥) .

فترة : الفترة من الفتور ، والفتور : ضعف بعد قوة ، والمراد مدة انقطع فيها إرسال رسول من رسل الله سبحانه .

والمعنى : جاء في وقت لم يرسل فيه الله رسلا غيره ، وروى البخاري أن الفترة بين عيسى ونبينا عليهما السلام كانت ٦٠٠ عام .

نذير : أي محذر مخوف من عقاب الله لمن يخالف أوامره .

المعنى : ومن دعاوى اليهود والنصارى الباطلة قولهم : نحن المقربون الى الله المحبوبون له كقرب الأبناء من الأب ومحبته لهم فلا يعذبنا وليس في الناس من يشاركنا في ذلك . هكذا قالت كل طائفة عن نفسها .

قل لهم أيها النبي إلزاما وتبكيتاً - إن كان لكم منزلة ليست لغيركم فلم يعذبكم بذنوبكم في الدنيا من اضطهاد وإذلال لليهود كما هو مشاهد الى يومنا هذا ، وللنصارى أيام الرومان ، ومن المصائب التي تحل باليهود كل حين تحقيقا لوعيده تعالى لهم في قوله « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، إن ربك لسريع العقاب وأنه لغفور رحيم » (الأعراف ١٦٧) ، إذن فليس الأمر كما تزعمون بل أنتم بشر ككل خلق الله عز وجل يجري عليكم كما جرى عليهم من يعمل سوءًا يجز به فيغفر لمن يشاء إذا تاب ، ويعذب من يشاء لإصراره على المعصية ، لا فرق عنده في ذلك بين أتباع موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام .

ثم أكد الرد بقوله : ولله ملك السموات والأرض » أي أن كل مافيها مستوون عنده تعالى بأنهم ملكه وعبيده يتصرف فيهم بعدله على حد سواء وما بينهما وإليه المصير والمرجع في الآخرة » آية ١٨ .

ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد المبشر به في كتبكم يبين لكم ما تحتاجون إليه في الدين والدنيا بعد انقطاع وجود الرسل - أي فأنتم في حاجة إلى من يرشدكم الى طرق العمل المنجي اتقاء أن تقولوا معتذرين عن تفريطكم يوم القيامة ياربنا لم تعذبنا ولم يأتنا منك من يبشرنا إذا أطعنا وينذرنا إذا عصينا فيقال لكم قد جاءكم بشير ونذير وانقطعت حجتكم . والله قادر على كل شيء من إرسال الرسل وقطع الحجج وتعذيب المخالف .

الجريمة رقم ٧١

جبن بني إسرائيل المخزي المخجل الصادر في ثوب مهلهل من التبجح :

قال تعالى : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة

الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين ، يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين » المائدة ٢٠ - ٢١ .

المفردات : ذكر سبحانه هنا ثلاث نعم :

الأولى : جعل فيكم أنبياء لم يذكر الله سبحانه عددا من الأنبياء كثيرا مثل ماذكر فى أنبياء بنى إسرائيل فذكر أولهم وهو أبوهم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وذكر بعده ابنه يوسف عليه السلام ، وبعضا من الأسباط (أولاد يعقوب) لم يذكر القرآن أسماءهم . ثم ذكر موسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى ، وأيوب وذا النون ، وذا الكفل واليسع وعيسى .

وقد سئل المرحوم عباس العقاد عن سبب كثرة ذكر أنبياء بنى إسرائيل فى القرآن فقال : وهل يكثر الأطباء إلا بين المرضى والموبوئين .

الثانية : [وجعلكم ملوكا] إذا تأملنا قوله تعالى فى النعمة الأولى [جعل فيكم أنبياء] وفى هذه قال : [وجعلكم ملوكا] نعلم أنه ليس المراد بالملوك الملوك المعهودين لأن الملوك فى بنى إسرائيل كانوا قلة حتى قال العلماء إن أول ملوكهم شاول بن قيس ، ثم داود عليه السلام الذى جمع بين النبوة والملك ، ويوسف عليه السلام [آية ١٠١ سورة يوسف] وسليمان آية ٣٥ سورة ص .] فمعنى الملك هنا الحر المالك لأمر نفسه والمدبر أمر أهله ، فهو تعظيم لنعمة الحرية والاستقلال بعد أن ذاقوا الذل والتقتيل فى عهد فرعون الذى كان يقتل أبناءهم ويستحيى نساءهم. وقال كثرة من السلف والخلف فى معنى الملك [من كان له بيت وخادم وزوجة ودابة فهو مالك] والعربى يقول لمن كان هنيئا فى معيشته [فلان ملك زمانه]

[وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين] وهى النعمة الثالثة فقد آتاهم الله مالم يؤت أحداً من عالمى زمانهم . وقد عدوا مما من الله عليهم ولم يحصل لغيرهم فى زمانهم : تظليل الغمام فى شدة حر الصحراء ، وإنزال المن والسلوى ، وتفجير الماء من الحجر الذى انبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الأسباط . آية ١٦٠ الأعراف .

[الأرض المقدسة] المطهرة من الوثنية لكثرة ما بعث الله فيها من الأنبياء دعاة توحيده سبحانه وتعالى ، وهى ما بين العريش والفرات ، وكانت مقر إبراهيم وذريته عليهم السلام يعقوب وأولاده قبل هجرتهم الى مصر التى مكثوا بها نحو ٤٠٠ سنة ثم خرجوا مع موسى خوفا من بطش فرعون ، فنجوا وأغرقه الله فى البحر . كتب الله لكم أى قدر فى علمه أنكم تدخلونها وتسكنونها ما دمتم مطيعين لأمور ربكم ، ونعلم مما يأتى أنهم لم يكونوا مطيعين . فلم يدخلوا ، ومات موسى وهارون فى مدة التيه ولم يدخلوا إلا على يد طالوت وداود عليهما السلام .
[كما فى آيات ٢٤٦ ـ ٢٥١ من البقرة]

المعنى : « وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم » بالشكر عليها والطاعة ، ثم عدد بعض هذه النعم فقال : إذ جعل فيكم أنبياء كثيرين لم يبعث فى أمة أكثر منهم وجعلكم كالملوك أحراراً فى تصرفاتكم أغنياء عن غيركم بما لم يؤت أحداً من عالم زمانكم من فلق البحر وما بعده كما تقدم فى المفردات . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى وعد الله أنكم ستدخلونها ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين خوفا من الجبابرة فتنقلبوا أى ترجعوا بهذا الجبن خاسرين ثواب الدنيا والآخرة .

[آيات ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ ، من سورة المائدة .

« قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون » (٢٢)

« قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » (٢٣)

« قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » (٢٤)

« قال رب إنى لاأملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » (٢٥)

« قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » (٢٦)

المفردات : [قوما جبارين] أشداء البطش وهم من الجبابرة الكنعانيين .

المعنى : إن بنى إسرائيل لما نجاهم الله من فرعون أمرهم بدخول الأرض المقدسة ، وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون ،

فأخذ موسى من كل سبط رئيسا على قومه وسار بهم ، فلمادنا من الأرض الموعودة بعث النقباء يتجسسون أخبار الكنعانيين ، فلما وصلوا وجدوهم ضخام الأجسام أشداء البأس ، فلما رجعوا وأخبروا موسى أمرهم أن يكتموا عن الجيش لئلا ينزعج ، وموسى واثق من نصر الله الذى وعده ، فكتم بعض النقباء ولم يكتم أكثرهم ، فجبن الجيش ، وقالوا : **إن فيها جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها بقتال غيرنا أو بغير قتال . قال رجلان من الذين يخافون مخالفة أمر الله وقد أنعم الله عليهما بالثبات وكانا من النقباء الذين كتموا مارأوا ، وأحدهما يوشع : ادخلوا على الجبارين باب عاصمتهم وفاجئوهم فى مضيق من الأرض حتى لا يجدوا للحرب مجالاً ، فإن دخلتم معتمدين على الله فإنكم ستغلبون ، فلا تجبنوا ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، لأن وعد الله حق . فقالوا غير مبالين ولا منتفعين بنصيحة : لن ندخلها ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا الجبارين** . قالوا ذلك استهزاء وعدم مبالاة بأمر الله لقسوة قلوبهم وبعدهم عن الأدب ، إنا ههنا قاعدون ننتظر النتيجة . قال موسى : يارب إنى لا أملك إلا أمر نفسى ونفس أخى هارون ، وهذا منه عليه السلام شكوى الى الله واعتذار وتنصل من عصيان قومه . فافرق أى أحكم بيننا وبينهم بما يستحقه كل منا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، وأراد بذكر نفسه وأخيه فقط قلة الموافقين لا الحصر ، والا فمعه الرجلان اللذان يخافان الله . فقال سبحانه مجيباً دعاء موسى : **إن الأرض المقدسة محرم عليهم دخولها وتملكها أربعين سنة يتيهون فى الأرض** ، أى يسيرون فى برية من الأرض تائهين ، لا يستقرون فى مكان ، فلاتأس ، أى لا تحزن على تعذيب القوم الفاسقين ، الخارجين عن طاعة ربهم ، وكانت هذه الأرض فيما بين مصر والشام ، فلما مات هؤلاء الكبار فى التيه حتى موسى وهارون ماتا فيه أيضا ونشأ بعدهم ذرية لم تألف الذى كانوا فيه فى مصر على يد فرعون ، فكانوا شجعاناً ودخلوا الأرض المقدسة .

بقية مقال « تفسير سورة آل عمران »

صرفكم : ردكم ، وقال بعض آخر « صرفكم » يعنى انه لم يكلفكم بطلبهم ويعنينا نحن من اللفظ ، انه يدل على ان يد المسلمين كانت هى العليا ، الى ان حولها الله على النحو السابق ، ليؤدب المسلمين ويعلمهم ويربيهم وغير ذلك من المعانى التى قدمناها والتى ركزها القرآن فى « ليبتليكم »

ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ولم يشأ الله بواسع كرمه وفضله ، ان يبق ما حدث معلقا ، فأنزل عفوه على كل من شارك فى غزوة أحد ، لقد كانت درسا للمسلمين وعلم الله عز وجل أنهم وعوا الدرس ويبين ذلك من استجابتهم الفورية لرسول الله ﷺ وسلم فى اليوم التالى لمطاردة المشركين **فأما وقد وعوا الدرس واجتازوا الامتحان فقد بشرهم الله عز وجل بأنه عفا عنهم والعفو هو استئصال الذنب وجعله كأن لم يكن**

والله ذو فضل على المؤمنين ؟

خصائص القصة القرآنية

موسى عليه السلام عند فرعون

الأستاذ فتحي رضوان

من أخطر مشاهد القصة القرآنية وأكثرها دلالة على دور هذه القصة وأعظمها إمتلاء بخصائص القصة وأنباء الأنبياء فى القرآن هو مشهد الجدال الذى دار بين موسى عليه السلام من جانب، وفرعون مصر من جانب اخر.

ففى هذا الجدال يبدو الحوار القرآنى وأسلوبه، وفى هذا الجدال تتضح فلسفتا التوحيد والشرك، فتتصارع حجج الحق مع حجج الباطل، فى إيجاز ووضوح مع سرعة فى الهجوم والدفاع حتى يتحول الموقف إلى مبارزة فكرية تمتع حتى من يقرأ كتاب الله كنص أدبى، ولو كان من غير المسلمين.

وقد جاء ذكر هذا المشهد فى سورة الأعراف فطه فالشعراء، وفى يونس وكنت قد تناولت ظاهرة التكرار فى القصة القرآنية فيما سبق من مباحث، واستخلصت من النماذج القرآنية ما يشبه القاعده، وقلت إن هذه القاعدة تقضى بأن يرد الحدث كاملا مفصلا محتويا على كثير من الأمور الفرعية فى موضع من سور القرآن ثم يأتى فى موضع آخر أقل تفصيلا، ثم يأتى فى مواضع أخرى، بعض أجزائه ثم يأتى آخر الأمر مجملا غاية الاجمال، بحيث يكاد يقتصر النص على بيان الحكمة أو العظة المستفادة من إيراد الواقعة.

وتكاد تنطبق هذه القاعدة على هذا المشهد العظيم فى المواضع الأربعة، فى السور الأربعة مع شىء قليل من الاستثناء، ففى مواضع ثلاثة يكاد يكون البيان عن الواقع كاملا، ولو أن احد النصوص أكثر اجمالا من النص الأول ولكن الايجاز لا يبدو كالعادة كما يبدو فى أجزاء أخرى من أنباء موسى. ونلاحظ أيضا أن النص يحتوى فى المواضع الثلاثة فى السور الثلاثة على عبارات بعينها.

فى سورة الأعراف يبدأ الكلام، بعد مقدمة قصيرة فى الآيه المئة عن أنباء القرى، ثم يكون الحديث فورا، عن ارسال موسى عليه السلام الى فرعون ثم يروى كتاب الله العظيم هذا الحوار المعجز الذى عرض فيه موسى دعوة التوحيد قال الله تعالى: «وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين»، ثم يقول موسى: فارسل معى بنى اسرائيل فيواجه فرعون هذه الدعوى بما يراه حاسما فى النزاع فيقول: «ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين» ثم تمضى الرواية فيقول الله عز وتبارك: «فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين، قال الملأمن قوم فرعون إن هذا لساحر عليم» فلما سألهم فرعون ماذا يرون ـ وسنرى هذا السؤال منصوصا عليه فى موضع آخر من كتاب الله «قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين، يأتوك بكل ساحر عليم، وجاء السحرة فرعون، قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين، قال نعم، وانكم لمن المقربين، قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين، قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم، وأوحينا الى موسى أن الق عصاك، فاذا هى تلقف ما يأفكون».

ويمثل هذا الأسلوب الذى يتناول جوهر الواقعة مباشرة ويعرض عناصرها متتابعة تعرض سورة يونس الحدث، قال الله تعالى: «**ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملإه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين، فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم.. أسحر هذا ولا يفلح الساحرون**»... ثم قال الله تعالى «**وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون، فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله**» ويقف الحديث عند هذا الحد فلا نعرف شيئا مما أصاب موسى أو أصاب السحرة وإن كان قول الله تعالى: **ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين**» فيه ما يغنى عن التصريح بفوز موسى وهزيمة سحرة فرعون.

فاذا انتقلنا الى سورة « طه » فقد وصلنا الى السورة التى تروى الواقعة بمقدماتها وأصولها وفروعها ويبدأ كلام الله تعالى فيها أولا عن طفولة موسى ، والأدوار التى مر بها فى هذا العهد من حياته حتى يصل الى الوقت الذى وجه فيه رب موسى وهارون رسوليه الى فرعون آمرا اياهما بقوله عز وتبارك « **اذهبا الى فرعون انه طغى ، فقولا له قولا لينا ، لعله يتذكر أو يخشى** » ، ثم اعاد هذا الأمر لما بدا من خوف موسى وأخيه فقال تبارك : **فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك** » ثم بدأ الحوار فسأل فرعون « **فمن ربكما يا موسى ، قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** » ثم أخذ رسولا الله يعظان فرعون ، ويعرضان عليه صورا من نعم الله على خلقه ودلائل وآيات عظيم قدرته ، وحكيم تقديره ، فضاق فرعون بهذا كله وقال : **أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ، فلنأتينك بسحر مثله ، فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ، فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى** » وقد صورت سورة طه الحالة النفسية التى وصل اليها فرعون ومن حوله من الاضطراب والانفعال ، والاعتزاز بالقوة حينا ، والخوف من الفشل حينا ، حينما تحددت ساعة المنازلة والمبارزة بين ممثلى الايمان والتوحيد ، موسى وهارون وممثلى القوة المادية والسلطان الدنيوى فى أشخاص السحره ومن وقف وراءهم من وزراء فرعون وكهانه واحباره وعلمائه ، ولا تجد لتصوير هذه الحالة أثرا فى المواضع الأخرى من القرآن .

ثم قال تعالى : **قالوا يا موسى إما أن تلق واما أن نكون أول من ألق ، قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ، فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل** » وختم هذا الموقف بما جاء القرآن الكريم ليثبته فى قلوب الناس ويقيم على أساسه حياتهم والذى من أجله رويت كل هذه الأنباء قال تعالى على لسان السحره (**قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى** »

أما ما جاء فى سورة الشعراء فيكاد يكون صورة مطابقة مع ما جاء فى سوره الأعراف ويونس والشعراء غير أن المقدمة التى تمهد للحدث تنطوى على آراء لفرعون أساسها تأكيد ألوهيته ودهشته التى تستنكر أقوال موسى ودعوته قال الله تعالى : **قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والارض وما بينهما إن كنتم موقنين** » وما يكاد يصل الى سمع فرعون هذا الكلام حتى التفت الى بطانته وهو يستفزهم بعد أن استفز هو « **قال لمن حوله ألا تستمعون ؟ قال : ربكم ورب آبائكم الأولين . قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ، قال رب المشرق والمغرب ، وما بينهما إن كنتم تعقلون** »

ثم يبدأ هذا الحوار المضيء ، بتهديد من فرعون : **قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين . قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين** ' **ثم يمضى الحوار على الوجه الذى قرأناه ، فى المواضع الثلاثة الأخرى ، ففرعون يرى فى آيتى موسى وهما ' الثعبان واليد ' ضربا من السحر ، ويستشير بطانته ، فيرون أن الأمر هين فكهانه وعمال المعابد الفرعونية كانوا يتعاطون ألوانا من السحر أتقنوها وعمدوا اليها فى اخضاع العامة واستغلال بساطتهم وغفلتهم وبعث الايمان فى نفوسهم ودارت المنافسة بين موسى وسحرة فرعون وانتهت الى ما أخبرنا به كتاب الله العظيم على الوجه الذى سلف .**

وقد يجدر بنا أن نقول هنا : إن ما جاء فى التوراة التى بين يدى الناس ، لا يختلف فى الجملة عما جاء فى القرآن الكريم سوى انه جاء فى الاصحاح السابع من التوراة من سفر الخروج ، والآية الثامنه ، وكلم الرب موسى وهارون قائلا : اذا كلمكما فرعون قائلا هاتيا عجيبة تقول لهارون خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعبانا ، فدخل موسى وهارون الى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعبانا »

فالعصا هنا هى عصا هارون ، وتقول التوراة ان موسى كان عند ذهابه مع أخيه الى فرعون ، فى الثمانين من عمره ، فى حين كان (هارون) فى الثالثة والثمانين ومثل هذه التفاصيل لا أثر لها مطلقا فى القرآن الكريم .

* * *

وعلى الرغم من أن القاعدة التى قررتها فيما سبق ، دخل عليها شيء من الاستثناء لتقارب البيان الخاص بواقعة المجادلة بين فرعون وموسى عليه السلام ، فى المواضع الأربعة من القرآن الكريم ، مع أن القاعدة تقضى بأن يأتى البيان مفصلا فى السورة الأم ، ثم يأتى كله فى موضع آخر ويأتى جزء منه فى موضع ثالث ، وجزء آخر فى موضع رابع ، ثم يأتى مجملا غاية الإجمال فى موضع آخر الا أن القاعده فى جملتها ، بقيت نافذة فى صدد ما دار من فرعون وموسى وهارون عليهما السلام . فان هذا الحوار وما يتصل به من فروع وحواش وردت فى سورة طه مفصلاً أكثر منه فى أى موضع آخر فى السور الثلاث الأخرى ، الأعراف ، والشعراء ويونس .

فى الآية الثامنة والعشرين من سورة طه تبدأ المحاورة بتقرير حقيقة عامة نصها : « **إنا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى** » فسأل فرعون موسى وأخاه فمن ربكما ؟ وانتهز الرسولان هذه الفرصة ، ليفيضا فى بيان صفات ربهما ، والاشارة إلى آياته فى الخلق وهذه إفاضه لا تجد لها نظيرا فى السور الثلاث قال الله تعالى : « **ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** » وكانت هذه الاجابة قد حركت عند فرعون رغبة الوقوف على ما يخالج نفس هذين الرسولين وما يساور عقولهما فقال « **فما بال القرون الأولى** » وقد يكون هذا السؤال من باب التعجيز ليكشف للرسولين قلة زادهما من العلم ، أو ليخرجهما من هذا الاجمال الذى لاذا به عندما قالا عن خالقهما « **الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** » فاجاب الرسولان : إن علم هذه القرون وما جرى لاصحابها « **عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى** » أى أن معرفة تاريخ الأمم البائدة ، وما أصابها ، أمر ميسور يمكن الاهتداء عليه ولكن المهم أن يفتح فرعون عينه ليرى آيات هذا الخالق العظيم « **الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** »

والذى يهمنا هنا أن هذه الاجابه لا تجد لها أثرا فى سورة الأعراف ولا فى سورة الشعراء ولا يونس ففى سورة الشعراء كانت الاجابة غاية فى الايجاز « **قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين** » ويقول فرعون فى هذا **الموضع من تلك السورة : ألا تستمعون ؟** » أما فى سورة الأعراف فالايجاز أوضح « قال تعالى فى الآية الرابعة بعد المائة :

« **وقال موسى يا فرعون إنى رسول من رب العالمين ، حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل ، قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين** »

ففرعون يبدو فى هذه الصورة نافذ الصبر ، ضيق الصدر ، لا يود أن يجادل ولا أن يسمع حتى ولا أن يسأل ، ومن ثم فقد قال لموسى « **إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من ـ الصادقين** » وكان لسان حاله يقول « لا تطل علينا وحسبنا أن نعرف ما لديك من دلائل على صحة رسالتك .

وليس ثمة شك فى أن ما جاء ذكره فى سورة طه من سؤال فرعون وجواب موسى وحده ، أو جواب موسى وهارون معا ، قد وقع وقد يكون الأمران وغيرهما قد جريا فى وقت واحد ، أى فى لقاء واحد ، وقد يكونان قد حصلا فى مشاهد متعددة ولكن القرآن الكريم ، اختار جريا على منهجه أن يكون التفصيل فى موضع والاجمال فى موضع ، فالتفصيل يحتاج إلى حالة نفسية عند القارىء أو المتلق ، تختلف عن حالته فى الاقتضاب والايجاز . . والجمع بين الامرين فى موضع واحد ، لا يستقيم لا مع حسن الاسلوب ولا مع تحقيق الأثر الطيب القوى

فى النفس فاذا انتقلنا الى سورة يونس ، الفينا أنه لا يوجد لفرعون حكم على اراء موسى وهارون فى جانبها المتصل بالعقيده ، انما وصف هذه الاراء بانها سحر ووصف حالة فرعون عند سماعه هذه الدعوى فقال تعالى « ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملإه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين » ثم قال تعالى « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين » وكان تعليق موسى عليه السلام « اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا » .

وترى مثل هذا الايجاز فى الجانب الفكرى والعقدى من الحوار فى سورة الشعراء ففرعون أثر أن يلمس عواطف موسى وان يستثير فيه مشاعر البنوة ، وان يخجله ويحرجه بتذكيره بفضله الشخصى عليه ، حينما كان طفلا فصبيا فشابا قال تعالى فى الايه الخامسة عشرة .

« فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ، ان ارسل معنا بنى اسرائيل « قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين » ولما سأل فرعون موسى وهارون عن رب العالمين ، كان السؤال عابرا ، لم يقف امام السؤال طويلا لا السائل ولا المجيب فقد قال فرعون :

« وما رب العالمين ؟ قال رب السموات والارض وما بينهما » فعلق فرعون على هذا الرد تعليقا لا يتناول الفقر ؟ فيه اذ قنع - كما ورد فى سورة الاعراف - بقوله « الاتستمعون ثم خلص سريعا الى النتيجه التى يؤثر المشركون فى كل عهد وآن ، ان يصموا بها الانبياء والمصلحين والمجددين ، وهى وصمة الجنون فقد قال فرعون :

« ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون » ثم خطا خطوة اخرى لا جدال فيها ولا مقارعة للحجه بالحجه ، بل بيان بالسلطان وتهديد بالقوة قال فرعون :

« لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين »

وبهذه المقارنه يتضح جليا الفارق بين اسلوب الافاضه والاطناب وبين اسلوب الايجاز والاقتضاب ، ففى الاسلوبين ، تستطيع ان تعرف جوهر الحوار والافكار الاساسيه التى دار حولها ، وموقف المتحاورين وحجة كل منها وحالته النفسيه من الهدوء والطمأنينه فى جانب والقلق والانفعال والإدلال بالقوة فى جانب اخر ولكنك فى الاسهاب تجد الافكار مبسوطه وعناصرها جميعا مذكوره والامثله المتعدده كلها وارده ويستغنى عن هذا كله فى مواضع الاجمال .

ولا نرى داعيا للاستشهاد بما جاء فى سورة يونس فان اسلوب الايجاز فيها هو ما جرى عليه الامر فى سورة الشعراء ، ففرعون فى سورة (يونس) هو نفس الملك الضيق الصدر السريع الغضب ، المباهى بعزته فقد هدد موسى فى سورة الشعراء بأنه سيجعله من المسجونين فانه فى سورة يونس سمح لبطانته ان تصف عمل موسى بقولهم « ان هذا لسحر مبين » واسرع فرعون فقال ، وكانه يرد ان يحسم الامر بكلمة « ائتونى بكل ساحر عليم » .

وجملة القول انك ان التمست موضعا ما تعرف منه حجج موسى عند محاجته لفرعون ، فهذا الموضع هو سورة (طه) اما فى السور الثلاث فلن تجد الا الافكار المجمله والردود السريعه وما انتهى اليه فرعون وبطانته من حكم على هذين الرسولين ، اللذين لم يأخذوهما ، ولم يأخذوا دعوتها ، مأخذ الجد فهما ساحران وعلاج دعواهما هو ان يحاجوهما بسحرة مثلهما وجزاء موسى واخيه السجن وان يوصفا بالجنون .

فاذا عدنا الى سورة طه حيث الافاضة والتفصيل ، فسنجد فيها صورة مبينه لحالة ملأ فرعون وبطانته ، ويظهر فيها بجلاء خلق هذه الجماعة القوية المتسلطه وتشاورهم فى هذا المصاب الذى دهمهم ، وهدد سلطانهم ، وهم لم يألفوا ان يخرج على حكمهم ، فرد او فردان من صفوف الشعب ، يسخر من دينهم ، ويدعوهم الى دين جديد ، ويقيم الحجه على صحه دعواه ، ويتحداهم ، ويطلب منازلتهم على اعين الناس ، دون ان يخالجه خوف من عقاب السلطان ، حتى بعد التهديد بالسجن ،

ولست اود ان انقل هنا كل ما جاء فى هذه السوره الكريمه فانها تحت نظر القارىء وتلذذ بسماعها كثيرا وربما كان قد حفظها عن ظهر قلب ، ولكنى انقل منها بعض آياتها لمجرد التدليل على ما قدمت وهى ليست آيات كاملة ولكنها مقتطفات :

« قال الله تعالى على لسان فرعون :

« اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى »

« فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى »

« فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى »

« فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى »

« قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى »

« فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى »

« قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من ألقى »

« قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى »

« فأوجس فى نفسه خيفة موسى »

« قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى »

« فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى »

« قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر »

« فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل »

●●●

على انك واجد بين السور الاربع ، عبارات ترد بنصها تقريبا او ترد بنصها فى بعض الأحيان مع تعديل صغير بالاضافه والحذف ، فى سورتين او اكثر ووقع هذا التكرار اكثر ما يقع فى العبارات التى تذكر وقائع اساسيه ، او اقوالا تحتوى على خلاصه موقف كبير من مواقف الحدث المعروض ، فحين نرى مثلا فى سورة (طه) قول فرعون لسحرته :

« قال آمنتم له قبل ان آذن لكم ، انه لكبيركم الذى علمكم السحر »

« فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم فى جذوع النخل » وقد وردت هذه الالفاظ بترتيبها فى سورة الشعراء قال تعالى :

« قال آمنتم له قبل ان آذن لكم ، انه لكبيركم الذى علمكم السحر »

« فلسوف تعلمون ، لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولا صلبنكم اجمعين » وفى سورة الاعراف « لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم اجمعين » فالعبارتان متطابقتان فى عدا اضافه (فلسوف تعلمون فى سورة (الشعراء) وحلول عباره فى جذوع النخل محل اجمعين »

وفى سورة الشعراء والاعراف تذكر واقعه القاء العصا ونزع اليد بنفس الالفاظ .

يقول الله تعالى « فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ، ونزع يده ، فاذا هى بيضاء للناظرين »

وفى سورة الاعراف وطه والشعراء ، يرد تعليق فرعون وملته على آيتى العصا واليد والمقصد من ورائها بنفس الالفاظ تقريبا . ففى سورة الاعراف قال الله تبارك « قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ، يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون »

(البقية ص ٢٩)

العلم فى القرآن

الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار

الدكتور احمد حسنين القفل

- ٤ -

(ب) وإذا انتقلنا من عالم الجماد إلى عالم الأحياء، لوجدنا أن الله سبحانه قد خلق كل كائن حى فقدره تقديرا.

١ - الكائنات الحية جميعها من نبات وحيوان تشترك فى أنها تتكون أجسامها من الجبلة وهى المادة الحية أى البروتوبلازم وهذه المادة إن كانت تختلف باختلاف الأحياء فانها تختلف حتى فى الكائن الحى الواحد من عضو إلى عضو بل قد تختلف حتى فى العضو الواحد من وقت إلى وقت أخر - وهذا هو سر صلاحيتها للحياة لأن الحياة لا تستمر على وتيرة واحدة والجبلة لا بد أن تتغير مستجيبة لكل ما يطرأ من تغيير فى محيطها - إلا أن هذه المادة تتكون من ذرات لعناصر أساسية محدودة تأتلف مع بعضها لتكوين مركبات تمتزج بشكل «له نظامه الكيماوى الخاص» الذى مازال خافيا على العلماء رغم الجهود الجبارة والمستمرة فى كشف النقاب عنه دون جدوى وهذا «النظام الكيماوى الخاص» هو الذى ترتبط به الحياة - كما يقال - وإن كان سر ذلك لا يزال غيبا يعلمه الله.

(ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربى، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) الإسراء - ٨٥

وإذا كانت جميع الأحياء تشترك فى هذا التكوين فإنها تشترك أيضا فى أنها تتكون من وحدات تعرف علميا بالخلايا، بعضها يتكون من خلية واحدة، وبعضها يتعقد كثيرا أو قليلا، فيتكون جسم القردفيه من أعداد من الخلايا تقل فى البعض فتعد بالعشرات والمئات وتزيد فى البعض الآخر لتبلغ البلايين.

والخلية الحية - سواء كونت فردا مستقلا أو جزءا مِن فرد - إن هى فى حقيقتها إلا مصنع آلهى حى معجز. قدره خالقه أحسن تقدير، وكيفه للحياة تكييفا لا يجارى، وهداه لأداء الوظائف الحيوية هداية لا يمكن أن يكون لها نظير وهو مثل للإعجاز الإلهى الذى لا يمكن لبشر أن يحاكيه أو حتى يدرك كل أسراره مهما ارتقت معلوماته أو أبدع فى ابتكاراته. وقدرة الله فى تقدير مخلوقاته، لا يمكن أن يصل إليها العلماء، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

٢ - لنتكلم عن تقدير الخلية فى الإنسان كمثال ثم نتكلم بعد ذلك عن بقية الأحياء من حيوان ونبات لكى يدرك القارىء أسرار ما يحدث من «تقدير» معجز، هو من صنع بارىء هذه المخلوقات لا ريب.

٣ - يبدأ الإنسان بخلية واحدة هى حصيلة اندماج حيوان منوى من الأب (به نصف عدد الصبغيات أى ٥٠٪ من الصفات الوراثية) مع بيضة ناضجة من الأم (بها نصف عدد الصبغيات أى ٥٠٪ من الصفات الوراثية أيضا) ليتكون من اندماجهما معا بيضة مخصبة (لاقحة أو زيجوت) وهذه يكون بها العدد الكامل والزَوجى من الصبغيات (الذى هو موجود فى كل خلية من خلايا الوالدين والذى سوف يكون فى جميع خلايا الجنين بعد تكوينه وفى جسم الإنسان بعد الولادة - فيما عدا كرات الدم الحمراء)

٤ ـ وبدخول الحيوان المنوى للبيضة يتحدد جنسها (ذكرا أم أنثى) كما يتحدد كل صفات الفرد الذى سينتج عن هذه اللاقحة (لون الجلد ـ لون العين ـ لون الشعر ـ طول القامة ـ تقاطيع الوجه ـ البصمات ـ تناسق الأطراف .... الخ) كل هذا قد قدّر وحدّد وسجل على صبغيات أول خلية تنقسم لتكوين الجنين ولتكوين بلايين الخلايا المتشابهة فى أعداد صبغياتها فيما بعد .

٥ ـ التسجيل الكامل للفرد وفى أول خلية يبدأ بها يكون على هيئة شفرات وراثية مدونة بجزئيات كيماوية على هيئة اشرطة دقيقة لايزيد مجموع طولها إذا مدت ورصت بجوار بعضها على مترين وعرضها عن جزئين من مليون جزء من المليمتر (تزن تقريبا ٠٫٠٠٦ , ٠٠٠ , ٠٠٠ , ٠٠٠ , من الجرام)

٦ ـ الأشرطة المشار إليها فيما سبق هى ما تسمى علميا « بالصبغيات أى الكروموزومات » ويمكن مشاهدتها بالمجاهر القوية بعد تجهيزها بطرق خاصة وأثناء انقسام الخلية . لكن تفاصيلها الدقيقة تستدعى الاستعانة بالمجهر الرادارى (الالكترونى) وبالتحليل الكيماوى والفحص بالأشعة السينية .. الخ . وبهذه الطرق يتبين أن هذه الأشرطة ما هى إلا بلايين فوق بلايين من الذرات المترابطة فى جزئيات طويلة لما يعرف بالحامض النووى (نسبة إلى نواة الخلية) واسمه (حامض دى اكس ريبونيوكليك) وعادة يكتب مختصرا بالأحرف (و . ن . ا) وتحمل الصبغيات هذه ما يعرف « بالمورثات ، أو الناسلات » لأنها تعطى للفرد كل صفاته .

وجزئيات الحامض النووى المشار إليه آنفا لها نظامها الغريب فقد قدّر لها أن تكون ـ حين لا يحين انقسامها ـ حلزونية تلف وتدور فى صورة سلالم ملفوفة وتتركب القائمتان (درابزينان) من فوسفات يرتبط مع سكر خاص (ديزوكسى ريبوز) ويتكرر هذا ملايين المرات . أما الدرجات الكيماوية التى تصل بين القائمتين فتتركب من جزئيات : فيكون الأدنين والثيمين قائمة مستقلة يليها قائمة مستقلة أخرى من الجوانين والسيتوسين ثم بعد ذلك تتكرر الدرجات مثنى مثنى على هذا النحو بحيث تكون الدرجة الأولى والثالثة متشابهتين تركيبا فى جزأيها الكيماويين ولكن يعكس وصفها فى الثالثة عنه فى الأولى وهكذا تسلك الدرجتان الثانية والرابعة وهلم جرا . ولهذا التكرار وعلى هذا النسق فى كل صبغى اسراره التى تكتب بها الحياة أوصافها فى الإنسان . (والترابط الكيماوى السالف والتواءات الصبغيات وعددها تختلف من كائن إلى كائن آخر فلكل تشكيلاته التى تميزه عن غيره والتى لايمكن أن تتشابه البته إلا فى النوع الواحد) وحتى فى أفراد النوع البشرى فإنها تختلف من فرد إلى فرد ـ إلا فى العدد ـ ليكون لكل فرد « ذاتيته الخاصة » التى تميزه فى كثير من الأشياء (كالبصمة مثلا) من كل أفراد البشر الآخرين ، المستقدمين منهم والمستأخرين إلى يوم الدين ويمكن القول بأن جزىء (و . ن . ا) يشبه ذاكرة حية كالمخ الالكترونى يختزن عددا ضخما من التوجيهات والتصميمات التى يصدرها فى المكان والزمان المناسبين للبدء فى بناء كل الخلايا والتكوينات فى جسم الكائن الحى ليجعلها وتجعله ينمو ولينسق بين عملياتها فى كل لحظة من عمرها المقسوم لها .

وفيما يلى تركيب توضيحى لجزىء الحامض النووى الذى أشرنا إليه آنفا :

عند الانقسام

ريبوز			فوسفات
	ادنين	ثيمين	
فوسفات			ريبوز
	جوانين	سيتوسين	
ريبوز			فوسفات
	ثيمين	ادنين	
فوسفات			ريبوز
	سيتوسين	جوانين	
ريبوز			فوسفات

تركيب حلقة واحدة من جزىء الحامض النووى (و . ن . ا .)

٧ ـ ويستخلص مما سبق أن نواة الخلية ـ وهى التى تضم جميع الصبغيات ـ يكون لها السيطرة الكاملة على الخلية ـ وباستقامتها فى أداء رسالتها على الوجه الأكمل تستقيم حياة الفرد فإن حدث خلل تبع ذلك الأمراض والعلل (الطفرات التى تكون أحيانا لصالح الفرد أو ضده) التى تقل أو تزيد حسب درجة الخلل الحادث .

٨ ـ إذا علمنا أن الصبغى الواحد يحتوى على عشرات الملايين من جزئيات الحامض النووى ، وإذا علمنا أن هناك (٢٣) زوجا من الصبغيات ـ كل زوج يختلف عن الزوج الآخر ـ فى نواة الخلية (بالإضافة إلى صبغين تناسليين) وإذا علمنا أن كل صبغى يلتف على نفسه ملايين المرات وأن كل هذا يدخل مع بعضه فى تبادل وتوافيق لأمكننا أن نستنتج ـ وبالعلوم الرياضية ـ لماذا يختلف كل فرد من البشر عن كل فرد آخر فى أى زمان ومكان .

ويفترض علماء الرياضة فيقولون لو أن جزءا صغيرا من الجزىء الوراثى يحتوى على مائة قاعدة (درجة) متتالية وأن القواعد الأربع (ادنين ـ ثيمين ـ جوانين ـ سيتوسين) قد تبادلت وتوافقت فيها فإن العدد الناتج من هذه التباديل والتوافيق يعطينا رقما خياليا (هو ٤ أس١٠٠ أى ٤ مضروبة فى نفسها مائة مرة) .

لكن الصبغى الواحد ليس فيه مائة قاعدة فقط متتالية بل يحتوى على عشرات الملايين منها كما أنه لا يوجد صبغى واحد بل (٤٦) صبغيا وزد على ذلك الاختلاف فى الإرتباطات والالتواءات وكل هذا يدخل فى التباديل والتوافيق التى لا يمكن للعقل أن يتخيل رقم احتمالاتها لضخامته الكبيرة

٩ ـ والمورثات المحمولة على الصبغيات هى التى تهيمن على عشرات الألوف من العمليات الكيماوية والطبيعية التى تتطلبها مسيرة الحياة فى الخلية وبالتالى فى الكائن الحى برمته والتى يقوم بتنفيذها حامض نووى آخر يسمى حامض ريبونيوكليك (رمزه المختصر : (ر . ن . ا) يتلق الأوامر وينفذها بحذافيرها . وعن طريق ذلك تبنى الخلية ـ والخلايا ـ عشرات الآلاف من البروتينات والإنزيمات والهرمونات .. الخ . ولولا ذلك كله لما تيسرت الحياة .

والحامض النووى المنفذ (ر . ن . ا) هو شبيه بسابقه (و . ن . ا) لكنه يخالفه بوجود جزىء « اليوراسيل » بدلا من « الثيمين » كما أن السكرية ذرة إضافية من الأوكسجين (فى القائمة) وهو بهذا التركيب يتخصص فى حمل مئات وآلاف من الشفرات الحية التى لا يعلم اسرارها يقينا إلا العليم الخبير سبحانه

ويتضح مما سبق أن ساحة الخلية من نواة ونوية وسيتوبلازم إن هى إلا كون كبير قدّره خالقه تقديرا دقيقا وبديعا فشىء يلى ويخطط ويصمم وشىء ينفذ كل ذلك بحذافيره دون أن يتخطىء قيد أنملة . والحياة بين هذا وذاك تسير وفقا لمشيئة الخالق . فإن حدثت أخطاء فى التخطيط ترتب عليها أمراض وعلل وتشوهات فى الكثير الغالب .

١٠ ـ وإذا كانت الأحماض الأمينية المعروفة لعلماء الكيمياء الحيوية هى حوالى العشرين حامضا فإن أنواع البروتينات التى تبنى فى الخلية أو فى المخلوق برمته تقدر بعشرات الآلاف واعدادها بعشرات ومئات الملايين لأنها تتكون عن تباديل وتوافيق بين الأحماض الأمينية بحيث تكون فى كل فرد مخالفة للفرد الآخر ـ وإن بدت شبيهة فى ظاهرها .

١١ ـ وكل هذه الأمور تجرى منذ بداية البداية فى اللاقحة وهى الخلية الواحدة التى يبدأ بها الجنين ثم تنقسم وتنقسم لتكون الأطوار الجنينية ثم الجنين برمته : بأنسجته وأجهزته وأعضائه المختلفة التى إن تباينت فى الشكل والتكوين والوظيفة ، فإنما ليؤدى كل منها رسالته فى تناسق وتآزر وتعاون لتسير دفة الحياة على خير ما يراد لها ، ولو اختل عضو فقد تتداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ألا يبدو عجيبا أن يبدأ الإنسان بخلية واحدة ثم ينتهى قبل ولادته وفى غضون تسع شهور (قد تختصر إلى سبعة) ينتهى بعشرات البلايين من الخلايا تتشكل فى أنسجة مختلفة (عظام ـ أعصاب ـ عضلات .. الخ) وأعضاء وأجهزة مختلفة كلها تعمل على هذا النسق من التآزر والتعاون فى خدمة حياة الفرد ؟ وما هذا التناسق التام فى الفرد عن يمين وشمال وأمام وخلف ، دون خلل ؟ ألا يدعو كل ذلك إلى الإعجاب والاكبار فى روعة الخلق واتقان التنظيم وهل يقدر على هذا التقدير سوى الخلاق العظيم ، الذى خلق فسوى وقدر فهدى .

١٢ ـ وكل خلية فى جسم الكائن الحيوانى ـ انسان وغير انسان ـ تحمل نفس الشفرات التى بدأت بها لاقحته . إلا أنها قد صارت مع زميلات لها أذنا أو ذراعا أو عظاما أو أعصابا أو أمشاجا تناسلية . . الخ وكل يؤدى ما يناط به من وظائف على الوجه الأكمل . والأمشاج التناسلية تنقل الحياة من جيل إلى جيل (يقول سبحانه : وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ، وكان ربك قديرا » . الفرقان

١٣ ـ وفى ساحة الخلية ـ المصنع الإلهى كما قدمنا ـ تتفاعل آلاف الأنواع من الجزئيات فى وسط مائى وذلك لبناء أنواع (يحدث بها النمو) ولهدم أنواع (ينتج عنها الطاقة والافرازات . الخ) حسبما تتطلبه العمليات الحيوية فى الجسم وتجرى هذه العمليات بسرعة وكفاءة ودقة تعجز أمامها كل « التقنية » البشرية ـ ففى لحظات تبنى الجزئيات البروتينية المطلوبة بينما تعجز كل مصانع البشر ـ على الأقل حتى الآن ـ فى بناء أى بروتين متوسط التعقيد .

١٤ ـ ولكل نوع من الحيوانات شفراته الخاصة به والتى يتميز بها عن غيره من الأنواع الأخرى ولهذا وبهذا أعطى الله كل كائن حى خلقه ثم هدى . فالقط والكلب والفأر والضفدعة والسمكة والثعبان والحشرة والديدان . . . . الخ . كل نوع منها له شفراته وأسراره الخاصة به و التى قدرها الله بمقدار كما قدرها فى الانسان . وكذلك الحال فى أنواع النباتات المختلفة ، كل نوع له شفراته وأسراره فى خلاياه . وإذا كانت كل الخلايا فى أى كائن حى من حيوان أو نبات تشترك فى وجود الأحماض النووية بنوعيها (فيما عدا كرات الدم الحمراء) لكن التخطيط والتنفيذ وعدد الجزئيات الوراثية وارتباطاتها والتواءاتها تختلف باختلاف كل نوع من الكائنات الحية فالجزئيات الوراثية فى كل كائن حى هى الوحيدة التى تسجل نوعه وصفاته فيكون هذا حيوانا ومن نوع كذا ، وهذا نباتا ومن نوع كذا بمعنى أن خلايا القط (اللاقحة أصلا) تعطى قطا ولا تعطى شيئا غيره . وخلايا القطن تعطى قطنا ولا شيئا غيره وقس على ذلك جميع أنواع الكائنات الحية ـ ألا ترى أيها القارىء الكريم أن أساس الحياة واحد ولكن الصور مختلفات . (ذلك لأن بارىء الحياة واحد لا شريك له (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)

١٥ ـ لكن الانسان يتميز على غيره من سائر الكائنات بالعقل . فالحيوانات جميعها تتصرف بالغريزة التى لا تتغير ولا تتبدل ، فالقرد والطائر والثعبان والحشرات تأتى بحركاتها المعهودة وتمارس سلوكها الغريزى التى مارسته أجدادها التى خلقت منذ ملايين السنين فشغالة النحل منذ وجدت فى الدنيا وإلى أن تقوم الساعة سوف تظل تعمل وبنفس النمط وعلى نفس الطريقة فى زيارة الأزهار لجمع الرحيق وحبوب اللقاح . وطريقة الطير فى بناء عشه ووضع بيضه وتربية صغاره كانت وما زالت وستبق على ما هى عليه بالنسبة لكل نوع ـ وقس على ذلك بقية الحيوانات لكن الإنسان ـ والإنسان وحده ـ يختلف جذريا فى هذا الصدد فبعقله استطاع أن يكون له لغات بها يتكلم ويتفاهم ويعلم ويتعلم وبالعقل اخترع وتطور ونظم الشعر وعزف الموسيق وأصبح له مذاهب وعقائد وأنظمة اجتماعية ـ وبعقله ارتاد الفضاء وداس القمر وذهبت سفنه الفضائية إلى المريخ ـ الخ ولا تدرى بعد ذلك ما سيجد مستقبلا .

١٦ ـ وأخيرا ، فإن كل مخلوقات الله من جماد وحيوان ونبات تجرى بينها دورات مقدرة لا بد منها فهى حتمية لبقاء الحياة واستمرارها على الأرض . وهذه الدورات قد قدرت تقديرا وحسبت بالقسطاس بحيث لا يمكن أن تكون مصادفة . ولنضرب مثلا يوضح المقصود :

تحتوى النباتات ـ فى أغلبها ـ على المادة الخضراء ـ اليخضور أو الكلوروفيل فى عرف العلم ـ ويعتبر التمثيل الضوئى (الكلوروفيلى) من العمليات الهامة التى تحدث فى الخلية النباتية والتى لولاها لما كانت الحياة . لماذا ؟ ـ ذلك لأن النباتات الخضراء تختزن الطاقة الشمسية ـ وهى المصدر الوحيد لكل الطاقة فى الحيوانات التى تتغذى اساسا على منتجات نباتية ـ تختزنها بواسطة تفاعل يجرى بين اليخضور (فى خلايا النباتات) وبين الماء وثانى اكسيد الكربون من الجو (جماد) فى وجود الطاقة الشمسية وفى صورة مركبات عضوية معقدة تبنيها الخلايا النباتية (بروتينات ـ دهون ـ كربوايدرات) ويساعد فى ذلك مواد غير عضوية بسيطة من التربة . وفى التمثيل الضوئى للنبات تختزن الطاقة وينطلق الأكسجين ـ اللازم لتنفس جميع الحيوانات أساسا ـ ولكن الحيوان يتنفس الأكسجين فتهدم مواد داخل خلاياه وتحترق وينطلق ثانى اكسيد الكربون فى غاز التنفس ـ وهو لازم للتمثيل الضوئى كما أسلفنا .

وترى مما سبق أن النبات الأخضر يحصل على الطاقة من الشمس مباشرة وبواسطة اليخضور يمكنه أن يختزنها على هيئة مواد عضوية معقدة يبنيها فى جسم من مواد بسيطة (ماء ـ ثانى اكسيد الكربون ـ عناصر معدنية فى التربة ـ الخ) أما الحيوان فيحصل على طاقته عن طريق احتراق أى أكسدة المواد المعقدة النباتية (خاصة الكربوايدرات والدهون) والتى حصل عليها عن طريق اغتذائه على النبات . ومن هنا ترى دورة حيوية متكاملة يدخل فيها الجماد مع الحيوان مع النبات . تأمل فى قوله تعالى :

الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ، فإذا أنتم منه توقدون ـ يس ـ ٨٠

واعلم أيها القارىء الكريم أن الشجر الأخضر على الأساس المشروع سابقا يكون الخشب ومنه يتكون الفحم والبترول وهى مصادر الطاقة (شرحنا ذلك فى مقال سابق)

وأخيرا هل آمنت بقدرة الخلاق العظيم فى تقديره لكل ما خلق فى ملكوته بحيث أن كل شىء له مقداره الموزون . تأمل إذن قوله تعالى :

- **« وخلق كل شىء فقدره تقديرا » ـ ٢ ـ الفرقان**
- **« قد جعل الله لكل شىء قدرا » ٣ ـ الطلاق**
- **« إنا كل شىء خلقناه بقدر » ١٨ ـ المؤمنون .**
- **« وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » ١٩ ـ الحجر**

فسبحان من خلق كل شىء بميزان .

وما دونته فى هذه المقالة لأشعرك ـ أيها القارىء الكريم ـ بشىء عن تقدير الله لكل شىء فى ملكوته إن هو إلا قطرة من بحر مما يعرفه العلماء حاليا ولا يتسع المقام لذكره ، وما يعرفه كل علماء الأرض إن هو إلا كما يحمل المخيط من ماء محيط ، فسبحان من أحاط بكل شىء علما . ولا يحيط الإنسان بشىء من علمه تعالى إلا بما شاء .

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » [صدق الله العظيم]

قضايا فكرية في فهم العربية في الأسلوب القرآني

الدكتور محمد بدري عبد الجليل

ليس من المهم الحقيقة التى تقال بقدر ما هو مهم تلك الطريقة التى يمكن أن تقال بها هذه الحقيقة ، فللشكل أثره فى المضمون والمضمون متطلب لشكل ما إن لم يجده خرج على غير ما هو له .

واختار الشاعر الجاهلى لها الغزل الذى قالوا عنه إنه لا يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقا منه بسبب وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام ، وإذا كان اختيار اسم فاطمة دلالة على القطيعة ونحوها فإن فيه إعلانا عن قيمة الموضوع والاعتزاز به لأنها مقطوعة عن الدنايا أى رفيعة ، ثم إن هذى المقدمة فيها هذى القدرة على امتصاص الدفقة الموجودة لدى الشاعر .

وليس عبثا أن يقف كعب بن زهير ليختار سعادا مصدّرا بها أبياته مادحا أمام رسول الإسلام ﷺ معتذرا راجيا الصفح والعفو متلثما خائفا الفتك والنيل ، مختبئا وراء كلماته ، ويصادف شعره رضا حتى يطلب اليه الرسول ﷺ أن يكشف له عن وجهه ، وما سعاد فى هذا الصدد سوى رمز يهدف الى ما يريده الرجل ويكشف عما يأمله المذنب ذلك إذ يقول :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ... متيم أثرها لم يبد مكبول

وكان أن أُمن الرسول ﷺ روعته ، وهدأ سورته ، ووهب له حياته .

وما القرآن الكريم بمتخذ من الغزل رمزا ولكنه الإعجاز اللغوى المتخذ من اللغة رمزا وهى وسيلة التحدى . . والكلمات أصولها حروف فلتكن الحروف هى اللغة الرمزية ، ولأمر ما نرجو ألا نهمله نص علماء الرسم القرآنى على كتابة فواتح السور حروفا ، ولأمر ما نرجو ألا نغفله نص علماء القراءات على نطق فواتح السور كلمات فـ (ص) تكتب حرفا ولكنها تنطق كلمة (صاد) .

ومن ثم فإن اسم المحبوبة والحرف اللغوى عنوان على ما انطوى تحتها من معانٍ ، خيط ضابط رابط لما بين الكلمات من وشائج والمعانى من علائق فشاعرنا الجاهلى يتغزل ليخفف من حدة ما يريد وليشدَ الانتباه وليقدم لموضوعه ويصف صحراءه . ويغرق الوصف وما هو بوصف المترخص فى القول أو المتزيد فى النقد ، ولكنه وصف فى إطار موضوعه معين عليه ضابط له جامع لأشتاته حاو لمتفرقاته ، والمتقب وصف ما وصف ؛ وهو لون آخر مساهم فى الفرض العام إذ أن وصف الطريق وما به من صعاب به بيان عن صعوبة بالغة فى الأمر المقدم عليه الممهد له ، الكاشف عنه ، تخيله بينه وبين محبوبته وهما منه براء .

ولم لا ؟ والناس ظنت وأوغلت فى هذا الظن إذ شدت برائية أبى فراس الحمدانى متغزلا وهو الأسير المفنود يناشد ابن عمه تعرفا ولنا مع المتنبى فيما يستقبل من حديث كلام طويل .

وإذا كان قد تحدث شاعرنا الجاهلى عن ناقته ومعها حديثا حانيا رقيقا أنطقها به ؛ فإن الكلام عن الناقة تصوير للجانب الآخر من نفسه إنه صدى لروحه العليلة ، وما وصف الناقة سوى تجاوب نفسى لوصف أثر رحلة صاحبته وبيان رغبته ومطمعه ، فالناقة وصبرها فيه تلويح لصبره على ما حدث وأدى إلى ما أدى اليه . . ثم ماذا يكون شعور السامع نحو الشاعر تجاه معاملته لناقته وقد عومل بأشق من هذا وهو ماض فى عتابه فحاول الإبقاء على الصلة وهو العربى الذى عد السؤال ذلا ولو كان إلى أين الطريق ؟ .

فالناقة له طيعة وبيده مذللة بيد أنها أبت وضجت مستعطفة بيد أن شاعرنا لم يأبه بها ولم يحن عليها وسيرها فى الرحلة . . ولم لا ؟ وهو الذى اشتد مع محبوبته فليشتد مع ناقته أيضا ، وعلى صاحبه أن ينتظر ماذا سيكون من حديث . . يقول

عن ناقته وتقول :

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضينى أهذا دينه أبدا ودينى
أكل الدهر حل وإرتحال أما يبق علىّ وما يقينى

وليس من اليسير أن يواجه إنسان صديقه بما يوشك أن يقطع العلاقات فصما لما اتصل وهدما لما انبنى - إنه فى حاجة إلى تلمس الأسباب وتهيئة النفس هذه المواجهة التى يعلنها بعد هذا كله صريحة واضحة :

فإما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غث من سمينى
والا فا طرحنى واتخذنى عدوا أتقيك وتتقينى

وها هى ذى (ص) عنوانا لسورة كاملة كلها تخاصم وتعارض عرفنا له وما خصّ (ص) حيث وردت كان التخاصم والتعارض ، وفى الجزء الخاص بها فى الأعراف معى ترى هذى الخصومة التى تصوّرها الآيات .

« وأملى لهم إن كيدى متين - أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين ، أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وإن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون » . . ثم أنظر بعهدها إلى الأمر يقل ردا على المعارضات الواردة عن الساعة ثم بيان لعبودية الرسول ﷺ وهذه المعارضة بطلب الولد ثم الدعاء بالصالح ثم الإشراك تلك القضية العقدية إنهم يدعون من دون الله عبادا أمثالهم « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون . . »

وهى القضية التى كانت فى الجزء الخاص بـ (ص) فى مريم تصورها آيات « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرَّ الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا . . »

وان هذا التخاصم والتعارض ليس عبثا أن يكون فى سور كلها قد انتظمها الوحى المكى .

فإذا ما انتقلنا الى حرف آخر صورته نطقا تمثل كلمة هى طاء وجدناها فى سورة طه وفى سورة الشعراء وفى سورة النمل وفى سورة القصص وكلها انتظمها الوحى المكى أيضا وليس غريبا فى الاتفاق ولكنها الدقة فى الدلالة ان تجد هذه السور دارت أحاديثها حول الإسراف فى الحزن ، والتوغل فى الإشفاق فى طه نجد لفت الرسول ﷺ عن هذا التأسف لكفر قريش إنه تحمّل ليس مطلوبا منه وابعاد فى الذهاب هذا المذهب ينهى عنه ثم حديث عن موسى عليه السلام وفى سورة الشعراء تجد أمرا من المولى بأن يشفق الرسول ﷺ على نفسه أن يقتلها حسرات على هؤلاء القوم ثم حديث عن موسى عليه السلام وفى سورة النمل نجد السورة قد تضمنت بعد الحديث عن موسى عليه السلام حديثا عن النهى عن الحزن على تكذيبهم واعراضهم « ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون » وفى سورة القصص ينهى المولى أم موسى عن الحزن لفراق موسى وتكرر هذا الحزن ثم كلام موجه للرسول (إنك لا تهدى من أحببت . . » وهى سور كلها مكيّة أيضا وهذه المعانى المتفقة انتظمتها الطاء حرفا ورمزا لغويا وعبرت عنها طاء كلمة فطاء فى الأرض يطاء ذهب أو أبعد فى ذهابه وطاء يطوء ذهب وجاء والذهاب فى الحزن هذا المذهب والإيغال فى الإشفاق على هذا النحو ، مما اتحدت فيه معانى الآيات وان كان لكل سورة خصائصها واعتباراتها ولكل آية مع ما قبلها وما بعدها من أى دلالتها وإشاراتها بيد أن معانيها العامة التى تدور حول هذا الذهاب متفقة اتفقت فى الآيات دلالة وفى الحروف رمزا .

وإلى لقاء آخر إن شاء الله ؟

بقية مقال « خصائص القصة القرآنية »

وفى سورة الشعراء يقول تعالى « ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون »

وفى سورة طه « اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى »

وحينما يسأل فرعون ملأه ماذا يفعل بموسى ، وقد ثبت انه ساحر يريد ان يخرج اهل مصر من دينهم ، ويخرج بنى اسرائيل من ارضهم ، كان السؤال واحدا ، والجواب واحدا .

فى السؤال « ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون » فى سورة الشعراء ، وفى سورة الاعراف « قال الملأمن قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ، يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون »

ويكون الجواب فى سورة الاعراف « أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم »

ويكون الجواب فى سورة الشعراء « قالوا ارجه واخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم »

واستعمال لفظ (ساحر) مره و (سحار) مره اخرى يتفق مع ما يجرى فى حياه الناس فان الناس لا يجتمعون فى مكان ويشهدون حدثا معا ، الا وتكون لهم تعليقات يستعملون فيها الفاظا متقاربه .

وما دار بين فرعون والسحرة وهم يتأهبون لمنازلة موسى ، فى سورة الشعراء والأعراف وعبر داعته بنفس الألفاظ تقر تقريبا فى سورة الشعراء قال تعالى « فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ، قال نعم وانكم اذن لمن المقربين » وفى سورة الاعراف قال تبارك « وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ، قال نعم وانكم لمن المقربين »

ولما تمت هزيمة السحره وصف المشهد الختامى لهذه الهزيمه بنفس الالفاظ فى سورتى الاعراف والشعراء والقى السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون »

وفى سورتى الشعراء والاعراف يطلب من فرعون طلبا يصاغ فيهما بنفس الالفاظ مع فارق فى استعمال الضمير ففى سورة (الشعراء) يقول النبيان « ارسل معنا بنى اسرائيل » وفى سورة الاعراف يسند القول الى موسى فيقول « فارسل معى بنى اسرائيل »

وهذا كله يؤكد انه حيث تكون العبارة ذات اهميه خاصة محتويه لمضمون الموقف كله او لجزء كبير منه فهى ترد بنصها اذ لا يتصور ان يطرأ على الفاظها فى المواضع المتعدده تغيير جسيم فهى اشبه بشىء يحكم القاضى فى الدعوى فتتباين الفاظ المتقاضين فيها وتختلف عبارات الشهود ولكن الحكم الذى ينتهى به النزاع لا يمكن ان يذكر الا بنفس الفاظه ، لان التغيير فيه والاضافه اليه ، يغير مراكز واوضاع اطراف الدعوى .

ولعل هذا يرينا سر التطابق والتباين فى ايراد وقائع القصه القرآنيه ودور كل منهما فيها .

وللحديث بقيه باذن الله .

من أخلاق القرآن

الدعاء في اللغة النداء ، والدعاء الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير ، والابتهال إليه بالسؤال ، ودعوته إذا سألته وإذا استعنته ، والدعاء العبادة والاستغاثة ، والدعاء الإيمان ، والمادة تدل على الخضوع والتضرع إلى الله ، وحسن الرجاء فيه ، وصدق الظن فيه ، وانتظار الخير على يقين من جهته وفضله ، وهو بهذا المعنى خلق من أخلاق القرآن المجيد ، وفضيلة من فضائل الاسلام العظيم ، وجانب من هدى الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومما يدل على جلال مكانة الدعاء أن الرسول ﷺ يقول : « الدعاء مخ العبادة » ويقول أيضا : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » .

الدعاء

الدكتور احمد الشرباصي

ولقد قيل لأنس : يا أبا حمزة ، أبلغك أن الدعاء نصف العبادة ؟ . قال : لا ، بل هو العبادة كلها .

ولقد جاء الأمر الالهى بالدعاء فى مواطن كثيرة من القرآن الحكيم ، ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى فى سورة غافر : « **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** » : أى ادعونى واعبدونى وأخلصوا لى العبادة ، أجب دعاءكم ، فأعفو عنكم وأرحمكم وأغفر لكم ، إن الذين يتعظمون عن إفرادى بالعبادة سيدخلون جهنم صاغرين .

ويقول القرآن فى سورة الأعراف : « **قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين** » . ويفسر تفسير المنار هذه الآية بقوله : ادعوا الله وحده **مخلصين له الدين** ، بأن لا تخلطوا دعاءكم ولا غيره من عبادتكم له بأقل شائبة من الشرك الأكبر ، وهو التوجه إلى غير الله من عباده المكرمين ، كالملائكة والرسل والصالحين ، ولا من الشرك الأصغر وهو الرياء ، وحب اطلاع الناس على عبادتكم ، والثناء عليكم بها ، والتنويه بذكركم فيها .

ويقول القرآن فى سورة البقرة : « **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** » . وفى تفسير هذه الآية دقيقة من الدقائق تنبغى ملاحظتها ، وهى أن القرآن الكريم ذكر مادة « يسألونك » فى عدة مواضع ، وبعد إيراد هذه المادة يطلب من رسول الله ﷺ أن يتولى الرد على سؤالهم بما يجيبه إليه . فالقرآن مثلا يقول فى سورة البقرة : « **يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج** » . ويقول فى السورة نفسها : « **يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل** » . ويقول فى السورة نفسها : « **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس** » . ويقول فى السورة نفسها : « **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى** » . **ويقول فى سورة الأنفال** : « **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول** » . . . وهكذا . وأما حين جاء السؤال فى قوله تعالى : « **واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** » فإن الله تعالى لم يطلب إلى رسوله أن يتولى الإجابة على السؤال كما رأينا فى المواطن الأخرى ، بل تولى الله تعالى بذاته القدسية الإجابة على سؤال العباد ، ولعلّ الحكمة فى ذلك هى الإشعار بأن من يدعو الله لا يحتاج إلى وسيط بينه وبين الله ، فالله ، سبحانه يجيب الداعى بلا وساطة أو شفيع .

ومما يدل على مكانة الدعاء فى حياة المسلم أن الله تبارك وتعالى جعل الدعاء يتكرر فى كل صلاة من كل يوم ، ففى فاتحة الكتاب التى يتلوها المسلم فى كل ركعة جاء قول الحق سبحانه : « **اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** » .

والدعاء فضيلة من فضائل الانبياء ، وهذا هو شيخهم وإمامهم محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام يقول فى حديثه الشريف : « أكثر دعائى ودعاء النبيين من قبلى بعرفات : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » .

وإنما سمى التهليل والتحميد والتمجيد دعاء لأنه بمنزلته فى استيجاب ثواب الله وجزائه كالحديث الآخر : « إذا شغل عبدى ثناؤه علىّ عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » .

وهذا ابراهيم أبو الانبياء يدعو دعاءه الطويل فى سورة إبراهيم : « وإذ قال ابراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام ، رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ، ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء ، الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق إن ربى لسميع الدعاء ، ربّ اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ، ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب »

ومعنى : « ربنا وتقبل دعاء » أى تقبل عملى الذى أعمله لك ، وعبادتى إياك ، فالحديث يقول : « إنّ الدعاء هو العبادة » .

وهذا نوح نبى الله يذكر القرآن من خصاله أنه كان يدعو ربه ، فيقول القرآن فى سورة القمر : « فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر » .

وهذا زكريا نبى الله يقول داعيا ربه فى سورة مريم : « ولم أكن بدعائك ربّ شقيا » أى لم أشق يا رب بدعائك ، لأنك لم تخيب دعائى من قبل ، إذ كنت أدعوك فى حاجتى إليك ، فكنت تجيب وتقضى حاجتى .

ويقول القرآن عن زكريا وزوجته وابنه يحيى : « إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » : كانوا يدعوننا رغبا ، أى رغبة منهم فيما يرجون من الله من رحمته وفضله ، رهبا أى رهبة منهم من عذاب الله وعقابه ، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته ، فهم يدعون خوفا وطمعا ، وليس ينبغى لأحدهما أن يفارق الآخر ، وكانوا متواضعين لله متذللين ، لا يستكبرون عن عبادة ربهم سبحانه .

ويحدثنا القرآن الكريم عن طائفة كبيرة من الناس ، يسيئون استعمال الدعاء واستغلاله فهم ، لا يخلصون فى الدعاء الا عند الكارثة ، وهم لا يذكرون الله إلا عند الغرق ، فإذا أنقذهم الله من المصيبة نسوا ربهم ، وأغفلوا ذكره ، وما هكذا يكون شأن المؤمن المستقيم . يقول القرآن فى سورة لقمان : « وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور » : إذا غشى هؤلاء موج عظيم هائل كالظلل وهم فى وسط البحر ، فزعوا إلى الله بالدعاء ، مخلصين له بالطاعة ، لا يشركون به هنا لك شيئا ولا يدعون معه أحدا سواه ، ولا يستغيثون بغيره ، فلما نجاهم إلى البر مما كانوا يخافونه فى البحر من الغرق والهلاك ، فمنهم مقتصد فى قوله واقراره بربه وهو يضمر الكفر ، وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلا كل غدار جحود النعم كفور .

ويقول القرآن المجيد فى سورة يونس : « وإذا مسّ الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مرّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسّه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » : أى دعانا فى وقت اضطجاعه أو قعوده أو قيامه ، أى لا يفتر فى الدعاء ، بل يدعو الله فى جميع الأحوال .

ويعلق تفسير « فى ظلال القرآن » على هذه الصورة البشرية فيقول : « إنها صورة مبدعة لنموذج بشرى مكرور . . وإن الإنسان ليظل مدفوعا مع تيار الحياة ، يخطىء ويذنب ويطغى ويسرف والصحة موفورة ، والظروف مواتية . وليس - إلا من عصم الله ورحم - من يتذكر فى إبان قوته وقدرته أن هناك ضعفا وأن هناك عجزا . وساعات الرخاء تنسى ، والإحسان بالغنى يطغى . . ثم يمسه الضر فإذا هو جزوع هلوع ، وإذا هو كثير الدعاء ، عريض الرجاء ، ضيق بالشدة مستعجل للرخاء . فإذا استجيب الدعاء وكشف الضر انطلق لا يعقب ولا يفكر ولا يتدبر . انطلق إلى ما كان فيه من قبل من اندفاع واستهتار . والسياق يتسق خطوات التعبير وايقاعه مع الحالة النفسية التى يصورها ، والنموذج البشرى الذى يعرضه . فيصور منظر الضر فى بطء وتلبث وتطويل : « دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما » يعرض كل حالة وكل وضع وكل منظر ، ليصور وقفة هذا الإنسان وقد توقف التيار الدافع فى جسمه أو فى ماله أو فى قوته كما يتوقف التيار أمام السد ، فيقف أو يرتد ، حتى إذا رفع الحاجز « مرّ » كلمة واحدة تصور الاندفاع والمروق والانطلاق « مر » لا يتوقف ليشكر ، ولا يلتفت ليتدبر ولا يتأمل ليعتبر . « مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه » واندفع مع تيار الحياة دون كابح ولا زاجر ولا مبالاة . ويمثل هذه الطبيعة . طبيعة التذكر فقط عند الضر ، حتى إذا ارتفع انطلق ومرّ ، بمثل هذه الطبيعة استمر المسرفون فى إسرافهم ، لا يحسون ما فيه من تجاوز للحدود : « كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » .

ويقول القرآن فى سورة يونس أيضا : « هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ، فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق » .

جاء فى تفسير « فتح الرحمن » هذه العبارة حول الآية السابقة : « فى هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله فى الشدائد ، وأن المضطر يجاب دعاؤه وإن كان كافرا ، وفى هذه الآية بيان أن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم فى هذه الحالة وما شابهها .

●●●

وننتقل إلى روضة السنة المطهرة لنجد هذا الفيض النبوى الكريم ، من الدعوة إلى الحرص على الدعاء ، والنهى عن اغفاله أو نسيانه ، وتطالعنا هذه الأحاديث الشريفة :

١ - سلوا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يسأل من فضله ، وما سئل الله شيئا أحب إليه من العافية .

٢ - ليسأل أحدكم ربه كل شىء ، حتى شسع نعله إذا انقطع ، فإنه إن لم ييسره لم يتيسر .

٣ - إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ، فتعرضوا لنفحاته ، واسألوا الله أن يستر عوراتكم ، ويؤمن روعاتكم .

٤ - من لم يسأل الله يغضب عليه .

ويشير النبى ﷺ إلى طريقة إجابة الله للدعاء ، فيقول : « ما من أحد يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له حاجته ، وإما أن يعطيه من الخير مثلها ، وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها .

قالوا : إذن نكثر يا رسول الله .

قال : فالله أكثر .

والدعاء قسمان اضطرارى واختيارى ، فالاضطرارى هو الالتجاء إلى القوة الغيبية عند تقطع الأسباب بالإنسان ، وسد منافذ الرجاء بالسعى .

يقول السيد رشيد رضا فى تصوير فائدة الدعاء الاضطرارى : كل مؤمن بقوة غيبية يرى نفسه ملتجئة إليه عند اشتداد البأس ، والخطر المشرف بها على اليأس ، فيدعو صاحب القوة العليا ، ويستغيث به ، وعند ذلك تفتح فى وجهه أبواب الرجاء ، وتنزل عليه السكينة بعد الاضطراب ، وهذه فائدة كبرى للدعاء ، تتلوها فوائد ، أظهرها أن اليائس ينقطع عن السعى ، فإذا اشتد به الضيق فربما يبخع نفسه انتحارا بيده ، ولذلك يكثر الانتحار فى قوم لا يؤمنون ، فالرجاء الذى يحدثه الالتجاء بالدعاء يعطى المضطر قوة جديدة ، ويهديه إلى طرق جديدة يسلكها فى إعادة السعى حتى ينجو من الخطر ، أو يبلغ بعض الوطر .

ويتحدث رشيد رضا عن القسم الثانى من الدعاء وهو الاختيارى ، فيذكر أنه من الأعمال التى تزيد فى الإيمان وتدعمه كسائر العبادات المطلوبة فى الدين ، وليس أثرا طبيعيا له ، ولولا ذلك لما كان للتكليف به معنى . إذا قال العبد : اللهم وسع علىّ فى الرزق ، يتذكر أن سعيه فى طلب الرزق من أسبابه التى هداه الله تعالى اليها بالحواس ، والعقل يتوقف على حفظ قواه وعلى توفيق الله بين سعيه وبين الأحوال والأمور الخارجية التى يتوقف عليها النجاح ، فيزداد إيمانهم بهذا الذكر ، ويزداد نشاطه باعتقاده أن الله يعنيه ما رعى سنته فى خليقته ، وأتى البيوت من أبوابها .

وإذا قال : اللهم اغفر لى يتذكر أنه عرضة للهفوات والخطايا ، وأن الغفران الالهى له طريق بينها الكتاب العزيز بمثل قوله : « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » . فإن لم يتذكر الآية فإنه يتذكر معناها ، إلا إذا كان جاهلا بالدين ، مكتفيا منه بما يسمعه ممن يعيش بينهم من الجاهلين ، وإذا تذكر أن الدين علّم البشر أن للذنوب والخطايا آثارا سيئة فى النفس ، وأن غفرها ومحوها إنما يكون بالرجوع عن الذنب ، وعمل طاعة من جنسه تؤثر فى النفس ضد أثره ، فإنه يكون قريبا من العمل الصالح . قال تعالى : « إنّ الحسنات يذهبن السيئات » وقال عليه الصلاة والسلام : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » .

وإن قال قائل : كيف ندعو الله من أجل أمر هو يعلمه ويحيط به ؟ فإن الجواب يمكن أن يؤخذ من مثل قول القائل الحكيم :

قالوا : أتشكو إليه ما ليس يخفى عليه ؟
فقلت ربى يرضى ذلّ العبيد لديه

●●●

ولفضيلة الدعاء آداب أجملها الغزالى فى « الاحياء » فيما يلى :

١ - ترصد الأوقات الشريفة ، كيوم عرفة ويوم الجمعة ، وأيام رمضان ، ووقت السحر .

٢ - اغتنام الأحوال الشريفة ، عند إقامة الصلوات ، وعند نزول الغيث ، وعند الزحف للجهاد ، وعند السجود : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا فية من الدعاء .

٣ - استقبال القبلة

٤ - خفض الصوت، وجعله بين المخافتة والجهر، للحديث القائل: (يا أيها الناس إن الذين تدعون ليس بأصم ولا غائب).

٥ - عدم تكلف السجع فى الدعاء.

٦ - التضرع والخشوع لقوله تعالى: (ادعوا ربكم تضرعا وخفية).

٧ - أن يجزم بالدعاء ويوقن بالإجابة ويؤكد الرجاء فى الله للحديث القائل: أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

٨ - الالحاح فى الدعاء والتكرار فيه، وعدم التعجل أو استبطاء الإجابة.

٩ - أن يقدم بين يدى الدعاء ذكراً لله وثناء عليه وتسبيحا له.

١٠ - الإقبال على الله تعالى، والتوبة من الذنوب، ورد المظالم إلى أهلها.

ويصور أدب الدعاء قوله تعالى فى سورة الأعراف: ' ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين، ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين ».

فأشارت الآية إلى الضراعة فى الدعاء وهى إظهار الضعف والافتقار والتذلل وأشارت الى أن الدعاء يكون خفية أى فى سر واستخفاء.

يقول تفسير المنار: ادعوا ربكم ومدبر أموركم متضرعين مبتهلين اليه تارة، ومسرين متخفين تارة أخرى، أو دعاء تضرع وتذلل وابتهال، ودعاء مناجاة وإسرار ووقار، ولكل من الدعائين وقت، وداعية من النفس، فالتضرع بالجهر المعتدل يحسن فى حال الخلوة، والأمن من رؤية الناس للداعى ومن سماعهم لصوته، فلا جهره يؤذيهم، ولا الفكر فيهم يشغله عن التوبة إلى الرب وحده، أو يفسد عليه دعاءه بحب الرياء والسمعة، والإسرار يحسن فى حال اجتماع الناس فى المساجد والمشاعر وغيرها، إلا ما ورد رفع الصوت فيه من الجميع، كالتلبية فى الحج وتكبير العيد، وهو مشترك لا رياء فيه، ولما كان الليل سترا ولباسا شرع فيه الجهر فى قراءة الصلاة، وهو للمتهجد فى خلوته يطرد الوسواس، ويقاوم فتور النعاس، ويعين على تدبر القرآن، وبكاء الخشوع للرحمن.

وقد روى عن الحسن البصرى أنه قال: « ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس، وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وان كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة فى بيته وعنده الزوار وما يشعر به. ولقد أدركنا أقواما ما على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوا فى السر فيكون علانية أبدا، ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية** » وذلك أن الله ذكر عبداً صالحا رضى فعله فقال: « **إذ نادى ربه نداء خفيا** ».

وأشار النص الكريم أن الدعاء يكون خوفا وطمعا، أى ادعوه خائفين من عقابه إياكم على مخالفتكم لشرعه المصلح لأنفسكم. وطامعين فى رحمته وإحسانه فى الدنيا والآخرة.

والقول الجامع فى حال النفس عند الدعاء أن تكون غارقة فى الشعور بالعجز والافتقار الى الرب القدير الرحيم، الذى بيده ملكوت كل شىء، يصرف الأسباب، ويعطى بحساب وبغير حساب، فإن دعاء الرب الكريم بهذا الشعور يقوى أمل النفس، ويحول بينها وبين اليأس، عند تقطع الأسباب، والجهل بوسائل النجاح وكما يضيف رشيد رضا - لو لم يكن للدعاء فائدة الا هذا لكفى. فكيف وهو مخ العبادة ولبابها، وإجابته مرجوة بعد استكمال شروطه وآدابه، وأولها عدم الاعتداء فيه، فإن لم يكن بإعطاء الداعى ما طلبه، كانت بما يعلم الله أنه خير له منه.

وقد تضمن التراث الاسلامى أدعية مأثورة لمختلف المناسبات، وكأن الحكمة من هذا أن يصبح الدعاء عند المؤمن عادة وخلقا وطبيعة، فجاءت أدعية تقال عند الخروج من المنزل، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند الفراغ من الصلاة، وعند القيام من المجلس، وعند دخول السوق، وعند رؤية الهلال، وعند هبوب الريح، وعند الشروع فى أمر، وعند النظر إلى السماء، وعند النوم، وعند الاستيقاظ . . . وهكذا.

ومن أمثلة هذه الأدعية ما كان يقول رسول الله ﷺ بعد صلاة الفجر وهو: اللهم إنى أسألك رحمة من عندك، تهدى بها قلبى، وتجمع بها شملى، وتلم بها شعثى، وترد بها الفتن عنى، وتصلح بها دينى، وتحفظ بها غائبى، وترفع بها شاهدى، وتزكى بها عملى، وتبيض بها وجهى، وتلهمنى بها رشدى، وتعصمنى بها من كل سوء. اللهم أعطنى إيماناً صادقاً، ويقينا ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة. اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء، ومنازل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء، ومرافقة الانبياء . . . إلى آخر الحديث.

ومن أمثلة ذلك الدعاء الذى علمه النبى ﷺ لعائشة رضى الله عنها:

« اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وماقرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير ماسألك عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين.

وقد يقول قائل: إذا كان الله قد قال: « أجيب دعوة الداع إذا دعان » فهل معنى هذا أن الله يجيب كل داع ؟.

ويجيب رشيد رضا: ليس الأمر كذلك. كما هو ثابت بالمشاهدة، بل المراد أن من شأنه الإجابة، فهو يجيب إن شاء كما قال فى آية أخرى: « **فيكشف ما تدعون إليه إن شاء** » فهو على قولك فلا يعطى الكثير فاطلب منه، أى إن من شأنه ذلك، ولا يلزم منه أن يعطى كل طالب عين ما طلبه.

وأجاب بعضهم بأن الإجابة أعم من إعطاء السؤال. وقد ورد فى الحديث الصحيح أن الإجابة تكون بإحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته. وإما أن يدخر له، وإما أن يكف عنه من السوء مثلها. والآية سيقت لبيان ان الله تبارك وتعالى قريب من عباده المتوجهين إليه، فلا حاجة بهم إلى الصياح فى تكبيره ودعائه، ولا إلى أن يتخذوا وسطاء بينهم وبينه فى التوجه اليه، وسؤال رحمته وفضله، بل يجب أن يصمدوا إليه وحده، فإنه هو وحده الدى يجيب الدعاء.

ويقول الأستاذ الإمام: إن الداعى شخص يطلب شيئا، وهو يصدق على أكثر الناس الذين يطلبون كل يوم أشياء كثيرة، وليس كل واحد منهم متحققا بدعاء الله تعالى وحده كما يجب أن يدعى، فهو يقول: أجيب دعوة الداعى إذا خصنى بالدعاء، والتجأ إلى التجاءً حقيقيا، بحيث ذهب عن نفسه إلى، وشعر قلبه بأنه لا يلجأ له إلا الى، ومثل هذا لا يطمع فى غير مطمع، ولا يطلب مالا يصح أن يطلب، وإنما يمتثل أمر الله تبارك وتعالى، باتخاذ جميع الوسائل من طرقها الصحيحة المعروفة، وهى لا تتحقق إلا بالعلم والعزيمة والعمل، فإن تم للعبد ما يريد بذلك فقد أعطاه الله سبحانه من خزائنه التى يفيض منها على جميع متبعى سننه فى الخلق، وإن بذل جهده ولم يظفر بسؤله، فما عليه إلا أن يلجأ إلى سبب الأسباب وهادى القلوب إلى ما غاب عنها وخفى عليها، ويطلب المعونة والتوفيق ممن بيده ملكوت كل شىء، وقد قال بعض السلف: إن هذا مجاب لا محالة.

وقال الصوفية: الدعاء المجاب هو الدعاء بلسان الاستعداد، وقد استعاذ النبى ﷺ من الطمع فى غير مطمع. فمن يترك السعى والكسب ويدعو قائلا: يارب اعطنى الف جنيه، فهو غير داع حقيقة، وإنما هو جاهل.

ومثل ذلك المريض لا يراعى الحمية ولا يتخذ الدواء، ويقول: يارب اشفنى وعافنى، وكأنه يقول: اللهم أبطل سنتك التى قلت إنها لا تبدل ولا تحول، أبطلها من أجلى:

وكم استجاب الله تبارك وتعالى لنا من دعاء، وكم كشف عنا من بلاء، ورزقنا من حيث لا نحتسب ولا نتخذ الأسباب، ولكن بتسخيره هو للأسباب.

ولقد قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو الله سبحانه فلا يستجاب لنا؟

فقال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه، وأكلتم نعمة الله فلم تردوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

وثمة سؤال أخير فى هذا المجال: ما فائدة الدعاء وقد عرفنا أن القضاء لا مرد له ؟.

ويجيب « الإحياء » للغزالى:

من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، واستجلاب الرحمة.

(البقية ص ٤١)

من علوم القرآن

كيفية نزول القرآن والأحرف السبعة

قال الله تعالى: (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) . .

وقال سبحانه: (والكتاب المبين، إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) . .

وقال: (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) . .

والكتب السماوية كلها كانت تنزل على الرسل دفعة واحدة. ولما كان القرآن تيسر للناس حفظه ـ أنزل كالكتب السماوية دفعة واحدة من اللوح المحفوظ، فى ليلة القدر، ووضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا، لينزله جبريل بأمر الله منجما . .

قال تعالى: (وقال الذين كفروا: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك، لنثبت به فؤادك، ورتلناه ترتيلا، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) . .

وقال: (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) . .

وهذا القول هو المشهور . .

وقيل: أنزل الى اللوح المحفوظ فى كل ليلة قدر إلى بيت العزة ما سينزل فى العام . .

والقول الثالث: ابتدأ نزوله فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ، وكان ينزل بعد ذلك منجما من اللوح إلى النبى ﷺ . .

وقيل: أنزل من اللوح الى السفرة التى كانت تعطى لجبريل المقدار المراد انزاله . .

والقول الأول هو الراجح، لأنه معزو إلى كبار الصحابة . . وكان القرآن أحيانا ينزل منه جزء من الآية، وأحيانا آية كاملة، وأحيانا خمس أوعشر آيات، وقد يزيد على ذلك العدد النازل . .

بيد أن الذى كان يتلقاه خمس آيات حتى يجيد حفظها، ثم يتلقى غيرها، ولعل هذا قبل قوله له:

(لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه) . .

وفى التقاء جبريل بالنبى ﷺ، كيفيتان: ارتقاء النبى بتغلب الروحانية على الجسدية، أو انخلاع الملك الى صورة البشر . .

وإيحاء الله بالقرآن الى جبريل ـ كتحميل الملك أمينه كتابا يوصله إلى من أراد أن يصل اليه الكتاب من غير تدخل من الأمين فى الكتاب . .

أما الأحاديث القدسية ـ ففيها وحى المعنى. والتعبير عنها بألفاظ يختارها الرسول، وينسبها الى الله الذى أوحى بها . .

أما الحديث النبوى ـ فالوحى فيه بالمعنى، واللفظ من عند النبى. وهو منسوب فى الجملة الى من أوحى به . .

قال تعالى: (**وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى**) . .

وقول بعض العلماء: إن له ﷺ، أحاديث توفيقية ـ فإن أرادوا توفيقه الى اختيار اللفظ المناسب للمعنى ـ فسلم . . وإن أرادوا قبولها للخطأ ـ فمردود ومردود لأن الفعل كالنكرة وقد وقع فى سياق النفى فيعم: (**وما ينطق عن الهوى**) . . ثم أكد ذلك بصيغة الحصر فقال: إن هو إلا وحى). وبين تجدده له وعدم انقطاعه عنه بقوله: (يوحى) . . ثم أوضح دور الملك وهو التعليم فقط فقال: (**علمه شديد القوى**) . .

الدكتور محمد عبد المنعم القيعى

ودعوى أن جبريل كان يوحى بالمعنى واللفظ من عند النبى، وذلك فى القرآن دعوى باطلة. وما نظن أن أحدا من المسلمين أراد بها أن يخلط بين القرآن وغيره فضلا عن السيوطى الذى روى هذا وأخذ عليه وهو العالم الغزير فى علمه وإنما أراد تفسير المعنى للنزول لغة ويقول للذين جعلوا كلام الله فقط للصفة القائمة به إن إنزال ذلك ممتنع.. وللذين يجعلون الكلام شاملا للفظ والمعنى يقول لهم: الانزال للجواهر، والألفاظ والمعانى من الأعراض..

ولست أدرى لماذا لم يكن إنزال جبريل بالقرآن كما يلقن أحدنا شخصا آخر ألفاظا لها مدلولها ومعانيها، وتبليغ ذلك لشخص ثالث..

وللوحى كيفيات. منها وهى أشده عليه: أن يأتيه مثل صلصلة الجرس فيكلمه وقد وعى عنه ما قال.. ومنها وهو أهونها: أن يأتيه الملك فى صورة رجل فيكلمه فيعى ما يقول.. وهاتان الكيفيتان بهما كان نزول القرآن..

ومن كيفيات الوحى من غير القرآن: النفث فى الروع، والرؤيا المنامية، وكلام الله المباشر له بكيفية لانعلمها..

نزول القرآن على سبعة أحرف:

فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال:

(أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف)..

هذا الحديث رواه أكثر من عشرين صحابيا. وأقر عثمان بن عفان عليه عدد من الصحابة لا يحصون، مما يؤكد تواتره. وقد رواه أكثر كتب الحديث، واتفق عليه الصحيحان. واختلفوا فى المراد بالأحرف السبعة على أقوال، أشير إلى أهمها:

١ ـ هذا الحديث مشكل، لأن الحرف مشترك بين حرف الهجاء وبين الكلمة، فيقال لها: حرف، وبين المعنى فيقال لها: حرف، وبين الجهة التى يطلق عليها الحرف أيضا، قال تعالى:

(ومن الناس من يعبد الله على حرف)..

ومن المعلوم أن المشكل يمكن التعرف على المراد منه بعد التأمل. ولا يعنى اشكاله التوقف فيه..

ولما كان القرآن يزيد على سبعة أحرف، وكلمات، ومعانى ـ تعين أن يراد بالحرف الجهة ـ ولكن ما هى؟..

٢ ـ عدد السبعة لا يراد به الحصر، وإنما يراد به التكثير فى الآحاد. كما أن السبعين فى العشرات، والسبعمائه فى المئين فيجوز أن تكون الأحرف ستة أو عشرة.. ويرد هذا القول ما روى من أن النبى ﷺ، لم يزل يستزيد جبريل حتى انتهى معه الى سبعة أحرف.. ولم يزد على ذلك، فحقيقة السبعة مرادة..

٣ ـ المراد بالأحرف ـ القراءات. ويرد بأن فى بعض كلمات القرآن تقل القراءات عن سبع، وفى بعضها زيادة على السبع..

٤ ـ قال ابن قتيبة: المراد بها الأوجه التى يقع بها التغاير:

فأولها: ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: (ولا يضار كاتب) بالفتح والرفع..

ثانيها: ما يتغير بالفعل مثل: بعد وباعد ـ بلفظ الطلب والماضى..

ثالثها: ما يتغير باللفظ مثل: ننشزها وننشرها..

رابعها: ما يتغير بابدال حرف قريب المخرج مثل: طلح منضود وطلع..

خامسها: ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل: (وجاءت سكرة الموت بالحق) و(سكرة الحق بالموت)..

سادسها: ما يتغير بزيادة أونقصان مثل (والذكر والأنثى) (وما خلق الذكر والأنثى)..

سابعها: ما يتغير بابدال كلمة بأخرى مثل: كالعهن المنفوش وكالصوف المنفوش..

فأنت ترى ابن قتيبة لاحظ فى الوجه الأول حركة الفعل. وفى الوجه الثانى لاحظ الصيغة.. وفى الوجه الثالث لاحظ الإهمال والإعجام..

وقد لوحظ على ما قال أنه لم يستوعب كل أوجه القراءات من ادغام وإظهار وإمالة وغير ذلك..

٥ ـ المراد بالأحرف سبع لغات ولهجات مشهورة، ليتم التيسير، مع اتحاد المعنى وتقاربها. فلما استقامت ألسنة الناس على لغة قريش ورفعا للخلاف ـ جمع عثمان الناس على حرف قريش، وأيده أولى الرأى. ونعم ما صنع.. وهذا الرأى لا يعنى أن كل كلمة فيها سبع لهجات. بل إن غاية ما ينتهى اليه اختلاف اللهجات المشهورة الى سبع، والمسلمون الآن لا يعرفون الأحرف قريش ولا ينكرون ما عداها لكنهم لا يقرأون الآن إلا بحرف قريش.. وقد وردت شبه على هذا الرأى:ـ

الشبهة الأولى: فى أى حرف من أحرف القرآن سبع لهجات؟..

والجواب: أننا لم ندع الآن إلا وجود لهجة قريش، وليست القراءات المتفق عليها راجعة إلا لهذه اللهجة..

الشبهة الثانية: أين ذهبت اللهجات الست؟.. أنسخت ورفعت؟.. وما الدليل وقد نزلت وقرأ بها رسول الله ﷺ؟..

والجواب عند أصحاب هذا الرأى أن الأمة مطالبة بحفظ القرآن، ومخيرة بأى حرف شاءت قرأت. كالتكفير فى اليمين بإحدى الكفارات. فإن قيل وما العلة؟.. قلنا: إن السبعة أحرف كانت للتيسير. فلما أضحى سببا للفرقة والتكفير ـ كان من المستحسن الإجماع على لهجة واحدة..

الشبهة الثالثة: كيف توفقون بين هذا وبين ما أثر عن عثمان: وما اختلفتم فيه فاكتبوه بلغة قريش فإنما نزل بلغتهم. قال ذلك للكتبة وهم يجمعون القرآن ويكتبونه..

والجواب: أن عثمان أراد بذلك ابتداء نزوله وكان بلغة قريش، أو أن أغلب ما فيه بلغتهم..

وإلى مقال آخر استكمل فيه هذا الموضوع الشائك إن شاء الله.

أقسام الوقف في القرآن

فضيلة الشيخ محمود حافظ برانق

عرفنا فيما سبق أن الوقف الاختيارى فى القرآن له أقسام أربعة وهى (١) الوقف التام (٢) الوقف الكافى (٣) الوقف الحسن (٤) الوقف القبيح. وذكرنا منها الثلاثة الأولى. وبق أن نذكر القسم الرابع، وهو الوقف القبيح. فأقول وبالله التوفيق.

الوقف القبيح: هو الوقف على كلام غير تام فى ذاته لشدة تعلقه بما بعده لفظا ومعنى. وأعنى بتعلقه بما بعده لفظا: كون الكلمة الموقوف عليها متعلقة بما بعدها من جهة الأعراب. ويلزم من التعليق اللفظى التعليق المعنوى ضرورة. ولا عكس كما سبقت الإشارة إليه فى الكلام عن الوقف الحسن فى بحثنا السابق.

ومن أنواع الوقف القبيح ما يأتى:

الوقف على الفعل والأبتداء بالفاعل، والوقف على المبتدأ و الابتداء بالخبر، والوقف على الجار والابتداء بالمجرور، والوقف على المضاف والابتداء بالمضاف إليه، والوقف على المنعوت والابتداء بالنعت، والوقف على المؤكد والابتداء بالتوكيد، والوقف على صاحب الحال والابتداء بالحال، والوقف على المميز والابتداء بالتميز، والوقف على كان وأخواتها والابتداء بأسمائهن أو أخبارهن، والوقف على ظن وأخواتها والابتداء بأحد مفعوليها، والوقف على إن وأخواتها والأبتداء بأسمائهن أو أخبارهن، والوقف على أدوات الشرط والابتداء بفعل الشرط أو بجوابه، والوقف على الأسم الموصول والأبتداء بالصلة. وما إلى ذلك من الوقوف التى لا تتم بها جملة. ولا يفهم منها معنى ولا يتأتى بها ترابط بين معانى القرآن.

ويسمى هذا النوع من الوقف قبيحا: لشدة تعلق الكلمة الموقوف عليها بما بعدها لفظا ومعنى ولعدم الفائدة التى لا يحسن السكوت عليها.

وحكمه: انه لا يجوز الوقف عليه إلا لضرورة كانقطاع نفس القارىء أو عطس أو عرض شىء من الأعذار التى لا يمكن بها أن يصل إلى ما بعده أو كان الوقف لتعليم أو اختبار. فحينئذ يجوز للقارىء الوقف على أى كلمة.

فإذا ابتدأ القراءة بدأ من الكلمة التى وقف عليها أو التى قبلها حسب ما يقتضيه المعنى من الحسن: إذ ان الوقف على ذلك قد أبيح للضرورة فلما اندفعت الضرورة لم يبق مانع من الابتداء بما قبله. ولذلك: يقول ابن الجزرى فى مقدمته:

وغير ما تم قبيح وله ... يوقف مضطر ويبدأ قبله

وقد علل بعض علماء التجويد لمنع الوقف على هذا النوع بقوله: إن المقصود تبيين معانى القرآن وتكميلها، فالوقف مبين وفاصل بعض المعانى عن بعضها وبذلك تحسن التلاوة فيحل الفهم والدراية ويتضح منهاج الدراسه اهـ وقد ذكر صاحب نهاية القول المفيد عبارة المرعشى عن هذا النوع من الوقف حيث قال: اعلم أن الوقف قبل تمام الكلام ليس إلا ترك ما استحب لما قال السيوطى: قولهم: لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه ولا على الفعل دون الفاعل ولا على الفاعل دون المفعول إلى آخر ما تقدم.

إنما يريدون بذلك عدم الجواز الأدائى. وهو الذى لا يحسن فى القراءة ولا يرون بذلك أنه حرام أو مكروه إلا أن يقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف المعنى الذى أراد الله تعالى: فإنه يكفر والعياذ بالله تعالى. فضلا عن أن يأثم ويجب ردعه بحسبه على ما تقتضيه الشريعة المطهرة. اهـ

ومن الغاية فى القبح: الوقف الموهم معنى شنيعا أو وصفا لا يليق به تعالى أو فهما غير مراد لله تعالى: يقع فيه بعض جهلة القراءة الذين قصرت مداركهم عن فهم القرآن وأمثلة ذلك:

الوقف على قوله تعالى «ان الله لا يستحيى» والوقف على «لا تقربوا الصلاة» والوقف على «وما من إله» والوقف على «فبهت الذى كفر والله» وقد ذكر صاحب نهاية القول المفيد حكم هذا النوع فقال: فمن انقطع نفسه على شىء من ذلك وجب عليه الرجوع إلى ما قبله ليصل الكلام بعضه ببعض، فإن لم يفعل أثم وكان الخطأ العظيم الذى لو تعمده لخرج بذلك عن دين الإسلام لإفراده من القرآن ما هو متعلق بما قبله أو بما بعده وكون إفراد ذلك افتراء على الله وجهلا به اهـ.

ومن الوقوف المنصوص عليها فى بعض الكتب ما يجب تجنبه لشذوذه «وقف التعسف» وهو ما يتعمده ويتكلفه بعض القراء. فمن ذلك: الوقف على «قرت عين لى ولك لا» والوقف على «أأنذرتهم أم لم تنذر» والوقف على «عينا فيها تسمى» وأمثلة هذا النوع كثيرة ينبغى تجنب الوقف عليها لأنه محض تقليد وعلم العقل لا يعمل به إلا إذا وافق النقل.

ومن الوقوف المنصوص عليها 'وقف المعانقة' أو 'وقف المراقبة' فقد ذكره ابن غازى والشيخ صادق الهندى فى رسالته كنوز الطاف البرهان فى رموز أوقاف القرآن. وسماه 'وقف المعانقة'

ومعناه: إذا تعانق وتقارب الوقفان بأن اجتمعا فى محل واحد فلا يصح للقارىء أن يقف على كل منهما. بل إذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر لئلا يختل المعنى.

قال ابن غازى فى شرحه للجزرية: قد يجيزون الوقف على حرف ويجيز آخرون الوقف على آخر. ويكون بين الوقفين مراقبة على تضاد فإذا وقف على الأول امتنع الوقف على الثانى وذلك فى قوله تعالى «**ذلك الكتاب لا ريب فيه**» بالبقرة. فبعضهم أجاز الوقف على «لا ريب» ومنعه على «فيه» وبعضهم أجاز الوقف على «فيه» ومنعه على «لا ريب» وقد حصر صاحب نهاية القول المفيد هذا النوع فى القرآن فوجده «خمسة وثلاثين موضعا» وأول من نبه على هذا من الوقوف الإمام ابو الفضل الرازى.

وبالرجوع إلى أقسام الوقف الأربعة: التام والكافى والحسن والقبيح وأحكام كل منها، واستعراض الأمثلة التى ذكرناها فى هذه الأقسام الأربعة لا تخرج عن أن يكون الأبتداء بها إما أن يكون حسنا أو قبيحا.

فالابتداء الحسن: هو الابتداء بعد وقف تام أو كاف سواء كان رأس آية أو غير رأس آية. وكذا إذا كان الأبتداء بعد رأس الآية فى الوقف الحسن على رأى من قال بسنية الوقف على رؤوس الآى مطلقا.

والابتداء القبيح: هو الأبتداء بعد وقف قبيح لشدة التعلق اللفظى والمعنوى والموهم معنى غير مراد: إلا إن كان رأس آية على رأى من قال بسنية الوقف على رءوس الآى.

فيجب على القارىء أن يتجنب الوقف والأبتداء الموهمين معنى غير مراد ما أستطاع إلى ذلك سبيلا.

هذا وبالله التوفيق.

تأملات في البيان القرآني

الصّورة القرآنيّة

الدكتور ابراهيم عوضين

في المقال السابق تعرفنا على الله سبحانه وتعالى من خلال الصورة التي قدمتها الآيات الكريمة في سورة الرعد في قوله تعالى: « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر. كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا».

« ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين.

« يغشي الليل النهار.

« إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.

« وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل».

« إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون.»

ومع تأملاتنا في تلك الآيات كشفنا عن بعض الأسرار البيانية المعجزة في بناء الصورة هنا على هذا النسق المختلف عما سبق من ذلك اللون.

ولا نكاد ننقل العين عن تلك الصورة في موقعها هذا من سورة الرعد حتى نجد أنفسنا بعد ثلاث آيات فقط أمام صورة أخرى تقوم بالوظيفة البيانية ذاتها، فتعرفنا بالله سبحانه وتعالى في معرض آخر، وبلون بياني مختلف عن سابقه، ولكنها مع ذلك تلتقي حول نقطة واحدة هي محور هذا اللون من الصورة القرآنية.. وهو تقريبنا من الله وتعريفنا به، وتجلية حقيقته سبحانه من كل شوائب الأزمان والقرون، وإزالة ماجرته فلسفات الفلاسفة وأفكار المفكرين وآراء أصحاب النحل والعقائد على تلك الحقيقة الواضحة من غموض وإبهام.

* * *

(هـ) اقرأ معى سورة الرعد قول الله عز وجل :

« الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد .

« وكل شيء عنده بمقدار .

« عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

« سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار .

« له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله .

« إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

« وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال .

« هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال .

« ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

« ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال .

« له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه .

« وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال .

« ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال . '

تجد نفسك أمام صورة تعرفك بالله سبحانه وتعالى ، وذلك بإبراز بعض مظاهر علم الله عز وجل وتدبيره وقدرته وسلطانه ، بحيث يرى من يعقل أن ألله الجدير بالعبادة والطاعة إنما هو الإله الذى يحيط بكل شيء علما والذى لا يترك فى هذا الكون صغيرة ولا كبيرة بدون رسالة يؤديها فى الكون لا يستغنى عنها كيان الحياة . . والذى تمتد قدرته وسلطانه ليشملا كل كائن .

***

١ ـ فالله . . عالم بكل شيء صغيرا كان أو كبيرا ، دقيقا كان أو جليلا ، لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، ولا يند عن علمه شيء مهما كان وأين كان . . حتى ما تضمه الأرحام ويختفى فى طواياها خلف ستار من وراء ستار . . ليس ذلك مقصورا على رحم دون رحم ، بل هو شامل لكل رحم ، فهو يعلم ما فى رحم الآدمية المستقرة فوق الأرض ويعلم ما فى رحم الحشرة المنبثة فى كل مكان ، ويعلم ما فى رحم الطير المحلق فى السماء ، ويعلم ما فى رحم كل أنثى أيا كانت وأين كانت .

« الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد .

وهذا العلم ليس علما مجردا سلبيا ، ولكنه علم تدبير وتقدير . . فالله الذى يعلم ما تشمله الأرحام هو الذى قدر لكل رحم ما تشمله ، ودبر الأمر منذ الأزل ، بحيث لا يكون فى الواقع إلا ما قدر ، ولا يقع إلا ما علم أنه كائن .

« وكل شيء عنده بمقدار » .

وهذا العلم ليس علم الكائن المشاهد فحسب ، بل هو علم الكائن الذى لا يراه المخلوق كما هو علم الكائن البارز للعيان ، فهو بعلمه فوق كل المخلوقين ، إذ علمه علم احاطة وشمول يتناول الزمان والمكان والكيف والكم ، يستوى أمام علمه أن يكون ذلك المعلوم سرا وأن يكون جهرا ، كما يستوى أمامه أن يكون ذلك المعلوم مستورا خفيا وأن يكون جهرا واضحا جليا .

« عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . »

« سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » .

***

٢ ـ والله . . مدبر حكيم ، أقام الكون على نظام ثابت فى كل أشكال الحياة ، وصنع الحياة على أساس لا يتغير ، فجعل لكل شيء ما يقابله بحيث لايستبد كائن بكائن إلا بالقدر الذى يتطلبه ناموس الحياة وبحيث لا يحقق لكائن ما يرغب إلا إذا أخذ ذلك الكائن بأسباب ما يرغب .

« له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله .

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . »

ثم هو ـ إلى ذلك ـ مطلق السلطان لا يرد ما يريده شيء ولا يحول بين ما يريده حائل ، ولا يقف بينه وبين الخلق سلطان .

« وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . »

***

٣ ـ والله . . قادر يحكم الكون ، وينظم مسار الكائنات فيه ، بحيث يؤدى كل كائن دوره فى هذا الكون الهائل ، وضمن كل كائن أسباب الخير وأسباب الشر ، فكما تتوقع منه الخير تتوجس منه الشر ، والذى يتحكم فى المسار ويمحض هذا الكائن اليوم للخير ويمحضه غدا للشر . . هو الله سبحانه .

« هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال . »

***

٤ ـ والله . . هو الذى تلهج كل الكائنات بحمده ، معلنة عن ربوبيته دون تردد أو تفكر . . فهذه الكائنات جميعا على اختلاف أشكالها وألوانها وطبائعها خاضعة لله وحده ، مقرة له بالربوبية ، مدركة بما يحيطها به دواعى الحمد والشكر وما ينتظرها من مخاوف . . فإذا كانت بعض الكائنات تسبح بحمد الله على نعمائه فإن بعضها يسبح بحمده تقربا منه وطلبا لمرضاته وخوفا من بطشه .

« ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته »

***

٥ ـ والله . . هو الذى يحكم حركة الكون كله ، ويوجه أفراده وأجناسه وأنواعه حيثما أراد وكيفما شاء ، فكما يوجه رسله إلى الشعوب والأمم

بالهداية يوجه نذره بالعذاب والبطش، أو يوجهها بالخير والنعم اختبارا وابتلاء، فيرسل الصواعق بالدمار على من يشاء أن يصيبه، ومع ذلك يعيش الناس فى غفلة عن سلطانه وقدرته فيجادلون ويحاورون فى وجوده تارة وفى كيفية هذا الوجود تارة أخرى، وفى سلطانه وقدرته مرة ثالثة.. وهكذا يواجه الناس ربهم صاحب السلطان والقوة، ومالك التدبير والقدرة.

« ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال »

***

٦ ـ والله.. هو الذى يتوسل الإنسان بدعائه ليحقق لنفسه الخير، ويحصل النفع، ويتقى الضر، فى الوقت الذى لا يصل فيه المتوسلون بدعاء غير الله إلى شىء مما يريدون، فهم بتوسلهم ذلك كمن يطلب الرى ببسط كفيه إلى الماء أملا فى أن يحتجز كفاه المبسوطتان شيئا من الماء يذهب ظمأه فهو بذلك يضع نفسه فى موقف يثير السخرية والاستهزاء، ويكشف عن حمق تصرفه. وبلادة تفكيره، إذ يتوسل بما لا قدرة له.

« له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه! وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال.

***

٧ ـ والله مخصوص بخضوع من فى السماوات ومن فى الأرض خضوعا كاملا سواء فى ذلك من وافق خضوعه ما فى نفسه ومن خالف فهو خضوع للقوة العليا التى لا يملك إزاءها كائن شيئا ولا يستطيع أمامها كائن أن يفعل إلا ما تطلب وتريد، فالكل أمام الله مستسلم خاضع، سواء كان ذلك عن طواعية أو عن كراهية، إذ لله هذا هو الذى بيده الأمر كله وليس لأية قوة شأن أى شأن.

« ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال »

***

بهذا يتم بناء الصورة وتتكامل مشاهدها فتتعرف من خلالها على الله الحقيقة بإسلام الإنسان كل مشاعره وأحاسيسه وتفكيره إليه. الجدير بإخلاص النفس له، والاعتماد عليه، والإيمان به، والثقة فيه، والاطمئنان إليه.

ويعاود المتأمل النظر فى أبعاد الصورة ويتفحص مشاهدها، فيجد أنها قائمة على تحريك العقل الإنسانى، ولفت النظر إلى ما هو واقع كائن فى هذا الكون الممتد الأطراف، الفسيح الأرجاء الزاخر بالكائنات العجيبة الغريبة.

ومن ثم ذيلت الصورة بمشهد لا يخرج على هذا الذى تقرره الصورة، وذلك قوله عز وجل:

« قل: من رب السموات والأرض؟ قل: الله.

« قل: أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا؟!

« قل: هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور؟!

« أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم.

« قل: الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار.

« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا، ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله.

« كذلك يضرب الله الحق والباطل.

« فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض.

« كذلك يضرب الله الأمثال »

فالآيات هنا ـ بعد عرض الصورة المعرفة تقرر المتأمل بالحقيقة الجلية التى أزالت الصورة عنها ما قد يسترها أو يخفيها.. تقرر المتأمل بربوبية الله عز وجل للسماوات والأرض، فليس لسواه أدنى سلطان على شىء من مكوناتها، ومن ثم فاتخاذ آلهة من دونه أمر شاذ لا يقوم على أساس من فكر أو وجدان.

إذ بأى منطق يسلم الإنسان نفسه لما لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا يسلمها لمالك السماوات والأرض وما فيها ومن فيها؟!

بل.. بأى عقل أو عاطفة يتجه الإنسان إلى ضم إله آخر إلى هذا الإله الخالق المدبر المبدع المالك والمسيطر على كل ما فى هذا الكون ومن فيه.. أمس واليوم وغدا؟!

لاشك فى أن من يرى تلك الصورة ويتعرف من خلالها يدرك أن هذا عبث وانحراف فى التفكير وشذوذ فى الاعتقاد.

وهكذا تصل الصورة بالمتأمل إلى ما تريد بثه فى النفس من غير تعسف ولاقسر، ولا تعمل ولا تحكم بل إنها جميعا مقررات تحقق لنا فى ثنايا تأملاتنا، وتنتشر فى كياننا من خلال تفحصنا هذه المشاهد المصورة.

وهكذا تقرر تلك الصورة ما سبق أن أشرنا إليه من أن البيان القرآنى فى هذا السبيل يسير وفق نظام بيانى دقيق محكم تقدم فيه الصورة وفق معرضها، وترسم مشاهدها فى دقة لا زيادة فيها على ما تتطلبه الصورة، ولا نقص، فهى نموذج واضح للتناسق البيانى المعجز والسياق المتلائم.

فى رياض القرآن العظيم

فضيلة الشيخ احمد على منصور

إن القرآن العظيم يحتوى على أربع عشرة ومائة سورة ، منها سبع وثمانون سورة نزلت بمكة المكرمة ، وتسمى السور المكية ، ومنها سبع وعشرون سورة نزلت بالمدينة المنورة ، وتسمى السور المدنية ، والمكى على المشهور ما نزل من القرآن الكريم ، على سيدنا ومولانا محمد ، صلوات الله وسلامه عليه قبل الهجرة النبوية الشريفة والمدنى على الراجح ما نزل من القرآن المجيد ، على المصطفى ، ﷺ بعد الهجرة النبوية الكريمة ، وإن نزل بمكة المشرفة . ويتميز المكى عن سواه باستعمال يأيها الناس فى ندائه غالبا ، لأن المسلمين الأولين نضر الله تعالى تاريخهم ، كانوا بمكة فى بدء الاسلام أقلية بالنسبة لعدد الكفار والمشركين ، والقلة لا تشغل فى العادة جانبا حساسا فى المجموعة البشرية ، فاندرجوا مع سواهم تحت اللفظ العام ، وحتى يكون فى ذلك ما يدعو الأكثرية إلى التأمل والتفكر فيما جاء به إمام الهدى عليه الصلاة والسلام ، من خير ورشاد ، وهداية ونور ، وترك ما درج عليه الجاهليون من عادات وتقاليد مرذولة ، تنتهى بأصحابها إلى الشقاء والهلاك ، واتباع أحكام الاسلام الصالح لكل زمان ولكل مكان ، المتضمن لسعادة البشرية ، والسير بها قدما إلى الخير والصلاح.

ويتحدث المكى فى إفاضة عن الأمم السابقين ، ومواقفهم من أنبيائهم ورسلهم ، وما آل إليه المكذبون من العذاب والنكال ، حتى يأخذ المؤمنون وسواهم من ذلك العبر والعظات ، وحتى ينأوا بجانبهم عن سلوك سبيل المعاندين ، وإلا أصابهم ما أصابهم ، وحتى يكون فى ذلك دافع لهم إلى أن يحذوا حذو الموفقين ، الذين آمنوا بالله وأنبيائه ورسله ، فمكن الله لهم فى أرضه ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، ووصلوا إلى ما يريدون كاملا غير منقوض . ومما ورد بالقرآن الكريم فى هذا الصدد ، قول الله عز وجل فى شأن المعارضين ، من الآية الثانية والتسعين ، إلى الثالثة بعد المائة من سورة الأعراف الشريفة : « الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها ، الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ، فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فكيف آسى على قوم كافرين وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون . ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا ، وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون . ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون . أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ؟ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ؟ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون . تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ، ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملإه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين »

ويقول تبارك وتعالى فى أمر المكذبين ، من الآية الرابعة إلى الآية الثانية عشرة من سورة الحاقة : « كذبت ثمود وعاد بالقارعة . فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية ؟ وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة . فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية . إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية . لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية » ومما ورد بالقرآن المجيد فى شأن المؤمنين قول الله جلت حكمته بالآية الخامسة والخمسين من سورة النور الحكيمة : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

ولقد تضمن المكى جانبا كبيرا من التهديد والتخويف والوعيد ، وذكر الغيبيات وما أعد للطائعين من النعيم المقيم وما هيىء للكافرين والعاصين من نار الجحيم ، وكل ذلك لأخماد شوكة الشرك والعناد ، وحث المشركين على التدبر والتبصر للتقليل من أذاهم للرسول والسابقين إلى الاسلام ، ولاتباع الحق والحق أحق أن يتبع لعلهم بعد هذا كله يوقفون جبروتهم وعدوانهم ويرشدون ، فيهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيى عن بينة ، والله للكافرين بالمرصاد ، ومن ورائهم محيط ، وللمهتدين ولى ونصير ، وكفى به وليا وكفى به نصيرا .

ويعرف المدنى من القرآن الحكيم باستعمال « يأيها الذين آمنوا » فى أسلوب النداء غالبا ، لأن المؤمنين بعد الهجرة النبوية الشريفة ، أصبحوا أكثرية يمكن أن تنادى بوصف الايمان ، ولقد نص فى المدنى على الجانب التشريعى والأحكام الدينية ، لحاجة المسلمين الأولين إلى ذلك ، ودعا إلى التمسك بمكارم الأخلاق وسامى الآداب وحميد الخصال وحلو الخلال ، ليمسى المؤمنون فى كل ذلك القدوة الحسنة والأسوة الطيبة ، وتناول علاج الأمور وتنظيم المجتمع ، ليسلك أهل الدين نهج الاسلام الأغر ، ويمارسوه فعلا وعملا ، بعد أن سعدوا به إيمانا واعتقادا . ولم يكثر من الحديث عن الماضين ، لأن المسلمين صاروا قوة يدافعون عن أنفسهم ودينهم ويواجهون الأحداث بعزم وقوة شكيمة ، ويحاولون التغلب على الشدائد وصعاب الأمور .

والسورة من القرآن العظيم ما تشتمل على قدر من آياته الكريمة ، بفاتحة لها وخاتمة ، واشتقاقها من سور المدينة لارتفاعها وشرفها فانه يقال فى الأوساط اللغوية لما ارتفع من الأرض سور ، أو لحفظها لما تضمنته من الآيات كسور المدينة والحديقة ، يحفظ كل منهما ما بداخله ويمنع عنه عاديات المعتدين ، أو لأحاطتها بآياتها إحاطة السوار بالمعصم ، أو لأنها قائمة بذاتها كاملة فى بابها ، جامعة لما يراد منها ، سامية فى مقاصدها جليلة فى أهدافها ، مفحمة لخصومها ، منيرة السبيل للمتبصرين ، محققة آمال المتدبرين ، سائرة بهم إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

والآية من السورة ما تشتمل على بعض كلمات التنزيل الحكيم ، وسميت بذلك لأنها علامة على انقطاع الكلام الذى قبلها ، وانفصاله عما بعدها ، أو لأنها أعجزت الانس والجن عن الاتيان بمثلها ، وغدت بما جمعت آية فى الاعجاز والروعة . والكلمة من القرآن العظيم ما تكونت من بعض حروفه ، والحرف منه ما كان جزءا من إحدى كلماته . وآيات القرآن الكريم على المشهور ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية ، وكلماته سبعة وسبعون ألفا وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ، وحروفه ثلاثمائة وأربعون ألفا وسبعمائة وأربعون حرفا . وأطول سورة فى القرآن العظيم سورة البقرة الشريفة ، وأقصر سورة فيه سورة الكوثر ، وأطول آية به آية الدين ، وهى الآية الثانية والثمانون بعد المائتين من سورة البقرة ، وفيها يقول ربنا عز وجل :

يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق ، وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا . فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا ، أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ويعلمكم الله ، والله بكل شئ عليم »

وأقصر آياته فواتح السور المكونة من حرفين فى طه ويس صلوات الله وسلامه عليه ، وحم فى الحواميم : غافر وفصلت والشورى والزخرف ، والدخان والجاثية والأحقاف . وقد تسمى السورة باسم واحد أو أكثر . ويجمع المصحف الكريم القرآن العظيم كله ، ويتكون من ثلاثين جزءاً ، ويحتوى الجزء على حزبين ، ويقوم الحزب على نصفى حزب ، ونصف الحزب على ربعى حزب ، وترتيب القرآن المجيد ، وأسماء سوره وأحزابه وأجزائه ورؤوس آياته توقيفى من فعل الصحابة ، بالنقل عن المشرع الأعظم ﷺ . **ولقد جمع القرآن الكريم ورتب أولاً من غير نقط ولا شكل ، وكان الصحابة والتابعون يقرءونه بسليقتهم العربية ، من غير لحن ولا تبديل أو تغيير . ولما انتشر الاسلام ودخل فيه كثير من الفرس والأعاجم ، واختلطوا بالعرب بالمصاهرة والمجاورة ، وتسرب الخطأ إلى الألسنة . خاف الحكام على العربية ، وعملوا جهد إستطاعتهم لصون الكتاب الحكيم والسنة النبوية المطهرة من وقوع اللحن فيهما فأمروا العلماء بوضع قواعد النحو للنطق السليم . وفى خلافة عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى ،** أمر رحمه الله بنقط القرآن المجيد ، وضبطه ، بالشكل حتى يظل بمنأى عن الخطأ ، فى أدائه وقراءته ، ونهض بهذا الأمر الحجاج بن يوسف الثقفى ، وساعده فيه الحسن البصرى ويحيى بن يعمر ، والأمر جار على ذلك إلى اليوم وبعد اليوم .

ولقد نزل القرآن العظيم على الرسول الكريم منجماً مفرقاً ، حسب الحوادث والمناسبات فى ثلاث وعشرين سنة ، حتى يساير تطورات الدعوة الاسلامية ، ولا يشق على المسلمين تدوينه وحفظه ، وليثبت قلب الصادق الأمين ، بتجدد الوحى وتواصله ، فيحصل له من وراء ذلك ، أنس وسرور يقصر عنه البيان ، وحتى يتلاءم مع الناسخ والمنسوخ وأجوبة الأسئلة ، وسوى هذا مما لا يتحقق إلا مع التنزيل المفرق . ولقد تم نزول القرآن الحكيم ودون ورتب على النجو الموجود بالمصحف الشريف الآن قبل أن يودع الرسول الدنيا ويلحق بالرفيق الأعلى ولكنه لم يجمع حينذاك فى شىء واحد بل كان مدونا بالجلود والأحجار والرقاق ، والأكتاف وسعف النخل ، وغير ذلك والقليل منه محفوظ بصدور الرجال . ولم يأمر النبى ﷺ بجمعه كله فى شىء واحد قبل وفاته ، لترقبه ورود ناسخ لبعض آياته أو أحكامه ، وعدم توفر ما يستدعيه ذلك من إمكانيات .

ولقد فارق الرسول صلوات الله وسلامه عليه الحياة ، وسبعة من الصحابة الأعلام يحفظون القرآن العظيم كله ، هم : عثمان بن عفان ، وعلى ابن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبى بن كعب ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعرى ، وإن الله القوى القادر قد ضمن الحفظ لهذا الكتاب الكريم ، فألهم الخلفاء الراشدين بعد وداع المصطفى للدنيا ، وهيأ العزيز الحكيم لهؤلاء الخلفاء الوسائل والأسباب والقدرة . لجمع التنزيل الحكيم ، وتدوينه وترتيبه ، على ماأنزل به أمين الوحى . . عليه السلام ، من فوق سبع سموات ، والذى تلقوه عن الصادق الأمين ، وترشد الآثار الواردة فى جمعه وتدوينه وترتيبه إلى أن ذلك قد تم فى ثلاث مرات :

الأولى : فى حياة الرسول الأعظم ﷺ ، ويتجلى ذلك فى ترتيب السور والآيات والتنبيه على كتاب الوحى بوضعها فى أماكنها ، على النحو الحالى الذى أنزله الله تعالى على خير خلقه ، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تقديم ولا تأخير ، وتلقاه الصحابة عن أشرف الورى بهذا الوضع الذى أخذه عن أمين الوحى عن رب العزة جل جلاله ، وهو مدون باللوح المحفوظ على هذا النمط الموحود بمصاحفنا إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه وحده المرجع والمصير .

الثانية : فى خلافة أبى بكر الصديق رضوان الله تعالى عليه ، حين قتل الكثير من القراء فى موقعة اليمامة ، وأشار عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وغيره بجمع القرآن العظيم ، حتى لا يضيع بعضه بموت حفظته . فتردد فى ذلك أول الأمر ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يفعله ، ثم شرح الله تعالى صدر الخليفة الأول لهذا الموضوع ، فأرسل إلى زيد بن ثابت وآخرين من كتاب الوحى ، وأمرهم بجمع القرآن المجيد وتدوينه ، وترتيبه والحصول عليه من صدور الرجال الحافظين ، ومما كتب فيه على الصفة التى تلقوها عن خاتم النبيين وإمام المرسلين ، وبالرغم من أنهم حافظون ومعهم كتاب الوحى المشهود لهم بالدقة والضبط ، فأنهم كانوا لا يكتبون شيئاً منه فى الصحف إلا إذا شهد شاهدان ، بأنها سمعاه من رحمة الله للعالمين ، وبهذه الطريقة القائمة على الدقة والحيطة ، دون

القرآن العظيم وجمع فى المصحف ، وبقيت عند أبى بكر الصديق مدة خلافته ثم نقلت بعد وفاته لعمر بن الخطاب ، وبعد أن فارق الحياة نقلت إلى بنته أم المؤمنين حفصه رضى الله عنها .

الثالثة : فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ففى عهده اختلف الجنود فى قراءة القرآن الكريم بحروب الشام وذلك بسبب اختلاف لهجاتهم ، وانتصر كل منهم للهجته حتى احتكموا للسيف ، فأسرع حذيفة بن اليمان ، إلى الخليفة وقال له يا أمير المؤمنين : أدرك الأمة فى كتابها ، قبل أن **يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، ويحرفوا الكلم عن موضعه** ، فأرسل عثمان بن عفان ، إلى حفصة يطلب منها الصحف التى جمع بها القرآن الحكيم ، فأرسلتها إليه ، وأمر بنسخها بلغة قريش لأنها أرق اللغات ، وأكثرها تهذيباً ، وقد نزل بها من اللوح المحفوظ ، ولما تم ذلك أمر الخليفة باحراق غيرها ، حتى يتحد المسلمون فى كل البقاع على قراءة واحدة ، كما أمر بكتابة عدة مصاحف ، وبعث بها الى الأقاليم والأمصار لمراعاتها ، عند التلاوة والقراءة ، وأبق له مصحفاً بالمدينة المنورة ، وبذلك حفظ القرآن العظيم ، ولم يتطرق إليه أدنى تغيير أو تحريف أو تبديل .

ومن الواجب ترتيله ترتيلا شرعيا ، من غير مبالغة فى ترديد الأصوات وكثرة الترجيعات ، لأن هذا حرام إن زاد عن الحد المألوف ، ومركتبوه قد ضل سعيهم ، وخاب عملهم ، وجهلوا آداب كتابهم ، وغفلوا عن أحكام دينهم ، وبعدوا عن سنة نبيهم ، وطريق الصالحين من أسلافهم ، ونزعوا إلى ما زين لهم الشيطان من أفعالهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ولو أدركوا الحقيقة لعلموا أنهم فى غيهم يترددون ، وفى ضلالهم يعمهون ، وبكتاب الله يتلاعبون ، ولطريق إبليس يسلكون ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . فعلى حامل التنزيل الحكيم أن يكون بعيدا عن الرياء ، متقيا ربه فى السر والعلن ، متأدبا بآداب القرآن الكريم ممتثلا لأحكامه ، مجاهدا لنفسه متمسكا بحميد الصفات ، مبتعدا عن المعاصى والشبهات ، قائما بالمأمورات تاركا للمنهيات ، فاعلا للصالحات والطاعات ، مكثرا من فعل الخيرات حامدا لربه ، شاكرا لنعمه متوكلا عليه ، راغبا إليه ، راجيا رحمته وعفوه ، مستعينا به ومعتصما ، خائفا من ذنبه ، ذاكرا للموت عاملا لما بعده ، تاليا لكتاب الله جهد استطاعته ، حتى لا ينساه فأن نسيانه أو بعضه كبيرة من الكبائر عقابها شديد .

ولزاما على من تفضل الله عليه بحفظ القرآن العظيم : أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ، حتى يصير فى عداد المتقين ، الذين قال فيهم رب العالمين ، بالقرآن المبين ، وهو أصدق القائلين : « **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون** » وأن يعرف بنهاره إذا الناس يستيقظون وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبتواضعه إذا الناس يختالون وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وبعفوه وصفحه إذا الناس يسيئون .

وقد روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة** ، وغشيتهم ، الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » **اللهم اجعل القرآن العظيم** ، ربيع قلوبنا ، ونوراً لنا فى قبورنا ، وثبت به أقدامنا على صراطك ، وثقل به موازيننا ، وصيرنا فى حياتنا من الفائزين وفى آخرتنا من الناجين ، وأدخلنا بفضلك جنات النعيم ، مع الذين أنعمت عليهم ، من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وأنت أنت الله السميع المجيب .

بقية مقال « من أخـــلاق القـــرآن »

كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء لخروج النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح ، وقد قال تعالى فى سورة النساء : « خذوا حذركم » ، وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر ، فيقال : إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر ، وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلمح البصر أو هو أقرب ، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر ، والذى قدر الخير قدره بسبب ، والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا ، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته .

والدعاء فيه ذكر لله ، والذكر يستدعى حضور القلب مع الله ، وهو منتهى العبادات ، ولذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « الدعاء مخ العبادة » .

والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة : فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض ، فالحاجة تحوج إلى الدعاء ، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة ، فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات ، ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب إلى الافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ، ويمنع من نسيانه ، وأما الغنى فسبب للبطر فى غالب الأمور : « كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .

ربنا إنك سميع الدعاء ، ربنا فتقبل منا الدعاء .

قد تكون سعيد الحظ

فتكسب الجائزة الأولى

في سحب يانصيب

دفاتر توفير البريد

جائزة شهريا

٢٣٣

يقدمها

صندوق توفير البريد

الجائزة الأولى: تربح ١٠٠٪ من الرصيد بحد أدنى ٥٠٠ جنيه وبحد أقصى ٥٠٠٠ جنيه.

الجائزتان الثانية والثالثة: تربح ٧٥٪ من الرصيد بحد أدنى ٢٠٠ جنيه وبحد أقصى ١٠٠٠ جنيه.

الجوائز من ٤ إلى ٣٣ تربح ٢٥٪ من الرصيد بحد أدنى ٥٠ جنيه.

الجوائز من ٣٤ إلى ٢٣٣ تربح كل منها ٥ جنيهات.

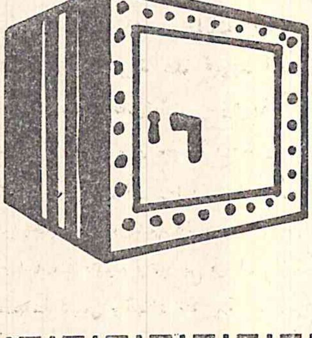

ارفع رصيدك إلى جنيه ليحق لك دخول السحب الشهري بشرط بقاء هذا المبلغ شهرا غير شهر الإيداع ..

يتم السحب بالعقل الالكتروني شهريا

مع تحيات هيئة البريد
العلاقات العامة

ورتل القرآن ترتيلا

فضيلة الشيخ احمد على مرعى

المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها . يعتقدون بأن مصر هى الامام المعلم والمرشد الأمين . والقدوة الصالحة . فى إتقان حفظ القرآن . وحسن إدائه . وجمال قراءته وترتيله ومعرفة تجويده ووجوه قراءاته المتواترة . كما نزل بها أمين الوحى عليه السلام من رب العزة إلى رسول الله ﷺ .

ولا غرابة فى هذا الاعتقاد ولاعجب . ففى مصر ائمة القراءات العارفون . وفيها ثلاث هيئات يفخر ويعتز بها المسلمون عموما والمصريون خصوصا وهى :

١ ـ الأزهر الشريف

٢ ـ شئون القرآن بوزارة الاوقاف

٣ ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

هذه الهيئات . قد احاطت القرآن الكريم بهالة عظيمة من التقديس والاجلال وأفصحت عما بكتاب الله العزيز من النور والروعة والبهاء . وأولته من العناية والرعاية والاكبار . ما تشهد به خدماتها الجليلة للقرآن المجيد . والعناية بحفظه وتجويده ومدارسة قراءاته المتواترة علميا وعمليا .

أما الأزهر الشريف وهو غنى عن التعريف . فجميع طلابه ومدرسيه فى معاهده وكلياته يحفظون القرآن . ويدرس فى معاهده الاعدادية والثانوية علم تجويد القرآن والقراءات السبع .

أما معاهد القراءات الأزهرية فيدرس بها علم التجويد وعلم القراءات المتوترة والشاذة وعلم رسم القرآن (أى الرسم العثمانى) وعلم الفواصل أى رءوس الآى وفى الأزهر لجنة تصحيح المصاحف ومراجعتها من رجال مشهورين من كبار علوم القراءات ورسم المصاحف العثمانية وهم أئمة فى هذا الشأن . تعرض عليها المصاحف المطبوعة بمصر والبلاد العربية فتقوم بتصحيحها . وبعد إصلاحها وسلامتها من الخطأ والتحريف تأذن بنشرها وتداولها

ويوفد الأزهر مدرسين من الحاصلين على شهادة تخصص القراءات إلى الأقطار الاسلامية . لتدريس علم تجويد القرآن . وعلم القراءات وغيرها . وقد رفعوا رأس مصر عاليا لما امتازوا به من غزارة العلم وجودة القراءة والصلاح وحسن الأداء .

اما وزارة الأوقاف ففيها ادارة شئون القرآن . فيها المقارىء وهى جلسات فى جميع المحافظات فى المساجد المشهورة . يتلى فيها كتاب الله تعالى مجودا مرتلا بغاية الضبط والاتقان كما أنزله الله تعالى . ويحضرها للسماع والتعليم رواد كثيرون من كل طبقات الامة وعدد المقارى فى القاهرة وحدها . بقرب من الخمسين مقرأة وبالمساجد حلقات لتحفيظ القرآن الكريم .

وتعمل الوزارة امتحانات فى حفظ القرآن وتجويده وقراءاته ومن ينجح يكلف باحياء ليالى رمضان فى مصر وفى البلاد العربية والأوربية يرتل القرآن بقراءة مجودة مرتلة بصوت حسن وفى هذا إعلام بمكانة مصر القرآنية وتذكير بقوله تعالى « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » وقوله تعالى « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » أما المجلس الأعلى للشئون الاسلامية . فإن الأمين العام لهذا المجلس وهو الأستاذ محمد توفيق عويضة . غيور على سلامة القرآن وخلوه من الخطأ وحريص على نشر الكتب المتعلقة بعلومه وعلى تعليم المسلمين كيفية تلاوته الصحيحة . ونذكر من أعماله على سبيل المثال لا على سبيل الحصر أنه قام بطبع كتاب لطائف الإشارات فى فنون القراءات للامام العلامة القسطلانى وكتاب المحتسب لابن جنى فى توجيه القراءات الشاذة وكتاب تاريخ المصحف الشريف لفضيلة الاستاذ العلامة الشيخ عبد الفتاح القاضى وغيرها .

كما قام بعمل جليل يعتبر أكبر خدمة لكتاب الله تعالى فى حسن قراءته وترتيله فسجل جملة ختمات من الصحف المرتل لأكابر القراء وبيانها

١ ـ ختمة برواية حفص عن عاصم لفضيلة الشيخ محمود خليل الحصرى

٢ ـ ختمة برواية حفص عن عاصم لفضيلة الشيخ مصطفى اسماعيل

٣ ـ ختمة برواية حفص عن عاصم لفضيلة الشيخ محمد صديق المنشاوى

٤ ـ ختمة برواية حفص عن عاصم لفضيلة الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد

٥ ـ المصحف المجود برواية حفص عن عاصم لأربعة من مشاهير القراء

٦ ـ المصحف المرتل برواية ورش عن الامام نافع للشيخ محمود خليل الحصرى

٧ ـ المصحف المرتل برواية قالون عن الامام نافع للشيخ محمود خليل الحصرى

8 ـ المصحف المرتل برواية دورى عن الامام ابى عمرو البصرى للشيخ محمود خليل الحصرى

٩ ـ المصحف المرتل برواية حفص عن الامام عاصم « المصحف المعلم للشيخ محمود خليل الحصرى »

وسجلت هذه الختمات تحت إشراف وسماع لجان من أكابر علماء القراءات بمصر وهذه الختمات تعلم المسلمين حسن اداء قراءة القرآن الكريم على الكيفية التى نزل بها القرآن من المولى جل وعز الى جبريل عليه السلام الى الرسول ﷺ ثم الى الصحابة والتابعين حتى وصلت الينا بالتواتر والحمد لله

نصيحة إلى قراء القرآن

يقول الرسول ﷺ « الدين النصحية لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » يجب على قارىء القرآن سواء كان إماما للمصلين.

أو قارئا فى الإذاعة. أو المحافل أن يحافظ على سمعة مصر القرآنية ولا يسىء اليها. وان يلتزم بضبط القراءة. وحسن أدائها. ومراعاة قواعد التجويد. وان يتصور عند قراءته للقرآن أنه يحرك لسانه بعين ما كان ينطق به الرسول ﷺ من الكلمات والآيات القرآنية. مستحضرا عظمة ربه فيتلو بخشوع وخضوع. فالقراءة سنة متبعة.

والخروج بها عما رسم لها من علم التجويد محرم شرعا ولا يخرج عن الصواب طمعا فى مال أو سعيا للشهرة. فالرسول ﷺ يقول « من قرأ القرآن واستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار ؟ رواه الترمذى وابن ماجة والامام أحمد ويقول « القرآن غنى لا فقر معه. ولا غنى دونه » ويقول ﷺ (من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى اعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه) رواه الترمذى.

ويلاحظ أن يكون تحسين الصوت فى الحدود المرسومة فى علم التجويد المأثورة عن النبى ﷺ التى مازال يرويها ويلقنها ائمة القراءات فى كل عصر ومصر لحفاظ (القرآن لا يرضون عنها بديلا. إجلالا لكلام الله تعالى وصونا له من الخطأ والتحريف

والمحافظة على حسن الأداء أمانة أودعها الله عباده المخلصين. وأقامهم عليها حراسا الى يوم الدين فإذا جاوزه التطريب حدود التجويد صارت القراءة كالاغانى وهذا محرم بالاجماع

ومن المبتدعات المحرمة أن بعض القراء يقرأ أول السورة ثم ينتقل الى وسطها أو آخرها أو سورة غيرها ولا تناسب بين الآيات ويظهر أن الحامل هو عدم اسماع الحاضرين ايات التحريف والعقاب بعد آيات الترغيب والثواب يخشى الناس ولا يخشى الله ويرضيهم بما يغضب الله وقد روى الترمذى أن النبى ﷺ مر بصحابى يقرأ بهذه الطريقة فقال اه ﷺ « **إذا قرأت السورة فأنفذها** »

فالقرآن يتلى بترتيب الله لا بترتيب العباد قال الامام ابن سيرين (تأليف الله خير من تأليفكم) وقال الامام البيهقى (إن هذا التأليف لكتاب الله تعالى مأخوذ من النبى ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة)

ومن المبتدعات ما سمعته فى الاذاعة أن بعض القراء قرأ أول سورة العلق فقال « اقرأ » ثم يسكت ثم يقول « اقرأ » ثم يسكت ثم يبدأ باسم ربك الذى خلق وهذا فيه ما فيه من الاخلال بنظم القرآن وابتداع شىء لم يفعله الرسول ﷺ ولم ينزل من عند المولى هكذا وإن شاء الله فى حديث آخر أذكر بقية المبتدعات التى ابتدعها بعض القراء فى هذا الزمان

فيجب على قارىء القرآن أن يقرأه قراءة سليمة بلا إعوجاج ولا تفريط فالخروج بها عن الصواب يسىء الى مكانة مصر القرآنية. وأن يضبط قواعد التجويد المقررة وأحكامه المحررة يفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة. فإن تعلم أحكام التجويد والعمل بها فى الدنيا أيسر من عقوبته عليها يوم القيامة فإن امر الحساب عسير والناقد بصير. فحافظ على تلاوة القرآن على الوجه المتلق من حضرة خير الأنام نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القرآن الذين قال فيهم رسول الله ﷺ (**إن لله أهلين من الناس، أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**) **رواه الامام احمد فى مسنده وابن ماجه والحاكم**

والله سبحانه وتعالى أعلم ؟

التشريع الإسلامي

توزيع الأرض على المحرومين

الدكتور احمد الحوفى

ثم افتتح المسلمون الأندلس ، فسلكوا فى تقسيم الأرض مسلكا آخر غير الذى استنه عمر فى أرض العراق والشام ومصر ، وذلك أنهم وزعوها على الفلاحين الذين طال عليهم الأمر وهم محرومون من التملك قبل الفتح الإسلامى (فانقذوا ـ كما قال روزى ـ الأرقاء الكادحين من الاستعباد والظلم ، وحرروهم من سلطان الإقطاعيين المستبدين الذين كانوا يمتلكون الأرض وعبيدها .

وبهذا كان الفتح الإسلامى نعمة ، لأنه حقق ثورة اجتماعية عظيمة الأثر ، وأزال الآلام التى كانت إسبانيا ترزح تحتها منذ قرون ، وكفل للطبقات الدنيا من المسيحيين عبيد الأرض أن يمتلكوا الأرض المصادرة ، فكانت الملكية الصغيرة مصدرا للسعادة ، وسببا لازدهار الزراعة ، وصار الملاك الجدد الأحرار يعملون بحماسة ، وينتجون أفضل المحصولات .

ومن هذا يتبين أن الدولة الإسلامية كانت تتبع نظامين :

أحدهما نقل الملكية إلى الدولة ، مع بقاء الأرض بأيدى زراعها ، كما حدث بالعراق والشام ومصر .

والآخر تقسيمها إلى ملكيات صغار ، وتمليكها للفلاحين ، كما حدث فى الأندلس .

وحينا نمعن النظر فى هذا النظام أو ذاك نجد قضاء على الإقطاع ، ومقاومة لتكويس الثراء ، ونجد العدالة السمحة والسماحة العادلة فى توزيع المال على الناس .

(٣) الميراث

أما النظام الحكيم الدقيق العادل الذى شرعه الإسلام للميراث فإنه كفيل بعدالة توزيع الثروة ، لأنه يقضى على بقائها فى يد واحدة كالنظام الإنجليزى الذى يختص الولد الأكبر بالتركة كلها ، ولأنه يجزئها وينقلها من يد إلى أيد كثيرة ، ويوسع دائرة الانتفاع بها .

على أن التركة المقسمة لاتلبث أن تقسم أجزاؤها مرة بعد مرة ، حتى إن الشخص إذا لم يجتهد ليكسب لنفسه ثروة يصير فيا بعد من المعدمين .

ولم يجز الإسلام الوصية لوارث بما يزيد على نصابه المفروض ، كما أنه لم يجز الوصية لغير الوارث بأكثر من ثلث التركة .

وإن عدالة الإسلام لتتضح حينا نقارن بينه وبين بعض القوانين التى تبيح للمالك أن يوصى بتركته كلها لمن يشاء .

وذلك أن الوارث يكفيه نصيبه ، فلا يصح أن يتميز بشىء زائد على غيره من الورثة .

أما غير الوارث فحسبه أن ينال ثلث التركة ، وهو كما قال رسول الله ﷺ لسعد ابن أبى وقاص : كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس .

(ثالثا)
تحريم بعض المال

لاشك أن المال دعامة من دعائم الحياة ووسيلة إلى تحقيق المنافع للفرد وللمجتمع ، لهذا أطلق القرآن الكريم عليه كلمة الخير فى قوله تعالى : « **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف** » وجعل الانسان خليفة لله تعالى على هذا المال فقال سبحانه « **آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » وقال ﷺ : **نعم المال الصالح للرجل الصالح** . فن المحتم فى حكم الاسلام أن يجىء هذا المال من طرق مشروعة ، وأن ينفق فى طرق مباحة .

وهذه المامة ببعض وسائل الكسب التى حرمها الإسلام ، لأنها قائمة على الظلم بمعناه العام ، ولا تتصل بعدالة توزيع الثروة بسبب من الأسباب :

(١) الربا

أشرق الإسلام والناس على طبقات متفاوتات فى الغنى والفقر ، والربا فاش بينهم ، ووسيلة سهلة للثراء الظالم ، فألغى الإسلام الربا ، وأقام علاقات الناس على الإخاء والتراحم والتعاون والخير ، وشدد النكير على آكلى الربا ، وتوعدهم إن لم ينتهوا عنه .

والذى يتأمل فى الآيات القرآنية التى حرمت الربا يجد الفرق عظيما بين شرور الربا وخيرات الصدقات والقرض الحسن ، وبين صور الجشع والاستغلال الكريه وصور الإخاء والتراحم والمودة .

وقد تدرج القرآن الكريم فى تحريم الربا وإلغاء وإنذار آكليه بالعقاب ، فبين النص الأول أن الربا لاخير فيه ، وليس له عند الله ثواب ، بل الخير والثواب للزكاة ، قال تعالى :

« فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون . وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون .

ثم بين النص الثانى بعض جرائم اليهود التى عاقبهم الله عليها ، ومنها أكلهم الربا بعد أن نهاهم الله عنه ، فقال تعالى : « **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما** » سورة النساء ـ ١٦٠ ـ ١٦١

ثم نهى القرآن الكريم عن أكل الربا ، وعقب على النهى بالأمر بتقوى الله أملا فى الفوز برضاه ، فقال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون** » سورة آل عمران

ولم يقتصر القرآن الكريم على هذا ، بل وصف الذين يأكلون الربا أشنع وصف ، ورد عليهم ادعاءهم ان الربا مثل البيع ، فقال إنه أحل البيع وحرم الربا ، وتوعد الذين يصرون على الربا بنار جهنم ، وأنذر مال الربا بالتلف ، وبشر مال الزكاة بالنماء ، ثم توعد الذين يأكلون الربا بحرب من الله ورسوله ، وشرع لهم النظام العادل فى الخلاص من الربا ، وهو أن يستردوا رءوس اموالهم فلا يظلمون ولا يظلمون .

ولا شك ان حرص القرآن الكريم على سمو الأخلاق وسماحة النفوس وصفاء العلاقات بين الناس والإخاء الذى يصل بعضهم ببعض ، يتجلى فى دعوته أصحاب

(البقية ص ٥٥)

فى أصول الفقه

المصلحة والمصلحة المرسلة

الدكتور محمد سعاد جلال

١ ـ معنى المصلحة فى الشريعة :

أصل الشريعة الذى تبنى عليه قواعدها الكلية وأحكامها الجزئية ، إنما هو رعاية المصالح الراجعة لخدمة العباد ، وتقرير استقامة حياتهم واستتباب معايشهم فى الحياة الدنيا ، والظفر بالنجاة والنعيم فى الحياة الأخرى : ليس لله من ذلك غرض يعود لذاته ، فإن الله غنى عن العباد ، كيف وهو خالقهم ؟ ولأنه لو كان مستغرضاً لذاته ، دون عود الغرض من فعله اليهم . لكان محتاجاً لهذا الغرض الباعث له على الفعل ، ولو كان محتاجاً لغرض من الأغراض ، لكان النقص عليه محال : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فيثبت ـ اذن أن وضع الشريعة من قبل الشارع لاغرض له منه إلا مصلحة العباد الذين وضعت الشريعة لهم إنفاذ المقتضى أسمائه فى خلقه من الحكمة فى إقامتهم والرحمة بهم والاحسان إليهم .

وأنه لا يحتمل أن يكون فيها حكم يضاد مصلحة العباد على القطع . ولو جاز أن يكون فيها حكم من هذا القبيل لم يكن منها بل يعد دخيلاً عليها بإجتهاد خطأ لم يصححه المجتهد ، لأنه حيث تمحض وضع الشريعة لمصلحة الخلق على القطع استحال أن يكون فيها بحسب الحقيقة حكم مضاد لمصلحة المكلفين ، ولزم أن تكون جميع أحكامها فى مصلحتهم .

والمراد بالمصلحة جلب المنفعة ودفع المضرة .

ومعنى المنفعة هو اللذة أو ما كان طريقاً إليها ، ومعنى المضرة هو الألم أو ما كان طريقاً إليه ، كما قال « الرازى » .

وأما المعنى المباشر للذة والألم فهو معروف يجده كل إنسان من نفسه عند ملابسة أسبابه .

وأما ما كان طريقاً إلى اللذة ، فقد تكون لذة كلذة الكسب الحلال التى تقضى إلى لذة التمتع بالطيبات ، وما كان طريقاً إلى ألم فقد يكون ألماً ـ كألم معاناة الحرابه ، والسرقة ، الغصب المفضى إلى ألم أصحابه ، بقتلهم والقبض عليهم قبل إتمام جرائمهم واحتمال لذتهم بثمارها ، فما كان من هذا القبيل فالتمثيل به ، ظاهر . وقد يكون ألماً يفضى إلى لذة . فلا يعد فى هذه الحال ألماً على الحقيقة ، بل يعد ملحقاً باللذة . باعتبار مآله ، وآخذا حكمها فى نظر الشرع ـ وهذا ما نعنى الآن بيانه ولعله المقصود المباشر للرازى من كلامه ـ ذلك أن بعض التكاليف الشرعية تتضمن قدرا من المشقات والآلام بتعب الجسم أو ذهاب بعض المال ، كالحج ، والصوم ، والزكاة ، والجهاد ، فإن فى هذه التكاليف من الآلام الجسدية والنفسية والحجر على النفس أو الذهاب بها مذهب المخاطرة ، ما هو معلوم ، لكنها طريق إلى لذات أعظم من الشعور بالقيام بواجب شكر المنعم ، والدخول فى مرضاه ، والاقتدار على قهر النفس وسوقها فى طريق الحكمة والنعمة ، واستطلاع المجتمع يبث الضمان والأمن فيه ، واقامة المحبة والأخاء بين أفراده ، وحماية الوطن تجاه أعدائه المهاجمين عليه ، أو المتربصين به من استذلال أهله ونهب خيراته ، والاستئثار بثمرات أرضه ، واستغلال طاقته مما يعود على كل فرد فى نفسه أو ولده الذى هو جزء منه باللذة الحقيقية . التى ترجح فى مقدارها الآلام التى كانت طريقاً إليها فهو من هذه الجهة يعد منفعة ومصلحة يتجه إلى تقديرها وضع الشريعة .

كما أن بعض اللذائذ تكون طريقاً إلى الألم فيأخذ حكمها فى نظر الشرع وتعتبر فى عداد اللذائذ المرفوضة المضادة للمصالح المعتبرة . وذلك كلذة الحصول على المال المأخوذ بالرشوة أو الاختلاس المؤدى بصاحبه إلى ألم العقاب . وسقوط الاحترام فى المجتمعات السوية ،

ولذة اغتصاب الأعراض المؤدى بفاعله لمثل ذلك، فذلك معدود من قبيل الآلام فى نظر الشرع - لأنه - وان كان لذة فى ذاته - لكنه طريق الألم فهو من أجل ذلك ألم ومضرة مضاد لتقرير المصلحة الذى بنيت عليه الشريعة.

ثم ان النظر إلى الأحوال التى يتعامل بها الناس مع أسباب الحياة واستقرار الظواهر الاجتماعية دال على المصلحة أو المفسدة لا تقع فى الوجود متمحضة بنفسها قط، بل لابد أن يشتمل كل منها على شائبة من ضدها فتشتمل المصلحة على بعض المفسدة مقدمة لها أو متقدمة بها أو لاحقة لها كما تشتمل المفسدة على شائبة من المصلحة كذلك مقدمة لها أو مقترنة بها أو لاحقة لها.

انظر إلى الطعام الذى تأكله: انه أعظم المصالح لأن به قيام البنية وحياة الذات: ثم أنظر المشاق والآلام التى يتكلفها المرء فى اكتسابه ثم فى تحضيره، ثم فى قيام الجسم فى هضمه وتمثله، ثم فيما يعقب ذلك من إحتمالات الأمراض الناشئة من تخلف بعض مخلفات الغذاء فى الجسم مما يرى العلماء من أصحاب هذا الشأن أنه فى عاقبة الأمر يكون سبباً فى اختلال الأجهزة، وانحلال البنية.

وانظر إلى خلع الضرس المتآكله، وقطع العضو الفاسد الذى يخشى على الجسم من انتشار فساده فإن ذلك أشد الألم لكن تترتب على ذلك لذة النفس والجسم بالخلاص من تأثير فسادها.

وهكذا - إذا نظرنا فى أفراد المصالح والمفاسد الواقعة فى الوجود لم نجد واحدة منها خالصة بنفسها من شوب الأخرى.

فذلك ما أوجد الله عليه الدنيا - امتزاج الخير بالشر، وتداخل المصالح مع المفاسد، فمن رام استخلاص جهة فيها لم يقدر على ذلك، وبرهانه التجربة التامة من جميع الخلائق.

وأصل هذا المعنى الاخبار من الله بوضع أمور الدنيا على قاعدة الابتلاء، والتمحيص للخلائق - كما قال - تعالى «**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**» فلهذا لم يخلص لأحد من الناس جهة خالية من شركة الجهة الأخرى فإن كان الأمر هكذا - فما هو السبيل إلى اعتبار وانضباط المصالح التى بنيت عليها الشريعة؟ أجاب على ذلك الشاطبى فى الموافقات بقوله:

«والمصلحة إذا كانت هى الغالبة عند مناظرتها مع المفسدة فى حكم الاعتبار فهى المقصودة شرعاً، ولتحصيلها وقع الطلب على العباد ليجرى قانونها على أقوم طريق وأهدى سبيل وليكون حصولها أتم وأقرب، وأولى بنيل المقصود على مقتضى العادات الجارية فى الدنيا، فإن تبعتها مفسده أو مشقة فليست هى المقصودة بالنهى عن ذلك الفعل بل المقصود ما غلب، وما سوى ذلك ملغى فى مقتضى النهى كما كانت جهة المفسدة ملغاة فى جانب الأمر»

وهذا معناه فى كلام الشاطبى أنه لما استحال تمحيض المصلحة واستخلاصها بذاتها، واستخلاص المفسدة وتمحيضها بغير تداخل بين الجهتين، اعتبرنا الجهة الغالبة فى الفعل مصلحة كانت أو مفسدة على أنها كل صفته واعتبرنا الجهة المغلوبة معدومة أصلاً. كما صرح هو به فى أثناء كلامه بعد ذلك.

المصلحة المعنية للشارع:

والمعنى الذى يطلق عليه اسم المصلحة ينظر اليه بنظرتين: ينظر إليه من جهة العباد بمقياس المعرفة البشرية، وبباعث الرغبة فى نيل حظوظ النفس، وتحصيل ملاذها على أى وجه اتفق ذلك لهم فى الحياة الدنيا. فهذا النظر لا تتقيد فيه العباد إلا بمدارك عقولهم وحكم تجاربهم فى الاهتداء للمصالح، وقد بينوا حكم هذا النظر عن غرض الشارع فى تقرير المصالح، والمفاسد التى يعنيها، ولا تنضبط معه معانيها، فمن أجل ذلك لم يكن هذا النظر بهذا الطريق للمصلحة، هو المقرر لمعنى المصلحة المقصودة للشارع وهى التى نعنيها بالقول: بأن جلب المصلحة هو مبنى الشريعة.

وينظر إليه من جهة الشرع من حيث أن الشارع وحده هو المستقل بمعرفتها وبضبط حدودها وتمييز معناها، والكشف عنها وسط الركام من المناظر التى تشبهها، وليست منها. فهذا النظر وحده دون النظر الأول هو مناط صحة القول بأن المصلحة هى مبنى الشريعة.

وإنما نذهب هذا المذهب لأمرين:

أولهما: القول بأن الشرع من الوحى، والوحى، معصوم فالشرع المبنى على الوحى فى حقيقته الأساسية معصوم، وإذا كان الشرع فى حقيقته الأساسية معصوماً لزم أن تكون حاكماً على العقل فى تقرير المصالح لأن العقل ليس بمعصوم، آخذاً بخطامه دون الشرود بأنفه إلى مفار الهوى والخطأ - لا مانعا له من الحركة والنظر فيما هو من سبيله، لأن العقل من حجج الله على العباد ويعمل الوحى المعصوم فى رقابته، وسد طريق الانحراف على خطواته:

والثانى: أن الشرع يقدر المصلحة على أساس يختلف اختلافاً بيناً عن المقياس الذى يقدرها به العقل: الشرع يقدر المصلحة على أساس وجود حياتين للعباد: حياتهم فى الدنيا وحياتهم فى الآخرة، وان حياتهم فى الدنيا مرتبطة بحياتهم فى الآخرة، وان مصلحتهم فى الدنيا مرتبطة بمصلحتهم فى الآخرة مقدرة بهذا الارتباط: وان تقدير مصلحة العباد فى الدنيا منظور فيه إلى أنها لا تناقض مصلحتهم فى الآخرة.

أما العقل فإنه لا سبيل له الى معرفة الحياة الآخرة - فهو حين يقدر مصالح الناس إنما يقدرها بناء على المقتضيات المنظورة له فى أمور الدنيا فقط، وهذا الأساس لا يكفى فى تقدير المصلحة والاحاطة بها شرعاً.

وهذا لا يعنى بالضرورة أن يكون حكم العقل فى تقدير المصلحة مخالفاً لحكم الشرع فإن مما يحكم العقل بكونه مصلحة يندرج تحت اسم المصلحة بحكم الشرع، وان اختلف أساس التقدير فى كل منهما.

البشريّة في ظل الشرائع الوضعيّة

الأستاذ عبد العظيم منصور

ان الاسلام حين جاء ، جاء ليختتم جميع الرسالات وليطوى جميع الكتب ليضمها كتاب واحد يبقى بما جاء به من عقائد وعبادات وتشريعات ، ما بقى الزمن وعلى قدر القيام بما جاء به وبلغه آخر الانبياء ، تتحقق العبودية الكاملة لله ، وتدرك البشرية غاية ماتصبو اليه ، ومنتهى ما يحفظ لها أمنها على الدماء والاعراض والعقول والاموال ، فى ظل نظام كامل للدين والدنيا على السواء ، وانطلاقا من هذا المفهوم كان العمل بشريعة الله واجبا مفروضا ، حمله فى الماضى أمناء بررة ، أقاموا أحكامها فى أنفسهم ، وعرضوها على البشرية ، فآمن بها من كتب الله لهم سعادة الدارين واعرض عنها من غلبت عليهم شقوتهم من البشر.

واستمر الاسلام ينير للبشرية طريق الاولى والاخرة ، يحقق لها عزتها وكرامتها كلما استقبلته وتضطرب أمامها السبل وتشتبه عليها معالم الجهات كلما استدبرته وألقت به وراءها ظهريا ، وظلت الامور تترى وتتتابع ، والاحداث يتلو بعضها بعضا ، والبشرية مع انسحاب الاسلام من ضمائر الافراد وواقع الامم والجماعات ، تشهد مزيجا متنافرا من مختلف الانظمة الوضعية والشرائع البشرية تتقبلها مرة ، وتضيق بها الصدور مرات ، ترضاها مرة ، وتتمرد عليها مرات ، تستجيب لما تأتى به أحيانا ، ثم سرعان ما تتخلص من ضغوطها سلما أو عن طريق الثورة فى كثير من الاحيان ، ومع هذا لاتكف تلك الشرائع الوضعية ، عن التتابع ، ولا تتخلف عن الورود ، متمثلة فى صيحات للمطالبة ببعض الحقوق فى بعض البلدان ، يصل صداها الى أخرى ، فسرعان ما يتلقفها فريق من البشر قد خدرته الحياة ، وأخنى عليه الدهر ، فيتخذ منها شعارات أسوة بما يحدث فى بعض البلدان ، وقد تكون تلك الشرائع الوافدة على البشرية وليدة شعارات كالحرية والاخاء والمساواة ، تتجاوز وطن الثورة لتنساح فى غيرة من الاوطان يسبقها قصف المدافع ، ويلازمها التمويه والمكر والخداع الى أن تتمكن الثورة فى أوطان غير أوطانها ، وسرعان ما ينكشف المموهون المخادعون ، فلم تكن تلك الشعارات الا سلسلة من مكائد الشرائع الوضعية ، تخفى وراءها احقادا وضغائن ، وتبطن حقدا ومقتا ، نتاج سنين وقرون ، وهذا ما يعيه ويدركه تاريخ الايمان ، والمؤمنون الحقيقيون بمحمد ﷺ وبالرسالة التى كلفه الله بحملها والدعوة اليها ، هم أكثر ادراكا لطبيعة الصراع بين الكفر والايمان ، بين الحق والطغيان ، لانهم سبق أن علموا من طبيعة الدعوة الى الله مالا يخدعهم بمعرفتها أحد ، ولا يستهويهم بحقيقتها شعار زائف أو حيلة رخيصة ، من حيل الشرائع الوضعية التى تزدحم بها البشرية تلك الشرائع التى يجمعها على اختلافها فلسفة وواقعا جامع واحد ، هو ألا ترى لها مزاحما على مسرح الحياة ، أو قوة عظمى تنتزع منها الزمام ، وتتسلم المجداف ومن هنا يكون التقاؤها ويكون اتفاقها وبكل طاقاتها الظاهرة والمستترة منها ، تمنع بها أى صيحة من صيحات تحرير الانسان يحملها نظام يقوم على العدل ويدافع عنه ، ويستنكر الظلم ويحاول الاتيان عليه والتخلص منه ، ومن هنا أفردت الشرائع الوضعية الاسلام والمسلمين بعداء ليس فوقه عداء واختصت الاسلام والمسلمين بغدر ليس بعده غدر لأن تلك الشرائع ما قامت الا واختنق معها نور الفطرة ، وأظلمت بعجيجها أنوار العقول ، وتعفنت بسيطرتها الضمائر ، لأنها قامت أصلا ، وقد ألقت وراءها حقائق ماجاءت به الأديان ، ومن هنا كان كيدها للاسلام ، وتلك حقيقة واقعة من حقائق الماضى والحاضر وحقائق المستقبل لأن أشياع الشرائع الوضعية عبر القرون والأجيال قد سبق لهم أن أدركوا من تاريخ الاسلام ، ضربات الفطرة التى وجهها للشرائع الوضعية فى الماضى ، فذهبت مع الأمس الدابر ، فلم يعد لها من الحاضر نصيب ، وسيرثى غدا لشرائع الحاضر ، ان استطاع المسلمون الشروع فى اقامة مجتمع انسانى لبنى الانسان ، فى رعاية خالق هذا الانسان وخالق جميع الاكوان ، على أساس ما جاء به الاسلام من أحكام.

وتستمر الشرائع الوضعية فى التتابع والورود ، إلى أن يشهد القرن العشرون نظامين اجتماعيين يختلفان تماما فلسفة وواقعا ، ويملك كل نظام منها من القوى الاقتصادية والسياسية والعسكرية والفكرية ما لاطاقة للكيانات الصغيرة

بمواجهتها، أو الافلات من قبضتها، ولا يوجد اليوم على سطح الكرة الارضية دولة من دول الأرض الا وقد اصابها وحاق بأهلها ما يكرهون من جراء اندفاع كل نظام لتأمين مبادئه ضد خطر مؤكد أو محتمل تلوح بوادره من النظام الآخر أو بصفة عامة من جراء قيام كل نظام بالتمكين لمبادئه وتحقيق مصالحه ولوتنافرت مع حقوق الامم والشعوب فى الحرية والحياة.

ويكفينا أن نشير اجمالا الى ما أصاب البشرية وحل بكثير من دول الارض كنتيجة حتمية لسيطرة الشرائع الوضعية على مقدرات البشرية توج ذلك حربان عالميتان شملتا البشرية فى ماضيها القريب وخلفتا وراءها واقعا أسود مؤلما لازالت البشرية تعانيه فى حاضرها الراهن.

أولا - انقسام العالم الى معسكرين كبيرين يتزعم كل معسكر منها دولة كبرى لها توابع من الدول الأخرى لا تملك من حرية الرأى شيئا الى جانب الدولة الكبرى التى بيدها وحدها حق توجيه التوابع لها داخليا وخارجيا، بما تملكه كل دولة كبرى من براعة سياسية وقوى مادية ورصيد متزايد من القوى العسكرية يفوق أقصى ما يمكن أن يتصوره العقل البشرى، وقدرات على المكر والخداع نتاج قرون شتى يعز كشفها ويستحيل مجابهتها، الامر الذى فرض على الدول التوابع أن تعيش مزوية مطوية وراء حدودها، محرومة من كل حق أمام حقوق غير مشروعة مدعى بها للدولة الكبرى تدعمها قوتها ويحميها سلطانها.

ثانيا - لجوء الدولة الكبرى فى كل معسكر وفق برامج مقررة، وخطط مرسومة الى القوى الصالحة لقيادة الشعوب فى الدول التوابع فتبيدها أو تقصيها أو تشكك فى ولائها واخلاصها، فلا يبقى غير الضعفاء العاجزين، والمترددين المتخاذلين المجردين من البأس والحمية، ويرتبط بذلك لجوء الدولة الكبرى فى كل معسكر الى الدول التوابع تجردها من ملامحها البارزة التى عصمتها فى الماضى ويمكن أن تعصمها فى الحاضر والمستقبل من أن تنمحى فى غمار الغاصبين وخصوصا فيما يتعلق باللغة والدين ليتيسر للدول الكبرى ابتلاعها دفعة واحدة، وصبغها بالصبغة التى تعمل الدولة الكبرى فى كل معسكر من أجل تثبيت أركانها والترويج لا حكامها.

ولقد ترتب على ذلك فعلا أن تم ابتلاع كثير من دول الارض أشتاتا مبعثرة وألغت هذه السياسة فعلا الوجود الحقيق لكثير من دول الأرض وشعوبها، ولن يتيسر لتلك الدول أن تقوم لها قائمة فى الزمن القريب الذى لا يحسب بالعشرات بل بالمئات من السنين.

ثالثا - ان من يتتبع واقع الدول التى تدور فى فلك كل دولة كبرى سواء واقعها السياسى أو الاقتصادى أو الأجتماعى أو الفكرى أو الثقافى يدرك مدى ما أصاب كل دولة تابعة وحل بها، فمن الناحية السياسية خضعت الدولة التابعة اختيارا أو اضطرارا لقبضة الدولة الكبرى تدور فى فلكها وتأتمر بأوامرها مسلوبة الرأى فى السياسة الداخلية والسياسة العالمية على حد سواء. ومن الناحية الاقتصادية كان من نتيجة تشابك اقتصاديات الدول التابعة مع الدولة الكبرى وملكية الاخيرة لكل أسباب التقدم وحرمان التوابع منها، أن حرمت التوابع من ثمرات أعمالها، وانحصر سلطان القوى فى اختطاف ما بيد الضعيف، واحتال القوى العاقل فى سلب ما مع الضعيف الغافل، وتبع ذلك ان استولى على الشعوب المغلوبة على أمرها من ضروب الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب ما أصبحت معه عاجزة عن النظر فى ماضيها، والتخلص من حاضرها، والتطلع الى مستقبلها ومن الناحية الاجتماعية أصبحت الدول التابعة بعيدة كل البعد عن ضميرها وعن ماضيها فى التشريع والمعاملات والاخلاق والعادات والتوجيهات ونشأ على أنقاض ذلك واقع مؤلم ممثل فى نمط من العلاقات الاجتماعية من أسوأ ما يمكن تصوره فى حياة الامم والشعوب على مستوى الفرد والاسرة والدولة ومن الناحية الفكرية والثقافية فلعلها تكون أخطر ما تعرضت له الدول التوابع حيث حرصت الدول الكبرى عن طريق الغزو الفكرى فى كل ميادينه المختلفة - وحقوله الواسعة معززا بالشحنات العاطفية المستمرة تغذى هذا الفكر وتنميه وتقويه، على إبعاد الدول التوابع عن مناهلها الفكرية والثقافية، مع المحاولات المستمرة لوأد هذا الفكر وطمس معالمه باعتباره المصدر الاصيل الكفيل لو أدركته الدول التوابع واهتدت اليه، تمردت على الأفكار المستوردة المسمومة والثقافات الغربية المقوتة، ولذلك تعمد الانظمة التى تقتسم البشرية وقد نجحت فيما عمدت اليه، فى تسميم ينابيع الفكر الأصيل للدول التوابع.

هذه هى الصورة العامة لما تعيشه كثير من دول الارض التى تمثل كيانات دولية صغيرة مبعثرة ومتناثرة وتمثل هذه الصورة فى الوقت نفسه جزءا من رصيد تجربة النظامين فى عالم الواقع والمحسوسات.

وليس خافيا على أحد أن دول العالم الاسلامى على مستوى البشرية كلها وفى كل ركن من أركانها، قد تحملت ولا زالت تتحمل النصيب الأوفى من تسلط الانظمة والشرائع الوضعية، وتلك حقيقة من حقائق الماضى وحقائق العصر، كما أنه ليس خافيا على أحد - وكما سبق أن أشرت مرارا - الى أن المنهج الالهى هو فى نظر النظامين الوضعيين، يشكل الخطر الاكبر عليهما لو فهمه المسلمون على حقيقته، وأدركوا هدفه وغايته، ووجهوه وجهته، وهذا الاعتبار هو ما يحرص المخالفون على اقتلاع جذوره من ضمير الفرد المسلم ومن واقع الجماعات الاسلامية، ومن ثم تحركت الشرائع البشرية لتغزو المناطق العربية الاسلامية تحت دعاوى مختلفة ظاهرة ومستترة ظاهرها فيه الرحمة بدعوى المساعدة على التحرر، وباطنها من قبله العذاب وهى الرغبة الجامحة الغلابة فى وأد الولاء الذى يضمره المسلمون لمنهج ربهم، ولم يسبق لهم حتى فى أوقات ضعفهم، أن تنكروا لاحكامه عن قصد أو تمردوا عليه عن رغبة صادقة فى هذا التمرد، اللهم الا فئات متناثرة هنا وهناك على الأرض الاسلامية وخصوصا من طبقة المثقفين المصابة بعقدة الشعور بالذنب، استهوتها الفلسفات المحرفة، وتيارات الالحاد الجارفة، والمبادىء والنظريات الزائفة، التى جاد بها القرن العشرون، ووليدة هذا القرن، كما أنها جاءت وليدة النقمة والرغبة فى اشباع شهوة الحقد والحسد والكراهية وتدور تلك الفلسفات المحرفة والمبادىء والنظريات الزائفة، حول ذلك المحور المادى الخطير الذى تدور حوله رحى الصراع فى القرن العشرين فأصبح هذا المحور يمثل مذهبا عقائديا ينادى أنصاره ومشايعوه بعالميته وأنه لا قيام لهذا المذهب اذا كان هناك دين ووطنية وملكية خاصة وطبقة حاكمة، ومن هنا اعتبر أنصار هذا المذهب والمروجون له أن الدين مخدر للشعوب فحاربوه بقسوة وعنف وشراسة فكان احراق الكتب المقدسة وأماكن العبادة شعار الثائرين، وأن المثل الأخلاقية هى ملجأ الخائرين الجبناء، وأن الملكية الخاصة هى مصدر الشرور والاثام فكانت أول من تلقت الضربات الهائجة المسعورة من دعاة المذهب المادى، وأن الوطن هو حيلة من حيل البورجوازيين للسيطرة والاستغلال، كما اعتبروا الامة مجرد اختراع اصطنعته أذهان الرأسماليين، وأن القانون هو سلاح لاستمرار بؤس الطبقة العاملة وضمان تشديد القبضة، من أجل استغلالها، وهكذا يكيل هذا المذهب الوضعى الاتهامات لكل الأوضاع القائمة على مستوى العالم، ومن ثم فلا بديل أمام أنصار هذا المذهب غير أن يقلبوا النظام القائم فى كل بلدان الأرض رأسا على عقب.

واذا كانت تلك هى الصورة العامة لحقائق هذا المذهب المادى وهو فى دور النظريات والنبوءات، قبل أن يدخل فى دور الوقائع والمحسوسات، التى أثبتت أن كثيرا من الأصول التى قام عليها قد ثبت لدعاته وأدعيائه بطلانها فستمضى السنون سنة تتلوها أخرى وسيبتعد العالم مسافات أخرى عن هذا التيار المادى بنظرياته وأصوله ونبوءاته كلما دخل فى دور التطبيق، وثبت للبشرية بطلانه لأنه ضد طبائع الأشياء، ومنقطع النسب بين العلم والمنطق، وأقرب ما يكون الى الخيال، وأبعد ما يكون عن الحق والحقيقة.

وكل ما يعنينا من تلك النظرة العابرة هو أن أنصار هذا المذهب وقد أرادوا أن تتسع البشرية كلها لمذهبهم، قد لجأوا الى دعوات الاصلاح فى كثير من أمم الأرض فشككوا فيها وسنعوا ما وسعتهم الطاقة ليعطلوها، كما استطاع المسئولون عن هذا النظام استخدام جبروتهم لفرض قبول النظام وهو ما تم فعلا فى كثير من البلدان كما استطاعوا تجنيد الكثيرين من أبناء الدول التى تسلل مذهبهم اليها، عن طريق الغزو الفكرى والشحنات العاطفية والوعود المتكررة التى لا تنقطع بالفردوس المزعوم فى ظل المذهب المادى، عن طريقهم يستطيع أنصار هذا المذهب بمعاونة الفئات التى استمالوها، أن يشحذوا حدة الشقاق الداخلى بين أبناء الدولة الواحدة، بعد أن تكون هذه الفئات قد تنازلت عن ضمائرها وباعت شرفها لمن ليس من مشربها ولا من جنسها وقطعت انتماءها وفقدت ولاءها لمعتقداتها وتراثها وماضيها فيتم تسخيرها فى النهاية لخدمة هذا المذهب المادى الخطير، فتقوم تلك الفئات بالدور المقدر لها فى حماسة لاتقل عن حماسة دعاة المذهب الحقيقيين وتلك الفئات هى أخطر التحديات التى تواجه تحرير الانسان المسلم على وجه الخصوص، ولم ينفع معها، ولن ينفع معها،

الا منطق القوة وسياسة القمع ولبس سحق تلك الفئات الخارجة عن جماعة المسلمين المثيرة للفتن، المحطمة لوحدة المسلمين، ليس ذلك يعتبر جريمة من الجرائم، لأن هناك أشياء كثيرة فى الدنيا يجب أن تسحق بقوة السلاح، وقتل الحية الرقطاء لا يعتبر جريمة بل يعتبر رحمة، وهكذا يجب أن تعامل الفئات التى رفضت منهج ربها، وآثرت الخضوع والانقياد لشرائع بشرية وضعية، فخرجت من مقام العبودية الخاضعة المستسلمة لله، لتزاول عبودية البشر للبشر، فأستعصت على الهدى والايمان، وألفت الكفر والطغيان، فيكون تخليص المجتمعات الاسلامية من معتنق الشرائع الوضعية رحمة لافساح الطريق للطلائع المؤمنة تقيم منهج الله فى الأرض، وتحطم احتشادات القوى البشرية التى تجمعت على الضلال وتأخذ بيد الجموع المخدوعة بالعقائد البشرية الزائفة والفلسفات المخرقة وترفعها من الموقف الدون، وتنقذ الغارقين فى الوحل، اللاصقين بالطين ليحلقوا فى أجواء مشرقة من توحيد الله، وينعموا بمتعة الايمان، ولذة اليقين. من أجل هذا فإن الفئات التى تعيش على أرض الاسلام وقد اختارت لنفسها أن تدين بما جاد به الفكر البشرى وتتنكر وتتصدى للعقائد الالهية، وتجرى حياتها الرخيصة متمسكة ومنقادة لغير ما شرعه الله، تلك الفئات علت منازل أفرادها أو هبطت أوضاعهم، يجب قمعها وسحقها، ولقد سبق أن أشرت الى حديث للنبى ﷺ، يأمرنا فيه بضرب رقاب عينات من البشر مرقت وتمرق من الدين، حتى ولو كانوا مسلمين، لأنهم خوارج يجب قتالهم، وقد أشار الى ذلك الأمام ابن تيمية كما ورد فى الصحيحين عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم فى آخر الزمان حداث الاسنان، سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة».

إن تيارات الإلحاد الجارفة والمبادىء والنظريات الزائفة والوثنية الضالعة قد غزت بقسوة وعنف جميع المجتمعات القائمة فى الارض، وقامت عليها دول من أكبر وأقوى دول الارض، وأخذت تلك التيارات تتسلل ظاهرة ومستترة الى المجتمعات العربية والاسلامية، بل تجاوزت السرية لتتخذ مظهرا علنيا مشاهدا ومحسوسا بل ومدركا معلوما لكل ذى عقل ولب، وتندفع وراء تلك التيارات عينات من البشر ينتسبون الى الاسلام والاسلام منهم برىء، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. ولا شك أن تلك البذرة الخبيثة التى زرعتها الشرائع الوضعية فى الارض الاسلامية ما لم يبادر كل حاكم مسلم بقتلها لانها عاجلا أو آجلا، والعاجل أقرب من الآجل، ستنبت وتترعرع وتقوى وتضرب بجذورها فى الارض، وستنفث سمومها فى كل ميدان من ميادين الفكر والعمل، بطرق زائفة خلابة وأساليب ملتوية ولكنها أخاذة، وستجرى فى عروق المجتمع الاسلامى مجرى الدم فى الجسم، تلوثه وتسممه، ثم يستحيل بعد ذلك استئصال تلك الشجرة الخبيثة الملعونة، أصل الداء، وسبب البلاء، حيث فسدت بذرتها، فلم تصلح شجرتها، ولم تطب ثمرتها «والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه، والذى خبث لا يخرج الا نكدا.»

ومن هنا يجب تخلية المجتمعات الاسلامية تماما من تلك التيارات التى هبت ولا تزال تهب عليها، تلك التيارات المتمثلة فى التصورات الاعتقادية البشرية الملحدة التى قامت على تأليه غير الله، على أن تعتمد عملية الاخلاء على منطق القوة فى أعلى درجاتها، لان تلك التيارات كما سبق أن جربت البشرية لم ينفع مع حامليها والداعين اليها، لين القول، والتبصير بالخير كما لم تنفع معهم أسوار القضبان تقنعهم، ولا ظلمات وغياهب السجون تردعهم، فلم تبق الا حرارة السيف ترديهم، وتريح المجتمعات الاسلامية من شرورهم وآثامهم ومساويهم، كما يجب أن تعتمد عملية الاخلاء على اسقاط كل حساب لما يحتمل الشعور به من حساسية تجاه الشرائع الوضعية والانظمة البشرية التى تتصور وتتوهم أن كل من تستميله أو تجنده وتسخره من أبناء دولة من دول الارض، يدعو لهذا النظام أو ذاك، هم فى حماية النظام الوضعى، لا تملك السلطة فى بلد من البلدان المنكوبة بهذا الصنف من أبنائها الذين فقدوا ولاءهم لارضهم وعقدوه لمن ليس من مشربهم، أن تحاسبهم على افسادهم، وأن تأخذ على أيديهم ان هم اساءوا الى بلدانهم، ان هذا المنطق العصرى الذى تتبناه الانظمة الوضعية التى جعلت من نفسها محاميا عن من ليس من أبنائها، هو منطق يأباه الاسلام وينبغى ألا يكون له وزن فى حساب المسلمين، وألا يكون له قيمة عند محاسبة الحاكم المسلم لكل من فقد ولاءه واخلاصه للمنهج الالهى من أبناء المسلمين أو غير المسلمين الذين يعيشون على أرض الاسلام وفى ديار المسلمين، وما لم يرفض كل حاكم مسلم هذا المنطق فى صراحة وصرامة، فستبقى يده مغلولة، وسلطاته معطلة على من ولاه الله أمرهم، وألقى على كتفيه مسئولية قيادتهم فى أمور دينهم ودنياهم، وستكون النتيجة الحتمية أن يفقد الحاكم المسلم كل يوم مزيدا من قدراته وسلطاته، وستستمر عمليات الترويج للشرائع الوضعية على الارض الاسلامية، وستتزايد عمليات التأثير فى عقلية المسلمين ونفسيتهم، وستتعمق عملية تمويه الحقائق بقدرة المجندين المأجورين من أبناء المسلمين إلى أن يأتى على الناس زمان يتسع فيه الخرق على الراتق، وتعيث الشرائع الوضعية فى الارض الاسلامية فسادا، ثم تبتلعها اشتاتا مبعثرة، فلا تقوم لها بعد ذلك قائمة، ولا يهنأ لها بال، ولا يصلح لها حال. ولعل مشكلة التواجد العقائدى المادى غير الاسلامى على الارض الاسلامية هو من أخطر التحديات التى تواجه تحرير الانسان المسلم، وما لم يقض كل حاكم مسلم على هذا التواجد فى قسوة وعنف، فان الامم الاسلامية ستظل تائهة حائرة فى بيداء المهالك والضلالات، لا تعرف لها وجهة، ولا يستقيم لها طريق.

وإذا كان هذا هو حال البشرية اليوم، وإذا كانت الأنظمة الوضعية التى تقتسم البشرية وتتحكم فى مقدرات الأمم والشعوب لن يهدأ لتلك الأنظمة بال أو يستقر لها حال على قوتها الباغية الطاغية إلا إذا رأت الإسلام وقد أختفى من على مسرح الحياة ورأوا المسلمين صرعى كأعجاز نخل خاوية، باعتبار الإسلام وهو فى حقيقته دعوة الى العدل هو النظام الوحيد الكفيل بانتزاع المجداف من أيدى الانظمه البشرية الأثيمة الخرقاء كما سبق له أن إنتزعه عندما أقبل من قبل الصحراء وفى مدة لا يحسب لها فى عمر الزمن حساب، فإذا كان الأمر كذلك فإن اعتبارات على درجة عالية من الخطورة والأهمية والخطر يجب أن تستقر فى وجدان كل مسلم لا تفارقه ولا يفارقها وأظهر تلك الاعتبارات.

اولا: أنه لا حياة للأمم الإسلامية ولا عزة ولا كرامة ولا تمكين لها فى الأرض إلا فى ظلال الإسلام وتحت رايته الفذة العملاقة وهذا ما أكده عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأمين الأمة أبى عبيدة بن الجراح اذ قال له: «**إنكم كنتم أذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله**». وهذا هو المطلب الغالى والهدف السامى الذى لا يدانيه هدف أو تقترب منه غاية.

ثانيا: يجب أن يدرك المسلمون جميعا أن حل مشاكلنا وإعادة بناء الحياة على أرضنا ومداواة جراحنا وآلامنا، واسترداد ما ضاع من عافيتنا وأرضنا ليس تبعة شرقية ولا التزاما ومسئولية غربية بل هو من صميم أعمالنا لادخل للشرق أو للغرب أولهما مجتمعين فى ذلك وهذا المعنى يجب أن يكون من القوة والصراحة والوضوح ونحن نعيد البناء ونتصدى للمشاكل وتمكن لمنهج ربنا فى الأرض، وأنا على يقين إن أدركنا ذلك واثقين بوعد الله لنا فإن كل شبر من ديار الإسلام على مستوى عالمنا الواسع العريض سيرحل عنه مغتصبوه اختيارا أو اضطرارا تحت وقع أقدام الحق كما أننى على يقين إذا انصرفنا بعزيمة واصرار لإقامة منهج الله فى الأرض فإن تيارات انعكاسية من داخل الأنظمة الوضعية ستتحول إلى رجوم تأتى على تلك الأنظمة من القواعد، لتستقبل الوافد الجديد وهو يحمل لها رسالة الحق والعدل والسلام.

ثالثا: يجب أن يلتزم المسلمون أقصى درجات الحذر داخليا وخارجيا، داخليا مع أشياع الأنظمة الوضعية من المترددين والمتخاذلين والذين فى قلوبهم مرض بحيث لا يكون هنا أدنى تسامح مع هذا الضعف والحيلولة بينهم وبين التسلل إلى المواقع الحساسة المختلفة فى الدولة، وخارجيا يجب التزام الحذر مع الأنظمة الوضعية أنفسها وهى ترفع شعارات الصداقة المزيفة، التى غالبا ما تفرضها تدابير المكر والخداع من أجل إعادة تشديد القبضة والتصاعد بالصدمة.

رابعا: يجب أن يتوافر من أبناء المسلمين صنف يستطيع أن يتعامل مع هذا المجتمع الدولى العنيد، صنف يتذكر ولا ينسى وبدرجة عالية من الوعى والادراك مظالم السنين والأعوام والقرون التى لحقت بالإسلام والمسلمين ولا زالت تنزل وتحل بهم على أيدى الأنظمة الوضعية والفلسفات البشرية

البقية ص ٥٥

خلق الإنسان وآيات الله تعالى فى الأكوان

الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب

يقول الله تعالى، وهو أصدق القائلين « ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين، وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون. واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق »

سمى تعالى الماء النازل من السماء بنتيجته (رزق) وهو احياء الأرض بالانبات بعد الموات « فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون »

وفى هذا القول دلالة على ان المولى سبحانه وتعالى انما يخاطب العقلاء دون غيرهم « لقوم يعقلون » .

والايمان دائما يكون نتيجة التعقل والتدبر « لآيات للمؤمنين »

فاذا ما تعقل الانسان، وتدبر، وتفكر : كان مؤمنا حتما !

« أن فى » خلق « السموات والارض » وما فيهما « لآيات » علامات دالة على وحدانية المولى عز وجل وقدرته « للمؤمنين » .

هذا . وبعد أن ذكر المولى سبحانه وتعالى فى هذه الآيات وفى آيات كثيرة من الكتاب الكريم : وجوب التفكر فى خلق السموات والارض « أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض .... ان فى السموات والارض لآيات » .

بعد ان ذكر المولى ذلك : ذكر ما هو أدنى وأقرب ـ فى الاحساس والفهم ـ من السماء والارض . فقال تعالى « وفى خلقكم » ان فى ذلك الخلق لآية عظمى على وجود المولى وقدرته وعظمته !.

وهل يوجد خلق بغير خالق ؟ أو رزق بغير رازق ؟

« الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ... الى قوله تعالى « هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض »

يقول المولى ـ جل وعلا ـ « أو لم يتفكروا فى أنفسهم »

ويزيد المولى ـ عز وجل ـ فى بيان بيانه فيقول « ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم »

فرتب المولى سبحانه التفكر فى النفس ـ وهى فى متناول الانسان ـ لمسا وحسا وتفكيرا ـ بل هى الانسان نفسه .

وذلك بعد أن طالبه بالتفكير فيما فوقه، وما تحته « السموات والارض » وهما ـ من حيث الادراك ـ مدركان بالنظر واللمس .

وبعد أن طلب المولى تعالى من الانسان التفكير فى نفسه، وفيما فوقه وتحته، طلب منه التفكير فى كيف خلق ابتداء، من ماء وطين، وانتهاء، من ماء مهين ؟ !

وكيف أن هذا الماء يتحول الى علقة، ثم الى مضغة، ثم الى عظام، ثم كيف يكسو هذه العظام لحما، ثم كيف يتحول هذا الماء المهين إلى انسان مبين : يسمع، ويبصر، ويحس، ويشم، وينطق، ويفهم ويعقل !

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون »

فانظر ـ يا رعاك الله ـ كيف قيد المولى هذه المعلومات المفهومات بقوله « لقوم يؤمنون ... لقوم يوقنون ... لقوم يعقلون » .

بمعنى أن مرد الايمان بالله تعالى، ومخلوقاته، ومصنوعاته : هو الاستعداد للايمان بتفتيح الاذهان لما يلقى اليها من دليل وبرهان .

وبذا يكون الانسان مؤمنا موقنا .

ومرد ذلك أن يكون الانسان عاقلا، قابلا لكل ما يلقى اليه من مفهومات : فيتقبل منها ما يعقل، ويدع ما لا يعقل .

وبذلك يكون انسانا كاملا، عاقلا، مستبصرا، مؤمنا، موقنا .

ويكون قد نفى عن نفسه تهمة الكفر، ومظنة الجهل والجنون .

فان الانسان لو تأمل فى نفسه ـ حق التأمل ـ لوجد العجب العجاب :

كيف أنشىء، ابتداء من طين ؟ ثم كيف خلق، انتهاء، من نطفة فى قرار مكين ؟

بل لو تأمل الانسان ـ فى النطفة نفسها ـ وكيف يتخلق منها الجنين الذى لا يتكون الا من اتحاد يتم بين ماء الذكر وبويضة الانثى : وبذلك تتكون خلية يحدث بينها انقسام الى خليتين، ثم يحدث انقسام آخر لكل من الخليتين، ثم آخر للمنقسمتين، وآخر، وآخر، وهكذا دواليك الى ان يصل العدد الى أربعين جيلا من الخلايا .

حتى يزيد مجموع الخلايا ـ التى يتكون منها الانسان الواحد ـ عن سكان الكرة الارضية جميعا : بأكثر من ألف مرة .

وكل خلية ـ من هذه الخلايا ـ تعيش بمعزل عن الاخريات وكل منها بمثابة مصنع مستكمل للانتاج : .

منها ما ينتج الشعر ، ومنها ما ينتج الظفر ، ومنها ما ينتج العظم ، ومنها ما ينتج الدم ، وهكذا ، لكل منها مهنته ومهمته .

ومتى نضجت هذه الخلايا ، واكتمل نموها : تخصص كل منها فى تكوين نوع واحد من الانسجة والاعضاء .

هذا ، وقد أصبح من السهل جدا ـ تحت المجهر ـ التفريق بين الخلايا المكونة للكبد ، والخلايا المكونة للكلى ، بالرغم من أن مهمة العضوين تكاد أن تكون واحدة : هى الاشتراك فى عملية التغييرات الكيميائية فى الجسم .

ومن هذه الخلايا ، ما ينتج الجهاز العصبى الذى يتوقف عليه ارسال الرسائل من الحواس والاعضاء المختلفة الى المخ ، ومن المخ تنتقل الرسائل ـ التى هى بمثابة أوامر وأحكام ـ الى العضل والاطراف التى تتحرك بموجبها ـ تبعا للظروف المحيطة للانسان ـ أو الى الغدد فتفرز سائلا معينا ـ وفقا للحالة التى يجابهها الشخص ـ كالدموع ، واللعاب ، والادرنالين .

مثال ذلك : اذا أبصر انسان لصا بيده خنجر : فان الجهاز العصبى يوجه إشارة الى المخ بذلك الخطر المحدق ، فتتلقى الجوارح من المخ إشارة بما يجب اتباعه .

وقد يشير المخ ـ تبعا للسلوك الشخصى للانسان ـ بالفرار من اللص ، أو الهجوم عليه وانتزاع الخنجر من يده ، أو بمبادرته بطلقة من مسدس ، أو ضربة من عصا ، ونحو ذلك .

على أن الزمن الذى تستغرقه هذه الرسائل ـ الذاهبة والآيبة ـ يدق على أى آلة ، أو أداة ، لا سلكية أو الكترونية .

وفى الوقت ذاته لا يتجاوز جزء من مائة من الثانية .

وعلاقة الحواس بالمخ : علاقة ثابتة ما ثبت الوعى والادراك الذى يتفرع منهما التميز والتصور ، والذاكرة ، والتعليل ، والطموح ، وادراك الهدف .

ولا يخفى ما فى خلقة المخ من أعاجيب وغرائب ، فمن اعجب الاعاجيب ، اختزان المخ للعلوم والمعارف ، والمدارك ، والمحفوظات ، واستخراج ما يراد من ذلك من سجلاتها المرتبة ، المبوبة فى ظرف لا يتجاوز ارتداد الطرف ، بواسطة ذبذبات يعجز اللسان عن وصفها ، ويضيق الجنان عن الاحاطة بها .

هذا وقد دل الفحص المجهرى على أن عدد الخيوط العصبية فى المخ ، يتجاوز عشرة آلاف مليون ، كل واحد منها تدب فيه الحياة وتجرى فيه الدماء ، ويحمل وظيفة عضوية ، يؤديها على أكمل وجه وأحسنه .

وعلى هذا المنوال ، تؤدى اجسامنا ـ بما احتوته من اعضاء ـ وظائفها ، ذات الاهداف المتباينة ، بغير وعى منها ، الامر الذى يدل ـ دلالة قطعية ـ على أن وراء ذلك ارادة عليا : تسيرها وتوجهها .

« فتبارك الله احسن الخالقين » وهو جل شأنه « ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى »

هذا ولو لم يكن فى بديع صنع المولى تعالى بالانسان سوى أن يأكل الطعام ، ويشرب الشراب فى مدخل واحد ، ثم يخرج كلاهما من مخرج منفصل عن الآخر ، لكفى ذلك عجبا !.

وناهيك بما يفعله الجسم بالطعام والشراب حين يهضمها ، ويأخذ أطايبها ، ثم يلقى بنفاياتها بعد أن يستنفد وقوده ، ويأخذ حاجته ويستوعب كفايته « **فتبارك الله أحسن الخالقين** » .

ولو تأملت ـ أيها المؤمن ـ فى حواسك : لوجدت اعجب العجب

انظر ـ مثلا ـ الى حاسة اللمس ، وكيف أنك تستطيع بها الفرق بين الناعم والخشن ، والحار والبارد .

وانظر ايضا الى حاسة الشم ، وكيف تستطيع بواسطتها معرفة ذكى الرائحة من رديئها ، وطيب النكهة من فاسدها .

وانظر ايضا الى حاسة الذوق ، وكيف تستدل بها الى معرفة الحلو والحامض والمر والمز والمالح .

وانظر ايضا الى حاسة البصر وانطباع المرئيات عليه ، وانعكاسها على صفحة المخ ، لتترك أثرها .

وانظر الى حاسة السمع ، وكيف تنقلب المسموعات الى مفهومات ، وانطباع هذه المفهومات فى حافظة المخ لتزودك به وقت حاجتك اليه .

وهكذا كل الاعضاء بما وهبها الله تعالى من مزايا يضيق الخاطر عن حصر فوائدها ومنافعها .

فاذا ما فكر الانسان ، فى خلقة نفسه ، ودقة حواسه ، وتأمل هذه الادوات ، والآلات التى صاغها الخلاق العليم ، وبرأها المدبر الحكيم .

وهل يستطيع الانسان ـ بما أوتى من علم وقدرة ومال ـ أن يستعيض عن احدها ، لو سلبها ، أو أن يردها بعد تلفها أو أن يدرك كنهها ، ويعرف سر تركيبها .

حتما لو تأمل الانسان بعض ذلك لما وسعه الا أن يقول « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

فسبحان القادر القاهر ، المعز المذل ، الرءوف الرحيم ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

القصاص من القاتل فى الدنيا

هل يكفّر عنه ذنب الآخرة ؟

الدكتور محمد جمال الدين عواد

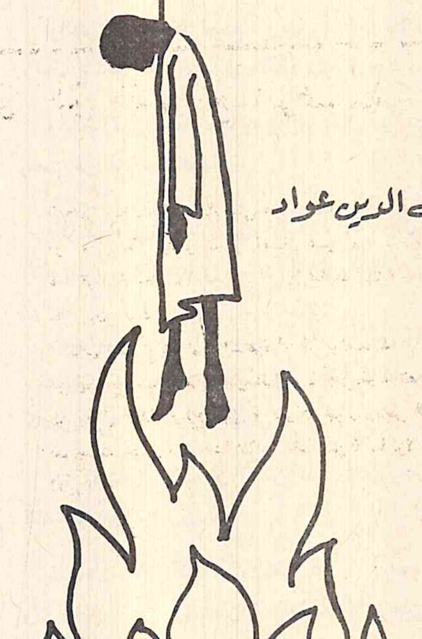

ذهب جمهور العلماء الى انه من اقتص منه فى الدنيا فلا عقاب عليه فى الآخرة ولو لم يتب وأن القصاص منه فى الدنيا كفارة لذنبه وقد استدلوا بما يلى :

أولا : بما روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له ـ ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك (وفى لفظ) .

ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ـ وموطن الاستدلال فى الحديث هو قوله ﷺ ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له وقوله [ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو الى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه] فقد دل الحديث على ان القصاص من القاتل فى الدنيا يكفر عنه الذنب فلا عقاب عليه فى الآخرة ـ وهذا التكفير شامل لذنب القتل لأنه جزاء دنيوى كما هو شامل لأن تكون العقوبة حداً أو تعزيراً وسواء تاب القاتل أو لم يتب ـ هذا ولقد قال المازرى ان قوله ﷺ (فهو الى الله فى الحديث المذكور يستدل به للرد على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب وعلى المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق اذا مات بلا توبة ـ لأن النبى ﷺ أخبرنا بأنه تحت المشيئة ولم يقل لابد أن يعذبه .

ثانيا : من أدلة الجمهور ما رواه الترمذى وصححه الحاكم عن على رضى الله عنه وكرم وجهه ان النبى ﷺ قال (من أصاب ذنبا فعوقب به فى الدنيا فالله أكرم من أن يثنى العقوبة على عبده فى الآخرة وهو عند الطبرانى بإسناد حسن ولفظه [من أصاب ذنبا أقيم عليه ذلك الذنب فهو كفارة له] وللطبرانى عن ابن عمر مرفوعاً [ما عوقب رجل على ذنب الا جعله الله كفارة لما أصاب من ذلك الذنب] فدل ذلك على أن من قتل وأقيم عليه القصاص فى الدنيا فان ذلك مكفر لذنبه فى الآخرة وإن لم يتب ـ وذهب بعض التابعين وهو قول المعتزلة ووافقهم ابن حزم والبغوى وطائفة قليلة من العلماء الى أن القصاص من القاتل فى الدنيا بلا توبة لا يكفر عنه ذنب الآخرة فلابد من التوبة مع القصاص وقد استدلوا بأن قتل القاتل إنما هو أردع لغيره وأما فى الآخرة فالطلب للمقتول قائم لأنه لم يصل اليه حق ـ وقد أجابوا عن أدلة الجمهور السابق ذكرها بأنها محمولة على ما كان حقاً محضاً لله تعالى ـ أما ما كان فيه حق للعبد فاشتراط التوبة لابد منه لرفع العقاب عنه فى الآخرة ـ كما أجاب الجمهور عن أدلة المعتزلة ومن وافقهم بأن قتل القاتل إنما هو لردع غيره بأنه لو كان حد القتل قد شرع للارداع لم يشرع العفو عن القاتل كالحدود فما شرع القصاص من القاتل إلا لردعه وزجر غيره وشفاء قلوب أولياء المجنى عليه وجبر ذنب القاتل ـ كما أجابوا عن قولهم :

ان المقتول لم يصل إليه حق : بأنه قد وصل إليه حق وأى حق فإن المقتول ظلما تكفر ذنوبه بالقتل كما ورد فى الخبر الذى صححه ابن حبان - ان السيف محاء للخطايا وروى الطبرانى عن ابن مسعود قال [إذا جاء القتل محا كل شئ] وللطبرانى أيضاً عن الحسن بن على نحوه : وللبزاز عن عائشة مرفوعاً [لا يمر القتل بذنب إلا محاه] فلولا القتل ما كفرت فقد دلت هذه الأحاديث على تكفير ذنب من قتل قودا عن ارتكابه جناية القتل أو قتل ظلماً عن ذنوبه والذى نراه بعد بسط وجهات النظر فيما تقدم أن القصاص من القاتل فى الدنيا يرفع عنه العقاب فى الآخرة - لما رواه الترمذى وصححه الحاكم عن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال [من أصاب ذنبا فعوقب به فى الدنيا فالله أكرم من ان يثنى العقوبة على عبده فى الآخرة]

وللطبرانى عن ابن عمر مرفوعاً ما عوقب رجل على ذنب إلا جعله الله كفارة لما أصاب من ذلك الذنب

كما أنه من المعلوم أن القاتل قد تعلق به حقان حق الله تعالى وحق العبد - فإذا اقتص منه فى الدنيا صار ذلك جابراً للحقين معاً ويؤيد ذلك ما رواه الطبرانى عن ابن مسعود قال [إذا جاء القتل محا كل شئ]

وعندى أنه لا يتصور خلاف الا فيمن حاول الهرب والتملص من العقاب فقبض عليه وأقتيد منه أما من أقر بذنبه ورجع عن معصية الله تعالى الى طاعته وعما يكرهه الى مايرضاه وأسلم نفسه للعقاب فمثل هذا فى نظرى يعد من التائبين وحينئذ يكون القصاص منه فى الدنيا مطهرا له وواقيا له من عقاب الآخرة لإقراره واعترافه بما اقترف من جرم وبما اكتسب من آثام على أن القاضى عياض قال إن أكثر العلماء يذهبون الى أن الحدود كفارات للذنب وإن لم يتب المحدود ودليلهم على ذلك حديث عبادة ابن الصامت الذى سلف ذكره فيما تقدم والقصاص فى ذلك كالحدود فهو مطهر للقاتل ومكفر لذنبه وإن لم يتب والله سبحانه أسأل أن يجنبنا كل مكروه وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

بقية مقال « توزيع الأرض على المحرومين »

الدين الذى كان بالربا ، واكتفى أصحابه برءوس أموالهم إلى إمهال المعسر حتى يوسر ، وفى تحبيبه لهم التنازل عن هذا الدين ، لأنه حينئذ صدقه على الفقير .

قال تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع ، وحرم الربا . فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف ، وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ، ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم .

« إن الذين أمنو وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون » .

يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين .

فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » سورة البقرة - ٢٧٥ - ٢٨٠

بقية مقال « البشرية فى ظل الشرائع الوضعية »

خامسا : على المسلمين أن يتوقفوا عن منازعة أهل الدنيا دنياهم ، وأن يتوقفوا عن حياة الترف الماجن والبذخ الفاجر وليعلموا أن ما وهبهم الله من ثروات وما أفاء عليهم من نعم ليسوا أحرارا فى إنفاقها سرفا وتبذيرا ، انما هى حق من حقوق الله الخالصه أى حق للجماعة الإسلامية على وجه الأرض كلها . وهذا المعنى الكبير هو ما أشار إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه . **ففى وقعة « جلولاء » بين الفرس والمسلمين قتل المسلمون من الفرس مائة ألف حتى جلل المسلمون وجه الأرض بالقتلى من الفرس وغنموا من الأموال والسلاح والذهب والفضة الشىء الكثير . فلما قدم المسلمون بالغنائم على عمر حلف ألا يجن هذا المال الذى جاءوا به سقف حتى يقسمه .** فبات عبد الله بن أرقم وعبد الرحمن بن عوف يحرسانه فى المسجد ، فلما كان الصباح جاء عمر بعد ما صلى وطلعت الشمس . فلما نظر إلى ياقوته وذهبه الأصفر وفضته البيضاء بكى عمر . فقال له عبد الرحمن ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فو الله إن هذا لموطن شكر . فقال عمر : والله ما ذاك يبكينى ، وتا الله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلا ألقى الله بأسهم بينهم ثم قام فقسم المال بين المسلمين .

فهنيئا لمن يرفع لواء الدعوة الى الله وتعسا لمن يجرى وراء هواه ، وبؤسا لكل من يضيع آخرته من أجل دنياه وما أجل قوله تعالى : « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ، لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار »

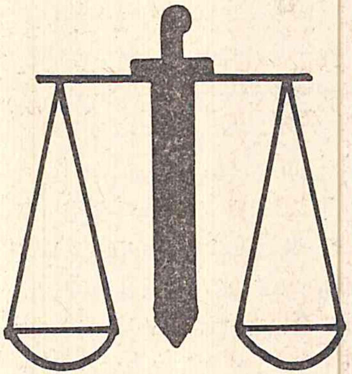

القضاء في الاسلام

نظر الدعوى

الدكتور
محمد عبد المنعم خميس

عند نظر الدعوى بأمر القاضي المدعي ابتداء بالكلام باقامة دعواه . والمدعي هو الذى تجرد قوله عن أصل أو معهود عرفا يصدقه حين دعواه فلذا طلبت منه البينة لتصديقه ـ كطالب دين على آخر أو جناية أو ادعى على غيره بفعل من الأفعال كطلاق أو عتق أو قذف فإن الأصل المعهود عدم ما ذكر وإنما يأمر المدعي اذا علمه ولو بقوله لهما من المدعي منكما ؟ فقال أحدهما أنا وسلم له الاخر . وسيأتي ان المدعى عليه هو من ترجح قوله بأصل أومعهود والا يعلم المدعي منهما بأن قال كل أنا المدعي فالجالب لصاحبه عند القاضي هو الذى يؤمر بالكلام ابتداء لأن الشأن أن الجالب هو الطالب والا يكن جالب بأن جالبه معا أقرع بينهما فمن خرج سهمه بالتقديم قدم وإذا أمر بالكلام فيدعي معلوم محقق من مال أو غيره نحو « لى عليه دينار من قرض أو بيع » واحترز بمعلوم من نحو « لى عليه شيء ـ وبمحقق نحو قوله » فى ظنى أو أظن أن لى عليه كذا » ـ أو بين فى دعوى المال السبب كالقرض والبيع والنكاح والغصب والسرقة . والا يبين السبب سأله الحاكم عنه أى عن السبب وجوبا . والا بأن ادعى بمجهول أو بمعلوم غير محقق أو لم يبين السبب لم تسمع دعواه كالظن ان لى عليه دينارا ـ لعدم تحقق المدعى به . ولو قال أظن ظنا قويا وما يأتى من أن البات يعتمد فى يمينه على الظن القوى فذاك فى اليمين وما هنا فى الدعوى . واذا لم تسمع دعواه لم يطلب من المدعى عليه جواب الا أن ينسى السبب أى يدعى نسيانه فيعذر بذلك وتسمع دعواه فيطلب الجواب من المدعى بخلاف قوله لا أبينه أولا أعرفه أو يتهم المدعى عليه فإن لم يبينه لم تسمع دعواه الا أن يدعى نسيانه أو يتهم المدعى عليه كأظن أنك سرقت لى كذا أو غصبته منى أو فرطت فيه حتى تلف فتسمع دعواه وتوجه اليمين على المتهم على القول المشهور اذا أنكر المتهم فإن قوله أظن فيه ذكر السبب لكن لا على وجه البيان بل الظن فالسرقة مثلا بسبب للمدعى به لكن مظنون لا محقق وجعلنا بيان السبب عن تمام صحة الدعوى هو الراجح ـ وقيل ليس من تمام صحتها ـ وغير المال لا يبين فيه سبب كالطلاق والنكاح وهو ظاهر .

وبعد أن يذكر المدعى دعواه على ما تقدم يأمر القاضي مدعيا عليه وهو من ترجح قوله بمعهود شرعى كالأمانة فإنه عهد شرعا أن ربها مصدق

فى قوله كالوديع وعامل القراض والمساقاه أو أصل كالمدين فإن الأصل عدم الدين. وكذا الحرية فإنها الأصل فإذا ادعى شخص على غيره بأنه رقيق فعليه البيان. والأصل فى معلوم الرق عدم الحرية فإن ادعى العتق فعليه البيان بالجواب متعلق بأمر المقدر أى باقرار أو انكار فإن أقر فله (المدعى) الاشهاد عليه وللحاكم أن غفل تنبيهه عليه بأن يقول العدول اشهدوا بأنه أقر. وان أنكر قال القاضى للمدعى - ألك بينه تشهد لك عليه فإن نفاها بأن قال ليس عندى بينه وللمدعى استحلافه أى طلب حلف المدعى عليه المنكر. هذا اذا ثبتت بينهما خلطة من معاملة أو غيرها. وان لم يثبت بينهما خلطه بدين أو تكرر بيع. وقيل ليس له استحلافه الا اذا أثبت بينهما خلطه بذلك ولو بامرأة وهو ضعيف. فإن حلف المدعى عليه بعد أن طلب المدعى منه اليمين برىء وليس للمدعى عليه بعد ذلك مطالبة عليه. واذا أبرىء فلا بينة تقبل للمدعى بعد ذلك الا لعذر كنسيان لها عند تمكينه المدعى عليه وحلف أن أراد القيام بها أنه نسيها وعدم علم بها قبل تحليفه فله اقامتها وحلف. وكذا إذا ظن أنها لا تشهد له أو أنها ماتت كان حلف المدعى عليه لرد شهادة شاهد أقامه المدعى وكانت الدعوى لا تثبت الا بشاهدين فطلب منه الثانى فقال ليس عنده الا هذا وحلف المدعى عليه يمينا لرد شهادة هذا الشاهد فوجد ثانيا كان نسيه أو لم يعلم به فله أن يقيمه ويضمه للأول. وهذا يعنى - اذا قال القاضى للمدعى حيث أنكر المدعى عليه - ألك بينه ؟ فإن نفاها فقد تقدم وان اقامهـا أعذر إلى المطلوب وهو المدعى عليه بأن يسأله عن عذره بقوله.. أبقيت لك حجه:

أى أن يقول القاضى للمطلوب بعد سماع بينه الطالب - أبقيت لك حجة وعذر فى هذه البينة ؟ فإما أن يقول نعم وإما أن يعجز.

الاستثناء من الأعذار: يستثنى من الأعذار أربعة لأعذار فيهم:

١ - شاهد الاقرار من المطلوب الكائن بمجلس القضاء فلا أعذار فيهم لمشاركة القاضى له فى سماع الاقرار

٢ - مطلوب يخشى منه الضرر على من شهد عليه أو طالبا يخشى منه الضرر على من يخرج بينه فلا اعذار له بل لا تسمى البينة للأول ولا من جرح بينه الثانى.

جرح بينه الثانى.

٣ - مزكى السر وهو من يخبر القاضى سرا بعدالة الشهود وتجريحهم فلا اعذار فيه وليس على الحاكم تسميته بل لو سئل عنه لم يلتفت للسائل

٤ - المبرز فى العدالة أى الفائق فيها لا اعذار فيه بغير عداوة للمشهود عليه أو قرابه للمشهود له واما بها فيعذر فإن قال المدعى عليه نعم لى حجة ومطعن فى هذه البينة أنظره القاضى لبيان الحجة بإقامة البينة بها بالإجتهاد منه فليس للانظار حد معين وإنما هو موكول لاجتهاد الحاكم ثم اذا لم يأت بحجة معتبرة شرعا حكم عليه بمقتضى الدعوى من مال أو غيره كما يحكم اذا نفى حجته وقال لا حجة عندى وعجزه أن حكم بعد انظاره - وسجل تعجيزه فى سجله بأن يكتب فيه - «طلبنا منه حجـة فى البينة وأنظرناه فلم يأت بها فحكمنا عليه» - ولا تقبل له حجة بعد ذلك.

الاستثناء من التعجيز: يستثنى من التعجيز خمس مسائل ليس للقاضى فيها تعجيز:

١ - دعوى الدم - كأن يدعى عليه بأن قتل وليه عمدا وله بينة بذلك فأنظره القاضى ليأتى بها فلم يأت بها فلا يعجزه القاضى فمتى أتى بها حكم بقتل المدعى عليه

٢ - ادعاء العتق - ادعاء الرقيق العتق على سيده المنكر وقال عندى بينة فانظره القاضى فلم يأت بها فلايعجزه بل متى أقامها حكم بعتقه.

٣ - ادعاء الطلاق - ادعاء المرأة الطلاق على زوجها وان لها بينة على ذلك ولم تأت بها فلا يعجزها القاضى فمتى أقامتها حكم بطلاقها

٤ - الحبس يدعيه انسان على الواقف أو واضع اليد المنكر وقال له بينه على وقفة فأنظره الحاكم فلم يأت بها فلا يعجزه فمتى أتى بها حكم بوقفه

٥ - ادعاء النسب - اذا ادعى انسان أنه من ذرية فلان وله بذلك بينة فإن لم يأت بها بعد الانتظار لا يحكم بتعجيزه وهو بان حجته متى أقامها حكم بنسبه

وهذه المستثناة انما هى مفروضة فى كلام الأئمة فى المطالب وأما المطلوب فيعجزه فيها وفى غيرها. وإن لم يجب المدعى عليه باقرار ولا انكار بل سكت حبس وضرب ليجيب ثم ان استمر على عدم الجواب حكم عليه بالحق بلا يمين من المدعى لأن اليمين فرع الجواب وهو لم يجب. وان أنكر المدعى عليه المعاملة من أصلها فقال - لا معامله بينى وبينه فأقيمت عليه البينة بالحق المطلوب فأقام بينه تشهد له بالقضاء لم تقبل بينته بالقضاء بذلك الحق لأن انكاره المعاملة تكذيب لبينته بأصح القضاء بخلاف قوله لا حق لك على فأقام عليه بينته به فأقام هو بينه بالقضاء فتقبل لأنه لم ينكر أصل المعاملة وإنما أنكر الحق المطلوب منه فقط وليس فيه تكذيب لبينة بالقضاء.

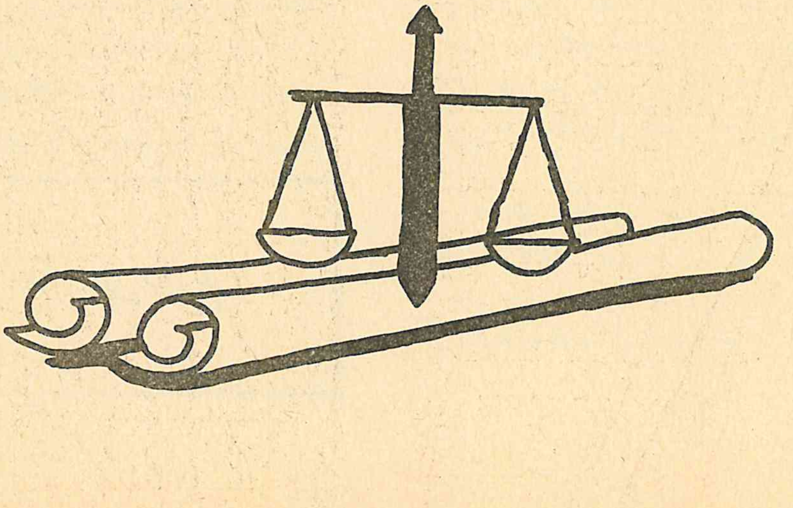

الاجتهاد في الشريعة ومدى حاجتنا إليه

الدكتور عبد العزيز محمد عزام

الاسلام هو خاتمة الرسالات الإلهية من السماء إلى الأرض، ولهذا وجب أن يكون دينا عالميا، ودين الانسانية جميعا لا فرق بين جنس وجنس وأمة وأمة «وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا»: «قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض، لا إله إلا هو..».

وقد كان رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يدرك أنه خاتم الأنبياء والرسل وأنه لا نبى بعده، ولهذا يقول فيما رواه البخارى ومسلم: إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا وجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا أضيفت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

ولهذا كان لا بد أن يكون فى طبيعة رسالته ما يجعلها حقا صالحة للانسانية كلها فى كل جيل وعصر، وألا يترك أمته تتخذ ما تشاء من نظم وقوانين تتحاكم اليها فى تصرفاتها فى شتى نواحى الحياة، بل إنه قد جاء بالنظم والتشريعات التى يقوم عليها المجتمع، ولا يصلح الا بها فى كل زمان ومكان لا فرق بين أمة وأخرى. فالاسلام ليس عقيدة دينية فقط، ولا نظاما أخلاقيا فحسب، بل هو دين ودولة، بكل ما تتسع له كلمة «دولة» من معنى ومدلول. إنه نظام شامل وكامل بلا ريب، فهو يحكم الانسان وتصرفاته فى كل حالاته، فى خاصة نفسه، وفى صلته بالله تعالى، وفى علاقاته العديدة المختلفة بالمجتمع الذى يعيش فيه، وفى علاقات الدولة بالدول الأخرى. إنه ينظم حقا كل هذه الأحوال والعلاقات، وذلك ببيان القواعد والنظم والقوانين التى تهيمن عليها وتحكمها على اختلاف أقسامها.

وكل ما قرره الاسلام فى ذلك من مبادىء وتشريعات ما يتعلق منها بالعقيدة والعبادة، أو يتعلق بالخلق ومنهج التربية، أو يتعلق بالمعاملات العامة، أو يتعلق بالحكم وسياسة الدنيا، أو يتعلق بما يلزم حياة المسلمين الاجتماعية أو المدنية، كل ما قرره الاسلام فى ذلك كله «من مبادىء وتشريعات» فهو دين لازم ليس للانسان بصدده حق الاختيار فى الفعل أو الترك، لأنه دين يجب أن يؤدى كما اراده المشرع سبحانه.

ولهذا لا تستطيع أن تفرق - فى الاسلام - بين ما يمكن أن يسمى دينا فقط أو سياسة فقط حتى يمكن الفصل بينهما. ومن ثم فقد رأينا علماء العقيدة «المتكلمين» يتحدثون عن الإله وصفاته، كما يتحدثون عن الخلافة والرياسة، وقواعد الحكم، وما يجب وما لا يجب أن يكون عليه الحاكم، وكذلك تجد علماء أصول الفقه يتحدثون عن مصادر الشريعة وأصول الأحكام ويتحدثون عن «الخلافة» والحكم وهل هى من الأصول أو من الفروع. واذا جئت إلى الفقهاء وجدتهم يتحدثون عن الطهارة والصلاة والحج. والبيوع والرهن والاجارة... والى جانب ذلك يتحدثون أيضا عن الحكم والقضاء والشهادة، والسياسة الشرعية ومقتضياتها. ثم يجرونك الى الحديث عن تطبيق الأحكام على المسلمين وغيرهم، ويفيضون فى الكلام عن العلاقات بين المسلمين افرادا ودولة. وغير المسلمين، وهل الأصل فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم. السلم أو الحرب. وغير ذلك من مسائل العلاقات الدولية مما يعرف اليوم بالقانون الدولى بقسميه وانك لواجد فى هذه البحوث القيمة من الجدة والطرافة والانسجام مع مقتضيات السلم والحرب، ما لا تجده فى أبحاث المعاصرين من علماء السياسة والدستور.

وبذلك يكون الاسلام قد جاء بما يصلح حقا أن يكون تشريعات كاملة لقيام المجتمع والدولة على أسس قوية سليمة معقولة، ووفية بحاجات أى مجتمع فى أى عصر من العصور. وبذلك أيضا لم تكن الأمة الاسلامية بحاجة الى اقتباس القوانين من أية أمة أخرى. وهذا

على خلاف ما نرى عند اليهود وغيرهم من حاجتهم الى أخذ قوانينهم عن الرومان وغيرهم، وذلك لخلو كتبهم المقدسة من التشريعات الصالحة لبناء أمة ودولة.

الأوضاع الراهنة فى المجتمع المعاصر:

وان من يتأمل حالة البشرية اليوم يدرك تماما أنها تقف على حافة الهاوية بسبب افلاسها فى عالم القيم التى لا يمكن أن تنمو الحياة الانسانية فى ظلالها نموا سليما وترتق رقيا صحيحا، وهذا واضح كل الوضوح فى العالم الغربى، الذى لم يعد لديه ما يقنع ضميره باستحقاقه للوجود بعد ما انتهت «الديمقراطية» فيه الى ما يشبه الافلاس.. **وكذلك الحال فى المعسكر الشرقى نفسه.. فالنظريات الجماعية وفى مقدمتها الماركسية التى اجتذبت فى أول عهدها عددا كبيرا فى الشرق وفى الغرب نفسه - باعتبارها مذهبا يحمل طابع العقيدة قد تراجعت هى الأخرى تراجعا واضحا من ناحية «الفكرة» حتى لتكاد تنحصر الآن فى «الدولة» وأنظمتها، التى تبعد بعدا كبيرا عن أصول المذهب.. وهى على العموم تناهض الفطرة البشرية ومقتضياتها، ولا تنمو الا فى بيئة محطمة: أو بيئة قد ألفت النظام الدكتاتورى فترات طويلة! وحتى فى مثل هذه البيئات قد بدأ يظهر فشلها المادى الاقتصادى - وهو الجانب الذى تقوم عليه وتتبجح به. وبدأت روسيا وهى التى تمثل قمة الأنظمة الجماعية تستورد القمح والمواد الغذائية، وتبيع ما لديها من الذهب لتحصل على الطعام بسبب فشل المزارع الجماعية وفشل النظام الذى يصادم الفطرة البشرية.**

ولقد ادت النهضة العلمية دورها.. هذا الدور الذى بدأ مطلعه مع عصر النهضة فى القرن السادس عشر الميلادى. ووصلت الى ذروتها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ولم تعد تملك رصيدا جديدا.

كذلك ادت «الوطنية» و «القومية» التى برزت فى تلك الفترة والتجمعات الأقليمية عامة دورها خلال هذه القرون.. ولم تعد تملك هى الأخرى رصيدا جديدا ثم فشلت الأنظمة الفردية والأنظمة الجماعية فى نهاية المطاف.

ولقد جاء دور الاسلام. ودور الأمة الاسلامية فى أشد الساعات حرجا وحيرة واضطرابا.. جاء دور الاسلام الذى لا يتنكر للابداع المادى فى الأرض، لانه يعده من وظيفة الانسان الأولى منذ عهد الله اليه بالخلافة فى الأرض، ويعتبره (تحت شروط خاصة) عبادة لله، وتحقيقا لغاية الوجود الانسانى. وهذا حق فالتاريخ لا يعرف أمة من الأمم ترفع من شأن العلم وأهله كأمة الاسلام، هذه الأمة التى حملت الى البشرية رسالة الهدى والعلم وفجرت ينابيع المعرفة. وانسابت جداولها فى أنحاء المعمورة، تمد الانسانية بطرائق البحث، ومناهج التفكير، وتجعل العقل المهتدى البصير معيارا للفضيلة، وتشحذ العزائم لاحراز فضيلة العلم تارة بالاستفهام الانكارى الذى يثير فى النفس طموحها «**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ انما يتذكر اولوا الألباب**..» وتارة باقتران درجات العلم بمكانة الايمان «**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات**» والعلم بمفهومه العام يشمل النظر فى آيات الله الكونية وما أودعه الله فى الكائنات من طاقات هائلة تنبيء عن عظمة الخالق المبدع، وقد أمر الله تعالى بالنظر فى تلك العوالم بحقول المعرفة المختلفة، حتى يسخر المسلم طاقاتها لعمارة الأرض بالايمان، ويجمع الله علوم الفلك، والنبات، وطبقات الأرض، والحيوان، ويجعل ذلك من بواعث خشيته فى قوله تعالى: «**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء**».

وأى جهد يبذله الدارس فى الوصول الى جديد من المعرفة يقربه الى الله زلفى، واذا حسنت نيته واحتسب هذا الاعلاء كلمة الاسلام واعزاز امته فانه يصير قربة يصل بها الى رضا الله ومعرفته، ويحظى بجنته، وتعلو منزلته، ويكون بهذا وريثا للأنبياء «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة**». «**وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع، وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. وان العلماء ورثة الأنبياء، وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»

دور الإسلام فى قيادة البشرية من جديد:

والسؤال الذى يحير عقول الباحثين والمشتغلين بالدراسات الاسلامية وقضايا الاسلام الفكرية هل يمكن للاسلام أن يؤدى دوره، ويقود القافلة وبخاصة فى هذا العصر الذى شهدت البشرية فيه تفوقا خارقا فى الابداع المادى المذهل للدول الأوروبية فى الوقت الذى لا نكاد نرى فيه واقعا عمليا للأمة الاسلامية. هذه الأمة التى انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض وغابت عن الوجود والشهود دهرا طويلا، وقد تولت قيادة البشرية أمم أخرى لها رصيدها الهائل من العلم والثقافة والأنظمة والانتاج المادى وهو فى الواقع رصيد ضخم تقف البشرية على قمته، ولا تفرط فيه ولا فيمن يمثله بسهولة وبخاصة أن ما يسمى بالعالم الاسلامى يكاد يكون عاطلا من كل هذه الزينه ومن ثم فلا بد من اعادة وجود هذه الأمة فتلك هى الخطوة الأولى، ووجودها لن يتحقق ولن يكون الا بشيء واحد يتمثل فى العقيدة والمنهج الذى رسمه الاسلام لأتباعه وسار عليه السلف الصالح، فاستطاعوا به أن يخرجوا العرب من جاهليتهم الغارقة فى الظلام وأن يقفزوا قفزاتهم الهائلة - وعلى غير مثال سابق - الى مركز القيادة العالمية والزعامة الانسانية، دون أن يتوفر لهم ولو أقل ما يمكن من امكانات مادية أو بشرية، وبرزت الى

الوجود خير أمة وأعظم دولة لم ير التاريخ لها شبيها (من مجتمع جاهلى قبلى ، لم يكن يدرى معنى النظام ولا معنى الدولة لا ليحرر أرضه ويصبح سيد أمره ومقرر مصيره فوق ارضة فحسب ، بل وليدك عروش البغى والعدوان فى فارس والروم ، وفى كل بلد هضمت فيه كرامة الانسان ، وحيل بينه وبين ممارسة حقوق آدمية) ثم ان ذلك المجتمع الاسلامى الأول ، استطاع قادته اقامة نظام فريد من نوعه ، محق الظلم وسحق العدوان وازال الطبقية وألغى الفروق ووحد وجمع صفوف البشر . ورسم هدفا انسانيا أعلى ، الشيء الذى اقنع العديد من شعوب الأرض بالانضمام الى صفوف الدعوة الاسلامية والالتفاف حولها وحول رجالها فى حب واعزاز واندفع الموج البشرى فى زحفه المقدس ينشر الضياء ويمزق أغشية الظلام حتى كادت الدعوة تعم الأرض فى ظرف من الزمن جد قصير ، ولم تكن الدعوة فى أول عهدها فى وضع أقوى ولا أفضل منها الآن . . كانت مجهولة مستنكرة من الجاهلية ، وكانت محصورة فى شعاب مكة مطاردة من أصحاب الجاه والسلطان فيها ، وكانت غريبة فى زمانها فى العالم كله . وكانت بها امبراطوريات ضخمة عاتية تنكر كل مبادئها وأهدافها ، ولكنها مع هذا كله كانت قوية كما هى اليوم قوية ، وكما هى غدا قوية . . ان عناصر القوة الحقيقية كافية فى طبيعة هذه العقيدة ذاتها . ومن ثم فهى تملك أن تعمل فى أسوأ الظروف وأشدها حرجا . إنها تكمن فى الحق البسيط الواضح الذى تقوم عليه . وفى تناسقها مع الفطرة التى لا تملك أن تقاوم سلطانها طويلا وفى قدرتها على قيادة البشرية صعدا فى طريق التقدم فى أية مرحلة كانت البشرية من التأخر أو التقدم الاقتصادى والاجتماعى والعلمى والعقلى . . كما أنها تمكن فى صراحتها هذه وهى تواجه الجاهلية بكل قواها المادية فلا تخرم حرفا واحدا من أصولها وانما تصدع بالحق مع اشعار الناس بأنها خير ورحمة وبركة .

ثم نمضى مع التاريخ فى سيره الى عصرنا الحاضر ، حيث تضطر البشرية فى شتى المجالات ، باحثة عن مخلص ينقذها مما تعانى من مشاكل معقدة ، عرف أولها ولم يعرف لها آخر وقد جربت كل الحلول فلم تأت بالنجاعة المنشودة ، الا الحل الاسلامى الذى يجب أن يعرض من جديد ان الأمة الاسلامية قد توانت عن أداء رسالتها ، بل وفقد بعض أفرادها استقلاله الفكرى وثقته بتعاليم دينه وأحكام فقهه ، وتداعى الأعداء والأصدقاء باللوم على الفقه والفقهاء . هذا الفقه الذى انحسر عن كافة وجوه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى لم يبق منه الا رقعة متقلصة فى دائرة حدود الأحوال الشخصية فى معظم البلاد الاسلامية ، وتراجع بهذا الشكل أمام تحديات الحياة المعاصرة وقوى العدو الغربى الغاشم ، حتى وقع كثير ممن تثقفوا بالثقافة الأجنبية فى القول بأن العمل بالفقه مظهر من مظاهر التخلف والاشتغال به مضيعة للوقت وأن الأولى للمسلمين أن يولوا وجوههم نحو الأخذ بالمدنية الحديثة ، وكانت النتيجة الحتمية أن أصبح التشريع الأجنبى الدخيل هو الذى يهيمن الآن على الحياة الشرقية مع منافاته لعادات المسلمين وتقاليدهم ، وكانت الأوضاع الأوروبية هى التى تغزو البيوت والشوارع والمنتديات والمدارس والمعاهد ، وأخذت موجتها تقوى وتتغلب على كل ناحية من النواحى حتى كاد الشرق ينسى دينه وتقاليده ، ويقطع الصلة بين حاضره وماضيه . وقد عجز القوم عن فهم أزمتهم ومعرفة جذورها . وللرد على هؤلاء ومن على شاكلتهم نقول : ان الفقة الاسلامى مثله كمثل الكائن الحى لا ينشأ من فراغ ، ولا يتوقف عن الحركة والنمو فى عصر من العصور أو أن الشأن فيه يكون هكذا ، واذا ما استقرأنا التاريخ والتفتنا إلتفافه الى الوراء ، فاننا نجد أن الفقة الاسلامى قد جاء معبرا عن الظروف الاجتماعية فى الصدر الأول وهو بالطبع كان مجتمعا رعويا زراعيا بسيطا وأن الفقهاء فى هذا العصر قد أدوا دروهم بنجاح فى حدود المهمة التى تطلبها منهم عصرهم وظروفهم التاريخية ، وأنهم استخدموا أسلوب القياس والضرورة والمصلحة وما اليها من أجل مواجهة التطورات التى طرأت على هذا المجتمع .

أما أن يأخذ الخلف بالتقليد ويقفلون باب النظر والاجتهاد ، ويصرون على المتابعة رغم ما يواجهون من تغيير ، وما فرض عليهم من تحديات لا بد لهم من مجابهتها ، والتصدى لها . فهذا هو الخطأ ، وهو خطأ الخلف من المثقفين ، والعلماء المسلمين .

وكان على هؤلاء العلماء والمثقفين أن يدركوا طبيعة التغيير الكيفى وما يتطلبه من دعوة الى منابع الشريعة فى القرآن والسنة لاستخلاص المبادىء والقيم التى تحكم المسلم وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والخلقية فى ظل هذه الظروف والامكانيات المتغيرة .

فمثلا أحكام العقود فى المعاملات فى الفقة التقليدى تقوم فى جوهرها على حرية التعاقد بين العامل ورب العمل أو بين المتعاملين ، وهذا اللون من أحكام التعاقد لا شك يمثل العدل فى مجتمع زراعى بسيط التفاعل ، والانتاج فيه فردى ، والتوازن فيه بين الموارد وعدد السكان القادرين والراغبين فى العمل متناسب .

أما حين ندخل عصر الصناعة الميكانيكية وتخزين المواد ، وحين تتغير وسائل النقل والمواصلات وتتغير منابع الثروة وسبل انتاجها ، ويرتفع عدد السكان لانخفاض عدد الوفيات ويتعقد النظام الاجتماعى والاقتصادى ، فان حرية التعاقد الفردى تصبح فى كثير من الحالات وسيلة لاستغلال القوى للضعيف وسلبه لقمة عيشه وحرية ارادته . لذلك كان لا بد للمفكرين المسلمين من أن يدركوا معنى النظام الاجتماعى والاقتصادى الحديث ، وأن يحدثوا من الفكر والنظم ما يحفظ معنى العدل والاخاء الاسلامى الذى أقام مثاله المشرع رسول الله منذ آخى بين المهاجرين والانصار ، فى مجتمع المدينة المسلم ، وقسم أموال الانصار شطائر بينهم وبين المهاجرين .

وذلك يتطلب من علماء المسلمين التشبث بأذيال الاجتهاد . والانتفاع به ، حسب اقتضاء الظروف . ومتطلبات الزمن ، ومقدرة كل واحد الاجتهادية وحظه من الاجتهاد ، وذلك لايجاد حركة فقهية جديدة ، وبعث روح اسلامية فى كافة العلوم الاسلامية

[هذا وللمقال بقية]

بين العقيدة والأخلاق

الدكتور أحمد عبد الحميد الشاعر

ترى هل ثمة صلة بين العقيدة والأخلاق ؟ وإذا كانت هناك صلة فما هي ؟ وكيف يكون تحقيقها ؟ وما مداها ودليلها . نظريا وعمليا . فكرا وتطبيقا ؟

لبيان ذلك نقول :

ترتبط الأخلاق بالعقيدة ارتباطا وثيق الصلة عميق الجذور . فليست الأخلاق الا الترجمة العملية للعقيدة المستكنة فى باطن النفس الإنسانية . وتوضيح ذلك : أن الأخلاق من حيث هى ملكة نفسية تكون فى غاية التمكن من النفس بحيث يصعب التخلص منها . هذه ناحية .

ومن ناحية أخرى . أن الإنسان لا يمكن أن يعيش بدون عقيدة . على أى لون كانت هذه العقيدة : حقا أو باطلا . لأن التدين أمر فطرى . ومقوم من مقومات الإنسان الذاتية « **فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** » ومدام الأمر كذلك فهو أمكن فى النفس والصق بها من غيره . وأشد تأثيرا فيها وتفاعلا . وعلى ضوء هذا يتضح مدى الترابط بين العوامل النفسية العميقة وخاصة الفطرية منها كما يظهر بوضوح الترابط بين الأخلاق والعقيدة مما يجعلنا نقرر : أن الأخلاق بنت العقيدة . وثمرتها التى تنتج عنها . وبمقدار ما تكون عليه العقيدة من الحق أو الباطل بمقدار ما تكون عليه الأخلاق من الحسن او القبح والخير أو الشر . فإنك لا تجنى من الشوك العنب « **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه . والذى خبث لايخرج إلا نكدا** » ونخلص من ذلك إلى أن الأخلاق تتناسب مع العقيدة تناسبا طرديا .

نماذج عقائدية وأخلاقية

لما كانت العقيدة هى المحرك الأساسى والأول فى حياة الإنسان . ولما كانت الأخلاق ملكة نفسية تنتج عن العقيدة لذلك حينما نتعرف على عقيدة الانسان وأخلاقه فإننا نلجأ إلى التعرف على سلوكه وأسلوب حياته لأن السلوك يمثل الدليل التطبيقى والواقع العملى الذى يكشف عن العوامل النفسية التى تكمن وراء تصرفات الفرد فى واقع حياته .

ومن خلال دراسة ألوان السلوك ومظاهره المختلفة لدى الأفراد نستطيع أن تضع بين أيدينا نماذج مختلفة لما عليه الإنسان من عقيدة وأخلاق . وخير وسيلة للكشف عن هذه النماذج ماجاء به كتاب الله تعالى ذلك لأن الله الخالق يكشف للانسان المخلوق عن ذاته : عقيدة وخلقا . « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » وهو سبحانه « **عليم بذات الصدور** » يعلم السر وأخفى وما يكمن فى باطن الانسان من عوامل نفسية فتشكل عقيدته وأخلاقه . ولقد جاء القرآن الكريم بأصناف ونماذج مختلفة . يجملها تارة ويفصلها تارة أخرى . وعلى سبيل المثال يجمل القرآن فى « **سورة البقرة** » الحديث عن أصناف بشرية عدة إزاء « التوحيد » والايمان بالله تعالى فيتحدث عن هذه الطوائف :

١ ـ المؤمنين الخلص « المتقين »
٢ ـ الكافرين
٣ ـ المنافقين
٤ ـ بنى إسرائيل أى أنه كما يتحدث عن المؤمنين والمشركين يتحدث عن الذين حرفوا رسالته الكريمة . وبعد ذلك يعرض القرآن الكريم بالتفصيل لهذه الطوائف . فيضع لكل منها سورة خاصة مثل : سور « المؤمنون » ، الكافرون ، بنى إسرائيل وتسمى « الاسراء » ، والمنافقون . وبيان هذه النماذج على ضوء ذلك بشىء من التفصيل فيما يأتى :

أولا : المؤمنون الخلص :

هؤلاء هم أصحاب العقيدة السليمة مبدأ وشعارا . أما المبدأ فهو الاسلام وأما الشعار فهو «لاإله إلا الله محمد رسول الله» وهذه العقيدة تجعل من صاحبها إنسانا إنسانيا يراقب الله فى كل شىء . يراقبه سبحانه فى مأكله ومشربه . ومصنعه ومعمله . ومكتبه ومتجره . مثلما يراقبه « سبحانه » فى صلاته وزكاته وصيامه وحجه . ومن ثم تصبح أمور معاشه الدنيوية البحتة عبادة من أرقى العبادات . حيث أتسمت بمراقبة الله على أساس من صدق العهد مع الله والاخلاص فيه ـ ومن هنا تتسم أخلاقه الإنسانية . ويكون سلوكه مصداق عقيدته . طهارة وصفاء . وصدقا وإخلاصا . والقرآن الكريم يعرض لهذا الصنف فى صدر سورة « البقرة » ومسماهم بهذا الاسم الكريم « المتقون » ويقول عنهم سبحانه وتعالى « **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وماأنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** » وواضح من هذا : أن هذا الصنف من البشر يعيش حياته فى ابعاده المختلفة مع الله ومع نفسه ومع الناس على أساس من الصدق والأخلاص .

ثم يعرض القرآن الكريم لهذا الصنف فى كثير من سورة وآياته مثل أواخر سورة « الفرقان » حيث يقول الله تعالى « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما** » هذه عقيدتهم تنعكس فى أخلاقهم وسلوكهم . ويقول الله تعالى عنهم « **والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله إلها آخر . ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفورا رحيما** » ولم يكتف القرآن الكريم بحديثه المتناثر عن هؤلاء بل إنه يضع لهم سورة خاصة تحمل اسمهم الكريم فتسمى « المؤمنون » وفى الحديث عنهم تكون المواصفات والمقومات الأساسية فى أخلاقهم وسلوكهم فى أبعاد حياتهم المختلفة فيقول الله تعالى « **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** »

ثانيا : **المشركون و اللادينيون**

هؤلاء على طرفى نقيض من أصحاب العقيدة السليمة . وهم فقدوا روح الحياة الإنسانية فى الإنسان ، فضلوا طريق الحياة . وتمردوا على الله الذى خلقهم وبيده ناصيتهم . وإذا كان هناك إنسان بلغ به العقوق والتمرد إلى الحد الذى يتنكر به لخالقه . فيعرض عنه . ويتعدى حدوده . ويظن - خطأ - أنه فى غنى عنه . وليس فى حاجة إليه إنسان كهذا ما ينتظر منه فى معاملته لاخيه الانسان ؟ ! إنه من السفه وخبل العقل أن ننتظر منه سوى البغى والطغيان . وكل ما هو لا أنسانى ممقوت . . .

وقد يبدو لنا أن بعض اللادينيين على خلق كريم . ولكن لا يفوتنا . أن هذا الظاهر المزعوم محكوم بدافع نفسى بغط هو « النفعية » التى تدفع الانسان الى التضحية بشرفه وعرضه فى سبيل الاعراض الزائفة . وكثير من هؤلاء لا ينفذ الحق الى قلوبهم . ولا يجد النور إليها سبيلا . ويقول الله تعالى عنهم . « **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى مسمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** » هذا فى سورة البقرة . وعلى الرغم من الحديث عنهم فى كثير من الآيات إلا أن الله تعالى يضع لهم سورة خاصة بهم تسمى « **الكافرون** » يقول الله فيها « **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين** »

ثالثا : المنافقون .

هذه تسمية الخالق سبحانه وتعالى . لهذا الصنف الذى درج على الخداع واستمرأ حياة المراء والعيش فى الظلام . وأخص خصائص هذا الصنف كما أوضح الله تعالى - مكمن فى « الذبذبة » فى العقيدة والأخلاق . فهو غير مستقر فى الايمان الخالص . اذا الشرك الظاهر . وإنما كما قال الله تعالى « **مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء** » أما فى علاقاتهم الاجتماعية فيقول الله فى شأنهم « **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف . ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم . إن المنافقين هم الفاسقون** »

والقرآن الكريم يفضح شأنهم فى كثير من السور ويخصهم بمزيد عناية للكشف عن عواملهم النفسيه البغيضة ، وفى سورة البقرة يعرض لهم مصدرا بالحكم عليهم والطرد من رحمة الله تعالى فيقول « **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا . وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون ، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون** »

ثم يضع القرآن لهم فى سورتين خاصتين بهما تسمى إحداهما الفاضحة كما تسمى المنافقون الكبرى وهى السورة المعروفة باسم سورة التوبة لأنها فضحت شأنهم وكشفت عن أمرهم . ويقول الله فيها « **ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره . إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون . ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون** »

كما يضع القرآن سورة أخرى لهم باسم « المنافقون » ويقرر فيها أن شهاداتهم مردودة ولوكانت حقا فيقول « **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله . والله يعلم إنك لرسوله . والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** » كما يقرر الله تعالى فى هذه السورة أنه الاستغفار لهم مردوده ولو كان من رسول الله ﷺ فيقول « **سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدى القوم الفاسقين** » والحقيقة أن هذا الصنف من البشر كان له دوره الخطير فى حياة الدولة الاسلامية . فى كل عصر حتى الآن . ابتداء من رأس المنافقين « عبد الله بن أبى » إلى « المعوقين » فى بناء « دولة العلم والإيمان » ومن هنا كان الوعيد الإلهى لهم بشدة العذاب والنكال فى الدنيا والآخرة . والطرد من رحمة الله والعياذ بالله

رابعا : شعب الله المختار

هذا النموذج يعرضه القرآن الكريم للأديان الإلهية التى حرفتها أصحابها وشوهوا حقيقتها . ومعالمها . عما أراده الله تعالى . وهو . يمثل وقفة مع اليهود عقيدة وخلقا وقد عرض لهم القرآن فى سورة « البقرة » تذكرا بنعمة الله عليهم قائلا : « **يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به . ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا . واياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون** » ثم يوضح الله تعالى نماذج لتردهم ثم عفوه عنهم واكرامه لهم ومع ذلك يزدادون طغيانا وتمردا فيقول « **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة . وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار . وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء . وإن منها لما يهبط من خشية الله . وما الله بغافل عما تعملون** » . سبحان الله قلوب أشد غلظة وصلابة من الحجارة ومن ثم كان الحكم الإلهى عليهم باللعن . فيقول الله فى سورة « المائدة » « **لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن**

البقية ص ٦٨

الدعوة والدعاة

يشرف على تحرير هذا الباب

منصور الرفاعى عبيد

فـؤاد هـيـبه

على عيسى

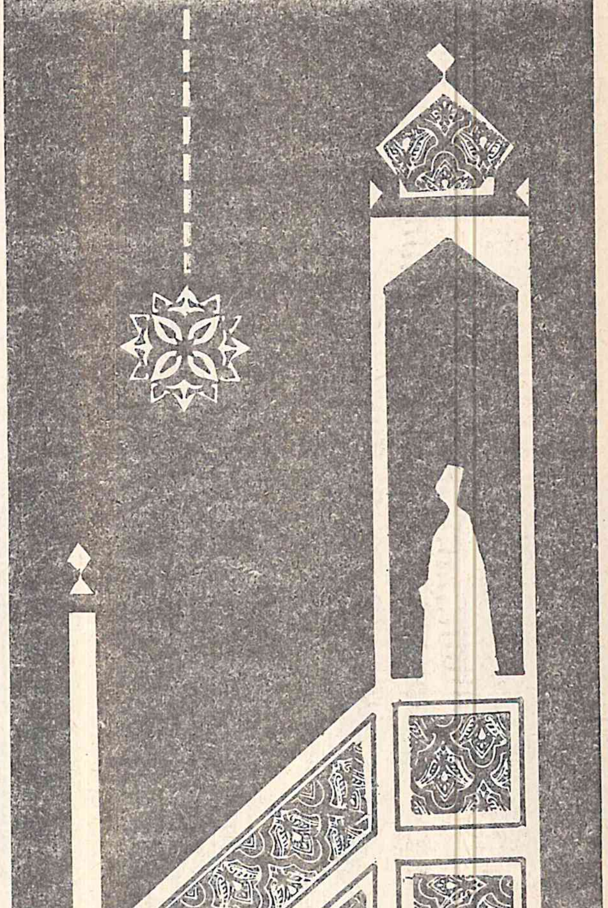

أخى الداعية . كل سنه وأنت طيب شهر رمضان الذى اوله رحمه واوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، والذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان هل علينا هلاله وظهرت ايامه وأشرقت الأرض بنور ربها حيث يتذكر الناس ان الله فرض صيامه علينا كما فرضه على الذين من قبلنا **والصيام هو الامتناع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس والمقصود بالصيام هو تقوية العزيمة وتعويد الانسان على مراقبة الله ويقظة الضمير** والاحساس بالمسئولية وتقويم الاخلاق وتعليم الغنى الرحمة بالفقير هذا مع الصبر وكظم الغيظ مع الترابط الاجتماعى وايجاد جو كله الفة ومحبة واخلاص وتعاون مثمر. ولقد خطب ﷺ المسلمين فى آخر يوم من شعبان فقال لهم كما روى ذلك سلمان الفارسى رضى الله عنه . أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة خير من الف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن ادى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه . وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار . وكان له مثل اجره من غير ان ينقص من أجره شىء قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم فقال رسول الله ﷺ : يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمر أو شربة ماء أو مذقة لبن وهو شهر اوله رحمة واوسطه مغفرة وآخره عتق من النار . من خفف عن مملوكه « خادمه » فيه غفر الله له واعتقه من النار واستكثروا فيه من أربع خصال . خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما . فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان لا إله إلا الله وتستغفرونه

واما الخصلتان اللتان لا غناء لكم عنهما . فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار من سقى صائما سقاه الله من حوضى شربة لايظمأ حتى يدخل الجنة . ومن المعلوم أن من صام رمضان وقام لياليه غفر له ما تقدم من ذنبه وهو شهر العلم والقرآن ولقد كان المسلمون يتخذون ليله لقراءة القرآن الكريم وتفسير معانيه ولأهل القرى فى ليالى رمضان دوى بالقرآن لأنه أفضل ما يتعبد به الإنسان وعلينا ان نعود أطفالنا على الصيام ليشبوا وهم متعودون عليه . فعن الربيع بنت معوذ قالت . ارسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء الى قرى الانصار التى حول المدينة من كان اصبح صائما فليتم صومه ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية يومه فكنا بعد ذلك نصومه ونصومه صبياننا الصغار منهم ونذهب الى المسجد فنجعل لهم اللعب من

حديث إلى الأئمة

العهن فأذا بكى أحدهم من الطعام اعطيناها اياه حتى يكون عند الافطار.

فعلى الداعية أن يحث الناس على التمسك بالأخلاق الكريمة والتحلى بالمبادىء القويمة وأن يذكرهم بما لرمضان من ذكريات عظيمة عبر التاريخ الاسلامى نلخص اهمها فى يأتى. - **تبصرة وذكرى فإن الذكرى تنفع المؤمنين**

١ - انزلت فيه جميع الكتب السماوية اخرج الامام احمد بن حنبل عن وائله بن الاسقع ان رسول الله ﷺ قال أنزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان وأنزلت الزبور على داود لأربع من رمضان وأنزلت التوراة على موسى لست مضين من رمضان وأنزل الانجيل على عيسى لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل القرآن على محمد لاربع وعشرين خلت من رمضان.

٢ - أنتصار المسلمين فى غزوة بدر الكبرى فى السابع عشر منه صبيحة يوم جمعة انتصر المسلمون فى أول معركة حربية وهم قله واعداؤهم كثرة وصدق الله العظيم. « **ولقد نصركم ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون** » وكان ذلك فى السنة الثانية للهجرة.

٣ - فى السنة الثامنة من الهجرة وفى العشرين من رمضان فتح الله مكة لرسوله الأمين ومعه الصحابة الكرام، وارتفع صوت المؤذن من على الكعبة بعد أن طهرت من الاوثان.

٤ - انتصر المسلمون فى غزوة تبوك وكانت فى السنة التاسعة وفى اعقابها قدم وفد ثقيف وتتابعت الوفود على رسول الله ﷺ فى هذا العام وسمى بعام الوفود.

٥ - فى سنة ٩٢ انتصر المسلمون فى الاندلس واقام المسلمون بها حضارة بقيادة موسى بن نصير وعن طريقها عرف الغرب حضارة العرب ونعم بها وكان ذلك فى رمضان.

٦ - فى سنة ٩٨ فتح المسلمون جزيرة رودس وكان ذلك فى رمضان.

٧ - فى رمضان سنة ١٣٢ استولى ابو العباس عبد الله اول الخلفاء العباسيين على دمشق وسقطت الدولة الأموية.

٨ - فى رمضان ٢٥٤ استقلت مصر عن الدولة العباسية ونودى بأحمد بن طولون واليا عليها وصارت مصر دولة ذات سيادة مستقلة.

٩ - فى سنة ٣٦١ أقيمت أول صلاة بالجامع الأزهر فى ليلة القدر.

١٠ - فى رمضان ٥٨٤ استخلص صلاح الدين الأيوبى سوريا من الفرنجة.

١١ - هاجم الفرنجه عكا فى رمضان عام ٥٨٦ ودافع عنها اهلها واستخلصوها.

١٢ - فى رمضان ٦٥٨ هزم الجيش المصرى جيوش التتار فى فلسطين.

١٣ - فى رمضان ٦٦٦ هزم المصريون التتار فى عين جالوت.

١٤ - وفى رمضان ٦٧٢ هزم المصريون جموع التتار مرة أخرى بالقرب من دمشق واسر منهم أكثر من عشرة آلاف.

١٥ - وفى شهر رمضان عام ١٢٤٩م انتصر المسلمون على الصليبيين فى معركة المنصورة واسروا لويس التاسع وسجن بدار ابن لقمان.

١٦ - فى رمضان ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م استطاعت مصر بقيادتها المؤمنة ان تتخطى حواجز اليأس والمرارة وأن تعبر أكبر مانع مائى وتدك خط بارليف وأن تحقق نصرا مبينا.

أخى الداعية: متى أشرقت على الدنيا ليالى رمضان قال الزمن لاهله هذه أيام من أنفسكم لا من أيامى ومن طبيعتكم لا من طبيعتى فيقبل العالم على حالة نفسية بالغة السمو يتعهد فيها النفس برياضتها على معانى الأمور ومكارم الاخلاق ويفهم الانسان الحياة بفهم آخر هى الصفاء والاشراق النفسى فى هذا الشهر محتبسة فى فكرة الخير حيث تتدرب على تقوية الارادة بما يحقق الخير ويوصل فيها معانى الرحمة والحنان - ثم هناك الزكاة التى هى نماء للمال وطهر له وتزكيه للروح ووصل للفقير يعقب ذلك العيد الذى توزع فى يومه جائزة السماء لمن احسن العمل وأخلص النية - وصدق رسول الله ﷺ **اذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا اغدوا يا معشر المسلمين الى ربكم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل لقد امرتم بقيام الليل فقمتم وامرتم بصيام النهار فصمتم واطعتم ربكم فاقبضوا جزاءكم. فاذا صلوا نادى مناد الا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين الى رحالكم فهو يوم الجائزة.** وفقنا الله جميعا لكل خير وهدانا وهدى بنا الى طريق الرشاد وكل عام وانتم جميعا فى أمن وسلام وصحة وعافية. **والسعيد من أغتنم تلك الفرصة مصداقا لقول رسول الله ﷺ ان لربكم فى أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها. الا فتعرضوا لها. الا فتعرضوا لها.**

منهج الإسلام فى تربية الشباب

كرامة الولى

فضيلة الشيخ
منصور الرفاعى عبيد

ان امتنا اليوم تبرز أمامها تحديات : سواء كان ذلك عن طريق المادة وما يحيط بها أو عن طريق التحمس بوعى أو بغير وعى للقوى والسيطرة عليها . وصرف أذهان الناس عن الحقائق الروحية ونحن نريد أن يؤدى انتصار الانسان على المادة وسيطرته عليها الى التقدم والرفاهية دون استغلال الانسان لأخية الانسان أو اذلاله له ويصحب هذا القرب من طريق الدين الصحيح الذى يسمو بالانسان ويبوئه المكانة العالية مرفوع الرأس موفور الكرامة - ان التقدم الحضارى الذى يتخذ المادة أساسا وهدفا وغاية ولا يلتزم بالمنهج الروحى الذى يصله بالله عبادة ويصله بالناس سلوكا واخلاقا ليس درعا واقيا للانسان من سوء المصير لأن ما يشاهده ويراه ما هو الا بريق أخاذ يضىء لبعض الناس فترة زمنية ويعود عليهم حريقا مدمرا وحربا مهلكة ومثلهم فى هذا كمثل الظمآن الذى يمشى فى الصحراء ويخيل اليه أن الماء على مقربة منه فيكد ويكدح حتى اذا جاءه لم يجد شيئا وصدق الله العظيم (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ولقد أشار الحق سبحانه الى تلك الفئة التى عميت بصائرها عن الخير وانطمس معدن الحق فى نفسها وبين الجزاء الذى ينتظرهم فقال سبحانه (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) وما أكثر الظلم الذى يحيق بالانسانية عندما تنغمس فى دنيا المادة أو تعمى بصيرتها عن حقائق الكون الذى تعيش فيه ولا تصل نفسها بالخالق الكبير المتعال :

لا يمكن لنا انجاز كل أمالنا وتحقيق ما تهفو اليه نفوسنا من سعادة ورفاهية وسكون وأمان وسلم ورخاء وحضارة وتقدم الا اذا وصلنا انفسنا بالله وجددنا طاقاتنا الروحية وعمرنا باطننا بالإيمان وطورنا واقعنا بالقيم الاخلاقية الذى كان منهجا لأولياء الله الصالحين فاصطفاهم الله لحضرته وأفاض عليهم من بركاته وفتح لهم مغاليق الكون . وخرق لهم نواميس الطبيعة فأطلقها الناس عليهم كرامة وهى من عند الله منحه للعبد الصالح وعطية من الله الى العبد المؤمن الذى التزم بالتقوى مصداقا لقول رسول الله ﷺ : **اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن . ومن أفاض الله على يديه هذا الخير لقب فى القرآن الكريم بالولى واشتهر بين الناس بالصلاح يقول الحق سبحانة « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » .**

والولى : - هو من تولى الله بالطاعة فتولاه الله بالكرامة : - وهو المواظب على طاعة الله المجتنب للمعاصى يحب للناس ما يحبه لنفسه سليم القلب طاهر اللسان يعيش فى مراقبة دائمة لله وقد عرفهم رسول الله ﷺ عندما سأله أحد الناس من هم أولياء الله - قال هم الذين اذا رءوا ذكر الله . ويقول ابن عباس رضى الله عنه الا اخبركم بخير جلسائكم من ذكركم الله رؤيته وذكركم بالاخرة عمله .

ويقول ايضا : **ثلاث من كن فيه استحق ولاية الله حلم أصيل يدفع به سفه السفيه عن نفسه . وورع صادق يحجزه عن معاصى الله وخلق حسن يدارى به الناس وقال بعض العلماء من غض بصره عن المحارم . وكف نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بالمراقبة وتعود أكل الحلال لم تخطىء فراسته ، وذلك لأن رسول الله ﷺ يقول اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله : وهذا الحديث أصل فى الكشف الذى يقع لكثير من الاولياء تجد الواحد منهم يكاشف الشخص بما حصل** له فى غيبته وكأنه كان حاضرا معه كما حدث أن رجلا قابل امرأة فى الطريق فتأملها ثم دخل على سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال له سيدنا عثمان ما بال أحدكم يدخل علينا وفى عينيه أثر الزنا فقال الرجل : أوحى بعد رسول الله ﷺ يا عثمان قال لا ، ولكنها فراسه المؤمن . ولذا قيل ما معنى الامر باتقاء فراسة المؤمن أجيب بأن المراد تجنبوا فعل المعاصى لئلا يطلع عليها فتنفضحوا .

والولاية ضد العداوة - لان الولى هو من تولاه الله نتيجة حبه لله واخلاصه للناس فالولاية اذا المحبة والاخلاص أما العداوة فهى البغض والحقد والتكبر والانانية :

الاول : هو ولى الله لأنه موافق متبع لما يحبه الله ورسوله . قال عنهم رسول الله ﷺ ان من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله فخبرنا من هم ؟ قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ قول الله تعالى « الا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون » .

ولقد بين الله حقيقتهم وسلوكهم فقال « **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا** » .

ورسول الله ﷺ يزيدهم توضيحا فيقول : قال الله تعالى انما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلق وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتى وقطع نهاره فى ذكرى ولم يبت مصرا على خطيئه يطعم الجائع ويكسو العارى ويرحم الضعيف ويؤوى الغريب . فذاك الذى يضيىء وجهه كما يضيىء نور الشمس يدعونى فألبى ويسألنى فأعطى ويقسم على فأبر قسمه أجعل له فى الجهالة علما وفى الظلمة نورا أكلأه بقوتى واستحفظه ملائكتى : هذا هو الولى الذى يكرمه الله لانه أكرم نفسه وعمر باطنه وهذب سلوكه واخلص فى عمله ومن كان هذا مسلكه وهذه اخلاقه فان الله يحبه ويصطفيه يدافع عنه . « **ان الله يدافع عن الذين أمنوا** » وينصره فى كل مواقفه ويؤيده بروح من عنده « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » ، « **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد** » . وفى الحديث القدسى « **انى لأثأر لأوليائى كما يثأر الليث الحرب** » ، من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله

ومن عاداهم أعلن الله الحرب عليه . ولنعلم أن الله لم يعلن الحرب الا على طائفتين :

١ ـ أكلة الربا من الناس قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بق من الربا ان كنتم مؤمنين ـ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » .

٢ ـ الذى يعادى الأولياء والصالحين من الناس ويسخر منهم ويستهزىء بهم ويسبهم بغير حق ويتكلم فى حقهم بالباطل ويشنع عليهم بالأراجيف الكاذبه قال الله فى الحديث القدسى : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بمثل اداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فأذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه » .

وطريق الاولياء والصالحين مشيد بالكتاب والسنة مبنى على سلوك واخلاق الانبياء والاصفياء ولا يصلح للتصدر فى طريق الله واستحقاق الولاية الا من تبحر فى الشريعة وعلم كتاب الله منطوقا ومفهوما . كما ان الولى لا يأتى بشرع جديد وانما هو فهم جديد لما فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يفاض على قلب الولى مصداق قول الحق : واتقوا الله ويعلمكم الله ، ورسول الله ﷺ يقول احفظ الله ـ يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . اذا سألت فأسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ـ ولن تتحقق الولاية للشخص الا اذا رضى بالله ربا وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا واتبعه فى كل ما جاء به وأحبه حبا أكثر من نفسه وأهله وولده وماله قال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » وقال سبحانه : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » .

ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله لأن أولياء الله هم المتقون الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدور ـ فأحبهم الله وأحبوه ورضى عنهم ورضوا عنه ولهذا خرق لهم العادات اكراما لهم وبيانا لمنزلتهم وقد سمى خرق العادة لهم ـ كرامة ـ والكرامة هى أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد مؤمن صالح غير مقرونة بدعوى النبوة ، والفرق بين المعجزة والكرامة أن المعجزة تقع على يد نبى وهو مأمور باظهارها ـ اما الكرامة فانها تظهر على يد عبد صالح يقطع هو بكرامته ولا يدعيها ولا يدعى النبوة . وتقع الكرامة للاولياء كما قيل :

وأثبتن للاوليا الكرامة　　　　ومن نفاها فانبذن كلامه

لشخص مميز الا بالتقوى ورب اشعث أغبر مدفوع بالابواب لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره . . قال إبن عطاء الله : اعلم أن قدرة الله التى لا يكثر عليها شىء هى التى أظهرت الكرامة فى هذا الولى فلا ينظر إلى ضعف العبد ولكن ينظر الى قدرة الرب لان العبد ما ظهرت عليه الكرامة الا وهى شاهدة بصدق متبوعه فهى بالنسبة الى من ظهرت ببركات متابعته معجزة فلذلك قال كل كرامة لولى فهى معجزة لذلك النبى الذى هذا الولى تابع له فلا ينظر الى التابع ولكن ينظر الى عظم قدر المتبوع . واعلم أنه اذا كانت جميع الخوارق الجارية على أيدى الاولياء من عالم القدرة الجائز فى حقها كل ممكن فلا يبعد ما يذكر من أنواعها واصنافها أنه واقع على يد من شاء الله اكرامه من عباده ومن الكرامات التى ظهرت على أيدى الصالحين ما قصه علينا القرآن الكريم وما جاء عن سيدنا رسول الله ﷺ فى صحيح الاحاديث مما لا يجوز معه الانكار أو الرفض . من ذلك ما حدث لسيدتنا مريم بنت عمران عندما كان يدخل عليها زكريا فيجد فاكهة كثيرة ورزقا رغدا فيسألها من أين لك هذا ولم يدخل عليك أحد فتقول هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب : وقصة نبى الله موسى مع العبد الصالح الذى خرق السفينة وقتل الغلام ورفع الجدار ثم يقول لموسى عليه السلام وما فعلته عن امرى ـ مع أن موسى ملازم له فى غدوه ورواحه ولكن علمه الله من لدنه علما لم يطلع عليه نبى كريم ورسول كليم وأهل الكهف الذين ضرب الله على اذانهم فى الكهف ثلاثمائة سنين وإزدادوا تسعا ثم بعثهم الله دليلا على قدرته : وهناك وزير سيدنا سليمان الذى قال له آتيك بعرش بلقيس من بلاد اليمن قبل أن يرتد اليك طرفك وحدث فعلا وجىء بالعرش . وقد جاء ذكر هذا فى القران الكريم . ومن أصدق من الله حديثا . وما جاء عن رسول الله ﷺ من حديث الذين انطبق عليهم الغار ومن كلمته البقرة وحدثه الذئب وسمع صوتا بالسحابه والذين تكلموا فى المهد صغارا كل هذا جاء فى الاحاديث الصحيحة ومن اراد المزيد فعليه الرجوع الى تلك المصادر وكرامات الصحابة كثيرة جدا منها ما حدث لسيدنا أبى بكر عندما ذهب بضيوفه الى بيته وقدم الطعام الذى كان يزيد كلما أكلوا منه وشبع القوم ورفع الطعام أكثر مما قدم وقال وايم الله ما أكلنا لقمة الا ربا من أسفلها الكثير منها حتى شبعوا ـ وصارت أكثر مما كانت عليه قبل ذلك : وعمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى وقف يخطب الجمعة بالمدينة ونادى على سارية قائد جنده بالشام فسمع سارية صوت أمير المؤمنين فالتزم بالتعليمات التى حققت النصر وخبيب بن عدى الذى أسره المشركون فكان يؤتى له بالعنب فى غير اوانه ورأى ذلك المشركون .

والصحابة الذين خاضوا دجلة والفرات وكانوا فى حروب متلاحقة مع أعداء الله فكان البحر أمامهم كالبر وكان شعارهم حسبنا الله ونعم الوكيل : ـ واسيد بن حضير الذى تأخر عند رسول الله ﷺ فى ليله مظلمة وكان معه عبادة بن بشر فلما انصرفا كان بيد كل واحد منهما عصا فأضاءت واحدة منهما فمشيا فيها حتى اذا افترق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه . وتقع الكرامة فى كل زمان ومكان لا تتقيد بفئة دون اخرى اذا وجدت التقوى والاخلاص فلا مانع من ظهور الكرامة لهم قال أبن عطاء الله : ـ واطلاع بعض الاولياء على بعض الغيوب جائز وواقع لشهادته له بأنه ينظر بنور الله لا بوجود نفسه ورسول الله ﷺ يقول ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم واذا كانت الكرامة تقع لكثير من الناس فى عصور متلاحقة بعد زمن النبوة . فذلك لان الصحابة كان إيمانهم قويا ورسول الله امامهم والقرأن يتنزل نديا فلم يكن الناس فى حاجة الى كرامة تقوى ايمانهم وقد سئل الامام احمد بن حنبل عن كثرة الكرامات واشتهارها بعد زمن الصحابة رضى الله عنهم فأجاب : أولئك كان ايمانهم قويا فما احتاجوا الى زيادة شىء . يقوون به ايمانهم وغيرهم كان ايمانهم ضعيفا لم يبلغ ايمان أولئك فقووا بأظهار الكرامات لهم : وبعد هذا فعلينا أن نصلح من أنفسنا وأن نقوى من ايماننا وأن نحب للناس ما نحبه لانفسنا ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته . ومن أعان مؤمنا اعانه الله (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) بعد هذا نعود الى أولياء الشيطان الذين ينتسبون الى البغض والحقد والانانية : للتفريق بين ولى الرحمن وولى الشيطان ـ لانه من يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا . ذلك لانهم يسعون بالفساد فى الارض يهلكون الحرث والنسل ثم يزعمون أنهم أولياء الله واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون . وقد سبق أن قال اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه فرد الله عليهم بكذب زعمهم وأبطل دعواهم وقال « قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق » وفى اية أخرى يرد عليهم . تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين : ودأب انصار الشيطان كما حدد الله غايتهم وبين طريقهم : وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم .

والشيطان بطبيعته ضعيف مهزوم اذا التقى بمؤمن قوى الايمان ثابت العقيدة نظيف الفكر والقلب واللسان يهرب الشيطان من أمام هذا الشخص ولم يستطع الصمود أمام المؤمن القوى قال تعالى : « فاذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » وقال : إن كيد الشيطان كان ضعيفا ، والشيطان ولى كل جاحد وقرين كل ملحد . منافق يعيش فى المعصية ـ قال تعالى « انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ، وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ، قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون » .

فأولياء الشيطان يعدون بعدد شيطانى واعمال يحسبها الجاهل خرقا للعادة بينما هى من الاحوال الشيطانية . فاذا وجدت انسانا يحمل فى الهواء أو يأتى بمال أو يدل على شىء

فانظر فى عمله هو لتعرف من أى صنف يكون فإن كان لا يصلى ولا يصوم ولا يلتزم بالمنهج الاخلاق فاعلم بان ما يظهر على يدية استدراج له ليزداد إثما ثم هو يطلب الشهرة على ما يفعل والمال لما يصنع وقد يطلب شيئا فيجاب الى نقيضه اهانة

له ـ كما حدث لمسيلمة الكذاب ـ الذى ادعى النبوة ـ دعا لأعور بأن يفتح الله عينيه فعمى ومسح بيده على رأس يتيم فأصيب بقرع وتفل فى بئر فصار ملحا اجاجا وصدق الله العظيم . ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير .

ونحن نرى من سياق بعض ايات القرآن الكريم أن النجوم جعلها الله رجوما للشياطين الذين يحاولون أن يسترقوا السمع ليتعرفوا على أخبار السماء ثم يخبروا بها بعض الكهان والدجالين والمشعوذين ليقوموا هم بنقل تلك الاخبار الى السذج من الناس مدعين أنهم على قدم الولاية علما بأن ظاهرهم يدل على أنهم من المجرمين المحرومين من رحمة الله ـ قال تعالى حكاية عن الشياطين . « **وانا كنا نعقد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا** » ويقول سبحانه : « **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير** » ويقول سبحانه : « **ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم** » فاذا رأيت انسانا لا يصلى وأنه حقود حسود فاعلم بأنما ظهر على يديه أعمال شيطانية لا تتصل بالدين من قريب أو بعيد ولقد حدث أن رجلا كان لا يصلى أبدا ويسخر بأمور الدين فتركته زوجته وهجره أولاده . فلما مرض قال لاولاده ان مت سترون كرامتى حتى بعد موتى وطلب منهم اذا مات أن يجهزوا كفنه وماء غسله ويتركوه وحده . وفعلوا وفوجئوا بأنه جهز ولما حمل لدفنه طار منهم مسافة كيلو فلما سألوا عن ذلك وهل هذه كرامة أو لا أجاب العلماء بأنه قد مات وهو لا يصلى ولم يظهر عليه الصلاح وكان يسخر من أمور دينه فهذه أعمال شيطانية يقصد من ورائها الاستيلاء على عقول العامة والبسطاء من الناس لأن الكرامة لا تكون الا للتقى الورع المخلص المستقيم . من ينطبق عليه قول الحق سبحانه : « **ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين** » . هذا « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه** . **وما أصدق قول الشاعر الحكيم** :

بتقوى الإله نجا من نجا وفاز بتحقيق ما قد رجا
ومن يتق الله يجعل له كما قال من أمره مخرجا

وبالله التوفيق

بقية مقال « بين العقيدة والأخلاق »

مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . لبئس ما كانوا يفعلون »

والقرآن قد فضح أمرهم : أشنع فضيحة . والسورة المدونة باسم « الإسراء » تسمى أيضا . سورة « بنى اسرائيل » وفيها يوضح الله تعالى انهم جرثومة الانسانية فيقول « **وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبير** » ثم يبين سبحانه أن الدائرة عليهم فى كل مرة فيقول « **فإذا جاء وعد أولاها بعثنا عليكم** عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم . وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها . فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا . وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا »

وقد اندفع اليهود الى التمرد على الله وعلى الناس فى كل مجال : فنى مجال الاعتقاد وعلاقاتهم بالله يرى اليهود : أنهم أبناء الله وأحباؤه فهم « شعب الله المختار » ومن ثم اختصهم الله برسله وختمت الرسالات السماوية بموسى عليه السلام كما يزعمون ، ومن هذا المنطلق يقول التلمود « الاسرائيلى جزء من الله وهو أفضل من الملائكة . فإذا ضرب أمى اسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت »

وفى علاقة اليهود بالعالم يقول التلمود « بما أن اليهود يساوقون أنفسهم مع العزة الإلهية فالدنيا وما فيها ملك لهم . ويحق لهم التسلط على كل شىء فيها » وفى تحد سافر ليقيه الشعوب والأجناس يقول التلمود « نحن شعب الله فى الأرض وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا . ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه عنا ، سخر لنا الحيوان والانسان وهم كل الأجناس . سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج الى نوعين من الحيوان : نوع أخرس كالدواب والانعام والطير . ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين من أهل المشرق والمغرب ، سخرهم لنا ليكونوا فى خدمتنا . وفرقنا فى الأرض لنمتطى ظهورهم . ونمسك بعنانهم » من هذه المعتقدات تكون نظرة اليهود إلى الله والى العالم . شعوبا وأجناسا .

وينبغى أن نشير الى أن هذه النزعة اليهودية « الشعب المختار » تقوم على أساس من نظرية « الجنس » التى تفرق بين الأجناس البشرية على أساس من الفوارق الطبيعية . وتمتد جذور هذه النظرية إلى الفكر اليونانى قبل الميلاد . ثم ظهرت فى العصر الحديث مدعمة بأدلة علمية . وكانت على أشدها وبلغت ذروتها فى « الصهيونية » و « النازية » ومن مظاهرها « التفرقة العنصرية » والواقع : أن أزمة الشرق الأوسط ليست الا تجسيدا مؤكدا لهذه الحقيقة المفزعة .

وبعد . فإنا قد ذكرنا هذه النماذج لصنوف البشر لنوضح بها من واقع الحياة والأديان مدى الترابط بين العقيدة والأخلاق . ولتؤكد ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ كيف ان العقيدة هى المفعل الأول فى حياة الانسان . وكيف أن الأخلاق هى الترجمة الصحيحة للعقيدة المستكنة فى النفس . ومن ثم تتناسب معها تناسبا طرديا ينعكس فى واقع الحياة وابعادها المختلفة إن خيرا فخير وان شرا فشر .

نسأل الله السلامة وحسن الختام ؟

خطبة ليلة الحب الإلهى

فضيلة الشيخ اسماعيل صادق العدوى

الحمد لله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الأشياء وهيأها لأداء مهمتها فى هذا الكون وجعل كل جزء فيها يتجانس مع الآخر حتى تتم الوظيفة على أحسن حال .

فهذه الأفلاك هى أفلاك فحسب شموس وأقمار نجوم وكواكب ليس بينها شىء غريب وربط بينها بجاذبية خاصة تناسب دورانها لأداء مهمتها وكذلك جعل الجبال نوعاً خاصاً متجانساً ولم يكن بين الجبال شىء غريب وهو من الجبال وكذلك البحار وكذلك السحب لم يكن بين السحب شىء شاذ بل هو جنس واحد بمعنى سحب تتجانس وتتجاذب متى تسقط مطراً على الخلق وكذلك إذا نظرت إلى نفسك فكل جهاز فيك هو جهاز متناسق وجهاز مرتب فلم يكن فى جهاز السمع عضو من الأعضاء ولا عظمة من العظام التى فى جهاز آخر .

فسبحان من جعل الأشياء تتجانس وهى منظمة وهذا بتدبيره يدبر الأمر من السماء إلى الأرض وهذه هى سنته فى خلقه هو الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم إيها المسلمون إذا سمينا ليلة الاسراء والمعراج باسم خاص فيمكن لنا بيقين أن نطلق عليها ليلة الحب فعندما « دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى » فقال الحبيب لربه فى هذا اللقاء العظيم لقد اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واتخذت عيسى روحك وكليمك وأعطيت داود ملكا عظيما وأعطيت سليمان ملكا عظيما ثم قال الحق له وقد أجمل العطاء له فى جملة واحدة لقد اتخذتك حبيبا وعندما ندرك المعنى فبعد ذلك لا يكون بقاء لهذه الأمة ، إلا بهذا المعنى وبهذه الحقيقة الحب الحب الصافى والحب الرقراق ، والحب العميق الذى ينفى الخبث وينفى البغضاء والحسد والحقد الذى ينفى التنافر والشتات هذا هو الحب هو أعلى مقام أعده الله تعالى للبشر فجعل الله ذلك للحبيب ﷺ حتى تتذوق ذلك ونعيش به وعندما علمنا أن الأشياء لا تتجانس إلا إذا كانت على نظام واحد وعلى هيئة واحدة ووظيفة واحدة فالبشر وظيفتهم فى الأرض أن يعمروها فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإذا نظرنا إلى أهل الكفر وقد تمزقوا بكفرهم لعبادة بقرة أو حمار ولعبادة شجرة أو حجر فكانوا فى ذل فلم يعرفوا معنى الحب وطأطأوا لشجرة طول عمرهم وذلوا لبقرة طول حياتهم فأصبحوا فى مهانة ولكن الله تبارك وتعالى أراد للبشر حياة خاصة منذ بدايتها الى نهايتها مع حلاوة الانسانية وحلاوة الحياة بالحب فجاءت الرسالات لتخرج الناس من كل معنى فاسد ومن كل شتات فيها داء الى حياة مستقرة الى حياة الانسان مع الانسان لا حياة الانسان مع البقر ولا مع الجواميس ولا مع الخنازير .

وإنما هى حياة متجانسة تترابط فيها القلوب وتتجاذب فيها الأرواح وعندما نعيش فى زمن رجعت فيه الحيوانية إلى حقيقتها وأصبح الناس فى بهيمية عمياء ويأكل بعضهم بعضا ويأكل قويهم ضعيفهم ويبطش ملكهم بسوقتهم وأصبح الناس فى فوضى لا علاقة بينهم ولا رباط ولا حب ومن هنا نذكر ليلة الحب حتى نعود إلى بشريتنا كما كنا وحتى نعلم أن الجنس البشرى لا يمكن أن يصلح إلا بهذه الحقيقة والله سبحانه وتعالى ينادى المؤمنين وقد مرت الذكريات ولم يرجعوا ، ينادى المؤمنين جميعا وإذا انسلختم من دين الحب وإذا خرجتم من دين الوفاء ومن دين المودة ومن البشرية الحية إذا خرجتم منها فلا بقاء لكم فالبقاء لأهل الحب والبقاء لأهل الصفاء وعندما نبدل الحب بالكره ونبدل الصفاء بالعنف وتبدلت الانسانية بالحيوانيةفلا بقاء لهذه الأمة يقول الحق تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون

فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » صدق الله العظيم .

فالله يريد أمة تحبه فمن يحبه ؟ سؤال إلى كل مسلم فى أعماق الأرض وعلى سطحها وفى جوها وبحرها ونهرها وجبالها فى كل أرجائها سؤال محدد من يحب الله الكل سيدعى أنا أحبك كلمة عاطفية كلمة فيها الخداع وكلمة فيها المكر وكلمة فيها الضحك على النفس وفيها الظلم لها من يحب الله سؤال محدد فى أى انسان وأى مسئول وأى أب وأى أم وأى شاب وأى أمة وأى دولة تحب الله تعالى الاجابة بالحب اجابة كذب واجابة بهتان واجابة ضياع وقت ليس الحب موجودا بمعناه وليس الحب قائما بمعناه وإنما هو ادعاء فحسب .

الحق تبارك وتعالى حدد طريق الحب ولم يتركه لأهل الهوى والفساد ولم يجعله لقمة سائغة فى فم أهل الضلال ولكنه حب محدد حب دقيق مرسوماً الهياً بلا زيادة ولا نقصان فإذا كنت كذلك فأنت من أهل الحب وقد ذقت ليلة الحب فإذا كنت غير ذلك فلا تدعى ولا تجعل نفسك فى هؤلاء وأنت مسلوخ منهم يقول الحق تبارك وتعالى يخاطب كل إنسان يخاطب كل مسلم :

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » . صدق الله العظيم .

فمن المتبع الذين يتبعون الرسول النبى الأمى أين هم اين أتباع محمد أين صفوته أين المؤمنون فلينظر كل واحد منكم إلى نفسه هل هو محب إذا كان محباً فأين الاتباع هذا هو حب الله تعالى لا بد منه فلا حياة بدونه ولا استقرار بدونه ولا نجاة فى الدنيا والآخرة إلا بهذا الحب ومنكم من يدعى حب الحبيب ﷺ الحب أن تكون على منهاجه قلباً وقالباً .

أن يكون عقلك محباً وقلبك محباً وجوارحك محبة وكل ما فيك حتى تذوق الحب بمعناه والنبى ﷺ يقول : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين » فقال سيدنا عمر رضى الله عنه : أنا كذلك إلا نفسى التى بين جنبى فقال لا يا عمر لن يكمل ايمانك حتى أكون أحب إليك من نفسك التى بين جنبيك فقال والله الذى لا إله إلا هو لأنت أحب الى من نفسى التى جنبى قال إذن كمل إيمانك يا عمر .

أيها المسلمون :

هذا هو الكمال بلا ابتداع وبلا تحريف وانحراف وبلا افراط وتفريط هذا هو حب الله تعالى .

أين أنت منه وحب رسول الله ﷺ أين أنت منه ؟

هذا هو الميزان الذى حدد أيضاً بقول الله تعالى :

« فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير » الاستقامة التى جاءت بها الشريعة بلا زيادة ولا نقصان فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا بزيادة ولا تطغوا بنقصان ولا تطغوا بدخول شىء على الاسلام ولا تطغوا بخروج شىء من الإسلام .

« فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون »

وبعد : لما أسلم عبد الله بن سلام رضى الله عنه وكان من كبار احبار اليهود وأسلم من معه جاء إلى النبى ﷺ وقال يا رسول الله نريد شيئا فقال نعم قال نحن اليهود كان عيدنا أو عبادتنا يوم السبت فنحب أن يبقى يومنا كما هو (ففكر) الرسول ﷺ . ان إسلام عبد الله بن سلام هو غنيمة كبيرة وخروجه قد يضعف شوكة المسلمين بعد أن قويت بإسلامه .

وجاء معه اليهود فأنزل الله آية الفصل .

ولا نريد أى قوة على حساب الاسلام ولا نريد أى رأى على حساب الاسلام ، الإسلام هو الحجة البالغة وهو النور الوضاح الذى جاء الحق به فلا يقبل أى رأى على الاسلام مهما كان شأن هذا الذى رأى أو شاء هذا الانسان فأنزل الله قولة تعالى :

« يا أيها الذين أمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان » أى اقبلوا الاسلام كله كما هو فإن لم تقبلوا الاسلام كله فلا حاجة لنا اليكم ولا قيمة لكم عندنا .

أيها المسلمون :

هى قوة الاسلام بما شرع وهى قوة الاسلام بما نظم لحياة الأمة فلا رأى لعبد ولا رأى للملك ولا رأى لحاكم ولا محكوم .

لأن الحب قد جعل الانسان مسلماً لحبيبه يفعل به ما يشاء فإذا أردنا أن نغير أو نبدل أو نبتدع فهناك سؤال لا بد منه . هل يشك الحبيب فى حبيبته إذا كان هناك شك فلا حب إذا كان هناك ريب فلا حب .

إذا كان هناك أى وقفة أمام أى شريعة أو تشريع فلا حب .

فلذلك يقول الله تعالى لأهل الحب .

« الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »

أيها المسلمون :

من حلاوة الحب كما أحبنا ربنا أن نحب بعضنا بعضا فالمسلمون فى احتياج إلى حب ولكن اصبح الكره عميقا فأكل المسلم أخاه اما فى وظيفته على مكتبه فأكله فى رشوة أو تعطيل أمر وإما فى صنعه أو مهنة فغش فيها فقد أكله وقتله وإما فى نصيحة وإما فى حكم وإما فى أى أمر من أمور الحياة فكل يتربص ببعض .

فلا تقتلوا أنفسكم فنحن فى إحتياج إلى حب إذا كنت محباً لأخيك فأين مصلحته إذا كنت محبا لأخيك فارحم صنيعه وإرحم حاجته . من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن نفس عن مؤمن كربه من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .

ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة .

ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته .

ان الأمة قامت على الحب كما أخبر الحق تبارك وتعالى .

والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا أو يؤثرون على أنفسهم ولو

كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين أمنوا ربنا انك رءوف رحيم .

أيها المسلمون :

ليلة الحب لها أمران أن تحب الله ورسوله وأن تحب أخاك كما تحب نفسك لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه لنفسه والنبى ﷺ يقول : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه ممن سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود للكفر كما أن يقذف فى النار .

أيها المسلمون :

هذه ليلة الحب بينكم

وقد جعلها الله نورا فى ذ كراها وفى تذكرها فاتحة خير للأمة فى كل يوم وفى كل ساعة فاعتبروا يا أولى الألباب فاعتبروا يا أولى العقول التى تبحث عن الراحة والتى تبحث عن السعادة ولا سعادة إلا فى الحب والشقاء كل الشقاء إذا تركنا حب الله ورسوله وأصبحنا كما نحن . يا أيها الذين أمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ولنتب إلى الله جميعا .

الحمد لله كثيرا كما أمر وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .

أما بعد

جاء رجل ليسأل عن النبى ﷺ وكان من غير الجزيرة فدل عليه فلما ذهب ورأى مارأى أن النبى ﷺ وقد جلس بين أصحابه ولم يتخير عنهم ورأى إذا تكلم أنصت الجميع ورأى إذا توضأ وفضل ماء سارع الجميع إلى فضل مائة حتى يتبركوا به وإذا أمر أطيع رأى كل ذلك وهذه علامات الحب فذهب إلى قومه وقال أيها الناس لقد ذهبت إلى هنا وهناك فما وجدت قوماً يحبون صاحبهم كما يحب أصحاب محمد محمداً . .

إذن لا قبل لكم به هذا هو الحب الذى جمع والحب الذى قوى والحب الذى قصد وإذا رأيتم فى أولى معارك الاسلام قبل السلاح وقبل الاعداد وقبل الغذاء وقبل الماء وقبل أى تفكير فى أى شىء كان الاعداد بالحب ولم يكن سواه يقول الحق تبارك وتعالى : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

بالمؤمنين الاعداء لبعضهم وبالمؤمنين الذى يأكل بعضهم بعضا ويحقد بعضهم على بعض بالمؤمنين الذى تنافرت قلوبهم وأصبحوا عبيداً لدنياهم هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم .

فكان الحب هو أساس النصر وكانت العقيدة بين ذلك ، وكذلك فى بيعة الرضوان تحت الشجرة وبملابس الإحرام ولا سلاح ولا حرب قصدو ولكن كانت قلوبهم أقوى من أى سلاح وأقوى من أى قوة فأعزى الله إليها فوجد منها الحب يتقاطر كالندى ووجد الحب نوراً فيهم ليس فيه ظلم فأنزل أية الرضا وأية الوعد بالنصر « **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً** » .

فعلم ما فى قلوبهم من حب ووقار وصلة ووصال وقد جاء الله بآية جامعة حتى نرى عنواننا فيها وهى خاتمتنا فى الحياة وهى بدايتنا فى العظة .

يقول الحق تبارك وتعالى :

« **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** »

وهذا هو عنوان الحب أن تكون رحيماً بأخيك شديداً على العدو أما الآن فأنت شديد على أخيك وأنت رحيم بالعدو ما أغباك أيها المسلم وما أتعس تفكيرك ، محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآذره فاستغلظ فاستوى على سوقه »

كل ذلك بالحب فاستغلظ فاستوى على سوقه يصحب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما كانوا أمة بسيطة قليلة فأصبحوا أمة عظيمة وذلك بالحب

اللهم اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا .

وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

اللهم أرنا الحق حقاً فنتبعه وأرنا الباطل باطلاً فنتجنبه برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فأنت علينا قادر .

والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير .

اللهم ارفع مقتك عنا وغضبك عنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا يا أرحم الراحمين .

كما أسألك يا ألله أن توفقنا وولاة أمورنا إلى ما تحبه وترضاه يا رب العالمين .

عباد الله « **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** » ورضى الله تبارك وتعالى عن سيدى ومولاى صاحب هذا المقام .

رمضان شهر الصيام والقرآن

فضيلة الشيخ عبد الفتاح احمد مصطفى

لقد أقبل شهر رمضان المبارك ولرمضان هالة تشرق من حوله حيث تنساب الى النفوس روحانية رقيقة عذبة ذلك لأنه شهر الصيام والقرآن كرم الله فيه الانسانية ففرض صيامه وأنزل كتابه (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)

وبقدوم هذا الشهر المبارك تتفتح ابواب الجنان وتغلق أبواب النيران وتعقد فيه الشياطين روى النسائى والبيهقى ان رسول الله ﷺ قال اتاكم شهر رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين لله فيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم .

والصوم فى حقيقته ليس جوعاً أو عطشا أو حرمانا من المباحات إنما لكل فرض حكمه وفرض الصيام ظاهره العذاب وباطنه الرحمة شرعه الله أدبا للنفس وليتعود المؤمن الصبر والحلم ومراقبة الله عز وجل وطلب مثوبته ورحمته وان يكون المؤمن دائما فى مقام المراقبة مع الله عز وجل وقد بين القرآن الكريم حكمة الصيام فقال تعالى **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »**

ومن هنا كان الجزاء عليه عظيما من الحق فقد روى عن رسول الله ﷺ قال الله تعالى **« كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به »** والصيام جنة وإذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر وإذا لقى ربه فرح بصومه » رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى

وحق للصائم ان يفرح بما أعده الله له من نعيم فى الآخرة ذلك النعيم الحقيقى الذى إذا قارناه بنعيم الدنيا كان أعظم وأفضل وأكبر ويكفى الصائم مغفرة الله له روى النسائى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال **« من صام رمضان ايمانا وأحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه »**

وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ما ينبغى له ان يتحفظ كفر ما قبله تلك هى خصائص شهر رمضان عطايا وفضائل وفيوضات يتفضل بها سبحانه على صوام شهر رمضان فقد ورد فى السنة النبوية قال رسول الله ﷺ **« أعطيت امتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى »** .

أما واحدة فإنه اذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل اليهم ومن نظر الله اليه لم يعذبه ابدا .

واما الثانية فإن خلوف افواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك .

وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة

وأما الرابعة فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها استعدى وتزينى لعبادى أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى دارى وكرامتى

وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا فقال رجل من القوم اهى ليلة القدر يارسول الله فقال لا الم تر الى العمال يعملون فإذا فرغوا من اعمالهم وفوا أجورهم.

رواه البيهقى واحمد والبزار.

ورمضان هو شهر القرآن الكريم ذلك أنه أول ما نزل من القرآن نزل فى رمضان وهذا قول الله عز وجل «**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**»

لقد ظل الوحى الكريم ينزل على رسول الله ﷺ بآيات القرآن فى ثلاث وعشرين سنة يصل الأرض بالسماء ويتلو النبى ﷺ على القاصى والدانى آى الذكر الحكيم ويغسل «**أدران**» الجاهلية الأولى وينظف العقول مما علق بها من جاهلية وآثام ويعلم الناس أمور دينهم ودنياهم فكانت أول آية نزلت منه «**اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق أقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم**».

وكانت خاتمته قول الله عز وجل «**اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**»

نزل القرآن الكريم معلنا مولد أمة ومبعث رسالة جامعة وبنزوله اكتملت الرسالات والدعوات لأنها رسالة عالمية لهداية الناس جميعا وصدق الله تعالى «**قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا**»

وقوله تعالى «**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**».

جاء القرآن والعرب اسرى **خرفات** وعبدوا اصنام وعبدوا الشمس والقمر واللات والعزى ومناة فنهاهم القرآن عن ذلك الى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد وعلمهم ان كل شىء مخلوق بقدرته وأن امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون لا شريك له فى ملكه وصدق الله تعالى «**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**»

ومن هنا كان النبى ﷺ اذا دخل رمضان يحتفل به ويقبل على القرآن الكريم تلاوة وسماعا وكان جبريل عليه السلام ينزل على النبى ﷺ كل ليلة فى رمضان ليثبت حفظ القرآن فى قلب النبى ﷺ روى محمد بن عباس رضى الله عنه كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير وكان اجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ. يعرض عليه النبى ﷺ القرآن وفى رواية فيدارسه القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.

رواه البخارى ومسلم

والصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه قال فيشفعان.

هذا هو رمضان شهر القرآن ما أحوج أمة الاسلام ان تأخذ بهذا الهدى الكريم فهو الشفاء لما فى الصدور وهو الكتاب الذى أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ضمن الله حفظه من التبديل والتحريف «**إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**».

هذا القرآن هو الصراط المستقيم والنور المبين والشفاء الناجع والهادى الى أقوم السبل وهو المعجزة الخالدة خلود السموات والأرض الدالة على صدق الرسول ﷺ الذى ارسله لله رحمة للعالمين هاديا ونذيرًا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا وانه مصدق لما تقدمه من الكتب وانه ليس بدعا من الرسل وصدق الله تعالى.

«**وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون**».

هذا هو القرآن الكريم هدى السماء كتاب دنيا ودين من أخذ به عز فى الدنيا والآخرة ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم قال الحارث الأعور مررت بالمسجد فإذا الناس يخوضون فى الحديث فدخلت على على بن ابى طالب رضى الله عنه وقصصت عليه ما سمعت فقال على اما وقد قالوها فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله فقال.

كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا يخلق من كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ولا يشبع منه العلماء ولا تختلف به الآراء من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم.

نسأل الله تبارك وتعالى ان يجعلنا من أهل القرآن قولا وعملا وسلوكا وان يكون شفيعا لنا فى الدنيا والآخرة..

الداعية
إلى الله تعالى
فى ضوء الإسلام

الدكتور مصلح سيد بيومى

فى عدد رجب الماضى من هذه المجلة ـ منبر الإسلام ـ تحدثنا عن أصول الدعوة إلى الله إجمالا وفصلنا القول فى موضوع الدعوة وبينا أنه الإسلام بكل ما يتعلق به من عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق.. وكان الحديث عن موضوع الدعوة هو الأصل الأول من أصولها الأربعة التى سنتناولها كلها بالتفصيل بمشيئة الله تعالى. وفى هذا المقال نتحدث عن الأصل الثانى وهو: الداعية إلى الله تعالى فى ضوء الإسلام فنقول وبالله التوفيق. لا شك أن المهمة الملقاة على كاهل الداعية إلى الله تعالى ثقيلة وخطيرة. ذلك أنها مهمة الأنبياء والمرسلين. والأنبياء والمرسلون اصطفاهم المولى سبحانه من خيرة البشر وصفوة بنى آدم على الإطلاق «الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير».

كما أنه جلت قدرته عصمهم من الخطأ والانحرافات ليكونوا قدوة طيبة للبشرية «**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين**». أما الدعاة إلى الله من غير الرسل والأنبياء فليسوا بمعصومين، ولذلك كانت مهمتهم شاقة وخطيرة مما أدى إلى نفور الكثير من الناس من أن يعرضوا أنفسهم لهذا الأمر الجلل علما بأن الله سبحانه وتعالى ألزم كل فرد من البشر كل على قدر استطاعته واستعداده

ولنستمع فى خشوع إلى خطاب المولى عز سلطانه إلى جميع أفراد المجتمع الإنسانى: «**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**» ماذا نجد فى هذا الخطاب الالهى الكريم؟ بالبحث فى كتب التفسير نجد أن علماء الإسلام منهم من ذهب إلى أن «من» فى قوله (**ولتكن منكم...**) للتبعيض وعليه فالذين يتولون مهمة الدعوة إلى الله تعالى بعض الأمة ويكون الوجوب عليها كفائيا، وهذا البعض هو من يصلح للدعوة من حيث العلم بها وحس عرضها، أما غيرهم فلا حرج عليهم وإن كانوا فى نفس الوقت يلتزمون بمساعدة هذه الفئة الداعية إلى الله عز وجل ـ وذهب الكثير من العلماء إلى أن «من» للتبيين، على معنى فلتكونوا أمة تدعون إلى الخير، وعليه فكل إنسان مطالب بالدعوة إلى الله تعالى بالقدر الذى يستطيع أن يدعو به والوسيلة التى تمكنه من ذلك ليكون طابع الأمة الدعوة إلى الخير. ويؤيد هذا المعنى تذييل الآية بقوله تعالى «**وأولئك هم المفلحون**» وعلى ذلك فالعامة من الناس الذين يتعرضون لشرف الدعوة إلى الله تعالى يدعون إلى الأمور الواضحة التى لا تعقيد فيها ولا جدال أو مناقشة، والخاصة منهم ـ أى الذين أهلوا تأهيلا خاصاً ـ يتصدرون لهذه الأمور التى تحتاج إلى فكر وروية. وعلى العامة والخاصة جميعا أن يعملوا على حسن عرض الفكرة حتى تؤتى ثمارها وتصل إلى هدفها.

وإذا كان الله تعالى ربى الأنبياء والمرسلين تربية خاصة ليقوموا بمهمة تبليغ الرسالة وتأدية الأمانة. فكيف يتربى الداعية إلى الله ليقوم بما قام به الأنبياء والمرسلون؟ والجواب: على الداعية الى الله أو من يعنى بتربيته أن يديم الالتفات إلى خطاب المولى سبحانه لأنبيائه ورسله فى هذا المجال من التربية. فى هذه الحالة سيعلم علم اليقين كيف تربى الأنبياء والمرسلون وكيف بلغوا دعوة ربهم وأدوا رسالة مولاهم، حينئذ سيجد أمامه زادا لاينفد من القرآن، طبق عمليا فى سلوك الدعاة إلى الله من الأنبياء والمرسلين. هذا الزاد الشافى لو ربى على أساسه الداعية إلى الله لكان أهلا لتحمل هذه الدعوة وتبليغها الى المجتمع الإنسانى.. وفيما يلى نضرب بعض الأمثلة القرآنية التى خاطب الله بها نبيا من أنبيائه أو رسولا من رسله أو حديث هؤلاء الدعاة مع قومهم.

● بين المولى سبحانه لنبيه محمد ﷺ الأسلوب الناجح فى الدعوة فقال سبحانه: «**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**»

● وبين تبارك وتعالى أهمية منطق الداعية إلى الله وكيفية مناقشته لمن يدعوهم. فقال: «**الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين...؟**»، «**قال فمن ربكما يا موسى؟ قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى**»، «**ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين**»...

● وبين للداعيه إلى الله كيف يتذرع بالصبر واحتمال المصاعب فقال تعالى : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا » « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » . .

● وبين كذلك للداعية أنه مبلغ فقط ولا يهمه بعد ذلك استجاب القوم أو رفضوا فقال جلت قدرته : « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر » . « فإنك لاتسمع الموتى ، ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » .

● وبين سبحانه كيف يكون الداعية إلى الله شجاعا لا يخاف إلا الله فقال : « واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون » .

● وبين سبحانه كيف يكون الداعية إلى الله لبقاء يحسن عرض دعوة الإسلام فقال : « وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ؟ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون » . . . وهكذا تحدث القرآن الكريم فى كثير من آياته عن كيفية تحمل الدعوة وتبليغها إلى الناس . . ولم يكن هذا الكلام نظريا بل كان تطبيقيا فى حياة الدعاة إلى الله من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبالتالى فى حياة الدعاة إلى الله من الصحابة والتابعين ومن ساروا على منوالهم إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إن شاء الله . ونخلص من كل ذلك إلى أن الداعية إلى الله الموفق هو الذى يتصف بصفات الفضل والكمال ونوجزها فيما يلى .

● العلم بمنهج الدعوة إلى الله تعالى لأن الجاهل يفسد أكثر مما يصلح . ويتطلب ذلك أن يكون عارفا بالكتاب والسنة وبأحوال الذين يدعوهم إلى سبيل الله .

قال تعالى : ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم » .

وقال ﷺ : « من سئل فأفتى بغير علم فقد ضل وأضل » .

وقال الحسن البصرى : « العامل على غير علم كالسائر على غير طريق والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح » . . .

● أن يكون قدوة طيبة فى المجتمع الذى يعيش فيه . وهذا يقتضى أن يلتزم بما يدعو إليه . وكم من البلاد الإسلامية قد دخلها الإسلام عدد كبير بسبب القدوة الطيبة كالتجار من العرب الذين هاجروا إلى شرق أسيا وغيرها ولا عجب فى ذلك فقد قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » . . .

وقال ﷺ : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلق فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان : مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه » [متفق عليه] . . وقال الحسن البصرى : « الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله » ورحم من قال :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله　　عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها　　فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويشتفى　　بالقول منك وينفع التعليم

○ أن يكون شجاعا لا يخاف فى الحق لومة لائم .

قال تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

وقال ﷺ : « إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم ، وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلى بخصال من الخير أوصانى أن لا أخاف فى الحق لومة لائم وأوصانى أن أقول الحق ولو كان مرا » . .

● أن يكون عفيفا يائسا مما عند الناس كما كان يفعل النبى ﷺ . بهذا يكون سيدا فى قومه . ويصور هذا المعنى الحسن البصرى : « لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دينارهم فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه » .

ودخل أعرابى البصرة يوما فقال لأهلها : من سيدكم ؟ قالوا : الحسن . قال : بم سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس إلى علمه واستغنى عن دينارهم . فقال : ما أحسن هذا .

وما أحسن قول على بن عبد العزيز القاضى رحمه الله :

يقول لى فيك انقباض وإنما رأوا　　رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم　　ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما　　بدا طمع صيرته لى سلما
وماكل برق لاح لى يستغزنى　　ولاكل من لاقيت أرضاه منعما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى　　ولكن نفس الحر تحتمل الظما
أنهنها عن بعض مالا يشينها　　مخافة أقوال العدا فيم أو لما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى　　لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة　　إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

المساجد . هى بيوت الله لأنها التى يعبد فيها الله . ودليل ذلك قوله تعالى : وأن المساجد لله . . فاللام فى لله تفيد الملكيه . وكما يقول القرطبى : هى إن كانت لله ملكا وتشريفا . إلا أنها تنسب إلى غيره تعريفا فيقال مسجد فلان والحديث القدسى يقول : إن بيوتى فى الأرض المساجد . .

وإذا كانت المساجد بيوت الله . فإن لها واجبات على المسلمين وهذه الواجبات بعضها يتعلق بذات المسجد . وبعضها يتعلق برواد المسجد . . وأول هذه الواجبات . طهارتها وتنظيفها . . وطهارتها بمعنى بعدها عن الخبث والنجس . . وقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى :

« فى بيوت أذن الله أن ترفع . . » بأن معنى الرفع هنا . أن تبنى وتعلى وأن تطهر من الأنجاس والأقذار . وفى هذا المعنى فالإمام مسلم يروى بسنده عن أنس بن مالك قال : **بينما نحن فى المسجد إذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد فقال أصحاب رسول الله : مه مه فقال النبى : « لا تذرموه دعوه » فتركوه حتى بال . ثم إن رسول الله دعاه فقال له :**

إن هذه المساجد لا تصلح بشىء من هذا البول ولا القذر وإنما هى لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن قال : فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو فشنه عليه .

كذلك فلابد أن نفرق بين ما يجوز فعله خارج المسجد . وكيف أنه لايجوز فعله داخله . فإذا جاز لنا أن نبصق على الأرض خارج المسجد .

فليس لنا أن نبصق فى المسجد لأن المصلين يجلسون فيه وتلتق أيديهم وجباههم وهم سجود بأرض المسجد . ولا شك أن البصاق ينفرهم ويؤذيهم كما أنهم يكونون عرضة لانتقال الأمراض اليهم من هذا البصاق ولذلك يروى البخارى ومسلم ان رسول الله قال : **البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها** » هذا إذا كان المسجد ترابا . فإذا كان « مبلطا » فإنه لابد أن يزيل البصاق بأى طريق . ويؤكد الرسول هذا المعنى فيما يرويه الإمام أحمد بسنده ان النبى قال : **إذا تنخم أحدكم فليغيب نخامته أن تصيب جلد مؤمن أوثوبه فتؤذيه** » . . والمسلم الذى يرتاد المسجد عليه أن يتخلص من أى رائحة كريهة تؤذى المسلمين . فلابد أن يختار نوع الطعام الذى لايجلب الأذى وفى ذلك يروى الامام مسلم بسنده عن رسول الله أنه قال : **من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**. وفى رواية مسلم عن عمر **ابن الخطاب ان رسول الله كان إذا وجد رائحة البصل أوالثوم من الرجل فى المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع**.. ولايقف الأمر عند التخلى عما يؤذى. ولكنه يرغب فى الأشياء التى تجلب المسرة للنفوس ومن ذلك استحباب التعطر بالروائح الطيبة ولبس أحسن الثياب وبخاصة يوم الجمعة وذلك بأن يجعل له اغتسالا خاصا . لأنه عيد أسبوعى فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **إذا كان يوم الجمعة فاغتسل الرجل وغسل رأسه ثم تطيب من أطيب طيبه ولبس من صالح ثيابه ثم خرج الى الصلاة ولم يفرق بين أثنين ثم استمع الإمام غفر له من الجمعة الى الجمعة** . . كذلك يرغب الإسلام فى تنظيف المسجد والعناية به . فى صحيح البخارى أن أمراة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله . فسأل عنها بعد أيام فقيل له إنها ماتت فقال : **فهلا أذنتمونى فأتى على قبرها فصلى عليها** . . وفى رواية عن الطبرانى إن إخراج القمامة منها مهور الحور العين . . وتروى السيد عائشة فتقول : **أمرنا رسول الله ببناء المساجد فى الدور وأن تنظف وتطيب** . . وعن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب كان يبخر مسجد رسول الله كل يوم جمعة لكثرة اجتماع الناس فى ذلك اليوم . . وهناك نوع آخر من النجاسة ، هى النجاسة المعنوية . وهى نجاسة الجنابة والحيض يقول الرسول : **لا أحل المسجد لحائض ولا جنب** » أما التردد والعبور لمصلحة فيجوز لقول الله تعالى : « **ولا جنبا إلا عابرى سبيل** . . » أما الكافر فلايصح أن يدخل المسجد إلا أن يكون لحاجة كأن يكون لخصومة بشرط أن يؤذن له فى الدخول . ولقد حدد الله رسالة المسجد فى قوله : « **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** . . » كذلك حدد الله رسالته فى قوله تعالى : وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا . . ومن الخروج عن رسالة المسجد . أن تتحول الى مكان للبيع والشراء . فذلك معناه ان تنقلب المساجد إلى اسواق وتضيع المهمة التى خلقها الله من أجلها يقول رسول الله فيما يرويه النسائى عن أبى هريرة أن رسول الله قال : **إذا رايتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا له : لا أربح الله تجارتك** . . ومن ذلك أيضا أن تنقلب المساجد إلى نوع من الإعلان عن الشىء الضائع أو الضال يروى مسلم ان رسول الله ﷺ قال : **من سمع رجلا ينشد ضالته فى المسجد فليقل : لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا** . . ومن استعمال المسجد فى غير ما وضع له . **أن تنشد فيه الأشعار** . عن عبد الله بن عمر : **نهى رسول الله عن البيع والشراء فى المسجد وأن تنشد فيه الأشعار وان تنشد فيه الضالة**

ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة » ولقد حدد الإسلام نوع الشعر الذى يسمح بإنشاده فى المسجد وأنه ذلك الشعر الحسن الذى يكون موضوعه ثناء على الله وأن يدعو إلى مكارم الأخلاق والحض على الجهاد. عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ذكر الشعر عند رسول الله فقال : **هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح . وروى البخارى ومسلم أن عمر بن الخطاب مر بحسان بن ثابت ينشد فى المسجد فلحظ إليه - أى نظر إليه فى غضب - فقال : قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ثم التفت إلى أبى هريرة وقال : أنشدك بالله : أسمعت رسول الله يقول : أجب عنى . اللهم أيده بروح القدس ؟ قال ابو هريرة : نعم . . ومن استعمال المسجد فى غير ما وضع له . أن يسأل أحد فيه الصدقة . لأن ذلك فيه حرج للمسلم إلا إذا كان مضطرا بشرط ألا يؤذى أحدا من المسلمين.**

وعلاقة الانسان بربه قائمة على أساس أن الله يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور . ولهذا فإن رفع الصوت بالعبادة يتنافى مع ما يجب أن يكون عليه المسلم فى عبادته حيث يقول الله : « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين . .** » وبعض المفسرين يقول : إن المراد بالمعتدين هنا : هم هؤلاء الذين يرفعون أصواتهم بالصلاة والذكر . . ! اننا لا ندعو أصم ولا أعمى إنما ندعو سميعا مجيبا . . وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عمر أن النبى خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال : **إن المصلى يناجى ربه عز وجل فلينظر بم يناجيه ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن** » ويستثنى من ذلك دروس العلم وخطبة الجمعة وقراءة الامام فى الجماعة ولكى تصان المساجد من العبث والقذارة . فإن السنة النبوية أمرت أن يجنب المجانين والأطفال الذين لا يميزون المساجد فهؤلاء لا يستطيع أن يتحكم فيهم أحد . بل إن عمر ابن الخطاب كان إذا وجد صبيانا يلعبون فى المسجد ضربهم بالدرة .

كذلك يجب صيانة المسجد من أن يراق فيه دم فى صحيح البخارى أن رسول الله قال : من مر فى شىء من مساجدنا أو أسواقنا بنبل فليأخذ على نصالها لا يعقر بكفه مسلما » .

ومن حقوق المساجد على المسلمين . أن تعمر بالذكر والصلاة ودراسة القرآن وغير ذلك من العلوم التى تنفع المسلمين فى دنياهم وآخرتهم فى مسند الإمام أحمد أن رسول الله يقول : **إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان قال الله تعالى : إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** » فى رواية مسلم أن رسول الله قال : « **ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده** » ولكى تعمر هذه المساجد فإن نبى الله رغب فى صلاة الجماعة فيها . . فى البخارى عن أبى **هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة . فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى صلاة لم يحدث** » .

كلمة

■ معلم نفسه ومؤدبها . . أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم !

« امام الشهداء . .
على بن أبى طالب »

من أسرار الصيام

فضيلة الشيخ
صلاح الدين محمد نور الدين

إن من يتأمل فى قصة خلق آدم وحواء وخروجهما من الجنة يجد أن شهوة البطن هى أولى الشهوات التى سببت لهما كل ما حاق بهما حيث نهاهما ربهما عن الأكل من الشجرة فغلبتهما شهوة الأكل من الطعام الممنوع فأكلا منه فبدت لهما سوآتهما وتبع ذلك شهوة الجسم وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة.

وهكذا أصبحت شهوة البطن مصدر الشهوات ومبعث الأدواء والآفات ويتبعها شهوة النكاح ثم الرغبة فى المال والجاه ومن هنا تتولد انواع المفاسد والمنافسات وينشأ الحسد والكبرياء والعداوة والبغضاء إلى غير ذلك من السيئات التى يحركها ابليس فى نفس الانسان ولا سبيل الى مقاومته إلا عن طريق الجوع ولهذا عمل المصطفى ﷺ على تربية النفس على التقليل من الطعام لأن ذلك من شأنه أن يحد القوى ويضعف الشهوات التى تتولد عنها المعاصى فكان يقول صلوات الله وسلامه عليه « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » ويقول ﷺ « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » ويقول أيضا إن الشيطان ليجرى فى الانسان مجرى الدم فضيقوا عليه بالجوع.

وعنه ﷺ نور الحكمة الجوع ورأس الدين ترك الدنيا والقربى إلى الله حب المساكين والدنو منهم، وكان لهذه التعاليم اثرها الفعال فى نفوس المسلمين فى عهد رسول الله ﷺ حيث تغلبوا على الشهوات وانصرفوا إلى الطاعات فأنا لهم الله أعلى الدرجات ولقد فرض الله الصيام على عباده فى جميع الديانات السابقة بطرق مختلفة وشرعه القرآن الكريم للمؤمنين بالطريقة التى هو عليها فى رمضان وارشدنا إلى الغاية المرجوة منه بقوله «**يأيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**» فأخبرنا الحق تبارك وتعالى ان الحكمة من الصيام هى تقوى الله وهل من تقوى أعظم من أن يراقب الانسان ربه ويردع عن الشهوات نفسه ويحفظها ويخضعها امتثالا لأمر الله تبارك وتعالى يترك طعامه وشرابه حباً فى رضاه وفى هذا أعظم معانى الجهاد للنفس باذلالها وشدة حاجتها الى لقمة من العيش وشربة من الماء فلا تتكبر على عبادته وتذكر حالة الفقير فتكثر من الصدقات وتحسن كما أحسن الله إليها وبذلك تسمو وترتفع وتكون مثلا أعلى للكمال الانسانى والنفس العالية.

ولهذا لم يكن الصوم من العبادات الايجابية التى تشاهد بخلاف غيره من العبادات التى يؤديها الانسان ويراها الناس بل هو عمل سلبى فى الظاهر بالإمساك عن الطعام والشراب لكنه لا يتحقق الا بعمل إيجابى من ناحية القلب بالنية والصبر ومراقبة الله فيصل الانسان بصومه الى مجموعة من الفضائل والمكرمات ويحصل على عظيم الاجر وارفع الدرجات فالصيام بهذه الكيفية من أفضل العبادات لبعده عن الرياء كما قال عليه الصلاة والسلام الصيام لا رياء فيه. يقول الله فى الحديث القدسى « الصوم لى وانا أجزى به يدع طعامه وشرابه من أجلى » والصيام من العبادات التى تقوم على دعائم الصبر فهو صبر على طاعة الله وصبر على المحارم والشهوات وصبر على آلام الجوع والعطش ولهذا كان الرسول ﷺ يسمى رمضان شهر الصبر وورد عنه أنه قال الصوم نصف الصبر وهل من صبر أعظم من أن يمتنع الانسان عن شىء يشتهيه وهو فى متناول يده. وهل من صبر أجل من الصبر على مقاومة النفس فى أعظم شهواتها وأحبها اليها وهى شهوة البطن والفرج وهل من صبر أحب إلى الله من صبر كان منشؤه والباعث اليه مجرد الخوف من الله كم هو عظيم أن تتطلع نفس الصائم الى الشهوات وتتهيأ الفرص والأسباب وهو فى خلوة من الأفطار فيعرض عنها لمحض خشية الله ويؤثر رضاء الله على كل لذة ولقد جاء فى الحديث انه ليس المقصود من الصيام مجرد الأمساك عن الطعام والشراب والجماع بل لابد من الإمساك عن الكلام البذىء والعمل القبيح وسائر المحرمات اذ يقول ﷺ الصيام جنه. ستر ووقاية.

إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم ويقول ﷺ إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته ولما تلا قوله تعالى « **إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها** ». وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع أمانة والبصر أمانة ولولا أن السمع والبصر من أمانات الصوم لما قال ﷺ فإن امرؤ سابه أو قاتله فليقل إنى إمرؤ صائم. نسأل الله أن يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أزاهير

الأستاذ محمد عبده قتاوى

● مرحبا بالصوم ●

« عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم . . والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه » رواه البخارى

● أحب الشهور إلى الله

يقول ابن الجوزى فى بستان الواعظين :

(مثل الشهور الاثنى عشر كمثل أولاد يعقوب ، وكما أن يوسف أحب أولاد يعقوب إليه ، كذلك رمضان أحب الشهور الى الله وكما غفر لهم بدعوة واحد منهم وهو يوسف ، كذلك يغفر الله ذنوب أحد عشر شهرا ببركة رمضان) .

ويقول الرازى (إن الله سبحانه وتعالى خصه بأعظم آيات الربوبية وهو أنه أنزل فيه القرآن فلا يبعد أيضا أن يخصصه بنوع عظيم من آيات العبودية وهو الصوم .

● شهر السباق

وصف الحسن البصرى شهر رمضان بقوله :

إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته ، فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا .

فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون . أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسيىء بإساءته عن ترجيل شعر أو تجديد ثوب)

● صيام بحاجة إلى صيام

مر الجنيد بحانوت وكان الوقت رمضان ، فألفى صاحب الحانوت يغلظ للناس فى القول ، ويتأفف إذا حاوره أحدهم فى ثمن بضاعته .

فقال له الجنيد : يا هذا أصائم أنت ؟

فقال له الرجل : صائم والحمد لله

فقال له الجنيد : كيف تدعى أنك صائم وأنت على المسلمين لسان خشن وطبع غليظ ويد لا تعرف الرحمة ؟

يا هذا إن صيامك يحتاج إلى صيام !!

● فلسفة آثمة

مر بهلول المجنون بقوم يجلسون على قارعة الطريق فى شهر رمضان وكلما مرت بهم امرأة أخذوا يحدقون فيها بعيونهم ويوجه لها أحدهم كلمة غزل رقيقة ، فإغتاظ بهلول غيظا شديدا وقال لهم : أما تستحون من الله فى شهر الصيام فغضوا أبصاركم عن محارمه ، فانبرى له واحد منهم وقال :

أتريد منا أن تصوم عيوننا ... عن كل فاتنة وكل كعاب ؟ !
إنا نميل إلى الحسان فلاتكن ... حربا على العشاق والأحباب
الله للصوام يفتح بابه ... أتراك ممسكها على الأبواب

فلسفة آثمة ، ومنطق لا يخرج إلا من قلوب ران عليها الضلال واستبدت بها الآثام ألم يسمعوا قوله عليه الصلاة والسلام (اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك) .

● صيام ليس لوجه الله

كان الشاعر المتفلسف الزنديق ابن الراوندى سمين الجثة ضخم البطن لشرهه وجشعه ، وقد عشق فتاة رشيقة لعوبا وطلب يدها من ذويها فقالت له : لن أتزوجك حتى تزول السمنة . فتعجب الرجل وسألها ومتى يكون ذاك فقالت : إذا صمت رمضان . . وكان الزنديق ملحدا لا يعترف بصيام فاضطر إلى أن يصوم هذا العام كارها وفى ذلك يقول :

وقائله وقد خطرت امامى ... سمنت وكنت قبلئذ نحيفا
وراءك فى غد شهر طويل ... فصمه لكى تكون فتى خفيفا
لوجهك لا لوجه الله صومى ... ولو أنى لقيت به الحتوفا

صيام ليس لوجه الله وبالتالى لاجزاء عليه ، الصوم لابد أن يكون من مؤمن يملأ الإيمان شغاف قلبه ويتجه به إلى الله وحده . يقول عليه الصلاة والسلام (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

● الحياء أيها المفطرون

هناك أسباب مسوغة للأفطار فصلها الفقهاء فى مكانها لأن الدين يسر لا عسر وصحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان كما تقضى الأحكام الشرعية .

ولكن مما يملأ النفس أسى ولوعة أن نرى بعض الشباب القوى المملوء صحة وعافية ، القادر على الصوم يفطر جهارا نهارا بلا حياء أو خجل فى شهر رمضان ويتحدى الصائمين بنفث الدخان فى وجوههم فى الأماكن الضيقة وفى وسائل المواصلات المختلفة ، فكأنه لا يكفيهم أن يظهروا فى صورة المنى من الدين ، الفاسق عن أمر ربه حتى يضموا إلى ذلك التجرد من الحياء والتخلق بأخلاق المجان والخلعاء السادرين فى الغواية والضلالة .

يروى بعض المؤرخين أن أحد المجوس رأى ابنه يأكل فى نهار رمضان فضربه وقال له : هلا حفظت حرمة المسلمين فى رمضان !

ويحكى لنا ابن خلكان صاحب (وفيات الأعيان) أن الأديب العظيم أبى اسحق الصابى (ولم يكن مسلما) كان يصوم رمضان مجاملة للمسلمين كما كان يحفظ القرآن أحسن حفظ .

● جزاء المفطرين

قال ﷺ :

(من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله)

ويقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام :

(بينما أنا نائم أتانى رجلان فأتيا بى جبلا وعرا فقالا : اصعد فقلت : لا أطيقه فقالا : سنسهله لك ، وصعدت حتى إذا كنت وسط الجبل إذا بأصوات شديدة قلت : ما هذه الأصوات ، قالا : هذا عواء أهل النار ثم انطلقا بى فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دما قلت : من هؤلاء قالا : الذين يفطرون قبل تحلة صومهم (أى يتجارءون على الافطار بالنهار) .

وقال الإمام الحافظ الذهبى :

(وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا مرض أنه شر من الزانى ومن مدمن الخمر بل يشكون فى إسلامه ويظنون به الزندقه والانحلال)

أيها المفطرون الحياء الحياء ، ورجوعا إلى طريق الله المستقيم تسعدوا وتفوزوا .

● الصيام والحر وأسوان

فى مكتبة قصر الثقافة بمدينة أسوان وبينا كنت أطالع فى صحيح البخارى لاعداد هذه الأزاهير جلس بجانبى شاب ولما عرف أنى أقرأ فى أحاديث الصيام بادرنى قائلا :

نحن فى أسوان حيث الحر شديد والشمس محرقة ورمضان سيكون هذا العام فى ذروة حر الصيف ألا يجوز لنا الفطر وعذرنا صعوبة الصيام فى الحر ؟ !

وتناقشنا طويلا حول الصوم وفوائده الصحية والخلقية والاجتماعية وكيف كان قدماء المصريين يصومون وكيف كان اليونان والرومان والأمم البدائية الأخرى تصوم مما يدل على أن الصوم شريعة فطرية والاسلام دين الفطرة السليمة فلا يفرض على الإنسان إلا ما يتعلق مع الفطرة ويكون فيه له نفع عظيم .

وانتهى النقاش إلى إقتناعه ويسرنى أن أهدى اليه وإلى الصائمين هذه اللقطات عن الصيام فى الحر .

● إنما صمت ليوم أشد حرا

كان الحجاج يتغدى يوما فى البادية فأمر تابعه أن يدعو إليه أعرابيا يشاركه الطعام فاحضر التابع راعيا وجده هناك فقال الحجاج للراعى :

أغسل يدك وهيا تغد معى) .

فاعتذر الراعى قائلا : لقد دعانى من هو خير منك فأجبته .

فقال الحجاج غاضبا : من ذا الذى دعاك وهو خير منى ؟ !

فقال الراعى : دعانى الله إلى الصيام فصمت .

وسأله الحجاج : أفى هذا الحر تصوم ؟ !

فقال الراعى : إنما صمت ليوم أشد حرا .

فقال الحجاج : افطر الآن وصم غدا .

فقال الراعى : أفعل إن ضمنت لى البقاء الى غد .

فقال الحجاج : ليس ذلك بيدى .

فقال الراعى : إذن كيف تسألنى عاجلا بآجل لا تقدر عليه ؟

فقال الحجاج : لأنه طعام طيب .

قال الراعى : والله لم تطيبه أنت ولا الطباخ ولكن طيبته العافية .

● جزاء الصائمين فى الحر

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية فى البحر وبينا هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ، فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مخبرا قال : إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له فى يوم حار سقاه الله يوم العطش وكان حقا على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة .

قال راوى الحديث معقبا : فكان أبو موسى يتوخى اليوم شديد الحر الذى يكاد ينسلخ فيه حرا فيصومه .

● وصية عمر

حين أحس عمر الموت أوصى ابنه عبد الله فقال له : **يا بنى عليك بخصال الايمان قال : وما هن يا أبت ؟**

قال : الصوم فى شدة أيام الصيف ، وقتل الأعداء بالسيف ، والصبر على المصيبة ، وإسباغ الوضوء فى اليوم الشاق ، وتعجيل الصلاة فى يوم الغيم وترك شرب الخمر .

وأخيرا أيها الصائمون الكرام نتمنى لكم صياما مقبولا ٠٠٠
وكل عام وأنتم بخير ؟

الدعوة الإسلامية والاعلام

الأستاذ
محمد كمال الدين

عرفنا كيف وصفت الدراسات الاعلامية الحديثة شروطها فى المرسل والرسالة والمرسل اليه . . . وقلنا ان الاسلام ـ الذى سبق كل هذه الدراسات القرون طويلة ـ وضع ايضا شروطا لهذه المبادئ فالمرسل فى الاسلام هو الله سبحانه وتعالى ، نزل به جبريل الأمين على رسولنا محمد ﷺ ، ليكون رسولا من رب العالمين إلى الناس كافة ، فالمرسل أو المبلغ فى عرفنا هو محمد النبى الأمى ، من لدن حكيم عليم ، وقد توفرت فيه كل شروط الزعامة والاصلاح ، فهو من أصل نبيل ، جده عبد المطلب كان سيدا فى قومه حكما يرجع اليه بالرأى والمشورة جوادا كريما وأبوه عبدالله أشرقت جبهته بالنور السماوى ، وامتدحه القوم خلقا وخلقة ، أما محمد فهو سلالة هذا السلف الصالح ، ويروى عن البخارى ومسلم أنه قال : « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » . وقد شهد له عمه أبو طالب بهذا فقال عنه فى مشهد حافل حضره جمع كبير من بنى قومه : « ان ابن أخى هذا محمد ابن عبد الله لا يوزن برجل الارجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، فان كان فى المال قل وأن المال ظل زائل وامر حائل ، ومحمد من قد عرفتم قرابته . . »

اما حياته ومعاملته فى القوم ، فان كتب السنة تروى انه كان لين الكلام ، حسن الصوت قويه ، لا يقول هجرا ، ولا ينطق هذرا ، يخاطب كل انسان على قدر عقله ، يكلم كل قبيلة بما تعرفه ، اذا فرح غض طرفه ، سهل الخلق ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولاصخاب ولافحاش ولا عياب ولا مزاح ، يقابل السيئة بالحسنة ، يصل من قطعه ، ويعطى من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، وكان أشد الناس خشية من الله ، حلمه يسبق غضبه ، أسخى الناس كفا ، وأشدهم حياء ، يشاور أصحابه فى الأمر ، يمشى مع الأرملة والمسكين والضعيف فى حوائجهم ، يلبس ما نسج من القطن ، يحلب شاته ، ويخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويخدم نفسه ، يأكل مع الخادم ، ويطحن معه ، ويحمل بضاعته من السوق ، وكان أفصح الناس ، رغم أميته ـ وأعذبهم كلاما ، وكان شجاعا بأدق وأشمل ما تحمل هذه الكلمة من مدلول ومعنى ، وما من شجاع إلا أحصيت له فرة ، وحفظت عنه جولة . . الا رسول الله ، ﷺ ، وكان يلقب قبل البعثة بالصادق الأمين . . (انظر اكتاب : خاتم المرسلين حياة ورسالة : يوسف الشال العدد ٤٨ من سلسلة مجمع البحوث الاسلامية ـ ١٩٧٢ ص ٢٧١ ، ٢٧٢)

هذه الصفات الإلهية والبشرية معا تجعل من رسول الله ﷺ بشرا سويا . . وقد قال فيه الله سبحانه وتعالى : « **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** » (البقرة ١٥١) . « **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين** » (الجمعة ٢) . « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » (الاحزاب ٢١) . « **محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** » (الفتح ٢٩) . « **يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا** » (الاحزاب ٤٥ ـ ٤٦) . « **قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد** » . (الكهف ١١٠) .

هذا عن المرسل ، أو صاحب الرسالة ، أو محمد الزعيم والقائد ، ومثال الإنسان الكامل ، أما عن الرسالة ، وهى هنا الاسلام الحنيف ، وشريعة الله الغراء ، فالاسلام فى نفسه يعتبر اعلاما قائما بذاته ، اعلاما بدأ نزوله منذ مولد البشرية ، ولهذا نجد اشارات اليه فى الرسالات السابقة عليه مثل رسالة ابراهيم عليه السلام : « **ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما .** » (آل عمران ٦٧) ، « **ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن إلا وانتم مسلمون .** » (البقرة ١٣٢) وحين حضر يعقوب الموت كان سؤاله لبنيه : **ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون** » (القرة ١٣٣) . ثم يكون الدليل القاطع على أن الاسلام هو دين البشرية منذ مولده فى قوله تعالى : « **أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون ، قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** » (آل عمران ٨٣ ـ ٨٤) ، ثم يقوم دليل آخر على خلود الاسلام ، وانه دين البشرية منذ مولدها والى أن يرث الله الأرض ومن عليها : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين .** » (آل عمران ٨٥) . فاذا كنا نصل من ذلك كله إلى أن رسالة الاسلام هى الرسالة الخالدة ، وهذه الرسالة الباقية والشاملة ، فماذا عن هذه الرسالة ، وما هى الأسس والمبادئ والأصول التى تتضمنها ؟ هذا كله يحتاج إلى وقفة بل وقفات . . فإلى لقاء . ؟

وجاء رمضان

فضيلة الشيخ محمد هلال عبد الرسول

رحمة من الله بعباده .. وفتحا لباب الأمل والرجاء فى مرضاته ورضوانه. حيث يطلع الله عليهم. ليقبل توبة التائب. وانابة الراجع اليه. ومغفرة المستغفر وفى هذا يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه (إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان. فلم يغلق فيها باب فى الشهر كله. ثم أمر الله مناديا يقول. يا طالب الخير أقبل. ويا باغى الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطى سؤاله. هل من تائب فيتاب عليه) وجاء رمضان ليبعث العالم من رقدته. ويثيبه الى رشده. ويوقظه من غفلته. ويصهر قلوبهم بأداب الصيام. ويعالج نفوسهم ويزكيها بعملية القيام. وينمى فيهم خلق التكافل الاجتماعى بفضيلتى الجود والعطاء. ويرشد عقولهم. بنور العلم. ويصلح الأفئدة الحاقدة الحاسدة. باشراق الايمان

فرحبا بهذا الشهر المبارك. نورا وضياء وصلاة وقياما. وعبادة وطاعة. وجودا واحسانا. ومحبة وإيثارا

وجاء رمضان ليعيش الذين بعدوا عن تعاليم الرسالة وهدى القرآن. وجمدت فيهم القيم الروحية. التى ذابت امام طغيان المادة

مع ذكريات الاسلام الخالدة. التى كان رمضان وعاء لها، ففيه كانت بعثة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه على حين فترة من الرسل ليعدل به مسار تاريخ الحياة. ويهدى به الضال. ويرشد به الحائر ويجمع الله به القلوب المتنافرة ويوحد به الأمة الممزقة وفيه كان بدء نزول القرآن المجيد. مصدر الهداية والتشريع وهو الصراط المستقيم. والنور المبين. والسراج الوهاج. والهادى إلى أقوم السبل. وهو المعجزة العقلية الخالدة خلود الحياة والأحياء

[كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير]

ولنترك الامام على كرم الله وجهه يروى وصف رسول الله للقرآن الذى أنزل عليه. **شفاء لما فى الصدور. وهدى ورحمة للعالمين.**

قال الحارث الأعور مررت بالمسجد فاذا الناس يخوضون فى الأحاديث فذكرت ما سمعت للامام على بن أبى طالب فقال: أما وقد قالوها فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

- انها ستكون فتنة - فقلت ما المخرج منها يا رسول الله

فقال: « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله. ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله. وهو حبل الله المتين. والذكر الحكيم. والصراط المستقيم. وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن. ولا يخلق من كثرة الرد. ولا تنقضى عجائبه، ولا يشبع منه العلماء. ولا تختلف به الآراء. من قال به صدق. ومن عمل به أجر. ومن حكم به عدل. ومن دعا إليه فقد هدى الى صراط مستقيم ».

هذا القرآن الذى وعاه المسلم الأول. وكان قائده. فى مسيرته ففتح الله به قلوبا غلفا. وأعينا عميا. وآذانا صما.

ووجدت فيه الأمم. التى ضلت الطريق الى الله.

الامام الموجه. والاستاذ المعلم المرشد، والمنهج القويم.

والحياة الطيبة والسعادة الدائمة. التى تصلح المرء فى دينه ودنياه.

وفى رمضان التقت طائفتان. طائفة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة. فأمد الله حزبه بمدده. وتجاوبت السماء مع الأرض.

وبذلك كان لله الغلبة. ليكون ذلك دليلا. وتاريخا يحفظه الخلف من السلف. ان النصر من عند الله وحده.

مصداق قول الحق جل وعلا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

والقرآن المجيد يشير الى ذلك صراحة فى حديثه عن القوة المادية يوجهنا الى أن نتزود منها قدر الطاقة الممكنة كما يتضح من قول الله

[وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل]

وأما فى حديثه عن القوة الروحية. فيوصى بالكثرة الكثيرة منها من غير ما حد وصدق الله القائل:

[يا أيها الذين أمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون]

وفى رمضان صدق الله وعده ونصر عبده. وعادت الدعوة المهاجرة الى مكة المكرمة فاتحة منتصرة ترعاها رعاية الله.

ودخل رسول الله ام القرى وقد خرج منها ليلا والكل مجمع على قتله وعاد اليها والجميع يحوطه بحبه. وبعد أن قضى رسول الله على معقل الوثنية. ابان للطغاة الذين عاثوا فى الأرض فسادا. ان دين الله الخالد. قوامه العفو والصفح.. وان الحسنة والسيئة لا يستويان.

وليس عجبا ان يطل التاريخ من أوسع أبوابه ليسجل قول رسول الله الخالد - اذهبوا فانتم الطلقاء - وجاء رمضان ليروض المسلم ويخلقه بخلق الاخلاص لله رب العالمين فى الحديث القدسى عن رب العزة - كل عمل ابن ادم له الاالصوم فانه لى وأنا أجزى به -

والاخلاص روح الدين. وطريق الحياة الطيبة. ودليل على اشراق العقيدة وصفاء الايمان. وصدق اليقين، ليعيش المسلم كريما. مرفوع الرأس. لا يذل الا لله. ولا يخضع الا للرحمن. ايمانا ويقينا. بأن الأقلام جفت. والصحف طويت عن رزق محدد. وأجل محدد. وان ما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وبهذا يكون مع الحق. ذا نسب عريض. يحققه أياً كان. انطلاقا من قول الحق جل وعلا [**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله**]

والأمة لا تحيا الحياة الايمانية الصادقة. الا اذا تواصت بالاخلاص فى بينها. وكان دستورها. قولا وعملا. إيجابا وسلبا.

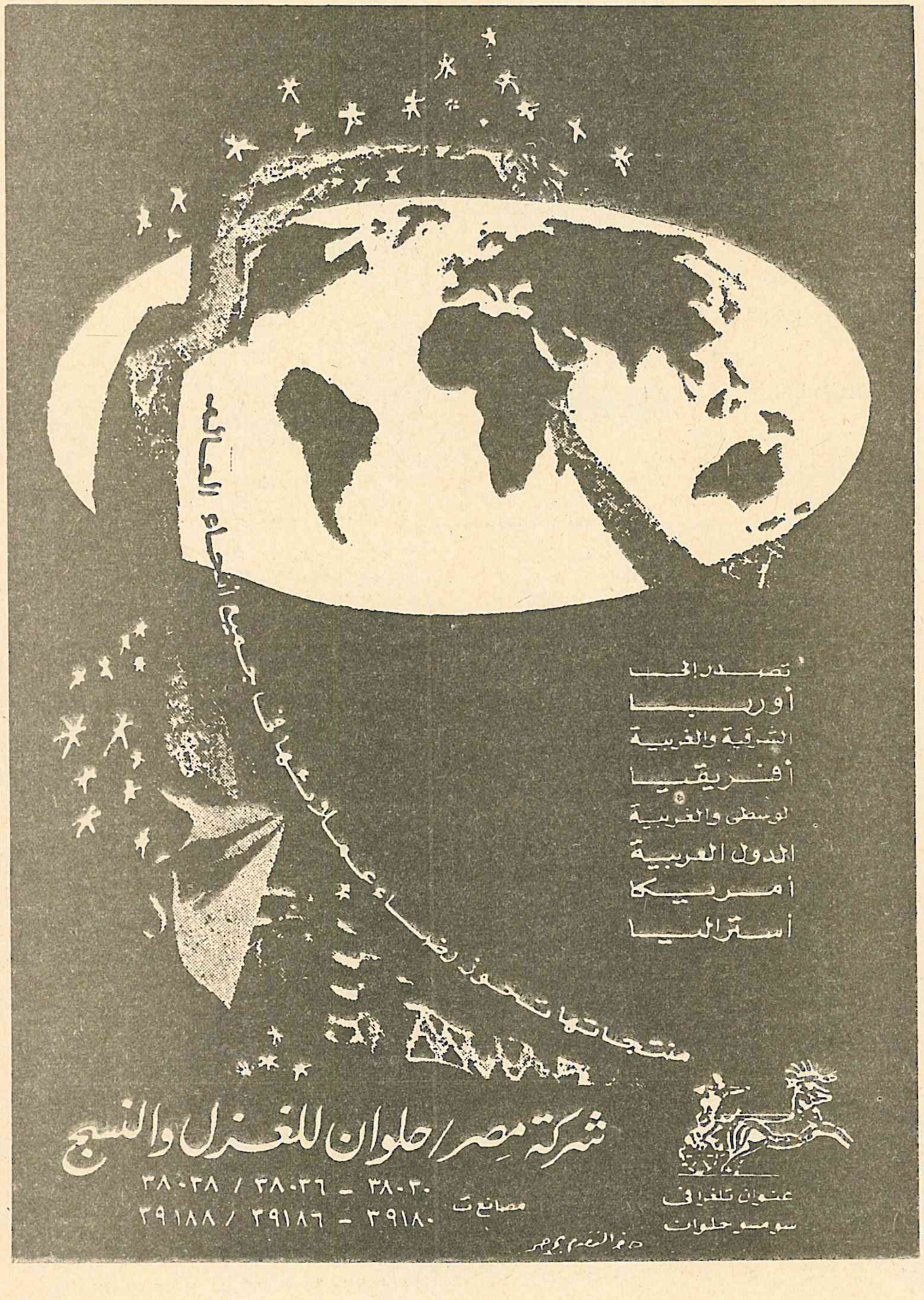

منتجاتها تحوز رضاء عملائها في جميع أنحاء العالم
تصدر إلى
أوربا
الشرقية والغربية
أفريقيا
الوسطى والغربية
الدول العربية
أمريكا
أستراليا
شركة مصر/حلوان للغزل والنسيج
مصانع ت ٣٨٠٣٠ - ٣٨٠٣٦ / ٣٨٠٣٨
٣٩١٨٠ - ٣٩١٨٦ / ٣٩١٨٨
عنوان تلغرافي
سومسو حلوان

وصدق الله القائل - [**والعصر إن الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**]

ولنا فى رسول الله اسوة حسنة . فلقد كان صلوات الله وسلامه عليه تجسيدا عمليا لفضيلة الاخلاص .

وصدق القرآن المجيد الذى يقص عن رسول الله ﷺ قوله :

[**قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين**]

فكان فى دعوته اخلاصا دعا الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وكان فى قوله اخلاصا يصادق قوله عمله . وكان فى جهاده اخلاصا . يقول الامام على كرم الله وجهه

- كنا إذا حمى اليأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب الى العدو منه - وكان فى عبادته لربه اخلاصا يعبده حتى تتورم قدماه واذا ما سئل صلوات الله وسلامه عليه فى ذلك قال - أفلا أكون عبدا شكورا -

والصائم الحق . الذى يكون صومه فى معيار الاسلام . وتتفتح له ابواب السماء بالقبول . هو الذى يكسبه صومه هذه الفضيلة . وجاء رمضان ليقوم لساننا . ويهدينا الى الطيب من القول . حتى نقابل السيئة بالحسنة . وان نعفو حيث تكون المقدرة

فمن أوصاف عباد الله ما قصه الله فى قرآنه -

[**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**]

وما أعظم هذا التوجيه النبوى الشريف للصائم حتى اذا ما تجاوب معه كان من عباد الله المصطفين الأخيار الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه . يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

- الصيام جنة فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق وان امرؤ قاتله أو سابه فليقل انى صائم والذى نفس محمد بيده لخلوق فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما اذا افطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه -

لأن الصائم يعيش مع الله فى صومه فلا يطاوع نفسه هواها ايمانا منه بان اللسان جارحة ذو حدين فهو مسعده أو مشقيه وصدق الامام حجة الاسلام الغزالى فى وصفه اللسان حيث قال . اللسان ضئيل جرمه عظيم جُرمه -

ولقد سأل الصحابى عقبة بن عامر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه عن النجاة يوم الفزع الأكبر فكان الجواب النبوى

- احفظ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك -

وساعة ان قال معاذ بن جبل لرسول الله ﷺ انحن مؤاخذون بما تقوله ألسنتنا فقال صلوات الله وسلامه عليه :

- وهل يكب الناس فى النار الا حصائد ألسنتهم -

ولا تظن ايها الانسان انك بصومك عن شهوتى فى البطن والفرج تكون صائما . وتستبيح لنفسك اكل عرض أخيك المسلم بالغيبة والنميمة . وتأكل اموال الناس بالباطل . وتعثو فى الأرض فسادا ففيك يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

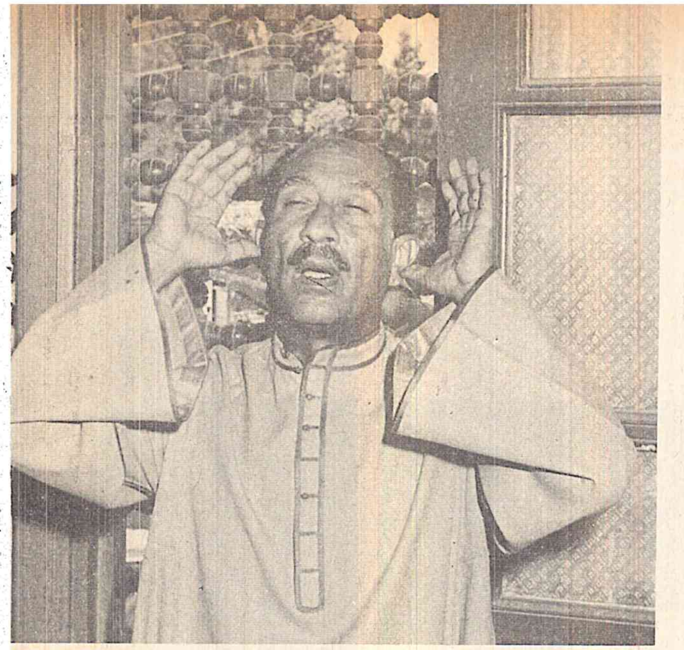

دعاء

- **ربنا اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر .**
- **ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا .**
- **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .**

- رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر -

عن عبيد مولى رسول الله ﷺ ان امرأتين صامتا وان رجلا قال يا رسول الله ان ههنا امرأتين قد صامتا وانهما كادتا أن تموتا من العطش فاعرض عنه الرسول فقال الرجل انهما والله قد ماتتا أو كادتا ان تموتا فقال رسول الله ادعهما قال فجاءتا فجيء بقدح فقال لأحداهما قيىء فقاءت دما وقيحا حتى ملأت نصفه وقاءت الأخرى مثل ذلك فقال صلوات الله وسلامه عليه

- هاتان صامتا عما احل الله . وافطرتا على ما حرم الله عليهما خلست احداهما الى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس .

وجاء رمضان . ليغرس فينا خلق المراقبة لله أحكم الحاكمين الذى يعلم السر وأخفى من السر . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فالصائم يعيش مع حدود الصوم وأدابه وفرائضه . ولا رقيب عليه الا الله فاذا أكل أو شرب أو أتى بما يعطل صومه فلا يعلم بذلك الا علام الغيوب .

وبهذا يكون الصائم متخلقا بخلق الاحسان الذى وضحه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بقوله :

- ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك - وجاء رمضان المعظم . ليخلق فى الانسان قوة فى ارادته وسلطانا على شهواته . وميول نفسه . فمقاومة ما تعوده المرء فى حياته اليومية يحتاج الى أن يكون الانسان ذا سلطان قوى على شهواته .

والحق ان الصوم مدرسة جامعة لكل معانى الخير . فهو تهذيب وتقويم وارشاد . فلنتخذ منه موسما للطاعة والعبادة . والتحلى بمكارم الأخلاق وكريم العادات حتى تنعم برضوانه ومرضاته

وعلى الله قصد السبيل ؟

التصوف
والفلسفة
الإسلامية

الصوفية في إلهامهم

أهل المعرفة واليقين

يقول سيدى أبو على الروذبارى رضى الله عنه : أنفع اليقين ما عظم الحق فى عينيك ، وصغر ما دونه عندك ، وأثبت الخوف والرجاء فى قلبك . ويقول سيدى أبو على الثقفى رضى الله عنه : ينبغى الا تفارق هذه الخلال الأربعة . صدق القول - وصدق العمل - وصدق المودة - وصدق الأمانة .

ويرينا سيدى أبو طالب المكى رضى الله عنه آثار اليقين الذى يتحلى به المؤمن فيقول : إذا أيقن العبد علم أن عمره كله يوم ، وأن يومه كله ساعه ، وأن ساعته كلها وقته الآن وأن وقته حاله وأن حاله قلبه ، فأخذ من حاله لقلبه ما يقربه إلى مقلبه بنهاية عمله ، فعمل أفضل ما دل علمه عليه وما ندبه مولاه اليه ، ومما يحب أن يفجأه الموت عليه فيكون ذلك خاتمة عمله الذى يلق مولاه به ثم أخذ من وقته لحاله ما يصلح حاله لقلبه ، ويقوى قلبه ويخلصه لربه وأخذ من ساعته لوقته مايزيد به حاله عند ربه وأخذ من يومه لساعته صلاحه فيها وحاجته إليها ، وأخذ من شهره ليومه ، فكان شهره يومه ، وكان يومه ساعته ، فشغله وقته عن ساعته ، وشغله حاله عن وقته ، فكان على هذا مراعيا لوقته محافظا على حاله قائما على نفسه جامعا لهمه ، محصيا لأنفاسه مراقبا لرقيبه مجالساً لحبيبه .

لا يخرج عنه نفس فى أدنى وقت الا فى ذكر المذكور أو شكر لنعمة المنعم أو صبر فى محبة عتيدة ، أو رضا عند شدة شديدة ، ويكون فى ذلك كله ناظرا إلى الرقيب مصغيا إلى القريب ، سائحا إلى الحبيب ، لا ينظر إلا اليه ولا يعكف إلا عليه وقد جعل العمر يوما واليوم ساعة والساعة وقتا والوقت حالا ، والحال نفسا والنفس مراقبة والمراقبة مواجهة .

فتوجه فى وجهته فلم ينثن وساح فى قربه فلم ين فكان من الايمان على مزيد ومن اليقين فى تجديد وأعطى من الحياة الطيبة بغير حساب ، وكشف له عن قلبه الحجاب فكانت المعرفة مقامه وقصرت عليه أيامه فكان وقته وقتا واحدا لواحد وكان قلبه واحدا لواحد وهمه منفردا لمنفرد ، وهذا حال الابدال ، وعددهم فى الموقنين قليل ، ونصيبهم من اليقين جليل ، وهم المقربون والصديقون .

ويحكى سيدى الإمام أبو طالب أن أحد هؤلاء الجادين فى طاعة الله تعالى قال : أحصيت من نعم الله تعالى على فى نوع واحد أربعة وعشرين ألف نعمة فقيل له : وكيف ذلك فقال : حسبت أنفاسى فى اليوم والليلة فوجدتها أربعة وعشرين ألف نفس .

ويضيف الامام قائلا : اذا كان العبد بوصف ما ذكرنا كان كما قال الله (**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون**) وقال بعض العارفين : عمر العبد أمانة الله تعالى عنده يسأل عنه عند موته ، فإن كان فرط فيه ضيع أمانة الله تعالى وترك عهده ، وإن راعى أوقاته فلم يخرج ساعة إلا فى طاعة الله حفظ أمانته ووفى بعهده فله الوفاء من الله على الوفاء كما قال سبحانه (**وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون**) .

أقول وأن بيننا وبين هؤلاء السابقين بالخيرات بونا شاسعا وقد يستبعد بعض القراء الكرام وصول المؤمنين إلى الحد الموصوف . ولكنى رأيت بعينى رأسى هذه الهمة العالية فى شيخى الجليلين سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى وسيدى الشيخ على عقل رضى الله عنهما وهما من خلفاء إمام طريقتنا الأكبر سيدى الحاج محمد أبو خليل ساكن ضريحه المبارك الملحق بمسجده المعروف بالزقازيق وكان رضى الله عنه غوث زمانه ومجدد قرنه ، وقد وصفه فضيلة العالم الراحل الشيخ عبد البارى الشرقاوى فقال فى قال رحمه الله :

الأستاذ
حسن كامل الملطاوى

كان ملكا فلم يزل يترق … فى المعالى حتى غدا ملكوتا

وقد ترك إمامنا الأكبر رضى الله عنه أثره البارز فيمن رباهم فى زمانه وفى طليعتهم شيخاى المباركان وصدق من قال : ليس الشيخ من حيا فى نفسه ، إنما الشيخ من حيا به غيره . وليستمع القارىء الفاضل إلى ما نقلناه من شعر الإلهام الفورى الذى نقلناه عن سيدى الشيخ على عقل واصفا حاله رضى الله عنه :

وفؤادى لما تعلق بالله … ترق إلى أعز بيان
لازم الله باليقين ترق … وتلق موارد الإحسان
لو تراه والحب فيه كمين … فيه عينان بالهدى تجريان
وبنور اليقين شاهدت ربى … وبحسن التقى صفت أذهانى
إن تكلمت فالاله مرادى … أو تحدثت فالهدى فى لسانى
وأمد اليد الذليلة لله … بصدق وذلة وهوان
واذا ما إليه مدت يمينى … فالينا مدت لربى يدان
كلما قلت يا إلهى شرباً … أجد البحر زائد الفيضان
وإذا ما طلبت منه مرادا … أشهد العلم منه كالطوفان
ربنا اننا إليك التجأنا … وقصدنا حماك كل زمان
إن للحب بهجة وجمالا … وكمالا فى كل دان
لا تظنوا قلبى ينام من الحب … ولكن تنام لى عينان
جرب العشق مهجتى فرآها … سكرت فى الهدى وحسن المعانى
لم أكن أظهر الغرام ولكن … قد أذاعت خافى الهوى أجفانى

وقد تربى سيدى الشيخ على فى الطريقة الخليلية على يد سيدى الشيخ عبد السلام رضى الله عنهما وقد قال لى سيدى الشيخ عبد السلام ذات مرة . الشيخ على يافلان من أساطين الطريق . وكان سيدى الشيخ على يجل سيدى الشيخ عبد السلام كل الإجلال ويشيد به وكان سيدى الشيخ عبد السلام يقول لى : إن سيدنا الشيخ أبا خليل كان آية من آيات الله فى الأرض . ومما نقلته من الهام سيدى الشيخ على قوله رضى الله عنه :

أراد بك يحيى القوم فأنبعثت … آياته بعد إخفاء تواليناَ
أتى بجددهم يحيى الطريق ومن … أعطاه مولاه علما ثابتا فينا
أبو خليل أعز الله سيرته … محمد من لوجه الله داعينا
شهم أشم قوى الجأش ذو همم … مصرف سيد بالحق ينجينا
أعطاه مولاه نورا لا حدود له … فبين العلم والايمان والدينا
فكان بالفيض والإلهام أيتنا … للسالكين وكم أحيا مريدينا
وكان سلطان أهل الذكر أجمعهم … أولاده بقيام الليل راضونا
وكم له خلفاء قال قائلهم … إلى هنا تنتهى روح المجدينا
أجلهم منزلا أعلاهم ثقة … أرضاهم خلقا أزكاهم دينا
أحلاهم منطقا أقواهم هما … أوفاهم كرما لا يقبل الهونا
مؤدب ما رأينا فى مجالسه … إلا الكمال وسهل إذ يناجينا
عبد السلام وزكى الله تربته … بالطيب والمسك وأزدانت رياحينا
أخلاقه فى حدود الدين قد رسخت … وكان فى سنه المختار مأمونا
يكفيه فضلا بأن الله سخره … للناس يحييهم دينا ويحيينا

وسيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه فى قوله :
لا تظنوا قلبى ينام من الحب … ولكن تنام لى عينان

إنما يتشبه بمولانا رسول الله ﷺ فى قوله الشريف : تنام عيناى ولا ينام قلبى . وكيف ينام قلب مولانا رسول الله ﷺ وقد قال له ربه (**واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين**) فهذا أمر صريح بالذكر ونهى صريح عن الغفلة وكيف يغفل سيد الأولين والآخرين وأمير الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين .

ولو أننا تأملنا فى قوله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام (**اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى**) رأينا أنه تعالى ينهى رسله الكرام عن الفتور فى ذكر الله تعالى وهو ما يدل على شرف الذكر والذاكرين ، ذلك الشرف الذى يكشف عنه قوله تعالى (**فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون**) والسادة الصوفية يقولون بحق : حياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذاكر وحياة الذاكر بالمذكور .

وكل ما يكون فيه المؤمن من أنواع الطاعات يدخل فى ذكر الله تعالى ، وذكر الله لعبده يكون بإخراجه من الظلمات إلى النور (**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا ، هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما**)

وإخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور يبدو جليا فى قوله تعالى (**إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون . والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون**) .

ويقول الامام البيضاوى رضى الله عنه فى تفسيره :

(إلا المصلين) استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الأحوال المذكورة قبله لمضادة تلك الصفات لها من حيث أنها دالة على الاستغراق فى طاعة الله والاشفاق على الخلق والإيمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل على العاجل ، وتلك ناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليه .

وينهى سيدى الشيخ على عقل عن ملامة المحبين من أهل اليقين ويصف شوقه العارم لربه سبحانه فيقول فيما نقلناه من إلهامه المرتجل رضى الله عنه :

لا تحارب بالعذل قلب محب … عالج الشوق عمره ولهانا
وتلطف به فقد حكم الشوق … عليه فلن يفيق جنانا
أدمعى الزاخرات لم تطف شوق … قد ثوى الشوق بالحشا بركانا
أنا لو أشرب البحار جميعا … لم أزل فى محبتى ظمآنا
لست أروى إلا بلقياك يارب … فهذا اللقاء أسمى رجانا
اعذرونى أو اعذلونى فإنى … لست أخشى الملام من حيث كانا
إنما اللوم فى المحبة عندى … لا يزيد المحب الا افتتانا
جرب الحب مثلما جرب العاشق … تلق الملام يذكى هوانا
قد رضينا بالله لا بسواه … ما لقينا لما رضينا هوانا
نتنادى إلى اليقين هلموا … وبهذا لربنا نتدانى
إننا ملكه وموعدنا الحشر … فهل عنه لحظة نتوانى
إعرف الله ثم مل عن سواه … كان عرفان غيره كفرانا
وتزود من المحبة بالتقوى … ولازم بقلبك الرحمانا
ولقد أدركنا اليقين صغارا … وكبرنا وما جهلنا المكانا
ونطقنا وما نطقنا بهجر … بل جعلنا تقواه منا لسانا
وأدخرنا اليقين للحشر ذخرا … وملأنا من الثبات جنانا
ولبسنا من الحياء شعارا … وجعلناه فوقنا طيلسانا
قد علمنا أن المحبة كنز … كل من صانها سما بنيانا

إلى آخر ما قال رضى الله عنه فقد كان يتدفق فى إنشاده كالسيل المنهمر وسبحان من قال (**خلق الإنسان علمه البيان**) وصدق سيدى الشيخ على اذ يقول فى القصيدة ذاتها رضى الله عنه :

قد تناءيت عن سواه بكلى … وتلقيت سره احسانا
مذ رأونى أهيم فى الله صبا … أدخلونى فى الحكمة الميدانا
أعلم الحب علم أهل التجلى … لست احتاج فى الهوى ترجمانا
وإذا ما نظمت تسبح روحى … تملأ الكون قوة وبيانا

تسكب العلم فى مقاطع نظم   قد جلوناه للورى ألحانا
وإذا الطير يأخذ السجع عنى   كان و الله فى الذرى سحبانا
حلية الناس جوهر وعقود   وتق الله يا رجال حلانا
نجتلى ذكره ونرتاح فيه   فانتهانا فى الذكر منه ابتدانا
كل قلب به جمود فإن   داوَم ذكر الخلاق بالذكر لانا

والسادة الصوفية يبادرون بالطاعات فى كل الأوقات ويحسبون للموت حسابه لأنه قد يفجأ المؤمن فى أى لحظة لأن الأجل فى غيب الله تعالى، وقد كتب الامام الجنيد يقول فى بعض وصاياه رضى الله عنه :

يا أخى اعمل ثم اعجل قبل أن يعجل الموت بك وبادر قبل أن يبادر اليك وقد وعظك الله فى الماضين من إخوانك والمنقولين من الدنيا من أقرانك واخدانك. فذاك حظك الباقى عليك والنافع لك وكل ما سوى ذلك فعليك لا لك، وهذه موعظتى لك ووصيتى إياك فاقبلها تحمد الأمر بقبولها وتفوز بأستعمالها.

وقد آتى الله سيدنا لقمان الحكمة ومما وعظ به عليه السلام ابنه قوله : يا بنى إنك منذ نزلت إلى الدنيا أستدبرتها واستقبلت الآخرة فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل.

يابنى إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله.

يا بنى أختر المجالس على عينيك فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك إن تك عالما ينفعك علمك وان تكُ غبيا يعلموك وان يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصبك معهم.

يا بنى لا تجلس فى المجلس الذى لا يذكر فيه الله عز وجل فانك ان تكن عالما لا ينفعك علمك وان تكن غبيا يزيدوك غباوة وان يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم.

يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل السماء.

ومما أوصى به سيدى أبو سعيد الخراز رضى الله عنه قوله لأحد المريدين :
إحفظ وصيتى أيها المريد، وارغب فى ثواب الله تعالى، وإنما هو أن ترجع إلى نفسك الخبيثة فتذيبها بالطاعة، وتفارقها وتميتها بالمخالفة، وتذبحها باليأس فيما سوى الله، وتقتلها بالحياء من الله عز وجل، ويكون الله حسبك وتسارع فى جميع الخيرات، وتعمل فى جميع المقامات وقلبك خائف الا يقبل منك فتلك حقائق القبول والإخلاص والصدق حتى تتخلص وتصير إلى الله تعالى والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ومن مناجاة سيدى ذى النون المصرى قوله رضى الله عنه :
إلهى، سرى اليك مكشوف، وأنا اليك ملهوف وإذا أوحشنى الذنب انسنى ذكرك عالما بأن أزمة الأمور بيدك وأن مصدرها عن قضائك.

إلهى من أولى بالذل والتقصير منى وقد خلقتنى ضعيفا ومن أولى بالعفو منك وعلمك بى سابق وأمرك بى محيط أطعتك بإذنك والمنة لك على وعصيتك بعلمك والحجة لك على أسألك بوجوب رحمتك وانقطاع حجتى وفقرى اليك وغناك عنى أن تغفر لى خطيئتى الظاهرة والباطنة.

ويعرف سيدى أبو بكر الوراق اليقين فيقول رضى الله عنه فى تعريفه : اليقين نور يستضىء به العبد فى أحواله فيبلغه إلى درجات المتقين، ويعرف خاصة المؤمنين فيقول : الخاصة هم الذين فقهت قلوبهم وحسنت أخلاقهم وكانوا أئمة يدعون الناس إلى الخير والعمل به. ويقول رضى الله عنه أصل غلبة الهوى مفارقة الشهوات فإذا غلب الهوى أظلم القلب وإذا أظلم القلب ضاق الصدر وإذا ضاق الصدر ساء الخلق وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق واذا ابغضه الخلق أبغضهم وإذا أبغضهم جفاهم وإذا جفاهم صار شيطانا. كما يقول رضى الله عنه : للمؤمن أربع علامات : كلامه ذكر وصمته تفكر ونظره عبرة، وعمله بر.

ويقول السادة الصوفية إن الله تعالى وهب لكل عبد من معرفته مقدارا وحمله من البلاء على مقدار ما وهب له من المعرفة لتكون معرفته عونا له على حمل بلائه أقول وكلامهم هذا يؤيده الحديث الشريف : أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل. وعلامة المعرفة عند السادة الصوفية الاستمساك بالكتاب والسنة واجتناب المعاصى ويقول الامام الجنيد رضى الله عنه علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، وهم يأخذون بالعزائم ولا يأخذون بالرخص والتأويلات احتياطا لدينهم. وقد قال أستاذ لتلميذه : أو تعرف ربك ؟ قال التلميذ : كيف أعبد من لا أعرف، فقال الأستاذ أو تعرفه ثم تعصيه ؟ فأره بذلك أن المعرفة تقتضى أجتناب المعاصى.

ويقول سيدى أبو القاسم النصرابادى رضى الله عنه : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق، وحسن صحبة الزملاء، والقيام بخدمتهم واستعمال الأخلاق الجميلة والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتأويلات.

والسادة الصوفية يعادون أعداء الله وعلى رأسهم أبليس اللعين ويقول سيدى أبوسعيد المغربى رضى الله عنه : أبى الله الا أختبارا لأوليائه وتعرض لهم بأعدائه، وإنما أختبرك فى قربه بعدوه لينظر كيف تجاهد عدوه فان صبرت على مجاهدة عدوه الذى ابتلاك به حلاك بعلمه وحباك بوصله وأسكنك فى جواره ونعمك بمشاهدته ولذلك بذكره وأوصلك بمعرفته وجعلك إماما يقتدى به ورحمة لهم فى ارضه وجعل محبتك فى قلوبهم وجعل أنسهم فى رؤيتك وجعل لك حلاوة فى قلوبهم وهم كذلك يعنون بمخالفة النفس فى هواها ويقولون فى تحذيرنا من النفس الأمارة : النفس كالنار إن أطفأتها من موضع تأججت من موضع آخر وكذلك النفس إن هدأت من جانب ثارت من جانب.

وكان إمامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول : ما أنا ونفسى الا كراعى غنم مع غنمه كلما ضمها من جانب شردت من الجانب الآخر. وكان رضى الله عنه يعتز بمعرفته لله تعالى ويقول : ما يسرنى أن الله تعالى أماتنى طفلا وأدخلنى الدرجات العليا من الجنة فقيل له : ولم ؟ فقال : لأنه أحيانى حتى عرفته.

وقال سيدى مالك بن دينار رضى الله عنه : خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيىء فيها قيل : وما هو ؟ فقال : المعرفة ثم أنشأ يقول

إن عرفان ذى الجلال لعز   وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين أيضا بهاء   وعليهم من المحبة نور

والعارفون يشهدون ربهم باليقين وقد عرفوا الصوفى فقالوا : جسمه بين الخلق يسعى وقلبه فى الملكوت يرعى، ويروى السادة الصوفية الحديث الشريف « كفى باليقين غنى » ويقولون : فى علم اليقين غنى عن جميع العلوم، وليس فى جميع العلوم غنى عن علم اليقين ويعللون ذلك بأن علم اليقين هو العلم بالله، وكل علم موقوف على معلومه وعلم اليقين معلومه الله تعالى، ففضله كفضل الله تعالى على ما سواه. ويقول بعض حكمائهم : من عرف الله تعالى فماذا جهل ومن جهل الله تعالى فماذا عرف.

ويقول السادة الصوفية إن العارفين علماء بالله، والعلماء بالله هم ورثة الأنبياء، ويستدلون على ذلك بقوله (**قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين**) ودل هذا القول الكريم على أن الله تعالى أشرك الدعاة إلى الله فى البصيرة مع مولانا رسول الله ﷺ لانهم على قدم. وفى الحديث الشريف « إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » يقول السادة الصوفية إن هذه الفراسة خصوصية لأهل الإيمان وزيادة كرامة لمن نور الله قلبه وشرح صدره.

ويحرص السادة الصوفية كل الحرص على متابعة مولانا رسول الله ﷺ فيحكمون الأصول ويحفظون الحدود ويأخذون عنه الآداب والأخلاق الشريفة والأحوال الرضية، فيعظمون ما عظم، ويصغرون ما صغر، ويقللون ما قلل ويكرهون ماكره ويتركون ماترك ويصبرون على ماصبر ويعادون من عادى ويوالون من والى، ويفضلون من فضل، ويرغبون فيما رغب ويحذرون من حذر، وقد سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن، تعنى موافقة القرآن.

العلم والإيمان

إن الدين عند الله الإسلام

الإسلام دين الله فلا يتجزأ

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

والاسلام كل لا يتجزأ، ولا يقبل التبديل ولا التأويل ولا التعديل ولا التعطيل،

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا . » سورة المائدة ـ ٣ ـ

والاسلام اعتقاد ومنهاج ، ، وهو نظام شامل متكامل ، والمسلمون مكلفون دائما باتباعه ، وليس لهم أن يتخذوا هذا القرآن مهجورا ، لأنه دستور الحياة ومنهاج السلوك المستقيم للمسلمين فى تصرفاتهم ومعاملاتهم وهو منظم عباداتهم ، ومبين حقوقهم وواجباتهم ، : وهذه الأمة المحمدية تمتاز بأنها أمة القرآن ، وبأنها أمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبأنها **خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ،**

والقرآن شرع للناس النظم التى تهدى الناس إلى سواء السبيل وقد جعله ربنا شرعة باقية ومنهاجا خالدا

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (سورة النحل ٨٩) أنزله ربنا على عبده **ليكون للعالمين نذيرا** ، وليتلو عليهم آياته ويزكيهم بعظاته ويهذبهم بتوجيهاته ، وليربى النفوس على الارتباط بالله والاطمئنان إليه والاعتماد عليه ، فهو ولى الناس وحده ، وهو رب الناس وهو ملك الناس وهو إله الناس ، وهو رب العالمين ، فلا ملجأ إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه .

« قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا ، قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ، قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا . » سورة الجن ٢٠ ـ ٢٢) وللأسلام منهج شامل لا نظير له فى العالم كله ، فقد ألف الله به القلوب المتنافرة المتخاصمة حيث بث فيها روح الأخوة الصادقة الصافية ، وبنى به أمة تولت زعامة العالم أحقابا من الزمن ، ولا تزال تذكر ماضيها الماجد وتحن إلى استرجاعه ورده كاملا غير منقوص متى حصلت ومتى أتم المصلحون مهمتهم من استخلاص دينهم مما شابه من البدع وما ألحق به مما ليس منه فى شىء يريدون تطويعه للهوى ولما يحبون من أفكار مستوردة باسم التجديد والتطوير ومسايرة الحياة والله يقول

» اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون » سورة الأعراف ـ ٣ ـ)

والأسلام قوى الدعائم متين الأركان ليؤسس بنيان الحياة على تقوى من الله ورضوان وللاسلام خصائص مميزة لا نظير لها فى بناء الأمم . فقد جاء الأسلام خاليا من بواعث الشقاق بين العقل والعقيدة وبين العقيدة والرقى العلمى . فقد بنى الله الاسلام على قاعدة التوحيد ، والله قد تعالى عن الأبصار فلا تدركه وعن العقول فلا تعرف كنه ذاته ، ولكنه متصف بكل جلال وكمال ولا حدود لعظمته وقدرته فهو القاهر فوق عباده وعقيدة التوحيد الخالص لا تقبل جدلا ولا تتسع لأى خلاف أو نزاع ،

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » (سورة الأخلاص)

« **قل يا أيهـا الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين** » (سورة الكافرون)

«**قل اننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العـالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** » (سورة الأنعام ١٦١ ـ ١٦٣) ولقد أقام الاسلام الدليل المنطقى على وحدانية الله يقول الله جل جلاله

«**ما اتخذ الله من ولد وما كان معـه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون** » (سورة المؤمنون ٩١)

ويقـول « **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** » وهذا الاعتقـاد بوحدانية الله هو أساس هذا الدين القيم

« **وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** » (سورة التوبة ـ٣١ ـ)

« **إن إلهكم لواحد ، رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق** » سورة الصافات ـ ٤ ، ٥)

« **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** » (سورة البينة ٥)

والاسلام عقيدة سليمة وشريعة قوية ونور الاسلام لا ينطفىء أبدا ، فمها حاول أعداؤه التشكيك فيه

« **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » (سورة التوبة ـ ٣٢ ـ ٣٣)

والملاحدة اليوم ـ وفى كل وقت ـ هم الذين استحوذ عليهم الشيطان وأملى لهم ، فهم يصدون عن سبيل الله ويريدون أن يباعدوا بين الله وبين المسلمين ، وبين المسلمين وبين العمل بشريعة رب العالمين ويعملون على تعطيل أحكامها .

« **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ، إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم إسرارهم ، فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ، ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ، أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم** » سورة محمد ـ ٢٢ ـ ٢٩ .

إن أحكام الاسلام وشرائعه لا تتجزأ ولا تقبل الانفصال وليس لأحد أن يعطل البعض ويؤمن بالبعض

« **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب** » (سورة البقرة ـ ٨٥) والله الذى اختار الاسلام دينا ورضيه للناس اعتقادا ومنهاجا ، هو الذى خلق الناس وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة فهل يجوز لهم أن يرضوا بغير ما ارتضاه الله سبحانه وهل يفضل عليه نظام آخر أو قانون ؟

« **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم .** » (سورة الأحزاب ـ ٣٦) والله قد أمر نبيه محمداً ﷺ أن يستمسك بالذى أوحى إليه ونهاه عن أن يتبع أهواءهم فقال له :

« **فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم** » (سورة الزخرف ـ ٤٣ ـ) وقال له :

« **وأن احكم بينهم بما أنزل الله . ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** » (سورة المائدة ـ ٤٩ ـ ٥٠)

إن الذين يريدون الفصل بين العقيدة والشريعة هم أعداء الأسلام ولو كانوا مسلمين ولكنهم مسلمون لغير إسلام فهم يخافون على أنفسهم ، ولكن إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإذا سمعتهم تراهم يقولون بأفئدتهم ما ليس فى قلوبهم

« **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** » (سورة البقرة ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٦)

وماذا يضير الشريف النزيه العفيف من تطبيق شرائع الله عز وجل ؟ والاسلام يربى المسلمين تربية واحدة وفق منهج واحد ، ووجهة واحدة ويجردهم للمبادىء القرآنية التى جاءت من عند الله اللطيف الخبير ، وما جاءت هذه المبادىء عبثا وإنما لتنفذ وتقام لا لتعطل وتجمد ، والله الذى يقول :

« **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين** »

وهو الذى يقول

« **ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون** » (سورة البقرة)

والله الذى يقول

« **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** »

هو الله الذى يقول

« **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** » (سورة المائدة)

والله الذى يقول :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » (سورة آل عمران)

هو الذى يقول

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (سورة النور)

والله الذى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (سورة الجمعة)

هو الله الذى يقول :

«يأيها الذين آمنو إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى : ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله . ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها واشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم . وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ، فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم . » (سورة البقرة)

والله الذى يقول :

« إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور » (سورة الحج)

هو الذى يقول :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون . » (سورة الأنفال)

فليس بعد رسول الله بعد القرآن كتاب منزل فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وهل لأحد بعد الله ورسوله أن يشرع للناس

« إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون » (سورة النور)

والاسلام يود من المسلمين أن يكونوا ملمين فى كل شيء ، مسلمين فى بناء الفرد وفى بناء الأسرة ، والأسرة هى المجتمع الصغير الذى يبنى المجتمع الكبير ، ويود من المسلمين أن يكونوا مسلمين فى معاملاتهم وعباداتهم ومدارسهم واعلامهم وفى بناء أمتهم ، وفى تكوين وحدتهم ، وفى سلمهم وحربهم ، ومعاهداتهم ، وعلاقاتهم بغيرهم ، وهذا هو معنى تطبيق الاسلام ، لأن الاسلام عبادات ومعاملات وسلوك وأخلاق وشورى وعدل ومساواة ونظام اقتصادى كريم ، وهو أحكام عادلة لا تخضع للهوى ، لأنها مقيدة بأن يكون القرآن دستور الأمة الاسلامية وأحكام لا تقبل التبديل ، ولذا جاء الأمر الالهى بإقامة العدل طبقا للقانون السماوى .

« اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين » (سورة الأنعام)

وقد ألزم الاسلام أتباعه باتباع ما جاء من عند الله ، وحرم عليهم مخالفة شرائع الله

« فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » (سورة القصص)

لقد نهانا ربنا عن اتباع شرائع الناس لأنها من أهوائهم

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون » (سورة الجاثية)

وشريعة الله القران الذى نسمعه فى المناسبات ويقرأ بلا تفاعل ولا وعى لأهدافه ولا تفهم لأغراضه ومقاصده ، يقرأ ولا تطبق شرائعه ! !

« وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون » (سورة الأنعام)

وفى قوله فاتبعوه ما يكفى لتنبيه الدول الاسلامية للحكم بشريعة الله لتكون دستورهم الأعلى ونظامهم الشامل المتكامل !

« إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » (سورة النساء)

وقد نفى الله الأيمان عن الذين يجدون فى صدورهم حرجا من أحكام الله وقضاء رسوله في شجر بينهم :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (سورة النساء) والتسليم بحكم الدليل الأيمان بالله ولكن الفاسقين لا يرضيهم أن يحكم الاسلام ، ولا يقبلون شرائع الله التى طبقت فملأت الأرض عدلا وأمنا

« ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون » (سورة البقرة)

ولعل هذه الآيات فيها ذكر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وقد أنزل الله القرآن لا ليتلى فى المآتم والجنائز فحسب ولا ليغلف ويوضع فى المكاتب ولكن القرآن جاء ليكون منهاج حياة .

ودستور سلوك ، وقانون أخلاق ونظام مجتمع ، ففى القرآن الكريم رشد الضالين وهداية الحائرين وإنصاف المظلومين ، وقوام أخلاق المعوجين وفيه الاستقامة لمن شاء أن يستقيم ،

وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الذى صنع من بين رعاة الغنم قادة الشعوب والأمم وكون من بين سكان التلال والجبال القادة والأبطال ، وبنى من أهل الصحراء والبيداء رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأسسوا أمة قال لها ربنا :

« **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** » (سورة الفتح)

وهو الذى طارد الظلم وحقق العدل ، لأن القرآن كتاب الله أنزله بالحق وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق فمحا به الظلمات وأزاح به الجهالات وأصلح به الجماعات .

« **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** »

والقرآن نظام فريد فى نوعه أوجده صانع النفوس الذى خلقها فسواها وألهمها فجورها وتقواها وهو الحق الخالص الذى يخرج الناس من الظلمات إلى النور ويحقق لهم الأمن والاستقرار كما قرر ذلك القرآن الكريم :

« **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** » (سورة الأنعام)

لقد غشينا المخاوف والظلمات يوم أدرنا ظهرنا للاسلام ، وولينا وجهنا شطر أعداء الاسلام فتلتمس المبادىء والمناهج ونستورد النظم والقواعد ، وتعلقنا بأئمة الكفر والالحاد ثم دخلنا فى متاهات يوم تركنا الطريق المستقيم والصراط القويم والمنهاج السليم وذهبنا نتلمس النور من الظلام والهدى من الضلال ونطلب الحق من الذى ليس عندهم إلا الجور والظلم ، ومن الناس من بلغ به الجهل والطغيان أن يقول ان الاسلام دين وليس دولة ، ولكن للجهالة حكمها ، وذلك لأن الاسلام يفرض على المسلمين أن يكونوا أمة واحدة ويجعل من المسلمين اخوانا متحابين متراحمين متعاونين على البر والخير عملا بقول الله

« **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** »

كلمة

■ إذا استطعت إسعاد غيرك ، فأنت رابح بالإيثار ..
وإذا انفردت بنفسك ونعمتك ، فأنت خاسر بالأثرة .. !

« عباس محمود العقاد »

الدين وقيادة الدنيا

الدكتور
ابراهيم هلال

والآن وقد صار المسلمون هم الورثاء لدين الله، فقد استحقوا ان يكونوا هم الأوصياء على العالم، والقادة للدنيا. وهذا هو ما أراده الله سبحانه وتعالى منهم ويريده، اذ يقول (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) - الفتح :٢٨، الصف : ٩، وحين يقول (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) - الصف : ٨ - وفى الآية الكريمة الآتية يدفعنا إلى ذلك مبررا هذه الوصاية وهذه القيادة فيقول (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) - آخر سورة الحج.

فقد اختارنا الله شهداء على الناس باختيارنا لدينه وحيازتنا لهذا الاسلام الذى كان عقيدة إبراهيم عليه السلام، والذى يتمثل فى عبادة الله عن طريق الصلاة، وفى ضمان العدل والسلام الاجتماعى بين الناس بإيتاء الزكاة وفى ذروة تمثله فى الاعتصام والاجتماع على التمسك بالله وبدينه ككل.

ولذلك كان لنا هذا الوعد ينتظرنا، اذا نحن حققنا هذه الشهادة على الناس أو القوامة، والقيادة على الأمم : (هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير).

وأول مبررات هذه القيادة لهذا الدين هو ما اشتمل عليه من رأفة ورحمة بالبشر أجمعين ولقد شاهدنا هذه الرأفة والرحمة على المستوى العالمى، وعلى المستوى الداخلى.

فعلى المستوى العالمى، نجد ذلك فى رسائله ﷺ الى ملوك العالم ورؤسائه فى ذلك الحين، وتتمثل هذه الرأفة وهذه الرحمة فى تحميله لهذا الملك أو الرئيس إثم رعيته اذا لم يستجب الى الإسلام، مثل ذلك فى قوله (لكسرى) : « **فان توليت فانما عليك اثم المجوس) - وفى قوله (لقيصر) - (هرقل) ملك الروم « فان توليت فإنما عليك اثم الاريسيين** » (عامة شعبك). وهذا يقدم لنا ان الرسول ﷺ انما قصد بدعوته هؤلاء الملوك وطلب تخليهم عما كانوا عليه من ظلم، ومن تجبر فى رعاياهم، اى أن قوانينهم، وفلسفاتهم، وعقائدهم، لم تعد تصلح لقيادة الأمم وسياساتها، وان فى الاسلام اصول هذه القيادة، ومبادىء الحكم السليم الذى تسعد به الرعية وتحيا به الحياة اللائقة بالانسان، كانسان كرمه الله واعز مكانته فى الوجود كما قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) - الاسراء.

ومن خلال ذلك فإنا نقول إن هذه الكتب والرسائل منه - ﷺ - إعلان للعالم ولهؤلاء المتجبرين، ان لاحكم للدنيا، الا بالدين، ولا صلاح للناس الا بحكم الاسلام وتحكيم كتاب الله فى كل كبيرة وصغيرة، وكأنه ينادى عليهم « **لقد سقطت فلسفاتكم، وسقط قانونكم، ولم تعد تصلح للحياة، ولا للقيادة، وان الاسلام هو الذى جاء ليحل محل ذلك كله** ».

ومما يؤكد هذا العطف العالمى ان الإسلام لا يتقيد فى تقديم حكمه الصالح للناس بدخولهم فى الاسلام ما ذكره رسول ﷺ فى كتابه إلى ملوك (حمير) باليمن (.. اما بعد ، فانه وقع الينا رسولكم قافلا من ارض الروم ، فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم ، وانبأنا باسلامكم .. **وان الله تعالى قد هداكم بهدايته ان اصلحتم واطعتم الله ورسوله ، واقمتم الصلاة ، واعطيتم الزكاة .. وما كتب الله على المؤمنين من الصدقة . ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يغير عنها ، وعليه الجزية)** .

فرضاء الاسلام ببقاء اليهودى على يهوديته ، والنصرانى على نصرانيته ، دليل على ان الاسلام فى غايته ليس الا عدلا ، وانصافا للناس بعضهم من بعض ، وليس الا قانونا للحكام للعدل فى عباد الله سواء آمنوا أم كفروا .. (**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر**) ـ الكهف : ٢٩ ـ . (**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ، ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثق لا انفصام لها والله سميع عليم**) ـ البقرة : ٢٥٦ .

وذلك كما قلنا إن الاسلام قد جاء رحمة للخلق أجمعين (**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** ـ الانبياء : ١٠٧ ـ . وهذه الرحمة تتمثل اول ما تتمثل فى عتق الافراد من رق الجبابرة والظلمة ، وتمتيعهم بما فى الاسلام من عدل ورعاية وانصاف ، وهذا حق على الله الذى خلقهم ، فلا يعقل ان يخلقهم ويتركهم للظلم والتجبر والطغيان ، وحقه عليهم أن يؤمنوا به ، وبرسله . ولكن الله سبحانه وتعالى للطفه بخلقه ، وعطفه عليهم لا يتشدد فى طلب حقه بتعليق تقديم حقوق العباد لهم على اداء ما عليهم من حق نحو الله ، والايمان به ، فلا يحرم اليهودى الذى استمر على يهوديته من عدل المسلمين ولا النصرانى الذى بق على نصرانيته من عدل الله العلى العظيم ، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ للمسلمين ، وحكامهم (من اظلم معاهدا ، أو كلفه فوق ما يطيقه ، فانا حجيجه يوم القيامه) .

فالله يقدم حق العباد عليه ، ومن آمن أو قدم حق الله عليه فى الدنيا فقد فاز ومن ظل على كفره ، فان الله يحذرنا من ظلمه ، أو عدم العدل فيه ، وذلك كى تقوم الحجة لله عليه ، واذا عذبه يوم القيامة وادخله النار كان جزاء وفاقا ، قد قامت به الحجة من الله الذى خلقه ورزقه ، وجعل له السمع والبصر . وانزل له العدل والميزان وكف عنه الظلم ومع ذلك ظل على الكفر به وبرسله حملة العدل اليه والهداية الى طريق مستقيم . وفى ذلك اليوم أو يوم الممات يتجلى للكافر عدل الله ورحمته ورفقه به ، حين حجب ذلك عنه فى الدنيا وركن الى ذلك ، ولم يفكر ولم يهتد .

هذا العطف العالمى بهذا المنطق الجميل يتجلى فى الفتوحات الإسلامية وموقف الفاتحين ، أو دعاة الاسلام من أهل البلاد المفتوحة . ولقد كانت رسائله ﷺ الى ملوك هذه البلاد ورؤسائها ، مقدمات طيبة حملت الى سكان هذه البلاد طبيعة الدين الاسلامى وبيان حقيقته . وانه فى الحكم لا يفرق بين المسلمين وغير المسلمين ، وان من اسلم منهم صار كاوائل المسلمين مع الرسول ﷺ ولقد رأينا هرقل ملك الروم يعلق على ذلك ويقول لابى سفيان بعد سؤاله إياه عن الرسول ﷺ ـ وابو سفيان لا يزال على شركه ـ : (**لئن صح ما قلت فسيملك موضع قدمى هاتين ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ولو أعلم انى سأصل اليه لتجشمت لقاءه**) .

وهذا هو المقوقس فى حواره مع المغيرة بن شعبة قبل إسلامه وكان قد ذهب اليه فى عدد من قومه المشركين بعد رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس ـ قال لهم المقوقس سائلا عن الرسول ﷺ : (أما تخبرونى وتصدقونى الى ماذا يدعو ؟) قال : (يدعو الى ان نعبد الله وحده لا شريك له ، ونخلع ما كان يعبد الاباء ويدعو الى الصلاة والزكاة) قال : (وما الصلاة والزكاة ، ألها وقت يعرف وعدد ينتهى اليه ؟) قال : (يصلون فى اليوم والليلة خمس صلوات كلها لمواقيت وعدد قد سموه له ، ويؤدون من كل مابلغ عشرين مثقالا) . ثم اخبروه بصدقة الأموال . قال : (فاذا اخذها ، اين يضعها ؟) قال : (على الفقراء يردها على فقرائهم ، ويأمر بصلة الرحم وادامة الوفاء بالعهد ، ويحرم الربا ، والزنا ، والخمر ، ولا يأكل ما ذبح لغير الله) قال المقوقس : (**هو نبى مرسل الى الناس كافة ، ولو أصاب القبط والروم تبعوه وقد امرهم بذلك عيسى ابن مريم** ، وهذا الذى تصفون منه بعث به الانبياء من قبله ، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر ، ومنقطع البحار) .

وهذا الذى تنبأ به هرقل ، والمقوقس لم يكن نبوءة ولا تخمينا لم يقم على أساس أو قام على أساس مادى ومعادلة سياسية ، كالتكهنات التى تقوم اليوم على الاقيسة المادية والموازنات السياسية والمنطقية المجردة من عنصر الخلق والدين وانما كان تنبؤا قام على اساس الدين وعلى اساس نظم الحكم وأنها لا نجاح لها ولا بقاء ، إلا بقيامها على سند من الدين ، وأصول من قوانين العدل وشرعة المساواة والأخلاق . فهى أقيسة منطقية ، فى مجال الدين وقيادة الدنيا ، وان الدنيا ، لا يقيمها الا الدين عند أناس خبروا السياسة والدين ، وعرفوا ان خير السياسة ما كان قائما على الدين ، وهذا ما تجلى لنا من بنائهم أحكامهم على المقدمات التى تجلت فى الحوار والمناقشة السالفة والبحث عنه ﷺ وأصول دعوته .

ولما صحت النبوءات ، ونزلت جيوش المسلمين أرض الدولة الرومانية ، وتحقق اهل تلك البلاد المفتوحة من الاخبار التى سمعوها عن الاسلام ونبيه واصحابه رأيناهم يجمعون على الترحيب بالمسلمين ، ونبذ الروم الطغاة السابقين ـ يقول سير توماس أرنولد صاحب كتاب (الدعوة الى الاسلام) : وغيره (ولما بلغ الجيش الاسلامى وادى الأردن وعسكر أبو عبيدة فى « فحل » كتب الأهالى المسيحيون فى هذه البلاد الى العرب يقولون (يا معشر المسلمين ، **انتم احب الينا من الروم وان كانوا على ديننا انتم أو فى لنا وارأف بنا واكف عن ظلمنا واحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على امرنا وعلى منازلنا**) ويكمل رواة هذه الوثيقة فيقولون : (**واغلق اهل حمص ابواب مدينتهم دون جيش هرقل وابلغوا المسلمين ان ولايتهم وعدلهم احب اليهم من ظلم الاغريق وتعسفهم**) .

وفى هذه العبارة الأخيرة شهادة من الفطرة الانسانية على لسان هؤلاء الذين غلبوا من الدولة الرومانية على أن الدين هو الذى يجب أن يقود الدنيا ، بل هم نفذوا ذلك عمليا حين اختاروا العرب والمسلمين ورحبوا بهم ، واسقطوا الرومان وتخلو عنهم وكأنهم بذلك وفى وقت ذلك كانوا ينظرون الى قوله تعالى قبل أن يبلغهم (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) .

ويتجلى عطف الاسلام العام على غير المسلمين فى موقف المسلمين الفعلى من هؤلاء بعد الفتوح فقد جاء فى عهد عمر رضى الله عنه الى اهل بيت المقدس (بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا ما اعطى عبد الله امير المؤمنين اهل ايلياء (بيت المقدس) من الامان . اعطاهم امانا لانفسهم ولأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها (بيت المقدس) ـ وبريئها وسائر ملتها ، **انه لا تسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شىء من اموالهم ولايكرهون على دينهم ولايضار احد منهم**) .

ويبلغ ذلك العطف العام فى هذا الدين مداه ، فنجد أن عمر رضى الله عنه يعطى قوما مجذومين (مرضى بالجذام) من النصارى من الصدقات ، ويجرى عليهم الرزق على المدى الدائم .

وهذا ومثله ، هو الذى جعل ميخائيل الأكبر بطريق أنطاكية يقول بعد خمسة قرون من الحكم الإسلامى : « ... وهذا السبب فى أن إله الانتقام الذى تفرد بالقوة والجبروت لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا وأنزلوا بنا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم .. إنه لم يكن كسبا هينا أن نتخلص من الروم وأذاهم وأن نجد أنفسنا مع المسلمين فى أمن وسلام » .

وبعد .. فهذا جانب من جوانب أحقية الاسلام بالقيادة ، وهو ما اشتمل عليه من عطف عام . أما الجانب الاخر وهو العطف الخاص الذى يتمثل فى الأفراد وفى المجتمع ، عن طريق التعامل على مختلف صوره ومستوياته فلنا فيه ـ إن شاء الله ـ لقاء قادم .

من ملامح وأخلاق مجتمع العلم والإيمان

فضيلة الشيخ مصطفى الجندي

لا تزال أضـواء ملامح مجتمع الايمان على عهد الرسـول ـ ﷺ ـ وسلف أمتنا الصالح تبعث بأشعتها الباهرة متلألئة ومتجلية على الوجود كله كأبهى ما تكون عبر القرون . . حتى صارت ولا تزال هى الأمل والرجاء لما يرجى لمجتمعات الإيمان اليوم من خير مهما بعدت بينهما الأيام ، وطال عليها الأمد . . وإذا كنا نرجو لمجتمعاتنا الخير . . ونعمل اليوم جاهدين ، دعاة ومرشدين ، وحكاما ومحكومين من أجل إقامتها مرة أخرى على طريق الإيمان والأمان : على بصيرة وبصر : فليس هناك من قدوة يناط بها الأمل وينعقد عليها الرجاء ، كما أن ليس هناك من أسوة يتعلق بها البصر ، ومن مثل طيب يستهوى القلب ويستميل النفس من نماذج وأنماط المؤمنين فى هذه الفترة الخطيرة الحافلة بالخير من تاريخ الإسلام ومجتمع الإيمان على عهد الرسول ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان . .

ولقد سبق أن أتيح لنا فى حلقات تقدمت هذا الجزء من البحث أن نستعرض على ـ القارىء الكريم ـ شيئا كثيرا من هذه الملامح . . ولم يكن من همنا حين استعرضناها مع القارىء الكريم أن نجعلها ملهاة للتسلية وقتل الفراغ ، أو مادة لمجرد ملء الصحائف ، وتسويدها بالمداد . . ولكن الهدف الذى جعلناه نصب أعيننا كأصحاب رسالة ، وجنود دعوة ، والأمل الذى كنا نسعى اليه ونرجوه مخلصين أن تصادف هذه الملامح هوى فى نفس من يطالعها ويتأملها حتى يكون له فيها أسوة وقدوة ، ومثل وعبرة . .

ولقد انتهى بنا البحث الى الحديث عن خلق الوفاء وسيطرة ملامحه على أفراد هذا المجتمع المبارك وذكرنا القارىء الكريم أن الحديث عن هذا الخلق الذى كان يشكل ملامح هذا المجتمع كان يشتمل على انماط من الوفاء عديدة منها :

١ ـ وفاء الأفراد بعضهم لبعض . وهو خلق كان يغذيه وينميه ويزكيه النبى ﷺ بما كان يعطيه من نفسه من مثل وأسوة فى خاصة نفسه وفيما يتعلق بعامة الناس ، وعلاقاته معهم حتى ولو كانوا أعداءه .

٢ ـ وفاء أفراد هذا المجتمع للحق الذى به آمنوا ، وله أسلموا ، وبه ربطوا مصائرهم ، وعلقوا مستقبلهم كله ، وهو نمط من الوفاء عجيب كان يتعهده النبى ﷺ ـ ويضرب له من نفسه المثل والأسوة .

٣ ـ وفاء أفراد هذا المجتمع للقيادة التى كانت تقود مسيرة الإيمان ، وتتعهد نماءه وغرسه فى الأرض وتسوس أمور الدين والدنيا بالحب والحكمة والموعظة الحسنة . وهى قيادة كانت تستهوى الأفئدة

بجاذبيتها وقدرتها على التأثير . . حتى كان أفراد هذا المجتمع يبذل النفس والنفيس ذودا عنها . وحماية لها أن يصيبها من عدوها ضرا وسوءا ، أو ينالها إنسان بإيذاء .

وفى الجزء الذى سبق هذا البحث انتهينا من الحديث عن وفاء هذا المجتمع بعضه لبعض ، وعن وفائه حتى لأعدائه واستعرضنا مع المتتبع لهذا البحث بعض الصور المشرقة للنبى ـ ﷺ ـ فيما يتعلق بوفائه فى أمور كثيرة من حياته الخاصة والعامة ، ودوره إلهام . . فى وضع الخطوط الواضحة لمجتمعات الإيمان إلى يوم القيامة ووجوب التزاماتها فى حياتها بخلق الوفاء حتى فى حياتها العامة مع المخالفين لها فى الدين والعقيدة . . إذ أن خط الأخلاق فى الإسلام لا يتجزأ ، كما أنه طريق لا عوج فيه ولا ازدواج ، فلا يجوز أن يفى المؤمن فقط ، بل إن المؤمن والكافر فى الإلتزام بخط الوفاء سواء .

وبقى أن نتحدث فى هذا الجزء من البحث عن وفاء أفراد هذا المجتمع المبارك للحق الذى به آمنوا وعليه أسلموا، وبه ربطوا مصائرهم ومستقبلهم.

والحق: الذى لا شك فيه ولا جدال أنه ليس هناك فى تاريخ الدعوات الى الحق، أروع ما سجلته صحائفه فى يتعلق بأفراد المسلمين دعاة ومدعوين، مرتبطا بوفائهم للحق الذى به آمنوا، وعليه أسلموا وبه تعلقت أبصارهم وآمالهم، ومن أجل الابقاء عليه، والذود عنه بذلوا مهجهم وأرواحهم، وقدموا الغالى والنفيس من أجل إزالة العقبات والسدود فى طريقه.. وليس سرا نكشف النقاب عنه: أن نذكر بما اكدته صحائف التاريخ والسنة والسيرة من أن هذا الوفاء للحق وذلك الولاء العجيب له، والذى كان يشكل أخلاق مجتمع الإيمان على عهد الرسول ﷺ وأصحابه والذى كان يصوغ ملامحه إنما كان يقف وراءه ينميه ويزكيه محمد ﷺ - سيد من عاش حياته وفيا للحق، مستمسكا به، مستميتا ومتفانيا من أجله وفى سبيل الولاء له..

فلقد تجلى وفاؤه للحق الذى إليه يدعو وبه يؤمن، ومن أجله يجاهد من أول لحظة للدعوة بعد ما فاجأه الوحى فى خلوته بحراء.. ورجع يرجف فؤاده الى خديجة التى قص عليها الخبر.. والتى هدأت من روعه وذكرته بأنه جدير بكل خير، وأن مثله لا يخزيه الله أبدا، وانطلقت بعد ذلك إلى ابن عمها ورقة بن نوفل برفقته لتقص عليه خبره ﷺ - فكان فيما قاله ورقة - وكان عالما بالأديان وبأخلاق الامم مع انبيائهم (ليتنى كنت فيها - (أى فى أيام دعوتك - جذعا: أى قويا) إذ يخرجك قومك. قال ﷺ: أومخرجى هم؛ قال نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى..!)

لقد عرف من أول لحظة أبعاد الصراع الرهيب الذى سيخوضه مع قومه إذا عالنهم بالحق والذى اليه يدعو وصارحهم بقضاياه التى تدحض باطلهم المتهافت وعرف أيضا انه صراع سوف يكلفه الكثير ويعرضه لخصام السفهاء والكبراء من أهل مكة جميعا، ومع ذلك، ووفاء منه للحق وولاء له تحمل وقبل كل ما توقعه من نتائج وصدع بأمر ربه بعد فترة الدعوة السرية التى استمرت ثلاث سنين استجابة لأمر ربه ووفاء لما يدعو اليه... **بعد ما نزل قول الله تعالى « وأنذر عشيرتك الأقربين »**

لقد كلفه أمر الاستجابة لما اشتملت عليه الآية من تكليف بالمعالنة بالحق أن يغامر بخسران مودة قومه وعشيرته الأقربين، وان يتعرض لخصامهم وعداوتهم، ومع ذلك فقد قضى إلى نهاية الشوط يصدع بالحق من غير أن يخشى فى ذلك لومة لائم، وان بقى له بعد ما شرح الله صدره، وليكن بعد ذلك ما يكون...

يقول الامام البخارى فى صحيحه فيما أخرجه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما: لما نزلت الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد النبى ﷺ - على الصفا فجعل ينادى: يا بنى فهر، يا بنى عدى - لبطون قريش حتى اجتمعوا.. فجعل الذى لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر: ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال النبى ﷺ: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريدان تغير عليكم اكنتم مصدقى؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد!! فقال أبو لهب: تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزل قوله تعالى: « تبت يدا أبى لهب وتب ».

ويروى الامام البخارى والامام مسلم فيما أخرجاه فى صحيحيهما عن أبى هريرة قال: قام رسول الله ﷺ - حين أنزل الله عليه (وأنذر عشيرتك الأقربين) فقال: يا معشر قريش إشتروا أنفسكم لا اغنى عنكم من الله شيئا، يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لاأغنى عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت رسول الله سلينى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا.

لقد بدأت قريش بعد هذه المعالنة بالحق تسير فى طريق اللدد والخصام، وتستعد لحسم هذه الثورة التى اندلعت فجأة والتى يخشى منها على تقاليدها وموروثاتها، وكان أول موقف طائش صادقة الرسول موقف عمه أبى لهب من دعوته لأهله.. اتبعه بعد ذلك بموقف أكثر طيشا، وأشد قسوة، لقد كان أبناؤه متزوجين ببنات محمد ﷺ فأمرهم بفراقهن فطلق عتبة وعتيبة رقية، وأم كلثوم.. ومع ذلك فقد ظل وفيا للحق الذى اليه يدعو، ثابتا عليه لا يتخلى عنه ولئن كانت أهواء الجاهلية قد أدت الى أن تدفع عم النبى - ﷺ - الى الاغلاظ معه فى القول وفى الموقف، وعلى هذا النحو الوضيع، فكيف يكون مسلك الأباعد منه؟ ذلك هو الصراع الذى ذاق مرارته وتجرع غصته النبى ﷺ - لفترة طويلة، فى الوقت الذى ظل وفيا فيه للحق ثابتا موقفه كالطود، لا تلين له قناة ولاء للدعوة وقياما بحقها.

ولم يكن أمام النبى ﷺ الا أن يمضى غير هياب فى سبيل البلاغ، وان يجتاز ما يلقى أمامه من صعاب وعقبات.. وفى الوقت نفسه لم يكن امام الصفوة من النماذج الحسنة والانماط الممتازة من البشر التى آمنت به وربطت مصائرها بما جاء به الا أن تؤكد وفاءها وولاءها للحق الذى علقت به مستقبلها ورجته من أجل أولاها وأخراها، وإلا أن تثبت على الحق لا تتزعزع من أجل مستقبل قضية الإيمان فى الأرض، فلقد كان أصحاب محمد ﷺ - بصلابة يقينهم وروعة استمساكهم بالحق - دعائم رسالة الإيمان، وأصول امتدادها من بعد فى المشارق والمغارب، وأساس راسخ لقيام بنيانها وصرحها، ذلك أن البنيان الشامخ لايرتكز على سطح الأرض إنما يرتكز على دعائم قوية هى التى ترفع عمده، وتحمل ثقله، وهكذا كان شأن أصحاب محمد ﷺ بالنسبة للايمان، رفعوا عمده، وتحملوا ثقله وفاء وحبا له. ولقد كان محمد ﷺ كبير المنزلة فى بلده مرموقا بالثقة والمحبة من قومه وأهله وعشيرته، لكنه حين واجه مكة بما نكره، قرر المشركون ألا يألوا جهدا فى محاربته، ومحاربة من آمن به بكل سلاح. ولم يكن هناك من سلاح عاصم له ولهم إلا الوفاء للحق، والولاء له، لقد رمى النبى ﷺ وصحابته بتهم هازلة وشتائم سفيهة، وتألفت جماعة للاستهزاء بالاسلام ورجاله..

فرسولهم ينادى بالجنون تارة « وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون » ويوصم تارة اخرى بالسحر والكذب « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب » ويشيع فى غدوه ورواحه بنظرات حاقدة ناقة، وعواطف منفعلة هائجة « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون: إنه لمجنون »

ولم يكن حظ الصفوة الممتازة من أصحابه من السابقين الى الايمان بأفضل من حظه ﷺ فهم فى غدوهم ورواحهم محل التندر واللمز، ومادة للسخرية والاستهزاء « إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون، وإذا مروا بهم يتغامزون. وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين. وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون. وما أرسلوا عليهم حافظين. »

وظل النبى ﷺ مع ذلك هو وأصحابه أوفياء لما نذروا أنفسهم له، أولياء للحق ثابتين عليه دون أن تنال منهم هذه الحرب نيلا، أو تغير من ثباتهم ووفائهم شيئا.

وبسبب صلابة هذا الايمان ووفاء أصحابه وولائهم له وثباتهم على الحق: انقلبت هذه الحرب الى تنكيل وسفك دماء بالنسبة الى المستضعفين من المؤمنين.. لاسيما من لم تكن لهم عصبية تدفع عنهم أو تعصمهم من الهوان والتعذيب والقتل، وسقط فى ميدان الدعوة إلى الاسلام شهداء وفاء للإيمان وثباتا على الحق، وكان حظ آل ياسر من الشهادة موفورا.. فلقد كان ممن نالهم العذاب عمار بن ياسر، وأبوه ياسر، وامه (سمية)، بعد ما أسلموا جميعا.. فكان المشركون يخرجونهم الى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرها، ومر بهم النبى ﷺ وهم يعذبون فقال: صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة.. أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن جابر. حتى لقد استشهد (ياسر) فى العذاب، واغلظت امرأته (سمية) ام عمار القول لأبى جهل فطعنها فى قلبها بحربة فى يديه فماتت.. فكانت بذلك أول امرأة شهيدة من شهداء الدعوة فى الاسلام. ومن هؤلاء الذين نالهم ما نالهم من أجل الدعوة الى الله تعالى (بلال بن رباح) فلم يزدهم ذلك الا وفاء للحق وثباتا عليه واستمساكا به، لقد كان سيده (أمية بن خلف) إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يقلبه على الرمال الملتهبة وهو عارى الجسد ظهر البطن. ويأمر بالصخرة الجسيمة فتلقى على صدره ثم يقول له: لا تزال كذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد (اللات)، و (العزى) فما يزيد بلال إلا استمساكا وثباتا وما يجعله ذلك يزيد عن ترديد قوله: أحد. أحد...

لقد ظن المشركون أن بطشهم بالمستضعفين سوف يصرف محمدا واتباعه عن الاستجابة لداعى الحق ، والوفاء له على هذا النحو الغريب والعجيب ، كما ظنوا أن وسائل السخرية وحرب التهكم والاستهزاء التى جنحوا اليها ستهد قوى المسلمين المعنوية ، فيتوارون خجلا من دينهم ، ويعودون كما كانوا الى دين آبائهم غير أن ظنونهم سقطت جميعا فإن أحدا من المسلمين لم يرتد عن الحق الذى دان له شرفه الله به . . بل بالعكس مما كانوا يظنون . . لقد كان المسلمون يتزايدون . . وبذلك فلم تفلح طرق الاستهزاء فى الصد عن سبيل الله وتشويه معالمها . . بل إن ذلك قد زاد المسلمين شعورا بما فى الوثنية من خسة ومعرات ومخاز تستحق الفضيحة والتشهير ، بل والاستئصال من الأرض . « ان تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم »

ثم رأت قريش أن تجرب أسلوبا آخر تجمع فيه بين الترغيب والترهيب ، والاغراء والتحذير لعلها بذلك أن تحقق غرضا أو تصل الى اهدافها : فلترسل الى محمد ﷺ تعرض عليه من الدنيا ما يشاء ، ولترسل إلى عمه الذى يحميه تحذره مغبة هذا التأييد ، وكان ذلك امتحانا جديدا للثبات على الحق والولاء له ، تجلى من خلاله : وفاء النبى ﷺ للحق كأعظم وابهى ما يكون الوفاء وولائه العظيم له الذى بهر أعداءه وأجبرهم على الانحناء لروعته وجلاله .

واختارت قريش (عتبة بن ربيعة) ليفاوض الرسول - وهو رجل هادىء ورزين - الذى ذهب الى رسول الله ﷺ يقول له : يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من المكان فى النسب وقد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها :

إن كنت انما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . .

وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك .

وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا .

وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه اموالنا حتى تبرأ .

فلما فرغ من قوله : تلا رسول الله ﷺ على عتبة صدر سورة فصلت : « حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون . قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون » حتى بلغ فى قراءته قول الله تعالى : « فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود »

يا لله . . ! لقد اعطى محمد ﷺ عتبة درسا لن ينساه فى الوفاء للحق والثبات عليه ، كما أسمعه وعيد الله يهدر فينحرك ما كان هاجعا من عاطفته « فإن اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » لقد وضع عتبة يده على جنبه ، وقام كأن الصواعق ستلاحقه ، وعاد الى قريش يقترح عليها أن تدع محمدا وشأنه ! . .

ولقد تجلى ثباته ﷺ - على الحق ووفاءه له كأعظم ما يكون فى موقف آخر للرسول من عمه لقد بعثت قريش بوفد إلى أبى طالب يقول له : يا أبا طالب : إن ابن اخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه . . فقال لهم أبو طالب : قولا جميلا ، وردهم ردا رفيقا فانصرفوا عنه . .

ومضى الرسول ﷺ فى طريقه لا يصرفه عنه شىء . . حتى أكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ ، وتآمروا فيه فمشوا إلى أبى طالب مرة أخرى فقالوا : يا أبا طالب : إن لك سنا وشرفا وانا قد استنهيناك ان تنهى ابن أخيك فلم تفعل . وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه أحلامنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك ، إلى أن يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه . . .

وعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم له ، ولم تطب نفسه بإسلام رسول الله ﷺ وخذلانه وبعث الى رسول الله ﷺ يخبره بحديث قريش وقال له : ابق على نفسك وعلى ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق فظن الرسول أن قد بدا لعمه رأى ، وأنه خاذله وضعف عن نصرته فما كان منه إلا أن وقف من حديث عمه هذا الموقف الرائع الذى يفيض وفاء وولاء للحق . . .

لقد قال ﷺ : يا عماه والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه . . . ما تركته . أخرجه ابن اسحق .

يا لله . . انهم لو صنعوا المستحيل من أجل ان يتخلى عن دعوته ما فعل . . وأثار موقف عمه منه عواطف شتى فبكى وقام . . فلما ولى : ناداه عمه ابو طالب فأقبل عليه وقال : يا بن أخى : اذهب ، فقل ما أحببت ، فوالله لا اسلمك لشىء أبدا ، وانشد قوله :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم . . حتى أوسد فى التراب دفينا

وهكذا ينحنى أبو طالب إجلالا لاستمساك ابن اخيه محمد بالحق ووفائه الباهر له ، ويحترم فيه هذا الثبات الرائع على الحق . . فيجند نفسه للذود عن ابن أخيه إلى آخر رمق من حياته وكف العوادى من أن تناله بسوء .

وهكذا أخفق الاغراء والأرهاب فى تعويق الدعوة ، وسد مسيرتها والحيلولة بينها وبين الوصول إلى أهدافها . . وأعطى رجالها بقيادة نبيهم ﷺ المثل من انفسهم الأجيال التى تحمل امانة الايمان على الوفاء للحق والثبات عليه . .

وأدركت قريش بعد عناء كبير ان ما تصبوا اليه أمر بعيد المنال . . لاسيما فى مجتمع كهذا المجتمع المؤمن العظيم الذى اصطنعه الاسلام لنفسه ورباه الرسول على عينه واعطاه من نفسه المثل والأسوة .

(للبحث صلة باذن الله تعالى)

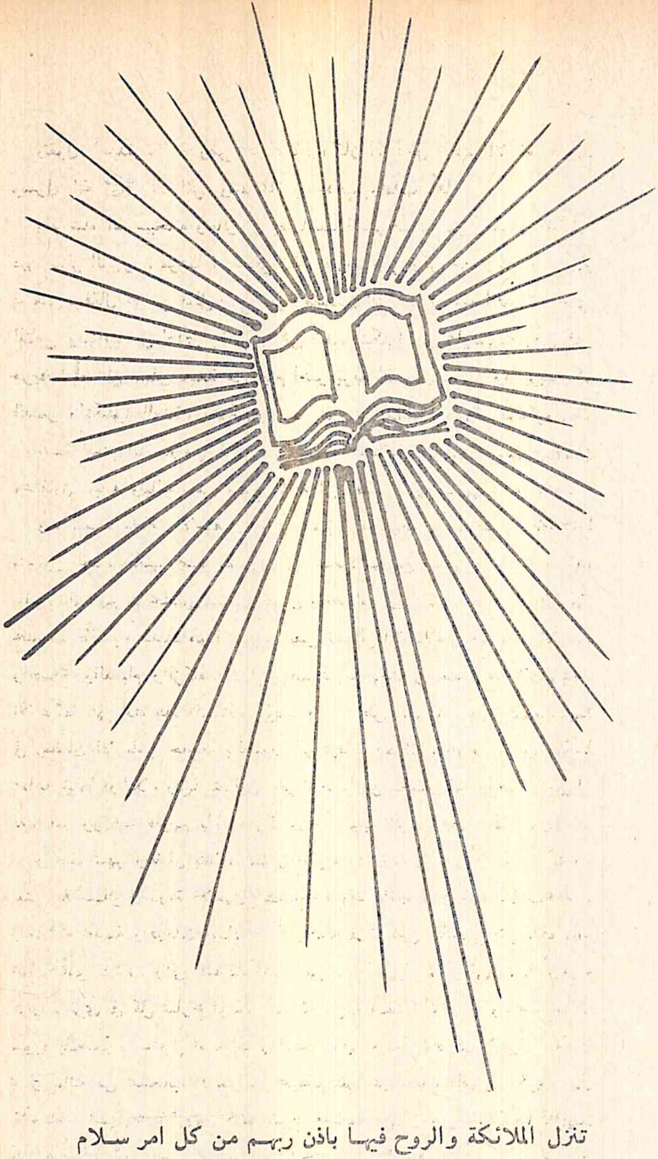

الجهاد الأكبر

للأستاذ أحمد وافى

في ليلة مباركة من شهر رمضان، اتصلت السماء بالأرض، وبدأ التنزيل العلوى العظيم، قرآنا عربيا مبينا، على قلب رسول الله ﷺ ..

لم تكن ليلة من تلك الليالى التى تغشى الناس، ثم تنحسر ليستقبلوا غيرها فى دوران فلكي متدارك، دون أن تستوقف فيهم فكرا، أو يذكروا من اسرارها شيئا، ولكنها كانت اعظم ليالى الزمان وايامه، واثراها بركة وخيرا، واخلدها ذكرا فى تاريخ البشرية جمعاء..

كانت مطلع الفجر الجديد، مبشرا بقدوم شمس الله التى ما لبثت أن طلعت ناشرة اضواءها الصافية على عالم يحيا متخبطا فى ظلمات متراكمة من الجهل والضلال والكفر والانحلال.

وحسبها خلودا وتقديسا، ان الله تبارك وتعالى قد رفعها الى اسمى مراتب التكريم فى قوله «انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم. امرا من عندنا انا كنا مرسلين، رحمة من ربك انه هو السميع العليم».. وفى قوله: «انا أنزلناه فى ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر»..

الآية الأولى زينها الله بالبركة، اذ جعلها ميقاتا لنزول القرآن الكريم، انذارا للكافرين وتفريقا بين الحق والباطل، وايذانا ببعث رسول الله رحمة مهداه الى العالمين، وفى الآية الثانية مع بيان فضلها وجلالها، وتقدير الله لها بأنها خير من الف شهر، فأن فيها كذلك اشارة الى امتداد تكريمها بل وجوب تكريمها كلما حان وقتها، ففيها تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر، حتى مطلع الفجر، أى أنه لا حواجز فى تلك الليلة بين ارواح ملائكة السماء وارواح الاتقياء الصالحين من أهل الأرض، ومن هنا كان احياؤها بالذكر والعبادة والدعاء متصلا فى الليالى العشر الأخيرة من شهر رمضان، فإنه لم يعلم بالتحديد فى أى من هذه الليالى كانت، ورأى رسول الله ﷺ، ان يلتمسها المسلمون فى الثلث الأخير من رمضان، ولهذا كانت هذه الليالى الأخيرة المباركة، ولم تزل، وستظل إلى الأبد، ساحة عامرة بالصلوات والتهجدات والعبادات الخالصة لله ابتغاء رحمته ورضاه..

وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها : « **كان اذا دخل العشر الأواخر طوى رسول الله ﷺ الفراش وشد المئزر ودأب وأدأب أهله** » .

وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يضاعف التشريف لشهر رمضان فاختاره دون سائر الشهور ، موعدا لأداء فريضة الصوم ، وهى ركن من أركان الأسلام الخمس ، فقال عز من قائل : « **شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** » .

وبهذا المعنى الواسع من التكريم المضاعف ، يستقبل المسلمون شهر رمضان ويحتفلون بأيامه ولياليه ، من مطلع هلاله الى مطلع هلال الشهر الذى يليه . .

وقد تتعدد مظاهر الاحتفال به فى الناس ، وقد يغلو بعضهم فى ذلك غلوا يتجاوز الحد ، ولكنهم جميعا يصدرون فى احتفالاتهم عن اعتقاد واحد لا خلاف عليه ، هو أنهم انما يحتفلون بشهر القرآن والصيام ، وإذا كان القرآن هو الاسلام مجتمعا ، فالصيام كذلك هو أجمع الفرائض لشعائر الاسلام ، ففيه يلتقى التوحيد والصلاة والصيام والزكاة ، فما ترى صائما صدقت فى نفسه نية الصيام ، الا عاكفا على اداء هذه الشعائر ، يؤديها فى اخلاص وسخاء ، وما ترى مسجدا فى رمضان الا عامرا حاشدا بالمصلين ، فى أوقات الصلاة ، يحرصون على ادائها جماعة نهارا أو ليلا ، وفيها يتلاقون اخوانا متساوين ليعبدوا الله واحدا لا شريك له ، قد نور الله قلوبهم بالحب والايمان ، وحبب اليهم الخير والاحسان . .

واحياء شهر رمضان بتلاوة القرآن الكريم واستماعه وتفسير أوامره وأحكامه ، يعتبر بلا شك فى ذروة الأعمال الصالحة ، وقد كانت له فى عهود أسلافنا ، انبعاثات مخلصة واهتمامات جادة ، وآثار طيبة فى نفوس الكثيرين ممن ينقصهم العلم بأمور دينهم ، والى النصف الأول من هذا القرن كنا فى أى مدينة أو قرية كبيرة ، نرى فى كل شارع أو منعطف اكثر من نصف المنازل مفتوحة الأبواب منورة بالمصابيح يستقبل اصحابها زوارهم ، وفى كل منزل قارىء القرآن ، وكان يختار غالبا من اصحاب الاصوات المحببة ، يتلو عليهم آيات القرآن الكريم ، وفى الأحياء والشوارع الكبيرة ، كانت توجد قاعات كبيرة تسمى بالمضايف اقامها من قديم آباء أهل الحى أو الشارع للاجتماع فى المناسبات المشتركة كالأفراح والمآتم والأعياد واحياء شهر رمضان ـ وقد كانت هذه القاعات طوال ليالى شهر رمضان ملتقى الزوار والضيوف وفى أكثر الأحوال كان يوجد فى كل « مضيفة » عالم دين ، يفسر للحاضرين ما سمعوا من آيات الله ، ويفتيهم في أبهم عليهم من شئون دينهم ، ومثل هذا العالم الدينى كنا نلقاه قائما بهذا الواجب نفسه فى كل مسجد ، قبل وبعد كل صلاة ، نهارا وليلا ، وقد تعطلت هذه المضايف بل تلاشى وجودها تقريبا ، وكذلك أغلقت المنازل أبوابها واختفت منها « السهرات » الرمضانية المحبوبة فلا قراء ولا زوار ولا ضيوف ، وكانت هى حبال الود ممدودة بين الناس توثق علاقاتهم وتعمر بالحب والاخلاص قلوبهم ، وهذه المعانى الانسانية الكريمة هى بعض ما يتميز به الاسلام فى دنيا الناس ، ولذلك كانت أفضل الأعمال وأجمل المظاهر فى أحياء شهر رمضان .

ومن أجل هذا نرجو أن تعود « المضايف » سيرتها الأولى سواء فى الحضر أو الريف ، ليس لا حياء شهر رمضان فحسب بل أيضا لكل المناسبات الجامعة ، وما يزال فى بعض القرى بعض هذه المضايف بتقاليدها الحسنة التى نرجو ان لا يقتحمها الزحف العصرى ويعفى آثارها . .

ان تنويهات السيد الرئيس أنور السادات بفضائل القرية وتقاليدها السمحة ، ليست مجرد شهادة يشهدها رجل نشأ فى القرية وترعرت بين افيائها وبساطتها اخلاقه وملكاته ، انما هى أيضا دعوة معلنة الى حياة القرية بتقاليدها المزدهرة بالحب والايمان .

نخلص من هذا الى أن الاحتفال الرمضانى بالقرآن الكريم تلاوة واستماعا وتفسيرا اصبح محصورا فى دوائر ضيقة ، قليلة العدد والوقت ، وما يذاع منه عبر محطة اذاعة القرآن أو عبر محطات الاذاعة الأخرى ، لا يحقق ما ينبغى ان يكون عليه هذا الاحتفال من الاتساق والاتساع وشيوع الاثر ، فاكثر المنصتين الى هذه الاذاعات ، سرعان ما تشد آذانهم البرامج الأخرى التى لا صلة لها بالقرآن ولا بالدين ، واقل ما يقال فيها انها ملهيات واضاحيك حشدوها حشدا مغريا لشهر رمضان خاصة ؟ فليس امامنا اليوم على التحديد سوى المساجد ، وهى اساسا ، المجال الطبيعى للوعظ والأرشاد وتلاوة القرآن وتفسيره ، ورواد المساجد فى شهر رمضان جماهير عريضة ، وعلماء الدين مدعوون تلقائيا الى اداء رسالتهم فى هذه الآفاق الرحيبة ، وقد قلنا فى مقال سابق ان علماء الأزهر وطلابه يكونون فى اجازة طوال شهر رمضان ، ونحن لا نشكو منهم قلة ، ولو انهم انتشروا فى طول البلاد وعرضها لما خلا مسجد ولا مصلى فى أية بقعة من البلاد من واحد منهم ، فمن الحق عليهم نحو ربهم ودينهم ، ووفاء بامانة العلم الذى يحملونه ، وهم كما قال رسول الله ﷺ « ورثة الانبياء » نقول من الحق عليهم : أن ينهضوا باخلاص وصدق نية لأداء واجبهم ، فى ارشاد الناس وتوعيتهم وخاصة فى هذا الوقت الذى ابتلى الاسلام فيه بالدعوات الهدامة والمنحرفة كالشيوعية وأصحاب فتنة التكفير والهجرة ، وقد ظهر واضحا أن شباب هذا الجيل يعيش فى فراغ دينى ، وأن فيهم كثيرين يتساقطون فى شباك الفتن العقائدية بغير وعى ولا تفكير ، فلا أحد غير علماء الدين لدفع الخطر ، انهم بعلمهم وبالمنطق السهل ، يستطيعون أن يميزوا لهم الحق من الباطل ، وأن يردوا إلى الدين من ضل طريقه ، وليقولوا لهم أن أعداء الإسلام ومستعمرى أوطانه ، ما زالوا يتربصون به الدوائر ويكيدون له كيدا متصلا عن طريق الجماعات التخريبية والهدامة ، كما كان الحال من قبل فى جماعة الباطنية اتباع شيخ الجبل وكيف كانوا يخدرونهم ويستعملونهم فى قتل قادة المسلمين فى الحروب الصليبية تعاونا مع الصليبيين وكما كان الحال أيضا فى جماعة القاديانية بالهند ، والبهائية بإيران وفلسطين ، لخدمة الاستعمار البريطانى والصهيونى .

أن الجماهير العريضة فى الشعب تحتاج الى معرفة الحقائق فى دينها ، ومعرفة الحقائق فى يدبر لها من مكائد ، وشهر رمضان هو المناسبة المتاحة والساحة الواسعة لسماع صوت الاسلام والاستنارة بنوره . .

بهذا نكون قد احتفلنا حقا بشهر رمضان ، شهر القرآن ، اما الاحتفال بفريضة الصيام فيه فهو التزام شروط الصيام التزاما دقيقا ، وذلك بالامساك عن الطعام والشراب وكف الجوارح عن الشهوات والتجرد لله بالعبادة ، فرسول الله ﷺ يقول : « **لكل شىء باب ، وباب العبادة الصوم** » والعبادة الخالصة هى مخالفة الشيطان فى كل ما يوسوس به ، وأكثر ما يوسوس به هو اثارة الشهوات فى نفس الصائم ، والشهوات مرتع الشيطان ومرعاه وهى وسيلته لإخراج الصائم من صومه .

ومن شروط صحة الصيام وآدابه ، غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى ما يشغل القلب ، ويلهى عن ذكر الله ، وحفظ اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والهذيان والفحش والمراء والخصومة ، وليكن شغله دائما بذكر الله وتلاوة القرآن ويقول رسول الله ﷺ : « **انما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل انى صائم انى صائم** » . .
ثم كف السمع عن الاصغاء لما يكره أو يحرم سماعه ، فكل ما حرم قوله حرم سماعه ، والرسول ﷺ يقول : « **المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم** » وهكذا سائر الجوارح فى الانسان يجب أن تحاط بسياج مكين من الصون والطهارة والصبر وقوة الايمان حتى لا يجد عدو الله ابليس سبيلا اليها .

ويبدو اننا مازلنا بحاجة الى التذكير بأن كثيرا مما نراه ، يقع مخالفا لما ينبغى ان نكون عليه فى شهر الصيام ، فلا تزال فاشية فى امتنا عادة التوسع

والاسراف فى المآكل والمشارب للافطار والسحور، وهى عادة دخلت على المسلمين فى عهد الفاطميين وكانت بدايتها مد الأسمطة بقاعات كبيرة من قصر الخلافة وحشدها بأطايب الأطعمة والحلوى وغير ذلك، واباحتها للناس يجتمعون عليها أو يأخذون لبيوتهم منها تأليفا لقلوبهم تحت أعلام شهر رمضان الكريم، ثم أصبحت بمرور الزمن تقليدا محببا الى الناس فى حياتهم الخاصة، وفى اطار هذا التقليد تتحرك الشهوات ولا تجد لها دافعا، ومن هنا أصبح شهر الصيام والجوع، شهر الطعام والشبع ويحمل الناس من ذلك نفقات كبيرة ذاهبة لوجه الشيطان ومضعفة من اداء فريضة الصيام على وجهها الإسلامى الصحيح وكثير من الناس يضارون بذلك لموارد ارزاقهم القليلة، ومن الطبيعى أن تكون نظرتهم الى الآخرين نظرة خالية من الرضى والود، لا تساع الفوراق، واختلاف الامكانيات، وفى هذا ما يسوء السلام الاجتماعى ويؤذى صحة الابدان.

فمن الخير بل من الواجبات الملزمة لمصلحة الدين والسلام الاجتماعى والصحة العامة - أن تؤدى فريضة الصيام مجردة من الاسراف وأن لا نزيد شيئا على ما تعود كل منا أن يناله من طعام وشراب قبل رمضان، والله تبارك وتعالى ينهى عن الاسراف بقوله: **«وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين»** وقوله: «وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار» ورسول الله ﷺ يحبب فى الجوع لسلامة الأبدان فضلا عن سلامة القلوب، فيقول: «جوعوا تصحوا» و «**اقرعوا أبواب الجنة بالجوع**» و «المسلم يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء» وقد كان العرب حتى فى جاهليتهم يكرهون الشبع لتبقى لهم قوتهم وصلابة اجسادهم وفى هذا المعنى نقرأ من شعرهم القديم «وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم» فما زاد على حاجة الشخص كان تخمة وبطنة وترهلا وضعفا، وليس وراء ذلك غير الالام والحسرات؟ وعلماء الطب فى عصرنا الحديث يتخذون من الجوع علاجا لأشد الأمراض واخطرها؟

وبعد، فإن للصائمين فى كل ايام رمضان ولياليه مجالا فسيحا لصالحات الأعمال التى تطيب بها نفوسهم الصافية، وتبتهج لها قلوبهم المؤمنة. ويكسبون بها رضوان الله وحسن جزائه، ومنها بل فى مقدمتها: الانبعاث للزكاة والصدقات وصلة الأرحام والبر بالجار القريب والبعيد، وتعهد الفقراء والمساكين والعجزة المحرومين بما يرفه حياتهم، ويكرم انسانيتهم، وخاصة منهم الذين لا يتسارعون على الأبواب الحافا فى السؤال، وفى هؤلاء وهؤلاء يقول رسول الله ﷺ: **«ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان، واللقمة واللقمتان، انما المسكين المتعفف، واقرأوا ان شئتم: لا يسألون الناس الحافا»** يعنى ﷺ قول الله عز وجل: **«يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم، لا يسألون الناس الحافا»**

ونسأل الله، جل علاه، ان يهدى المسلمين سواء السبيل، وان ينصرهم على انفسهم فى شهر الانتصارات التى يتأرج عبيرها من خلال الانتصار ببدر وفتح مكة فى عهد رسول الله ﷺ، واخيرا انتصارنا المؤزر فى ١٠ رمضان» نقول: ذلك ان المسلمين مع انفسهم فى جهاد كبير مستمر، لقول رسول الله ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر يريد - عليه الصلاة والسلام - بالجهاد الاصغر قتال المشركين اعداء الاسلام، وبالجهاد الأكبر مجاهدة الأنفس وكبح شهواتها، فتلك اشق وأصعب، وهذا يقتضى مزيدا متصلا من الجهد فى مقاومتها..

والنفس راغبة إذا رغبتها ... فاذا ترد إلى قليل تقنع

فهى لا تقنع بالقليل الا مرغمة، وهنا الجهاد الأكبر..

وينبغى ان لا يفوتنا أننا نعيش الآن ظروفا اقتصادية مثقلة بأعباء التحرير والتعمير فالأسراف فيها يعتبر سفها وشذوذا وخروجا عن الخط الوطنى وتحية وتهنئة لجميع المسلمين فى شتى الأقطار ومختلف الأوطان بهذا الشهر المبارك ونرجو من الله عز وجل أن يجمع قلوبهم على الحب والخير والاخلاص.

كلمة

■ يا إلهى .. أنت العدل .

ومن عدلك أخاف .. !

« أبو العلاء المعرى »

تقوى الله

الأستاذ محمد حسن عبد العزيز

اهتم الاسـلام اهتماما بالغـا بالناحية الروحية عند الانسان ـ فأتجه من البداية إلى تربية ضمير الفرد باعتباره الوعاء الذى يصب فى الجماعة .

والعبادات فى الاسلام فضلا عن كونهـا الطريق الموصل إلى رضوان الله ، فانها أيضا منهاج أخلاق ينظم سلوكيات الناس فى إطار قواعده العامة وأصوله الكلية .

وشرائع الاسلام تقوم على أمر ونهى ، فعل وترك ، وتنفيذ أمر الله بترك المحظورات واجتناب المنهيات من الأمور الشـاقة على النفس ـ ولذلك كان غض البصر وكف اللسان وحفظ الفرج أشق على الانسان المسلم من اداء الصلاة وبذل النصح ، ولذلك جعل الله تعالى اجتناب الكبائر تكفيراً عن الصغائر ، يقـول تعـالى : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » والمدخـل الكريم كل ما سـاعد على ضـبط النفس وكبح جماحها وعصمها من مزالق السوء والتهلكة . .

وبفضل تلك القيود وصل الانسان إلى الحق والفضيلة فى إطار خصائصه الانسانية وطبيعته البشرية . ولعل مشكلة البشرية الأولى تكمن فى ضمير الانسان وخلقه وتقواه ، والله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واصلاح أى مجتمع يبدأ من أعماق النفس ووجدان القلب ، ذلك ان اصلاح الباطن وحياة الضمير قوة لا غنى عنها لفرد أو لجماعة أو لأمة ، وكم من أمة فقدت الكم المادى غلبت أمة أخرى أكثر عددا وقوة بهذا السمو الباطنى ، حدث هذا مع المسلمين يوم بدر ، ويوم مؤته على سبيل المثال ، وحياة الناس صورة لما فى قلوبهم ، وتعبير عن ضمائرهم وما استقر فى باطنهم ، والأمة الصامدة العزيزة تستمد قوتها من روحها وضميرها . .

ومن هنا إتجه الاسلام الى مخاطبة الضمير بالهداية والتربية ، وكانت حكمة العبادات لاصلاح اعمق اعماق النفس وترويض ظاهر الحس على معانى البر والتقوى وتثبيت الاخلاق ، ويحتاج كل هذا إلى مكابدة ومجاهدة وصبر ، استعلاء فوق الشهوات وسىء العادات واجتنابا للآثام والرذائل لتنشأ خصال التقوى .

تداعت امامى كل هذه المعانى وانا استقبل مع جموع المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، موكب الخير والبركة والجلال يزف لامة الاسلام قدوم الوافد الحبيب ، الذى يجمع اتباع محمد عليه الصلاة والسلام فى وحدة فريدة ورائعة ، بفضل الشهر الاغر والعبادة الجامعة ، بل ان اخواننا من اصحاب الديانات الاخرى يستشعرون معنا تلك المعانى ايضا ، فشهر رمضان شهر الاديان والرسالات ، فى اول ليلة منه نزلت صحف ابراهيم ، ونزلت التوراة لست مضين منه ، والانجيل لثلاث عشرة ، والقرآن لاربع وعشرين . .

ومن هنا استحق شهر الصيام ، شهر القرآن ، أن يفضل على سائر شهور العام ، وان يذكر اسمه فى القرآن مقرونا بالهدى والبينات ، وان تعدل الليلة التى شرفت الارض فيها باتصال السماء بعد طول غياب الف شهر ، تلك ليلة التقدير والهداية والتميز التى فرق فيها بين كل امر حكيم ، وتلقى صاحب الرسالة الامر الالهى : اقرأ ، فقرأ ولم يكن من قبل بقارىء ولاخط بيمينه سطرا ، وعلم ان الانسان خلق من علق ، ـ وانه علم بالقلم ما لم يكن يعلم ، وان الرسالة بيان وانذار وسلام ، وان الدين دعوة للعلم والتعلم ولفضل القلم اقسم الله تعالى به باعتباره اداة الكتابة ، ويقصد بالعلم ما كان مقترنا باسم الله ، فلا اعتداء ولا تسلط ولا استعلاء ، فالعلم مرتبط بهدف اخلاقى يتحقق به خدمة الانسان ورقيه وسعادته وهو فريضة دينية مثل كل الفرائض . .

تلقى عليه الصلاة والسلام الامر بالقراءة ، وكأنما تلقى اجابة عن حقيقة كان يبحث عنها ، اجابت عن مغاليق الكون ومجهولاته ، بينما هو فى صلاته الفكرية والوجدانية العميقتين . . تفاعل مع الكون فانفتح سفر الوجود فى غار حراء عن الحقيقة الكبرى . . ففرق بين كل امر حكيم . .

واطلق العقل متحررا من آثار المادية والتبعية والعبودية متحللا من كل رابطة تربطه بغير الواحد القهار، واعيدت البشرية الى الطريق الحق بعد أن حادت عنه وردت الى حظيرة الفطرة السليمة والضمير النق، وخلص الدين لله، ونق من كل ما علق به من شوائب أو ما اختلط به وليس منه، وصحح العلاقات بين المخلوقين على منهج الله، وعرف الناس لاول مرة ان قواعد الدين لا تهتم فقط بتنظيم علاقة الانسان بربه وانما تنظم ايضا له حياته لتنضبط سلوكياته فى اطار قواعد الدين، وتغدو الحياة لائقة بسليل التراب، وكما ان الاسلام يهتم بجزاء الآخرة ولا يجعلنا ننسى نصيبنا من الدنيا.

فى تلك الليلة شاء الله تعالى، ان ينزل الذكر للعالمين، ليهديهم للتى هى اقوم، ويخرجهم من الظلمات الى النور..

ومن اجل هذا استحق الشهر الفضيل ان تفتح فيه ابواب الجنة وتغلق ابواب النار وتصفد الشياطين فتلك افواج الطائعين التائبين، تنتهز فرصة الشهر العظيم لتنوب الى ربها، تستغفره الذنوب يسارعون بالخيرات ويسابقون الى مغفرة من ربهم ورضوان، فاذا الناس بفضل الصوم كملائكة تمشى على الارض..

والصيام يقوى الباطن، وهو عبادة خفية لا يطلع عليها الا الله سبحانه وتعالى، والمرء يستطيع الاستخفاء من الناس وتناول المفطرات ولكنه لا يستخفى على الله، وفى ذلك تربية للمسلم للتخلص من أسر سيء العادات ويطوع حياته وفق ما احل الله له، طاعة وامتثالا للخالق المعبود..

فقد جمع الله تعالى حكمة الصوم فى كلمة واحدة هى التقوى، وهى على ايجازها تشمل كل معانى الخير والبر، بر الانسان بنفسه وبره بغيره وبره بربه، انها تجمع فضائل النفس وآداب السلوك. ومنهج للعبادة،

والتقوى على تلك الصفة لا تدخل القلوب الا بامتحان « **اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** » وهى خير زاد « وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب »..

فالصيام ليس دعوة الى الجوع، ولا كان فرضه من قبيل اشعار الغنى المتخم بآلام الفقير الجائع، والا كان فرضه على الفقير بغير حكمة ولا هدف..

ولا هو دعوة الى التكاسل والخمول، وركون الى الدعة والهدوء والاستغراق فى النوم، فالعمل يزيد ثواب الصائم ويكثر حسناته..

بل ولا هو امتناع عن طعام وشراب وشهوات لساعات معينة اذا انقضت انقض يشبع ما امسك عنه فى اسراف وبذخ متناسيا الحكمة الالهية « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » سواء فى رمضان او فى غيره، ومتناسيا ايضا ان من الصيام كف الجوارح عن المحارم..

فالحياة مليئة بالاشواك والمزالق، واذا اراد الانسان السير فعليه ان يشمر عن ساعد الجد ليتفادى الاشواك ويبتعد عن المزالق..

وبالتقوى يخشى الانسان ربه، ويق نفسه ما يخاف منه عن طريق ضبط النفس عما يؤثم وتجنب المحظورات، وترك الكثير من المباح، والرجل التق من يدع ما لا بأس به، حذرا مما به بأس..

والتقوى كما عرفها النبى ﷺ حين اشار الى موضعها بالقلب، شىء خفى لا يطلع عليه الا الله سبحانه وتعالى، وبها يتربى عند المسلم خلق المراقبة والصبر وبهما تصدق النية وتقوى العزيمة، وبتكرار الصيام يعتاد الانسان التخلق باخلاق الله وتتأصل فيه لتكون مثالا لما ينبغى ان يكون عليه بقية العام..

كلمة

▪ ما وجد أحد كبراً فى نفسه، إلا من مهانة يجدها هو .. ويحس بها فى أعماقه .. !

« عمر بن الخطاب »

أضـــواء من الجنـة

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

الدين الاسلامى هدى وعقل ، من أحسن استعماله وتأدب بآدابه وأخذ بما أرشده إليه ، نال من السعادة ما وعد الله على اتباعه ، وقد جرب علاج الاجتماع الأنسانى بهذا الدواء فظهر نجاحه ظهورا لا يستطيع معه الأعمى انكارا ولا الأصم اعراضا ، ولم يدع هذا الدين أصلا من أصول الفضائل الا أتى عليه ولا أما من الأمهات الصالحات الا أحياها ولا قاعدة من قواعد النظام الا قررها فاستجمع للانسان عند بلوغ رشده حرية الفكر واستقلال العقل فى النظر وما به صلاح السجايا واستقامة الطبع وما فيه إنهاض العزائم الى العمل وسوقها فى سبيل السعى والعمل المشرف جريا وراء مثوبة من الله العلى القدير.

وقد أنزل الله على رسوله ﷺ كتابا « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** » لنأخذ منه الهداية من الضلال والسعادة من الشقاء والغنى من الفقر والمحبة من الخصام والنور من الظلام على أن يكون للعقل اتزانا فيفهم المعنى ثم يسير بهذا الاتزان والفهم الى طريق مستقيم نَيِّر خَيِّر فيه الاستقامة والكلمة الطيبة والمحبة والوفاء والاخلاص وحسن المعاملة وأدب الحديث ، ولقد كان نزول هذا القرآن بدون نزاع أو اختلاف فى الرأى كان نزوله فى شهر رمضان المعظم شهر الجنة لمن اتقى ربه وصان نفسه وحفظ لسانه ونظف قلبه وذكر الله كثيرا . وقد فرض الله صيام شهر رمضان فى المدينة المنورة ، قال الله تعالى « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** » . .

والمواضع التى قصد فيها الى الزمن الذى نزل فيه القرآن ثلاثة : **أولها** : فى سورة القدر ، وثانيها فى سورة الدخان ، وثالثها فى سورة البقرة مرتبه على حسب تاريخ النزول ، ثم فتر الوحى ثلاث سنين لا ينزل فيها قرآن وان كان « جبريل » يلتقى فيها بسيدنا محمد ﷺ الفينة بعد الفينة

وقد حزن لذلك سيدنا رسول الله حزنا شديدا . ثم نزل بعد ذلك « **يأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر** » ثم توالى الوحى وتتابع فى النزول . وعلى هذا الرأى تكون سورة « **المدثر** » أول القرآن نزولا . بعد تبليغه عليه السلام أوائل سورة « اقرأ » وهذا هو مبدأ » « **النبوة** » . ثم بعدها « **المدثر** » وهو « **مبدأ الرسالة** » .

ثم نزل القرآن بعد ذلك منجما مفرقا الى السنة العاشرة من الهجرة ، والثالثة والستين من ميلاده (ﷺ).

وعلى هذا فأول آية نزلت « **اقرأ باسم ربك** » وآخر آية نزلت على أصح ما تبين لنا فى ذلك هى قوله تعالى من سورة البقرة « **واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله** » والنبى ﷺ لم يعش بعد نزولها الا تسع ليال أو سبع أو احدى وعشرين على اختلاف الروايات .

اذا فلقد كرم الله شهر رمضان تكريما عظيما يسمو به على كل الشهور العربية حيث شرفه بنزول القرآن الكريم ، وهو نور من عند الله الذى هو نور السموات والأرض على من أرسله للناس كافة وختم به الرسالات جميعها وهو أيضا نور الاسلام والمسلمين .

فمن أول يوم نزل القرآن فيه ابتدأ العلم ينتشر بين الموحدين ويعلو بين كرام المؤمنين ولا يسود المسلمون الا بالقرآن كما أنهم ما ضعفوا الا بتركه وفى التاريخ ما يشهد بصحة ذلك ، وسئلت السيدة عائشة رضى الله عنها ، عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن .

فشهر أكرمه الله جل جلاله بنزول كلامه جدير بنا أن يكون محل تقدير كل مسلم ومسلمة واحترام كل مؤمن ومؤمنة ، ولقد سأل سيدى عبد الرحيم القناوى رضى الله عنه تلميذه سيدى أبا الحسن الصباغ القوصى قائلا : يا أبا الحسن : انت ترى ان شهر رمضان أصبح على الأبواب ، فماذا أعددت له ؟ : فقال : أعددت له قلبى ، فهو منبع الإيمان والاخلاص والوفاء والاتصال بالله ، وكيف أعددته ؟ ، سأفرغ فيه كلام الله جل جلاله ، فإذا امتلأ ، أخرجت منه كل كلمة فيها تقرب لله لأعمل بها ، ومن هنا أكون قد احترمت شهر رمضان وأديت لله ما أوجبه على فى رمضان وغير رمضان . وبهذا المثل يكون القرآن الكريم هو بساط الرحمة فى شهر رمضان المعظم ، وما كان رمضان معظما الا بالقرآن الكريم الذى

نزل فيه ، ولهذا كرمه الله بقوله « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » لتتذكروا نزول كلامى فى هذا الوقت وأنتم على طهارة فى النفس والقلب والجسم ولا يُطَهر النفس والقلب والجسم إلا الصوم ، فيكون الانسان بعد ذلك فى روحانية شفافة تجره إلى جنة عرضها السموات والأرض ليجزى الله بها عباده الذين قال لهم « **الصوم لى وأنا أجزى به** » .

ولا بد للاستعداد لهذه الذكرى من مكان طيب طاهر ، ولقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : جاء رجل الى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، اى البقاع خير ؟ فقال ﷺ « **لا أدرى** » فقال السائل اى البقاع شر ؟ فقال ﷺ « لا أدرى » فأتى جبريل رسول الله ﷺ فسأله رسول الله : يا جبريل اى البقاع خير ؟ قال لا ادرى ، قال اى البقاع شر قال لا أدرى ، قال : سل ربك ، قال فانتفض جبريل انتفاضة فقال جبريل : ما أساله عن شر . فقال الله تعالى لجبريل : سألك محمد أى البقاع خير فقلت لا ادرى وسألك أى البقاع شر فقلت لا ادرى . فأخبره « **إن خير البقاع المساجد** » . . ومن هذا الحديث الذى رواه الطالقانى ، نرى ان الذكرى تحلو وتجلو فى الاعتكاف فى المساجد ، ليس للكلام والحديث ولكن لصلاة الجماعة وقراءة القرآن والبعد عن لغو الحديث والغيبة والنيمة والهرج والغضب وبعد العين أن ترى محرما تقع عليه فيصر منها عن التفكر فى طلب المغفرة والرحمة لما سبق من الذنوب والتطلع الى الرحمن لتنال منه حسن الثواب «**للذين احسنوا الحسنى وزيادة** » وبهذا يغرس الحب فى القلب: الحب لله وفى الله والى الله . فأذا نما هذا الحب طال الشوق. ومن طلب الله وجده ومن طلب غيره لم يجده ، والله حبيب لمن أحبه وأطاعه وهو جليس من جالسه ومؤنس لمن أنس بذكره، ولايتم لك ذلك الا بصيام تراعى فيه قواعده وقوانينه ليكون تاما كاملا مقبولا من رب العالمين ، وأعلم ان باب المعرفة (ثلاثة) باب الاسلام وباب الايمان وباب الاحسان. فباب الاسلام لأول المعرفة وباب الأيمان لوسطها وباب الاحسان لغايتها ، ولهذا فالصوم جمع الثلاثة معا ، فمن أداه على صحة ومراعاة لأحكامه فقد كمل عند ربه وأصبح به من عباد الرحمن الذين لهم الجنة ينعمون فيها برضاء رب العالمين . ولعل أجهزة الاعلام تمنع الرقص بأنواعه والأغانى الخليعة والقصص المثيرة وتكتفى بسيرة الصالحين وتفسير آى من الذكر الحكيم وقصص من القرآن الكريم ، حتى لا تأخذ هذه المناظر الراقصة بقلوب المشاهدين فتفسد عليهم عقيدتهم وصيامهم .

والقانون الملزم للصائم جملة نقول : الصوم هو الأمساك عن شهوتى البطن والفرج يوما كاملا بنية التقرب الى الله تعالى وتنفيذا لأمره وتأديه لفرض من فرائضه .

الثانى النية : فلا يصح صوم بدونها فرضا أو نفلا ويشترط فيها أن تكون معينة بأن ينوى اداء فرض رمضان مثلا مبيتة فلا تصح نهارا فالنية المترددة باطله ، فمن نوى ليلة الشك صيام غدا ان كان من رمضان لم يجزه .

الثالث : زمن الصوم وهو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ويستحب تعجيل الفطر وتأخير السحور وكف اللسان عن الهذيان والفحش من القول وترك السواك بالرطب وترك المبالغة فى المضمضة وصوم يوم عرفه لغير الحاج ويوم تاسوعاء وعاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر ولا تختص بالأيام البيض ولايكره صوم يوم الجمعة منفردا ويكره ذوق الملح ومجه ومقدمات الجماع كالقبلة والمباشرة والتفكر والنظر المستدام والملاعبة إن علمت السلامة والا فيحرم عليه ذلك ، ولا يفطر الصائم المتطوع لعزيمة أو غيرها وان حلف عليه بالطلاق الثلاث أو العتق حنث الا ان يكون أحد والديه او شيخه فإنه يطيعة اذا كان على وجه الرأفة لادامة صومه ومن افطر فى نهار رمضان عمدا او سهوا وجب عليه قضاؤه ويأثم ان كان عمدا وتجب عليه الكفارة وهى احد ثلاثة اشياء على التخيير وهى أما أطعام ستين مسكينا كل واحد مد بمده ﷺ ، وهو افضل ، او صيام شهرين متتابعين او عتق رقبة مؤمنة كاملة غير ملفقة سليمة .

والاعتكاف حقيقته اللبث فى المسجد للعبادة على وجه مخصوص ويستحب الاعتكاف برمضان ويتأكد بالعشر الأخير منه ويبطل الاعتكاف بفعل الكبائر أو بالخروج من المسجد لغير معيشة أو لغير حاجة الانسان .

اذا فالصوم مطهر للأجسام عموما . . فهو دواء لكل مرض ، ومهذب للنفوس عموما . . . فهو نعم المربى للأنسان ، وقامع للشهوات عموما . . . فهو نعم المربى للارادة والعزيمة والمربى لخلق الأمانة وهوالحبل الموصل لله . . . وهو الحبل المتين والمقرب العظيم يسلك بالانسان للخير والى طريق الجنة وحبذا لو أكثر الصائم من الصلاة على رسول الله ﷺ إذا لوصل بها إلى مرتبة عباد الرحمن (**ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور**) **صدق الله العظيم**

العمل في مفهوم الإسلام

الأستاذ احمد خيرى

يخلط كثير من الناس من أمة المسلمين بين الدين والفكر الدينى . . فيأخذون عن رجال الدين والمشتغلين بأمره والدخلاء عليه كل ما يقولون أو يصدر عنهم مأخذ القداسه والالتزام دون جدال أو مناقشه وهذا خطأ فادح خصوصا فى هذا الزمان الذى تعددت فيه الفرق وتشعبت .

وتبيانا للحقيقة فان الفكر الدينى غير الدين ، فالدين ظاهرة إلهية هو كلمة الله إلى العالمين هو الحقيقة المطلقة المعبرة عن التوحيد وهو بهذا الفهم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . اما الفكر الدينى فهو جهد البشر فى تفسير نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية . . ولأن كل ما ينتج عن العقل البشرى لا يصل إلى الكمال - فالكمال لله وحده - بل يحتمل الصواب والخطأ ولذلك فان لزاما علينا أن نفرق بين الدين والفكر الدينى خشية الوقوع فى الخطأ أو الخطيئة .

ولقد شاع فى أمور الدين نتيجه الفهم الخاطىء - بحسن او سوء مقصد - الكثير من الأمور المشوهه لتعود إلى قرون مضت من عمر الاسلام . . ولقد آن الاوان لنرد إلى الدين وجهه الصحيح لتعود للامة الاسلامية امجادها المفقودة وهيبتها التى علاها الصدأ .

وأرى أن أطرح فى هذا العدد من مجلتنا الغراء ومع شهر رمضان الكريم قضية العمل فى الاسلام خصوصا وأن البعض يعتبر الصيام والعمل معا فوق طاقة البشر فيكثر الانقطاع عن العمل تحت دعاوى العبادة المختلفة والدخيلة على مفاهيم الاسلام فنرى الكسل والتراخى وقد خيم على كثير من القطاعات والمصالح فى وقت نحن أحوج فيه إلى العمل والانتاج .

إن العمل الانسانى الشريف فى اطار الدين هو مصدر قوة الانسان واحترامه وتبجيله ومن ثم فان التكاسل والتراخى والتسيب تحت أى ادعاء انما هو نكوص وهروب . . إن العمل فى مفهوم الاسلام هو الذى يبدأ بالانسان فى سبيل رفاهية الانسان وصولا إلى اعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كافة انحاء المعمورة وفى هذا يقول الله تعالى **« هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها »** .

والعمل بهذا المضمون الاسلامى خاضع لرقابة الضمير ورقابة المؤمنين بعد رقابة العلى القدير **« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »**

ولأنه دين عمل واجتهاد وانتاج فانه يشجب ما يحدث من خلل وتناقض بين الأقوال والافعال ، فمن السهل أن يقول الانسان وأن يعلق وأن يصرح واذا حان وقت الجهد والعمل نكص وفر من الميدان وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى **« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »**

والعمل وان كان يحقق للانسان ما يحتاجه من متطلبات الحياة إلا أنه وهذه القضية غائبة عن أذهان الكثيرين جهاد فى سبيل الله وعلى هذا يكون الثواب على قدر العمل والجهد الذى بذل وفى هذا يقول الله جل وعلا **« أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ، لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين »**

ولرسولنا الأعظم ونبينا الاكرم فى مجال تقديس العمل والحرص عليه من الاحاديث ما لا تتسع له هذه المناسبة ولكنى وبالله التوفيق أسوق بعض الأحاديث للرسول ﷺ حتى تكتمل أبعاد الصورة عسى أن يكون فى هذا تبيان ووضوح للمسلمين فى هذا الشهر الفضيل قال رسول الله ﷺ لبيين وثيق الصلة بين العلم والايمان والعمل « الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل »

وجعل الرسول من العمل وسيلة للمغفرة فقال ﷺ « من أمسى كالا من عمل يده بات مغفوراً له »

ولقد بين لنا الرسول ان اداء العبادات لا يغنى من العمل يوضح هذا ويؤكده حديث أنس بن مالك اذ قال « كنا فى سفر مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلا فى يوم حار فقعد الصائمون ، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال ﷺ ذهب المفطرون بأجر اليوم كله »

وبخلاف العمل الاساسى للانسان والذى يعد مصدر دخله فقد ألمح الرسول ﷺ إلى فضل العمل التطوعى فى مفهوم الاسلام بقوله « إن لله عباداً اختصهم بقضاء حوائج الناس ، حببهم فى الخير وحبب الخير إليهم انهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامه »

وهكذا عبر القرآن الكريم والسنة الشريفة عن العمل وأهميته فى حياة المسلم وبالتالى فى أقامة دولة الاسلام أبعد ذلك نتراخى ونتكاسل تحت شعارات ومفاهيم خاطئة شاعت فى دنيا الاسلام . .

وانى لأتساءل ألم تقع فى حياة المسلمين خصوصا فى شهر رمضان أحداث كبرى شاهدة على ما نقول . . إن الحرب هى قمة الجهد العضلى والنفسى للانسان ألم تقع موقعة بدر فى السابع عشر من شهر رمضان فى العام الثانى للهجرة وكان النصر للمسلمين . . ألم يكن النصر فى جانبنا فى العاشر من رمضان ونحن نستشرف آفاق القرن الخامس عشر للهجرة . . نعم **« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »**

وبعد وبصوت عال ثم ماذا بعد ألم يحن الوقت لأن نعود بالاسلام إلى سابق صفائه وعظيم نقائه إنها دعوة مفتوحة لعلماء المسلمين والغيورين عليه لتنقيه الدين من الشوائب التى علقت به ودخلت فيه على مرور الزمن . .

« ولكل درجات مما عملوا » صدق الله العظيم

حول حقيقة المعرفة

كان التطلع إلى المعرفة ، وما يزال ، الشغل الشاغل للإنسان ، فمنذ دب على وجه الأرض وهو يجد فى محاولة الكشف عن مخبئات الكون وأسراره ، وعلل الحياة وأدوائها ، فيصعد نظره إلى السماء ، ويهبط به إلى الأرض ، ويعمل يده وفكره فيما يستطيعان الوصول إليه . .

الدكتور بدوى طبانة

وقد كان العمل على تحصيل المعرفة وسيلة الإنسان إلى تحقيق مآربه ، وتذليل عقبات حياته ، وتوفير الأمن والقوت ، واستكمال أسباب السعادة لنفسه ، ولمن يعنيه فى البشرية . . ثم أصبح تحصيل المعرفة والوصول إلى الحقيقة غاية فى حد ذاته سعى إليها المفكرون والفلاسفة الذين هاموا بالمعرفة ، وطلبوها لذاتها ، وكان ذلك آية الرقى للعقل الإنسانى ، والسمو على فكرة المنفعة ، فعملوا جاهدين للكشف عما خفى وعز إدراكه على عقول العامة ، متذرعين بالأناة ، ومتوسلين بالصبر . وكلما حلوا لغزا من ألغاز الحياة أو وصلوا إلى درجة من درجات المعرفة تطلعوا إلى ما وراءها ، مفيدين من التجارب والمحاولات التى بذلوها أو التى بذلتها الأجيال التى سبقتهم إلى الحياة ، وعناها ما عناهم من مشكلات الفكر والوجود .

واستطاع الإنسان بما وهبه الله من قوة فى الفكر وقدرة على التأمل فى الكون والمخلوقات أن يبدد كثيرا من الظلمات ، وأن يهتدى إلى كثير من الحقائق التى استطاع بالجد والمثابرة الاهتداء إليها . وقد أعظمت الإنسانية ما عرفت ، وأكبرت ما استطاعت أن تصل إليه ، وإن كان فى الحقيقة أقل من القليل بالقياس إلى ما خفى عليها من الحقائق . وسيبقى إلى ماشاء الله صدق الآية الكريمة « **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** » ماثلا ، يؤمن به الإنسان مهما يمتد به الزمن ، ومهما يصل إليه من آيات الله ، وشواهد قدرته التى لاتنفد ، وعجائب مخلوقاته التى لا تحصى !

والعلماء فى كل زمان ومكان هم موضع الكرامة بين أقوامهم ، ومحل التجلة والاحترام فى بيئاتهم ، وعلة ذلك ما جبلت عليه الإنسانية من احترام العقل ، والاستضاءة بنور المعرفة التى تستمدها من العلماء العارفين الذى يبصرونها بالحياة ، ويهدونها الصراط المستقيم ، ويهيئون لها سبيل الحياة الهانئة السعيدة ، وبذلك أكبروهم ، وشبهوهم بالشموع التى تضىء للناس وهى تحترق ! وقد قال الله تعالى مبينا فضل العلم وكرامة العلماء « **قل هل يستوى الذى يعلمون والذين لا يعلمون** » كما قال جل شأنه « **وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات** » !

والأعمى والبصير فى الآية الكريمة مثل للكافر والمؤمن ، أو للجاهل والعالم ، والظلمات مثل للكفر الناشىء عن الجهل والضلال ، والنور مثل للإيمان المبنى على العرفان ، وكذلك الأحياء الذين أحياهم الله تعالى بنور المعرفة ، والأموات هم الذين سلبوا هذه النعمة الكبرى .

وكذلك عظمت الأديان من شأن المعرفة ، وحثت عليها ، وإنك لتشهد ذلك فى القرآن العظيم الذى هو آية الآيات فى الحث على التأمل فى المخلوقات ، وإعمال النظر فى ملكوت السموات والأرض ، بل إن القرآن ببيانه المشرق وبلاغته الأخاذة ليقود العقول نحو المعرفة ، ويسوقها إلى التفكير ، فى كثير من أمثال قوله تعالى :

- **(وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون ، وفى السماء رزقكم وما توعدون)**
- **(الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)**
- **إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون)**
- **(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض) .**

وإذا كانت المعرفة بأصول العقيدة ، تلك المعرفة التى تؤدى إلى الإيمان بالله ، هى غايه أمثال هذه الآيات القرآنيه ، فذلك لأنها الذروة فى بناء المعارف ، وهى خلاصتها وغايتها ، وهى سر الخلق ، وحكمة الوجود ، لأنها سبيل الظفر بالسعادة الأبدية التى يحلم بها الإنسان ، ويؤثرها على التلهى بحطام الدنيا وأعراضها الزائلة .

وتلك المعرفة أشبه الأشياء بالثمرات الناضجات المتألقات فى ذرا الأفنان المتفرعة من شجرة المعرفة ، وتلك الثمرات هى الغاية القصوى من النضرة والإيراق .

ولقد جال الفكر الإنسانى جولات موفقة فى ملكوت الله ، فشق البحار ، واعتلى الجبال ، وامتطى الهواء ، وقطع طول الأرض وعرضها ، وغاص إلى قرارات منها ، وسمع الإنسان حديث أخيه ومناجاته ، وقبس من معرفته وفنه ، وبينها من البعد ما قد تتخيله الأوهام ، ولا تدركه الأبصار ، ورأى صورته ساكنة ومتحركة ، وصامتة وناطقة ، حتى خيل إليه أن ما يرى بعينه ، وما يسمع بأذنه ضرب من ضروب الخيال ، أو فن من فنون السحر . وساوره حب المعرفة ، حتى ارتقى إلى عالم الأفلاك ، وسبح فى الأجواء سبح الحقيقة لاسبح الخيال ، وصعد إلى القمر ، فجرى فوق سطحه ، يرصد ويدرس ، ويصف لأهل الأرض ما يراه عيانا ، وهبط إلى هذه الأرض يدرس ويحلل ما استطاع أن يحمل من تراب القمر ، وليتخذ مما رأى وعرف سبيلا إلى ما لم يعرف ، وعلم ما لم يعلم

* * *

والمعرفة المطلوبة ليست هى تلك المعرفة المجردة التى ينتهى إليها النظر ، أو تنتهى إليها التجربة ، وتستبين آثارها للعين ، بل ليست هى المعرفة التى تهدى إلى ما يصلح الطعام والشراب ، وحاجة الجسد من الراحة أوضروب الزينة والترف ، فإنها إذا اقتصرت على هذه الغايات الدنيا كانت أشبه بمعرفة الحيوان الذى يلهم الطريق إلى إشباع هذه الغايات ، وتحقيق تلك المآرب ، لأنه لا يشغله إلا ما يملأ بطنه ، ويطفئ ظمأه ، ثم ينتهى إلى الظلال يتقى بها غائلة الحر ، أو يلجأ إلى المغارات والكهوف يستتر بها من أذى البرد ، أو يدفع عن نفسه أذى غيره مما يخشى بأسه ، مما هو أشد منه قوة وأعظم بأسا من صنوف الحيوان ، حتى إذا جاع افترس أخاه ، أو اعتدى على ما يصغره من بنى جنسه . .

تلك المعرفة هى معرفة الغاب ، وذلك الأدب هو أدب الحيوان ، وليست معرفة الإنسان الذى كرمه الله ، وأنعم عليه بالعقل ، وآتاه الحكمة ، وعلمه من علمه ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض .

بل إن المعرفة المطلوبه هى المعرفة النافعة التى يسموها العارفون ، وتظهر آثارها فى تهذيب أنفسهم ، وتوجيه سلوكهم نحو الخير والبر والرحمة ، وإفادة غيرهم من الذين لم يؤتوا ما أوتوا ، ليكون فى هذا السلوك قيام بحق المعرفة ، وشكر الله الذى وهب النعم ، وهدى إلى اكتناه أسرار الحياة ، وخصائص الكائنات التى سخرها لهم .

ومن بدهيات الحقائق أن ثمرة العلم العمل ، وأن خير الناس ليس أعلمهم بالحياة ولا بما وراء الحياة ، ولكن خيرهم هو أنفعهم لعباد الله ، وأكثرهم استجابة لداعى الحق ، ونداء الضمير ، وقدرة على كبح جماح النفس وغرائزها فى التسلط والاستعلاء ، وأبعدهم عن الاتصاف بما وصف الله به بعض المنافقين المفسدين فى قوله تعالى « **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ، ولبئس المهاد** » . ومن تأويلات قوله تعالى « **يعجبك قوله فى الحياة الدنيا** » أنه يروقك ويعظم فى قلبك ، لأن الشىء العجيب هو الذى يعظم فى النفس ، فهذا يروقك ويعظم فى عينك ، بما يحسن من القول ، وبما يبدى من المعرفة بشئون الحياة الدنيا ، وحلف أنه يريد بذلك الخير للناس ، ويبتغى به وجه الله ، وهو لا يضمر إلا الشر ، ولا ينوى غير الفساد ، فإذا تولى برزت حقيقته ، وانكشفت حاله ، وكانت ولايته نقمة وشرا مستطيرا ، وأدت معرفته التى فتن بها الناس إلى شر الأحوال وسوء العقبى ، ولم ينفعه علمه الذى قصد به التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه ، ولم يرد به وجه الله ولا نفع عباده ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا** » .

وبعد ، فإنى قصدت بهذا الحديث إلى الآفة التى تحول بين الإنسانية وبين الاستضاءة بنور المعرفة ، ثم إلى طائفتين من الناس حذق كل منهما ضروبا من المعرفة لاينكر عليهم حذقها ، فقد بانت شواهدها وبرزت آثارها ، بحيث لاتحتاج فى إثباتها إلى دليل ، ولا يجدى إنكارها أو التصدى لها . .

ومن الطائفة الأولى بعض علماء النظر الذين برعوا فى معرفة الأصول والفروع ، ونبغوا فى جوانب شتى من ضروب التفكير الإنسانى . ولم يظهر فى سلوكهم أثر لما هداهم الله إليه ، فى الصدع بالرأى ، وإيثار الحق ، والدعوة إليه فى عزم وإصرار بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالقدوة الصالحة فى القول والعمل ابتغاء وجه الله والدار الآخرة .

البقية ص ١١١

الإسلام وقدرته على مواجهة التحديات وحل مشاكل العالم ..

فضيلة الشيخ حسين عراجي عطوه

الإسلام هو منهج الله سبحانه لأسعاد خلقه فى عاجل أمرهم وآجله ، وهو القانون الربانى الذى يضبط نظام المجتمعات البشرية ، وتسود به العلاقات الإنسانية دنيا الناس ، وهو الحلّ الوحيد لإيجاد مجتمع فاضل كريم تسوده القيم الفاضلة وتحكمه المبادىء الكريمة وقد كان الحفاظ على مصدره الأوّل القرآن الكريم من أن تمتدّ له يد آثمة بعدوان على نصوصه بزيادة أو نقص ، أو إضافة أو حذف كفالة من الله سبحانه أن يظلّ على قوته ، ويبقى بقدرته على مواجهة التحدّيات ؛ وإبطال الشبه والقضاء على الشكوك التى تدبرها الجهات المضادة وصدق الله سبحانه إذ يقول « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ».

وقد ظلّ ربّانياً إلهياً ، يقضى على كل فساد ، ويرفُض كل زيغ ، بسرّ أوْدعه الله فيه ، وأصالة ربانية ، قامت عليها قواعده ، وذلك هو صريح قول الله سبحانه « **لا يأتيه الباطل من بين يديْه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ».

وفى القرون الثلاثة الماضية تحالفت مع الاستعمار الصهيونية والجبهات الالحادية على اختلاف نزعاتها ، فأقاموا لهم فى بلاد الشرق الإسلامى مدارس ، وخلقوا لهم ركائز من دعاة التغريب ، وأنصار العامية على العربية ؛ وفى ذلك من الخطورة ما فيه ؛ ومما يملأ النفس بالمخاوف والإشفاق أنهم صار لهم الإشراف والتوجيه وبعض الأماكن القيادية فى الصحافة والإعلام والجامعات ؛ مما نجم عنه الانفصام الخطير بين العقيدة والسّلوك ، وأضحت الأفكار الوافدة تدق على أبوابنا بشدة ؛ وتلك ظاهرة لا ينبغى التهوين منها أو الاستخفاف بشأنها ؛ فهذا الفراغ العقيدى الذى يعانى منه شبابنا ؛ وطبقاتنا العمالية ، ومَوْجات التشكيك فى الدين والعقيدة خطر لايسوغ تجاهله ، وإنما يجب أن يقابل باليقظة من جانب من بيدهم ألوية التوجيه والفكر فى هذه البلاد الإسلامية كلها ؛ حتى يحشدوا فى مواجهته القادرين على تجلية عظمة الإسلام وثرائه وقدرته على العطاء والخلق والإبداع ، وأنه المنقذ للعالم من السقوط الذى تردّى فيه ، وأنه دون سواه الذى يملك القدرة على حلّ مشاكل العالم ، وتحقيق المدنية والحضارة والفردوس الضائع فى متاهات المادية وجشع الرأسمالية وإنحراف المذاهب الضالّة .

أول شىء يتوجه إليه دعاة الإسلام وأصحاب الأقلام البارزة فيه ، أن يتكلموا ويكتبوا فى خصائص الإسلام ؛ التى تجعل الدنيا كلها تستجيب لندائه ، وتؤمن تمام الإيمان بأنه ليس تجربة بشرية ، ولا ديناً مصنوعاً ، وإنما هو الدين الذى يستمدّ قوته من ربّانيته وأنه وحى الله العليم بما يصلح خلقه فى الحاضر والمستقبل وحتى تقوم القيامة وسبحان من قال فى محكم كتابه « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ».

وانطلاقاً من هذا الواجب نتكلم عن العقيدة فى الإسلام :

١ ـ العقيدة فى الإسلام ؛ لا تخلط حقاً بباطل ؛ ولا يقيناً بشك ؛ ولا علماً بوهمْ ؛ ولا تدخلُ فى متاهات الظنون والتأويلات ، وإنما تقوم على التوحيد الخالص ، وتربط العبْد برباط الولاء لربه ، فلا يكون فى قلبه مكان لغير خالقه وسيّده ، ورازقه ومدبّر شئونه فكلمة « لا إله إلا الله » فى الإسلام تعنى بأنه لا معْبود بحق سواه ، ولا رازق إلا الله ، ولا جالب الخير ودافع الضر غيره « **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم** ».

وكانت تربية رسول الله ﷺ للشباب تقوم على هذا المعنى من التوحيد الخالص يقول صلوات الله عليه وسلامه ، لعبد الله بن عباس « يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجدْه تجاهك ، إذا سألْت فاسأل الله ، وإذا استعنْت فاستعنْ بالله ، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، واعلم أن الأمه لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلاَّ بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضرّوك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف ».

٢ ـ والعقيدة فى الإسلام ؛ تحقق الكيان للإنسان ، فهى لا تتركه يسير بغير انضباط ؛ أو يضرب بلا رقابة ، أو يسير لغير غاية ، أو يتحرك فى غير سلوك محدد ، أو يعمل وهو كافر بالحساب والمساءلة ؛ فهى قائمة على قاعدة العمل والجزاء ، والإحساس بالمسئولية ، « **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** » ولا مجال فيها لخدع الأمانىّ الكاذبة ، كما توهمت اليهود بأنهم شعب الله المختار ، فجثموا من خلال ذلك الوهم ؛ لتدمير غيرهم من الشعوب والإفساد فى الأرض « **ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيراً ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ؛ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً** » .

٣ ـ والعقيدة فى الإسلام تخلق المجتمع الصالح والإنسان البناء للحضارة والخير ، فهى تشعره برقابة الله له ؛ وشهوده لعمله فى السرّ والعلن ، بل هى تلفت نظره إلى ما هو ألطف من ذلك وأدق ، من أن الله سبحانه يعلم نيته وتوجهات نفسه ، ونَبْض قلبه ، ومن ذلك يُعلَمُ الهدفُ العظيمُ الذى يترتب على العقيدة فى الإسلام ، من تجويد العمل وإتقانه ، وسيادة خلال الخير ، ومكارم الأخلاق فى تعامل الأمم ، فتقضى بذلك على الانحرافات المدمّرة للشعوب ، من الخيانة والتسيب ، وعدم الإحساس بالمسئولية وفى ذلك يقول الله سبحانه « **وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل إلاّ كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ؛ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين** » .

٤ ـ ومفهوم العقيدة فى الإسلام من كلمة « لا إله إلا الله » بمعنى لا معبود بحق سواه إفراده بالألوهية بجميع خصائصها ؛ وتخصيص كل من عداه وما عداه بالعبودية بجميع مستلزماتها وصفاتها ؛ فكما ينفرد الله بكل خصائص الألوهية ؛ فكذلك يشترك كل حىّ وكل شىء بعد ذلك فى العبودية ؛ ويترتبّ على ذلك تجرّد كل حىّ وكل شىء من خصائص الألوهية ، فالعقيدة فى الإسلام تحقق وجودين متميّزين وجود الله ؛ ووجود من عداه وما عداه ، من عبيد الله وخلق الله ، والعلاقة بين الوجودين هى علاقة الخالق بالمخلوق والإله بالعبيد .

فالملائكة والجن والانس بما يشمل جميع الأنبياء والرسل عبيد ، فيصرح القرآن الكريم بعبودية الملائكة « **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ؛ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** »

ويصرح بعبودية الجن وسائر الإنس فيقول « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ؛ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ؛ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » .

وكما قرر القرآن عبودية الجن والإنس عامة ، قرر عبودية الأنبياء والرسل حتى لا ينقلهم الناس إلى مرتبة الألوهية بما يجريه الله على أيديهم من معجزات خارقة للعادة ، متجاوزة للمألوف .

فيقول فى إبراهيم عليه السلام وفى إسحق ويعقوب « **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار ؛ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ؛ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار** » .

ويقول فى داود عليه السلام مخاطبا عبده محمد ﷺ : «**أصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب**» .

ويقول فى سيدنا عيسى عليه السلام « **ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون ، وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل** » .

وأكثر من ذلك ينطقه وهو صبىّ فى المهد ليؤدى دورين هامين الدور الأول براءة السيدة الطاهرة أمه مما ألحقه بها اليهود ، والدور الثانى إقراره بعبوديته حتى لا يضل الناس به فى خلق الله سبحانه له من غير أب « **قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ؛ وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ؛ وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبّارا شقيا ، والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ، ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون** » .

ويقرر عبودية سيدنا محمد ﷺ فيقول « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** » .

وهذا المفهوم هو الأساس فى كل رسالة ؛ والقاعدة فى كل دين أتى به من عند الله سبحانه رسول من رسله صلوات عليهم أجمعين وإلى حديث قادم نتابع الكلام عن العقيدة فى الإسلام وأثرها فى حل مشاكل العالم وخلق المجتمع الصالح والله سبحانه الموفق والمعين .

بقية مقال « حول حقيقة المعرفة »

والطائفة الأخرى أولئك الذين وصلوا بالفكر والتجربة إلى درجات عالية ، وبلغوا بما وضعه الله بين أيديهم من القوى والمقدرات آفاقا كان يبدو بلوغها ضربا من المحال أو ضربا من الخيال ، ولكنهم استخدموا ذلك فى الكيد للإنسانية ، وفى قهر الشعوب وإذلالها ، حتى تنقاد صاغرة لشهواتهم الضارية فى السيطرة والاستعلاء ، واستنزاف مقدرات الشعوب ، مستخفين بالإنسانية ، ومستهزئين بسائر القيم ، فكانوا معاول هدم وتدمير ، بدل أن يكونوا رسل سلام ، ودعاة رحمة وإصلاح .

منطق السلم ومنطق الحرب فى الإسلام

الدكتور عبد الغنى عبود

تقوم فلسفة الإسلام فى جوهرها على أساس النظرة المتكاملة إلى الأمور ، ومن هذه النظرة المتكاملة تحققت للإسلام المرونة والحيوية ، والقدرة على التلاؤم مع كل زمان ومكان ، ومع كل ظرف من ظروف الحياة المتغيرة .

وعندما لا يجد أعداء الإسلام سبيلاً إلى النيل منه ، فيما أتى به من فكر إقتصادى ، أو نظام سياسى ، أو تصور للفرد ، أو إصلاح للمجتمع ، أو غير ذلك من أجزاء ذلك البناء الإسلامى المتكامل ، الذى يدور ، مهما تباعدت أجزاؤه وعناصره ، حول (الإنسان) ، خليفة الله فى الأرض ، بهدف الإعلاء من شأن هذا الإنسان ، وإقامة المجتمع الذى يعيش فيه على أساس من الحق والعدل والخير ، وكثيراً ما تسدّ فى وجوههم سبل النيل منه بالعقل والمنطق - فإنهم لا يجدون أيسر من أن (يتهموا) الإسلام بأنه دين حرب وعدوان ، وأنه قد أقام انتشاره السريع فى رقعة كبيرة من الأرض ، على حد السيف ، فبه أزاح أكبر امبراطوريتين فى زمانه ، وهما امبراطوريتا الفرس والرومان ، ليرثهما ويرث ملكهما .

وفوق ما فى هذا الزعم من مغالطة مكشوفة ، وإفلاس عقلى واضح ، فإن فيه مغالطة دينية مفضوحة أيضاً ، ومع ذلك فإن ثمة يحسبون على الإسلام من يدفعهم جهلهم به ، وتقليدهم الأعمى لأعدائه ، إلى تصديق هذا القول و الترويج له ، مع أن (حقيقة) الإسلام هى أنه دين سلام وكفى ، وليس دين حرب على الإطلاق . وليس معنى أن الإسلام دين السلام وكفى ، أنه دين استسلام وخضوع ، بل على العكس من ذلك ، هو دين حرب وقوة ، إلا أنها حرب من أجل السلام ، وقوة لحمايته . ولا يمكن فهم موقف الإسلام من هذه القضية حق الفهم إلا فى ضوء الفهم العام له ولفلسفته التى يقوم عليها وأقصد بها فلسفة (النظرة المتكاملة إلى الأمور فبهذه الفلسفة يجمع الإسلام بين الشدة واللين ، وبين العنف والرحمة ، وبين الحرب والسلام ، ويزود المؤمنين به بذلك (الذكاء) ، الذى يعرفونه به : متى يشتدون ومتى يلينون ، أو متى يعنفون ومتى يرحمون ، أو متى يحاربون ومتى يسالمون ؟

فالإسلام دين سلام وكفى ، ولكنه يسلك سبيله إلى السلام من مركز القوة ، وبدون القوة ، يكون الطريق إلى السلام طريقاً إلى الاستسلام ، الذى به تضيع الحقوق ، وتنتهك الحرمات ، ويكون السلام نفسه قائماً على غير أساس : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم ، لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم » (الأنفال - ٨ - ٦٠ ، ٦١) .

فالإسلام دين سلام ، ولكنه (واقعى) فى نظرته إلى السلام ، والواقعية فى النظرة إلى السلام تعنى الحذر واليقظة ، وإلا كان السلام تعلقاً بالأوهام ، وإهداراً للحقوق ، ودليلاً حياً على الغفلة والغباء .

والمتتبع لحياة الرسول ﷺ ، قبل الهجرة وبعدها ، فى مكة وفى المدينة ، يرى بوضوح تلك النظرة المتكاملة الواقعية الذكية إلى السلام ، والمتتبع لآيات القرآن الكريم ، يرى بوضوح أيضاً تعميق تلك النظرة فى نفوس المسلمين ، كجزء من عقيدة سمحة غراء ، تدعو إلى السلام عن حب له ، وثقة فيه ، ولا تدعو إليه عن خوف من الحرب ، وما تجره على المتحاربين من ويلات .

وفى ضوء تلك النظرة المتكاملة الواقعية الذكية إلى السلام ، يمكن أن نفهم ما يراه بعض المغرضين من أعداء الإسلام ، وتابعوهم من الجهال والجهلاء ممن يحسبون على الإسلام ، تناقضاً فى موقف الإسلام من قضية الحرب والسلام . فعندما يكون موقف الأعداء الحقيقى هو السلام ، وتكون الخلافات المذهبية أو العقائدية أو غيرها مسائل ينظر إليها الأعداء على أنها خلافات (طبيعية) ، يجب ألا تعكر الصفو ، أو تهدد السلام ، يكون (قرار) الإسلام أمام هذا الموقف (المفتعل) من الأعداء هو قبول السلام وتدعيمه .

- « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » (النحل - ١٦ : ١٢٥) .

- « قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين » (الكافرون - ١٠٩ : ١ - ٦) .

وعندما يكون موقف الأعداء هو العناد والمكابرة ، وهو الصلف الناتج عن الغرور بالقوة فإن من العبث هنا الحديث عن السلام ، لأنه يكون حديثاً بلغة لا يستطيع فهمها ذلك العدو المغرور بقوته ، ويكون أبلغ الحديث هنا هو حديث الحرب ، وتكون الحرب فى هذه الحالة أقرب الطرق وأسلمها إلى السلام ، ومن ثم يكون (قرار) الإسلام أمام هذا الموقف المجنون من الأعداء ، هو الحرب ، حيث لا بديل لها ، دعماً للسلام :

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً . وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ، والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً ، واجعل لنا من لدنك نصيراً . الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » (النساء ـ ٤ : ٧٤ ـ ٧٦) .

وحتى فى موقف الحرب هذا ، نجد الإسلام حريصاً على تدعيم (أخلاقياته) فى نفوس أتباعه والمؤمنين به ، فهى (حرب) حقيقية ، إلا أنها حرب (شريفة) ، لا تبرر الغاية فيها الوسيلة ، ومن ثم يكون (العدوان) منهياً عنه فيها ، لأنها ليست حرباً للحرب ، ولإشباع الشهوة فى الانتقام ، وإنما هى حرب فى سبيل (المبدأ) ، والمبدأ هنا هو السلام :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (البقرة ـ ٢ : ١٩٠) .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (الممتحنة ـ ٦٠ : ٨ ، ٩) .

وهى بالاضافة إلى ذلك حرب فى سبيل الله ، ومعنى ذلك أن الجندى المؤمن يجب أن يكون موقناً تمام اليقين ، مؤمناً كل الإيمان ، واثقاً الثقة المطلقة ، من أنه يفكر ويدبر ، ويعد السلاح ويستعد بالتدريب ، ولكن ذلك كله ليس أكثر من (جزء) صغير من العدة ، والجزء الأكبر منها هو إيمانه بربه ، واعتماده عليه ، وبدون الاعتماد على ربه ، يكون السلاح فى يده عديم القيمة ، قليل الحيلة :

ـ « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين » التوبة ـ ٩ : ١٤) .

ـ « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً ، إن الله سميع عليم ، ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين » (الأنفال : ٨ - ١٧ - ١٨) .

« وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم » (الأنفال : ٨ - ٦٢ - ٦٣) .

وما دام الايمان بالله ، والاعتماد عليه ، هو الجزء الأكبر ، والسلاح الأعظم ، فى المعركة ، أن طاعة الله تكون جزءاً من السلاح الذى ينتصر به المؤمنون ، ومن هنا نفهم وصية الرسول ﷺ لقواد جيوشه بتقوى الله ، والبعد عن المعاصى ، ووصية أبى بكر رضى الله عنه لكل قائد من قواد جيوشه بذلك ، وكذلك وصية عمر رضى الله عنه إلى سعد بن أبى وقاص ، قائد جيشه إلى القادسية ـ مثلاً ـ التى يقول فيها :

أما بعد ، فأنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، إن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب . وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية ، كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننتصر عليهم بفضلنا ، لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أنه عليكم فى سيركم حفظة من الله ، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم .

وبسلاح اليقظة والحذر ، دخلنا حرب رمضان ، معتمدين على الله وحده ، متخذين للأمر عدته ، لا حباً فى الحرب ، ولكن إقراراً للسلام ، الذى أراد عدونا له أن يكون استسلاماً ، مناله ، ينهب به الحقوق ، ويغتصب الأرض ، فأردناه كما أمرنا الله به سلاماً حقيقياً ، ترد به الحقوق إلى أصحابها ، ولن يكون هذا السلام إلا بالحرب ، التى يعرف بها العدو المعنى الحقيقى للسلام .

وبسلاح اليقظة والحذر ، يجب أن نتزود بعد حرب رمضان ، فيزداد إيماننا بالله ، وتزداد ثقتنا فى نصره وتأييده ، والترجمة العملية لذلك الإيمان وتلك الثقة هى تقوى الله ، والخوف منه ، والائتمار بما أمر ، والانتهاء عما نهى ، كما نكون مستعدين دائماً للحرب ، فلا نخلد للراحة ، ولا نلق بالسلاح ، لأننا أمام عدو أثبتت الأيام غدره ، وانتهازيته ، وتنكره لكل المبادىء والقيم ، شأنه فى ذلك شأن كل عدو لله والحق ، يقيم حياته على اغتصاب الحقوق :

« . . . وَدّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ، فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ، وخذوا حذركم ، إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً » (النساء ـ ٤ : ١٠٢) .

وبسلاح اليقظة والحذر ، يرضخ عدونا للسلام ، فنعيش ويعيش فى ظله ، مصونة حقوقنا ، محترمة كلمتنا ، مرتفعة كلمة الله ، خفاقة راية الحق والعدل ، لأنه سيتأكد تماماً من أن الغدر والخيانة ستؤدى به إلى (رمضان) ، حيث الخيبة والعار والاندحار ، ولن تؤدى به ـ كما تعود ـ إلى (يونيو) ، حيث الاغتصاب ، وجنى أشهى ثمار العدوان :

آثارنا تدل علينا

الدكتور محمود محمد عمارة

ذهب « الأصمعى » يوما يريد التثبت من صحة الفعل « استخذى » لدى بعض الأعراب فى البادية ..

قال : فسألت أعرابيا : أتقول : استخذيت أم استخذأت ؟

فقال الأعرابى : لا أقولها .

قلت له : ولم ؟

قال : لأن العرب لا تستخذى ! !

وهكذا يبدو خلق الإباء أصيلا فى طبيعة العربى الذى يرفض النطق باللفظ ـ رغم صحته ـ من حيث كان مدلوله دخيلا على طبيعته !

ويعود الأصمعى ـ وقد جاء يبحث عن درس فى اللغة ـ يدرس فى الوطنية .. من الواقع .. قبل أن يتفلسف حوله الدارسون .. الذين يديرون القول فى كل اتجاه تحديدا لمعالمها .. وتتوارى هذه السفسطة . وتبقى الوطنية بمعناها العميق .. كما رسمتها فطرة العربى .. أمس .. واليوم .. بلا تزويق !

هذه الفطرة البسيطة .. بساطة الخيمة على رمال الصحراء .. المتفتحة للحياة ..

والمتأبية على كل ألوان الرفاهية حفاظا على جوهرها الأصيل .. كما عبر عنها العربى الجالس على باب خيمته حين سئل :

ماذا تفعل إذا اشتد بك الحر ؟

فقال : أغرس فى الأرض عصاى .. ثم أضع فوقها ثوبى .. وأستنشق الريح .. فكأننى فى إيوان كسرى ! !

إن خيمة من الصوف .. وأعوادا من الخشب .. لا تساوى شيئا ـ تبدو فى عينيه أجمل من كل ما حواه البيت الأبيض جميعا .. وبالتالى .. فكل ما يعتز به من ثبات على المبدأ .. وتشبث بالأرض .. وتغن بالحرية .. يزرى بكل ما يروج هناك فى أسواق النفاق .. باسم الحرية المظلومة .. والوطنية المفترى عليها ؟ !

حتى إذا دقت ساعة الجد .. وانطلق العربى على فرسه .. يطأ بأرجله بساط الحرير فى إيوان كسرى .. كان ذلك ترجمانا عمليا لهذه الروح الأبية .. يلتزم أصحابها بتطبيقها .. بعد أن اقتنعوا بها .. وتتراءى صورة العربى فوق جواده .. يتنقل من فترة « الكمال » إلى « التكميل » حيث يعلن من فوق منبره العالى أمام رمز الطغيان ـ وفى عقر داره ـ جئنا لنخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها .. ومن عبادة الإنسان إلى عبادة الرحمن .

أريد أن أقول :

إن هذه الفطرة ـ حينما تلقتها تعاليم الإسلام ـ تحولت بها ذلك التحول العظيم .. من أجل تثبيت دعائم الحق والخير .. وحافظت عليها عبر القرون لتبقى أبدا فى سبيل الله .

وبهذا المفهوم تبدوا أمام العالم خلقا آخر إزاء الطبيعة اليهودية التى أفاء الله عليها من نعمه يوما .. لكن موجات الغرور كانت أسبق إليها من طلائع الهدى ..

ثم توالت العقد .. إلى حد عاشت فيه طبيعة اليهود داخل حدود ذاتها فتولدت نظريات الأمن .. حفاظا عليها أن تذوب ..

ولم يكن غريبا أن تعلن هذه الطبيعة القلقة عن نفسها فى منازل اليهود حول المدينة .

فهناك يجلس العربى فى خيمته المتفتحه الآمنة .. بينما بيوت اليهود تتلوى كالأفاعى .. وتتداخل أبوابها .. ومنافذها على نحو يرسم طبيعة اليهود على الطبيعة .. بكل ما فيها من تعقيد .. والتواء ..

وفى تاريخنا الإسلامى صور ومواقف تجلى طبيعتنا للناس .. ويفرض علينا ولاؤنا لهذا التاريخ أن نقدم للناس صورا تدعم هذا الإباء العربى .. وتقيم الدليل عليه ـ تجاه دعايات خبيثة يطلقها أعداؤنا بغية طمس معالمها :

وعن هذا الإباء يتحدث ابن تيمية حين قيل له : إن أعداءك يتربصون بك ..

فقال :

إن يقتلونى .. فالقتل شهادة !

وإن يسجنونى .. فالسجن عزلة !

وإن ينفونى من الأرض .. فالنفى سياحة !

إنها نعم من الله على عبده .. ولكن الحق سبحانه يلبسها أثواب المحن .. حتى لا يحسدهم الناس عليها ! !

وتلك لعمرى أعلى صور الاستجابة لله والرسول فى مواطن الخطر .. تضع العالم المؤمن بموقفه الصامد تفسيرا لقول الحق سبحانه :

الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم .

إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين .

وحينما نستقرئ الواقع عن موقف الانسان فى مواجهة خطر تترامى به الأنباء .. فإن هذا الواقع يعطينا صورته طبق درجة إيمانه : فقد يفر الإنسان إثر الشائعة خائفا ..

وقد يخاف لكنه يتكلف الشجاعة فيثبت مكانه ..

وربما يعوذ بصبره ليمنحه الثقة بنفسه فيقدم على عدوه ..

بيد أن أعلى صور الالتزام أن يربو فى صدره الأمن والإيمان ساعة أن يحس بالخطر ! !

أى أن اللحظة التى يجف عندها لعاب الجبان فرقا .. تسيل فيها أشواق البطل إلى النزال .. بل ويزيد إيمانه عمقا .. لأن هذا الخطر يقترب به من الله سبحانه وتعالى .. فيزداد أنسا به .. على ما يفيده قوله سبحانه :

وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل

وكانت النتيجة حتمية ترسم قانونا من قوانين النصر والهزيمة :

فالذين صمدوا .. عادوا سالمين .. والذين حرصوا على الموت وهبت لهم الحياة !

وهكذا تكثر الخسارة فى لحظات الجبن والتردد .. بينما يورث الاقدام تماسك الجبهة . فإذا هى بعون الله سالمة ..

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء

وأساس ذلك كله أنهم :

واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

ولا يصح فى ميزان العدل أن يكون من اتبع ما يرضى الله .. كهذا الذى أدار ظهره لدلائل الوحى .. وعاد من رحلة عمره بسخط الله ..

أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير . هم درجات عند الله . والله بصير بما يعملون

. وعن أثر الخوف من الله فى مجال الواقع يتحدث الامام محمد عبده فيقول :

فى الآية التنبيه إلى الموازنة بين أولياء الشيطان من مشركى مكة وغيرهم .

وبين ولى المؤمنين القادر على كل شىء كأنه يقول :

عليكم أن توازنوا بين قوتى وقوتهم . ونصرتى ونصرتهم :

فأنا الذى وعدتكم النصر . وأنا وليكم ونصيركم . ما أطعتمونى وأطعتم رسولى .

وفى هذا المقام شبهة تعرض لبعضهم يقولون : إن تكليف عدم الخوف من تكليف مالا يستطاع ولا يدخل فى الوسع :

فإن الإنسان إذا علم أن العدو الكثير ذا العدد العظيمة يريد أن يواثبه وينزل به العذاب بأن رآه أو سمع باستعداده من الثقات . فإنه لا يستطيع ألا يخافه فكان الظاهر أن يؤمروا باكراه النفس على المقاومة والمدافعة مع الخوف .. لا أن ينهوا عن الخوف .

والجواب :

أن هذه الشبهة حجة الجبناء . فهى لا تطوف إلا فى خيال الجبان :

فإن أعمال النفس من الخوف والحزن والفرح يتراءى للإنسان أنها اضطرارية وأن آثارها كائنة لا محالة مهما حدث سببها .

والحقيقة أن ذلك اختيارى من وجهين :

أحدهما

أن هذه الأمور تأتى بالعادة والمزاولة . ولذلك تختلف باختلاف الشعوب والأجيال .

فمن اعتاد الأحجام عند الحاجة إلى الدفاع يصير جبانا والعادات خاضعة للإختيار بالتربية والتمرين . فنى استطاعة الإنسان أن يقاوم أسباب الخوف ويعود نفسه الاستهانة بها .

وثانيهما :

أن هذه الأمور إذا حدثت بأسبابها فالانسان مختار فى الاسلاس لها والاسترسال معها حتى يتمكن أثرها فى النفس وتتجسم صورها فى الخيال . ومختار فى صدر ذلك وهو مغالبتها والتعمل فى صرفها وشغل النفس بما يضادها ويذهب بأثرها

ولكن صمود العربى المسلم ما زالت له أبعاد أخرى :

فهو فى اللحظة التى يصير فيها الخطر المسموع محدقا به .. ومرئيا له .. يكون أيضا أشد إيمانا ..

أى أنه كلما زادت المحنة شدة كلما كابرها بإيمانه .. وصابرها بعزيمته ..

وفى هذا يقول الحق سبحانه وتعالى :

ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما

وهكذا لم يكن حديثهم عن الاستهانة بما جمعه الناس لهم حديثا مدعى ..

بل إن التجربة تثبت وفاءهم بما قالوا فى لحظات تنخلع فيها قلوب الرجال .. فى مواجهة الخطر المحدق .. ولكن الإيمان يعصم رجاله فيثبتون :

إنهم فى مواطن النزال يتجهون إلى الله سبحانه وتعالى يطلبون الشجاعة عونا لهم على ما يمكن تغييره ..

وتتطلع إلى الصبر الجميل طاقة تمنحها الثبات أمام ما يصعب تغييره ..

وفوق ذلك .. فإنها تتعرض لبركات السماء .. تنشر الهداية الإلهية التى تمنحها القدرة على التفرقة بين ما يمكن تغييره .. ومالا يمكن .. لتستقيم على طريق النصر سيرها ..

وتلك هى الحاسة السادسة التى ينعم الله بها على المجاهدين المتمرسين بالخطر.. المستهينين بالخطر على ما يقول عز وجل:

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

إن فطرة الله التى فطرهم عليها تزيد بصيرتهم جلاء.. يعينهم على ذلك فراسة أمدتهم بها طبيعتهم الاصيلة على حد قول الشاعر العربى مدلا بفراسته وسيره للأمور:

بأطيب من فيها . . . وما ذقت طعمه
ولكننى فى ترى العين فارس

وبهذا الخطو الثابت المطمئن على طريق النصر.. وبهذه البصيرة النافذة إلى حقائق الأمور.. يتقبل المسلم النصر.. كما يتقبل الهزيمة مشدودا إلى حكمة الله عز وجل.. فيؤمن بالله فى لحظة الانتصار.. بل يزداد إيمانه به.. بينما يسلم لحكمته التى قضت بالهزيمة.. يوم أن لم تستطع حيلة الانسان تلافيها. ولا يضن علينا تاريخنا بنماذج فريدة لهؤلاء الذين واجهوا الأخطار بعزيمة حسدهم أعداؤهم عليها.. بل قد تدفعهم إلى الإيمان إزاء ما يشاهدون من صور الفداء.. كما حدث عند استشهاد القراء الذين اسلم جلادوهم على أيديهم.. فزرعوا الحياة.. وهم يسلمون أنفسهم إلى الموت..

يحدثنا التاريخ عن.

حبيب بن زيد بن أم عماره!

لقد تمرس بالنضال مع أبيه فى غزوة أحد.. ومنحته المعارك المستمرة صلابة عود ظهرت عند مواجهته لمسيلمة الكذاب طلب منه مسيلمة أن يشهد برسالته؟!

فقال حبيب: لا أسمع!

وقطع مسيلمة أعضاءه.. عضوا عضوا.. وهو يهتف باسم الرسول ﷺ مصليا عليه ومسلما!!

إنه رجل لا يواجه الخطر.. بل هو يعيش تجربة الخطر حية.. يموت فيها أكثر من مرة.. ولكن إيمانه بالله يزيد فى كل مرة!!

وولاء للرسول القائد يظل مع العذاب لهبا أصيلا يزيل إحساسه بخطر تنوء بحمله الجبال..

ويكتب فى نفس الوقت ملامح الفدائية فى الاسلام

١ - فدائية تبيع الدنيا بالآخرة.

٢ - صمود يرفض الاستسلام.

٣ - إرادة تتحدى الخطر.. الذى يتضاءل فى نظر نفسه أمام خطورة المبادىء الصامدة فى قلوب المؤمنين..

وبعد:

فتلك آثارنا تدل علينا فانظروا - مثلنا - إلى الآثار:

إننا لا نخشى إلا الله فالنصر حليفنا

وهم لا يحترمون إلا السلاح.. بينما فى عزائمنا ما هو أمضى من كل سلاح..

وفوق ذلك.. فتلك مبادئنا.. نتولى نحن تطبيقها فى أحلك الظروف.. ولا نستعير كاليهود.. مرتزقة من هنا وهناك!!

هل يستوى الفريقان.. مثلا.. أم هل يستويان مصيرا؟

أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله

لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون

قبلة بنى الإسلام

لما استوت سفينة نوح عليه السلام على الأرض، استوت على جبل «الجودى» فى مكة المكرمة وهناك بنى نوح الكعبة المكرمة. والتوراة تقول باستواء السفينة على جبل «أراراط» وفى التوراة نفسها نص يكذب هذا القول هذا النص هو «وحدث فى ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة فى أرض شنعار، وسكنوا هناك» تكوين ١١ : ٢ وأرض شنعار هى كل أرض بلاد فارس ما بين دجلة والفرات: فلو كانت السفينة فى «أراراط» لكانت شنعار فى الغرب، لأن أراراط فى بلاد أرمينية. وفى كتب التواريخ ما يكذب هذا القول أيضا «جاء فى النبأ الكلدانى أن السفينة استقرت على جبل نيزيز، أو نزير، أو الوند، شرقى أشور. ومع أن أراراط يمكن أن يكون أريو يرات. أى أرض مقدسة. يصعب بيان نقل اسم الوند إلى أرمينية، بل يتعذر»

والتوارة تقول إنه لما نزل نوح من السفينة «بنى نوح مذبحا للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح» [تكوين ٨ : ٢٠] والمذبح فى لغة أهل التوراة يعنى «مكان عبادة» على سبيل المثال فمن إبراهيم عليه السلام وهو فى أرض فلسطين «بنى هناك مذبحا للرب» [تك ١٢ : ٧] ولم يقتصر على البناء فقط، بل دعا الناس إلى عبادة الله تعالى «فبنى هناك مذبحا للرب، ودعا باسم الرب» [تك ١٢ : ٨] وتعيد التوراة هذا القول مرة ثالثة بعد رجوع إبراهيم من مصر إلى أرض فلسطين «إلى مكان المذبح الذى عمله هناك أولا.. ودعا هناك أبرام باسم الرب» [تك ١٣ : ٤]

ولقد جدد إبراهيم عليه السلام ما أسسه نوح عليه السلام. تقول التوراة إن الله تعالى أمر إبراهيم بالذهاب إلى أرض «المريا» - بضم الميم وكسر الراء وتشديد الياء مفتوحة - ويأخذ معه ولده البكر الوحيد ليذبحه هناك. فانطلق إبراهيم بولده ومعه غلامان له، وحمار وفى أرض المريا «بنى هناك إبراهيم المذبح» وفدى الله ولده بذبح عظيم. والتوراة قد اعترفت ببناء إبراهيم للمذبح أى مكان العبادة، وهذا ما يهمنا معرفته هنا. والتوراة أخطأت هنا فى موضعين: الأول: وضع إسحق بدل إسماعيل والثانى: وضع مريا بدل مكة. أخطأت فى هذا النص: «وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له: يا إبراهيم. فقال: هأنذا.

فى التوراة والإنجيل

الشيخ احمد حجازى السقا

فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك . . . الخ » من هو الابن الوحيد لإبراهيم ؟ إنه هو إسماعيل لأنه مولود قبل أخيه إسحق بأربعة عشر عاما . وبناء عليه : فإن لفظ « إسحق » موضوع للبس الحق بالباطل . وأرض مريا : لم تعين قبلة لبنى إسرائيل - قبلة بغير دليل - إلا فى عهد داود عليه السلام سنة ألف وستة وخمسين قبل الميلاد ، وإبراهيم كان سنة ألف وتسعمائة وستة وتسعين . وبنو اسرائيل مختلفون فى تحديد جبل مريا مكانا للذبح فالسامريون يقولون إن الذبح كان على جبل « جرزيم » والعبرانيون يقولون على جبل مريا فى القسم الشرق من مدينة القدس [انظر قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست تحت كلمة مريا]

وفى ترجمة سنة ١٦٢٢ م ترجم الكاتب لفظ « مريا » بأرض العبادة . وهذا يعنى أن مريا هى أرض العبادة ، وحيث أن بلاد الشام لم تعين أرض عبادة إلا فى عهد داود فإن الأرض التى كانت من زمن إبراهيم هى الأولى بالمكان .

وقد صرحت التوراة بسكنى هاجر وابنها اسماعيل بعيدا عن سارة فى برية فاران . وحيث أن الكاتب عبر عن الذبيح بالابن الوحيد ، وحيث أن الذبح لاسماعيل يكون موضع الذبح مكان سكنى إسماعيل وهو برية فاران .

ويحسن بنا أن نذكر النص بتمامه لنستنبط منه أدلة أخرى . النص :

« وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له : يا إبراهيم . فقال ها أنذا . فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق . واذهب إلى أرض المريا ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك . فبكر إبراهيم صباحا ، وشد على حماره ، وأخذ اثنين من غلمانه معه ، واسحق ابنه ، وشقق حطبا لمحرقة ، وقام وذهب إلى الموضع الذى قال له الله . وفى اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه ، وأبصر الموضع من بعيد . فقال إبراهيم لغلاميه : اجلسا أنتما هنا مع الحمار . وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ، ثم نرجع إليكما . فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحق ابنه ، وأخذ بيده النار والسكين فذهبا كلاهما معا وكلم اسحق إبراهيم أباه وقال : يا أبى فقال : هاأنذا يا ابنى . فقال : هو ذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة ؟ فقال إبراهيم : الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى . فذهبا كلاهما معا . فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب . ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء ، وقال : إبراهيم ، إبراهيم . فقال : ها أنذا . فقال : لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل شيئا . لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى ، فرفع ابراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه . فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع : يهوه يرأه . حتى أنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى .

ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانيا من السماء وقال بذاتى أقسمت يقول الرب . إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ، ولم تمسك ابنك وحيدك عنى . أباركك مباركة ، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل الذى على شاطىء البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه ، ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت لقولى .

ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه فقاموا وذهبوا معا إلى بئر سبع ، وسكن إبراهيم فى بئر سبع » [التكوين ٢٢ : ١ - ١٩]

لاحظ قوله لغلاميه « فنذهب إلى هناك ونسجد » أى أنه يوجد مكان مقدس للعبادة والغلاملان يعرفانه . وهذا المكان معد قبل ذهاب إبراهيم وابنه .

ولاحظ قوله « يهوه يرأه » أى الله يرى (يهوه = الله) وقول الكاتب « حتى أنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى » يدل على أن التوراة الحالية ليست من عهد موسى ولا من كتابته لأن قوله « اليوم » يدل على زمن الكاتب . وقوله « جبل الرب » يشير به إلى أرض فلسطين إلى هيكل سليمان والهيكل لم يبن إلا فى عهد سليمان . ولم يسم الجبل الذى بنى عليه الهيكل جبل الرب إلا بعد بناء الهيكل . والسامريون يقولون بجبل جرزيم الذى بنوا عليه هيكلهم .

وقوله « ذهبوا معا إلى بئر سبع » يدل على أن التوراة الحالية بها أخطاء فإن بئر سبع لم تسم ببئر سبع إلا بعد موت إبراهيم « وحدث فى ذلك اليوم أن عبيد إسحق جاءوا وأخبروا عن البئر التى حفروا، وقالوا له قد وجدنا ماء، فدعاها شبعة. لذلك اسم المدينة بئر سبع إلى هذا اليوم » [تكوين ٢٦ : ٣٢ ـ ٣٣]

ولاحظ قوله إن إبراهيم قام فى الصباح متوجها إلى الموضع الذى قال له الله، وبعد سفر ثلاثة أيام رفع إبراهيم عينيه، وأبصر الموضع من بعيد. وتقدير جبل الرب فى مكة بعد سفر ثلاثة أيام ثم يرى الموضع من بعيد أولى من تقدير جبل الرب فى أرض الشام لطول المسافة فعلا بين أى بلد من بلاد الشام ومكة وعلى جهة الخصوص من بئر سبع.

وقد اصطفى الله ذرية إسماعيل وإسحق عليهما السلام ليكون منهما « أمم وملوك على الشعوب » يحكمون بشريعة الله. وبدأت البركة أولا فى نسل إسحق فكان منهم صاحب شريعة موسى ابن عمران ابن قهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم. ولم يحدد له الله فى التوراة قبلة للصلاة والحج مثل الكعبة عندنا نحن المسلمين. بل بين له أن الله له المشرق والمغرب وأينما يكونوا فثم وجه الله « فى كل الأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا، آتى إليك وأباركك » [خروج ٢٠ : ٢٤]

وقد أمر موسى بنى إسرائيل أن يصنعوا صندوقا من خشب السنط (تابوت) ويضعوا فيه نسخة من التوراة ويضعوا فيه لوحى العهد. وعصا فيه وضعت بعد ذلك هى عصا هرون عليه السلام وقسط من المن الذى نزل عليهم فى سيناء. وأمرهم موسى بعمل خيمة للتابوت ويوضع فيها ساتر وما قبل الساتر يسمى قدس الأقداس، وما بعد الساتر يسمى القدس. ولما استولى داود عليه السلام على مدينة القدس (أورشليم) بنى هيكلا ليحل محل الخيمة. ومات قبل أن يتمه فأتمه ابنه سليمان وعرف هذا الهيكل بهيكل سليمان. ولم يكن هذا الهيكل قبلة لما سنذكره بعد. ولما ذهب بنو إسرائيل أسرى إلى بابل فى زمن نبوخذ ناصر اتفقوا على تحريف التوراة وكان من نقط التحريف مسألة القبلة. فبعد ما كان كل مكان قبلة قالوا ستكون قبلة محددة فى أرض فلسطين مكان سكنى الأسباط وكتبوا هكذا « احترز من أن تصعد محرقاتك فى كل مكان تراه. بل فى المكان الذى يختاره الرب فى أحد أسباطك » [تثنية ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤] والتحريف واضح هنا. لأن المكان الذى سيختاره الله. من سيبينه لهم؟ ذلك الذى سيبينه أما أن يكون نبيا منهم أو نبيا من غيرهم. فإن كان منهم فقد قال لهم موسى لن يأتى نبى مشرع مثلى من بنى إسرائيل (اقرأ مقالتنا السابقة النبى الأمى) وإن كان من غيرهم فإنه سيبين حسب وحى الله فى أى مكان يختاره الله، سواء كان هذا المكان فى أرض فلسطين أو غيرها.

ثم إنهم رجعوا من بابل مختلفين على المكان فالعبرانيون قالوا القبلة هى هيكل سليمان. والله قد اصطفى داود وعرفه مكان القبلة. ورد عليهم السامريون بقولهم إن داود من بنى إسرائيل وقد منعت شريعة موسى قيام نبى مشرع من بنى إسرائيل. وأن داود كان متبعا للتوراة غير ناسخ لها. ثم قالوا لهم ينبغى أن تكون القبلة على جبل جرزيم لأسباب منها:

١ ـ أن موسى أمر ببركة الشعب على جرزيم وهو جبل فى مدينة نابلس الآن (شكيم)

٢ ـ أن يشوع بن نون فتى موسى بنى مذبحا على جرزيم، وكان يؤدى عليه القرابين. وظل النزاع قائما بين الفريقين، وما بعضهم بتابع قبلة بعض. إلى أن ظهر عيسى عليه السلام. وكان من اليهود العبرانيين. وتعلم فى هيكل سليمان ووعظ فيه. وذات يوم ذهب إلى قرية « سوخار » من قرى السامريين يبشر باقتراب ملكوت السموات. وسألته امرأة سامرية عن القبلة أينا على صواب نحن السامريين، أم أنتم العبرانيين؟ فأجاب المسيح « صدقينى أيتها المرأة، ستأتى ساعة تعبدون فيها الآب لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم » لقد بين لها أن القبلة ستنزع من المكانين من جبل السامرة، جرزيم. ومن جبل صهيون الذى بنى هيكل أورشليم عليه « لا فى هذا الجبل، ولا فى أورشليم » لقد صرح لاهنا ولاهنا. بل فى مكان آخر. فا هو هذا المكان؟ ولقد بين أن آخرين آتين للعبادة ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح والذين يسجدون له. فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » فى إنجيل يوحنا المقدس عند النصارى. وفى إنجيل برنابا أيضا ورد حديث القبلة هذا. فى يوحنا مانصه: « قالت له المرأة ياسيد أرى أنك نبى. آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل. وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه. قال لها يسوع: يا امرأة صدقينى إنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب (الله) أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود.

ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا، قالت له المرأة: أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى فتى جاء ذاك يخبرنا بكل شئ » [يوحنا ٤ : ١٩ ـ ٢٥] يقول متى هنرى المفسر « كان السامريون يسلكون بحسب أسفار موسى الخمسة. ويظن البعض أنهم كانوا يعتقدون بأنها هى وحدها الأسفار القانونية. لقد وجدوا فيها مواضع كثيرة عن المكان الذى يختاره الله. لكن لم يحدد فيها اسم هذا المكان » ا. هـ

وفى إنجيل برنابا ما نصه: « إن العبرانيين يصلون على جبل صهيون فى الهيكل الذى بناه سليمان فى أورشليم ويقولون إن نعمة الله ورحمته توجد هناك لا فى موضع آخر. أما قومنا فإنهم يسجدون على هذه الجبال ويقولون إن السجود إنما يجب أن يكون على جبال السامرة فقط. فن هم الساجدون الحقيقيون؟ ».

أجاب بقوله « صدقينى إنه يأتى وقت يعطى الله فيه رحمته فى مدينة أخرى ويمكن السجود له فى كل مكان بالحق، ويقبل الله الصلاة الحقيقية فى كل مكان رحمته » [برنابا ٨١ : ١٩ ـ ٨٢/٢٠ : ٨] انظر

لقد اتفق يوحنا وبرنابا على نزع القبلة من جرزيم وأورشليم إلى مكان آخر. فما هو هذا المكان؟ لابد أنه سيكون فى أرض بنى إسماعيل. لماذا؟ لأن ادعاء اليهود أن أرضهم هى القبلة دليل على معرفتهم اليقينية بأن أرض بنى إسماعيل هى القبلة. وإلا ما سارعوا باتخاذ أرض فلسطين قبلة بدون دليل من التوراة. ولماذا أرض بنى إسماعيل هى القبلة؟ لاحظ أولا:

١ ـ بعد ولادة إسحق وكان لاسماعيل أربعة عشر عاما انطلق إبراهيم به مع هاجر. «وسكن فى برية فاران» [تك ٢١ : ٢١]

٢ ـ بين الله تعالى أن شريعة ستنزل فى فاران «جاء الرب من سيناء، وأشرق من ساعير، وتلألأ من جبل فاران. وعن يمينه نار شريعة لهم» [تث ٣٣ : ١] ٣ ـ أن البركة فى إسماعيل واسحق «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» [تك ١٧ : ٢٠]

٤ ـ أن نبيا من بنى إسماعيل نبهت عليه التوراة «يقيم لك الرب إلهك نبيا من إخوتك» [تث ١٨ : ١٥] ولو كان هذا النبى من بنى إسرائيل لما عبر بإخوتك. وقلنا من بنى إسماعيل لأنهم غير محرومين من البركة.

٥ ـ لما حضر يعقوب الموت قال لبنيه فى شخص يهوذا ابنه الرابع «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه حتى يتأى شيلون وله يكون خضوع شعوب» [تك ٤٩ : ١٠] أى يظل الملك مع اليهود، وتظل الشريعة معهم حتى يأتى نبى الأمان، ومعلوم أنه فى مجئ شيلون ينتهى ملكهم، وتزول شريعتهم. وحيث لإسماعيل بركة فشيلون منه.

وإن اختيار الله لمكة قبلة لهو اختيار مناسب تماما، والحكمة الإلهية فيه واضحة للناس. للآتى:

أولا: إن الناس من سلالة المؤمنين الذين آمنوا برسالة نوح عليه السلام، وكان موضع استقرار آبائهم الأوائل هو مكة فهم بذلك يتذكرون آباءهم الذين آمنوا ويشكرون الله الذى هداهم للإيمان.

ثانيا: إن الله اصطفى من ذرية نوح آل إبراهيم. وكان إبراهيم صاحب فضل على الناس إذ نبذ عبادة الأصنام ودعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وكان مقربا إلى الله إذ رضى بذبح ابنه البكر قربانا لله فى أرض مكة، وجدد مع ابنه الذى كان سيذبح بناء نوح ولإيمانه وعمله رضى الله أن يجعل فى ذريته النبوة والكتاب، وأن يكون من نسله هداة للأمم، فالناس باتجاههم إلى مكة يتذكرون الإخلاص الحقيقى من إبراهيم لله فيقتدون به.

ثالثا: لا يحق لأهل الكتاب من اليهود والنصارى كافة أن يتذمروا على قبلة مكة فإنها قبلة أبيهم إبراهيم قبل أن تكون قبلة نبى الإسلام ﷺ، وكانت قبلة نوح عليه السلام قبل أن تكون قبلة إبراهيم عليه السلام.

بقى أن نبين إختلاف النصارى فى القبلة من بعد رفع المسيح عليه السلام كما بينا اختلاف اليهود. لقد صرح البروتستانت بقولهم ما نصه ' إن ديانتنا لا تفضل مكانا عن آخر» لقد رجعوا إلى النص الأصلى فى التوراة «فى كل الأماكن التى ... الخ» ويقول الأرثوذكس والكاثوليك إن القبلة هى جهة هيكل سليمان فى أورشليم القدس كما كان العبرانيون يتجهون. وما بعضهم بتابع قبلة بعض. ٢ ـ واختيار داود لأورشليم للإستحسان وليس للإلزام. وبناء الهيكل بدل الخيمة لأنهم استقروا فى الأرض بعدما كانوا كالبدو الرحل. والله أعلم.

الإسلام والمجتمع المتعاطف

لم تر الدنيا فى قديمها ولا حديثها دولة قامت على التراحم وأرست قواعد العدل كما قامت دولة الإسلام ولم تعرف الدنيا مجتمعا فاضلا كريما كالمجتمع الذى أقامه الإسلام ورسول الاسلام ﷺ فأقام مجتمعا رحيما كان أمل المصلحين وحلم الفلاسفة والمفكرين.

مجتمع قام على التعاطف فكان أعظم مجتمع عرفته البشرية عرفت فيه الأخلاق والمثل. والقيم يتعاون على البر وينهى عن الفحشاء والمنكر.

فضيلة الشيخ سيد ناجى

والرحمة صفة من صفات الله الكريمة اتصف بها الله سبحانه فأخذت صفة الدوام والبقاء. ورحمة الله تعالى بالنسبة إليه سبحانه صفة قديمة قائمة بذاته سبحانه وتعالى غير مشابهة لرحمة الحوادث

رحمة الله واسعة وسعت كل شىء وسعت الإنس والجن. المذنب والتائب. والمؤمن والكافر. الحيوان والطير الملك والملكوت. فلو انقطعت رحمة الله على الكائنات لحظة لما كان لها من وجود

ولدرجة الرحمة ومنزلتها عند الله تضرع الأنبياء والرسل والصالحون إلى الله أن يتغمدهم برحمته وأن يشملهم بعطفه وعنايته والقرآن الكريم ملىء بهذا التضرع والدعاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر. من دعاء سيدنا موسى عليه السلام (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وطلب أن ينجيه الله برحمته (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) وأيوب عليه السلام مسه الضر فتضرع إلى الله أن يشمله برحمته فكشف عنه ضره (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين. فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) وسليمان عليه السلام علمه الله لغة الطير فلما سمع مقالة النملة طلب من الله أن يدخله فى رحمته (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) وفى سورة الأنبياء ذكر الله رسوله محمد ﷺ بقوله (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ذكر بعد ذلك صفوة خلقه. موسى. هارون. ابراهيم. لوط. اسحق. يعقوب. نوح. داوود. سليمان. أيوب. اسماعيل. إدريس. ذا الكفل. أدخلهم الله جميعا فى رحمته (وأدخلناهم فى رحمتنا إنهم من الصالحين) ثم ذكر بعدهم يونس. زكريا. يحيى. مريم ثم عقب الله بعد ذلك بالرحمة المهداة للبشرية جميعا (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

والمؤمنون يطلبون من الله الرحمة والغفران دعائهم بالرحمة إنما يصور حالهم مع الله فهم يتضرعون اليه أن يمنحهم رحمته فمن دعائهم (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا) (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) (ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين)

وأنبياء الله أرسلهم الله لهداية البشر فلما كذبهم قومهم ولما رفضوهم نجاهم الله برحمته. هوداً عليه السلام رماه قومه بالسفاهة والضلال فوقع عليهم من الله رجس وغضب ونجى الله هودا والذين آمنوا معه برحمته فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين). صالح عليه السلام أرسله الله إلى ثمود فعتوا عن أمر ربهم وكذبوا نبيهم وعقروا الناقة فأخذتهم الصيحة ونجا الله صالحا والذين معه (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ إن ربك هو القوى العزيز) وشعيب عليه السلام كذبه أهل مدين واستضعفوه فأخذتهم الصيحة ونجا الله برحمته شعيبا والذين معه (ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين)

وكتب الله أنزلها بالرحمة والهداية فكتاب موسى عليه السلام هدى ورحمة (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شىء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) والقرآن الكريم هدى ورحمة (.. ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وفيه شفاء ورحمة (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) وفى حسن الاستماع إليه رحمة (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وفى طاعة الله ورسوله رحمة (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) ورحمة الأبناء للآباء طلب الرحمة لهم من الله عز وجل (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل

رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) والحياة الزوجية أصلها المودة والرحمة (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

رحمة الله تعالى : من أسماء الله تعالى (الرحمن الرحيم) وهو المنعم بجميع النعم صغيرها وكبيرها ظاهرها وباطنها قال القرطبى فى تفسيره (الرحمن) إسم عام فى جميع أنواع الرحمة يختص به الله (الرحيم) إنما هو من جهة المؤمن كما قال تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) وقال بعض المفسرين (الرحمن) بجميع خلقه فى الأمطار ونعم الحواس والنعم العامة و(الرحيم) بالمؤمنين فى الهداية لهم واللطف بهم ثم قال أكثر العلماء على أن (الرحمن) مختص بالله عز وجل لا يجوز أن يسمى به غيره (الرحيم) صفة مطلقة للمخلوقين ورحمة الله كتبها على نفسه تفضلا منه لا وجوبا عليه (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (.. فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) (وربك الغنى ذو الرحمة)

رحمة الله واسعة لا نهاية لها لما نزل قول الله تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء) طمع إبليس فى رحمة الله فقال أنا شىء فتسعنى رحمة الله وقالت اليهود والنصارى كذلك فلما تلاها قوله تعالى (فسأكتبها للذين يتقون) خرج إبليس بهذا التخصيص وبقى اليهود والنصارى زاعمين أن الرحمة شاملة لهم لأنهم يتقون ويؤتون الزكاة ويؤمنون بالله فلما تلاها قول الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الخ) خرج اليهود والنصارى بهذا التخصيص وبقيت الرحمة خاصة بالمؤمنين من أمة محمد ﷺ وقال الإمام الفخر الرازى فى تفسيره الآية المراد من قوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء) هو أن رحمته فى الدنيا عمت الكل أما فى الآخرة فهى مختصة بالمؤمنين واليه الإشارة بقوله تعالى (فسأكتبها للذين يتقون)

رحمة الله واسعة شملت السابح فى أعماق الماء والطائر فى الهواء . وكل من مشى على الغبراء .

رحمة الله واسعة وسعت من أسلموا بعد كفرهم فمحا الله عنهم بعد إسلامهم ما اقترفوا من سيئات ووسعت التائبين من المؤمنين فطهرهم الله من آثامهم وما أرتكبوا من موبقات . بل وسعت العصاة فلم يعجل لهم العقوبة ولم يعاقبهم على معاصيهم وهم متلبسون بها .

رحمة الله واسعة لا حد لها . لما دخل أعرابى المسجد ورسول الله ﷺ بين أصحابه فقال الرجل اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا فقال النبى ﷺ (لقد حجّرت واسعا) يريد رحمة الله رحمة الله واسعة يرحم بها عباده يوم القيامة قال أبو هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : (جعل الله عز وجل الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعا وتسعين وأنزل فى الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) والجنة لا تنال إلا برحمة الله تعالى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ (لا يدخل أحدكم الجنة بعمله) قالوا اولا أنت يا رسول الله قال (ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته) وعن أبى هريرة رضى الله عنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وفى يده شىء قد التف عليه فقال يارسول الله لما رأيتك أقبلت فررت بغيضة شجر سمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى فهن أولاء معى فقال ﷺ (ضعهن) قال ففعلت فأبت أمهن إلا لزومهن فقال ﷺ (أتعجبون من رحمة أم الأفراخ بفراخها) قالوا نعم قال ﷺ (والذى بعثنى بالحق لله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها إرجع بهن فضعهن حيث أخذتهن وأمهن معهن) فرجع بهن وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال (قدم على النبى ﷺ سبى فإذا امرأة من السبى قد تحلّب ثديها تسقى إذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال النبى ﷺ أترون هذه طارحة ولدها فى النار قلنا لا وهى تقترب ألا نطرحه فقال النبى ﷺ الله أرحم بعباده من هذه بولدها)

والليل والنهار ـ جعلهما الله برحمته (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) والرياح يرسلها الله مبشرات بين يدى رحمته (وهو الذى يرسل الرياح بشرأ بين يديه رحمته) (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته)

قال الشاعر

أعطى الخلائق بالأفضال رحمته ... وأرسل الغيث للأكوان يرويها
وأخرج النبت من يبس بقدرته ... سبحانه واهب الدنيا وما فيها
من يحفظ الكون لولا فيض رحمته ... ومن يقوم على الأفلاك يحميها
لولا الخفى من الألطاف يمسكها ... جاء الغناء بماضى العزم يرديها

ورحمة الله كانت العاصم من الغرق لمن آمن مع سيدنا نوح عليه السلام لما تحركت عاطفة الأبوة فى سيدنا نوح عليه السلام ونادى إبنه ان يركب معه فأبى كان العاصم من الغرق لطف الله ورحمته (قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) والمؤمنون يفرحون بفضل الله ورحمته (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) إن فضل الله على جميع عباده عظيم وهو على المؤمنين بهم أعظم ورحمة الله العامة لهم وبهم واسعة ورحمته الخاصة بالمؤمنين أوسع وعن ابن عباس روايتان إحداهما أن فضل الله القرآن ورحمته الإسلام الثانية أن الفضل العلم والرحمة محمد ﷺ)

رسول رحيم : كان رسول الله ﷺ أرحم الناس وأشدهم عطفا وصفه الله بما وصف به نفسه (بالمؤمنين رءوف رحيم) بل جعله الله عين الرحمة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وكانت بعثته رحمة فالله لا يعذب الأمة وفيهم رسول الله ﷺ (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وكان بين أصحابه رحمة (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك) وكان ﷺ إذا سمع بكاء طفل خفف صلاته رحمة بالطفل وأمه عن عائشة رضى الله عنها قالت جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال أتقبلون الصبيان وما نقبلهم فقال النبى ﷺ (أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة) كان هذا الرجل الأقرع بن حابس التميمى وكان فى الرجل خشونة الأعراب وجفوة أهل الصحراء فأعلمه الرسول ﷺ أن الرحمة من الله لا يملك إنسان أن يضعها فى قلوب الناس وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قبل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع ابن حابس التيمى جالس فقال الأقرع إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر اليه النبى ثم قال (من لا يرحم لا يرحم)

كان رسول الله ﷺ رحمة الله للبشرية كلها . تتجلى رحمته فى أحرج المواقف وأشدها هولا وأكثرها إيذاء له لما ذهب إلى الطائف يعرض على الناس دعوته أغروابه سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى سال الدم من جسده الشريف فأبى أن يدعو عليهم بل دعا لهم بالهداية والرحمة عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد قال (ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم الثقيفة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فنادانى فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ثم نادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يامحمد قد بعثنى الله إليك إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال قد بعثنى اليك ربك لتأمرنى بما شئت إن شئت أطبق عليهم الأخشبين فقال رسول الله ﷺ أرجو أن يخرج الله من

أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا) وفى رواية قال ملك الجبال (صدق من سماك رءوف رحيم) .

وفى الحرب رحمة : الحرب فى الإسلام ليست للقهر والإذلال وليست كالحرب التى تخوضها دول العالم المتحضر فتهلك الحرث والنسل جريا وراء الريح المادى والتعصب الدينى ولكنها الحرب التى تحمل للناس الرحمة والعدالة والمثل والهداية

مر رسول الله ﷺ بامرأة مقتولة والناس حولها فقال (ما هذا ؟ ؟) قالوا امرأة قتلها خالد فقال ﷺ لبعض من معه (أدرك خالدا فقل له إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة أو عسيفا - أجيرا) ورفع اليه مرة أن صبية قتلوا بين الصفوف فحزن حزنا شديدا فقال بعضهم ما يحزنك يا رسول الله وهم صبية للمشركين فغضب ﷺ وقال ما معناه (إن هؤلاء خير منكم إنهم على الفطرة أولستم أبناء المشركين فإياكم وقتل الأولاد إياكم وقتل الأولاد) بل أحسن الإسلام وشمل برحمته أسرى المشركين وتجلت سماحة الإسلام ورحمته على الأسرى فى غزوة بدر قال رسول الله ﷺ (استوصوا بالأسارى خيرا) يقول ابو عزير كنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا هم التمر لوصية رسول الله بنا ما تقع فى يد أحد منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها فأستحى فأردها على أحدهم فيردها إلىّ ما يمسها .

كما اطلق سراح الفقراء من الأسرى الذين لا يجدون ما يفدوا به أنفسهم . واطلق سراح كل من يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة وبذلك انتشرت القراءة والكتابة بين المسلمين . عومل هؤلاء الأسرى معاملة كريمة لم تعرفها الأمم المتحضرة التى تدعى المدنية وتفخر بعصر النور .

أمة رحيمة : **فجر الإسلام الرحمة فى قلوب المؤمنين فحملوا الى الناس بلاغة العروبة وأخلاق الإسلام وهداية الدين** يقول المرحوم الشيخ محمود شلتوت . الرحمة أثر من آثار الإيمان يبعثها الطمع فى رحمة الله وهى تعد من فضائل الإنسان وتدفع اليها العواطف النبيلة والإحساس الإنسانى الشريف وقد وصف الله تعالى بها نفسه وتفضل بها على خلقه (**من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم**) ورفع الله درجة المخلصين فأضافهم اليه بصفة الرحمة (**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**) وأهل الرحمة يعيشون فى كنف الله ورعايته وهم أهل لأن تنالهم رحمة الله عز وجل قال رسول الله ﷺ (**الراحمون يرحمهم الرحمن إرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء**) (**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**) (**لا تنزع الرحمة إلا من شقى**) **والرحمة رقة فى القلب تدفع صاحبها الى فعل الخير** ومساعدة المعوزين . وصفاء فى النفس وطهارة فى الروح قال رسول الله ﷺ أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان فقط . ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال جاءت امرأة إلى عائشة رضى الله عنها فأعطتها ثلاث تمرات فأعطت كل صبى نصف تمرة وأمسكت لنفسها تمرة فأكل الصبيان التمرتين ونظر إلى أمهما فعمدت الى التمرة فشقتها فأعطت كل صبى نصف تمرة فجاء النبى ﷺ فأخبرته عائشة فقال (**وما يعجبك من ذلك لقد رحمها الله برحمة صَبِيَّيْها**)

ورحمة الإنسان لأخيه الإنسان تأسو الجراح وتنزل على الصدور بردا وسلاما فرحمة الإسلام بالخادم ألا يكلف فوق طاقته قال رسول الله ﷺ (**إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم**) كما نهى الإسلام عن ضرب الخادم وايذائه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (كنت أضرب غلاما لى فسمعت صوتا من خلفى إعلم أبا مسعود مرتين الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فإذا هو النبى ﷺ فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله فقال ﷺ **أما لو لم تفعل لمستك النار**) وقال صاحب المنار رحمه الله إن رحمة الله الخاصة بالمؤمنين هى شجنة من رب العالمين العامة للخلق أجمعين يتراحمون فيا بينهم فتكمل بهم رحمته تعالى لهم ورحمته للعالمين برسوله اليهم وبهم وقد عرف هذا من تاريخهم أشهر فلاسفة التاريخ قال غوستاف لوبون **ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب . وقال الرحمة هى ما تثمره لهم هداية القرآن وتفيضه على قلوبهم من رحمة ربهم هى صفة كمال من أثارها إغاثة الملهوف وبذل المعروف وكف الظلم ومنع التعدى والظلم وغير ذلك من اعمال البر والخير ومقاومة الشر وقد وصف الله المؤمنين بقوله رحماء بينهم) وقوله (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)** والرحمة لا توجد بكمالها فى المؤمنين المهتدين ولا يحرمها الا الكافرين) الرحمة التى جعلت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قبل إسلامه غليظ القلب قاسى الطبع فخلقه الإسلام إنسانا رحيم القلب يبكى لبكاء طفل ترغمه أمه على الفطام قبل أوانه فيبكى ويقول كم قتل عمر من أبناء المسلمين ويخرج مناديا (لا تعجلوا بنظام أبناءكم فقد فرضنا لكل وليد يولد) الرحمة التى جعلت عمر بن الخطاب يحمل طعاما لصبية صغار يتصايحون من الجوع فيحمل اليهم دقيقا ويصنعه طعاما ويشرف على إطعامهم حتى جعلهم يمرحون ويضحكون . الرحمة التى جعلت عمر بن الخطاب يبعث بزوجته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب لمرأة فى المخاض لتصلح شأنها وتشرف على إطعامها وخدمتها إنها الرحمة التى وضعها الله فى قلوب المؤمنين .

رحمة عامة : لم تقف رحمة الإسلام عند الإنسان لأخيه الإنسان فحسب بل تعدته الى ما هو أكثر من ذلك ولا عجب فقد فجر الإسلام ينابيع الرحمة فى قلوب المؤمنين فشملت الدواب والطير . أمر الإسلام بالرحمة والرفق حتى عند الذبح قال رسول الله ﷺ (**إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**) وإحسان الذبح فى البهائم الرفق بها فلا يصرعها بعنف ولا يجرها من موضع إلى آخر قال ربيعة من إحسان الذبح ألا يذبح بهيمة وأخرى تنظر اليها كما نهى الإسلام أن يقف الراكب على الدابة وقوفا يؤلمها قال رسول الله ﷺ (**إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر فإن الله سخرها لكم لتحملكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس**) كما نهى الإسلام أن يجعل فى عنق الدابة قلادة لئلا تتعلق بشجرة فتزهق روحها أو أن تختنق قال رسول الله ﷺ (**لبيقين فى رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت**) كما نهى الإسلام متابعة السفر على الدابة سفرا طويلا يرهقها قال رسول الله ﷺ (**إذا سافرتم فى الخصب فأعطوا الإبل حظا من الأرض**) ومن رحمة الإسلام كذلك نهيه إن تحمل الدابة فوق طاقتها أرسل عمر بن عبد العزيز إلى عامله بمصر إنه قد بلغنى أن بمصر ابلا نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل فإذا أتاك كتابى هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير اكثر من ستمائة رطل وقد غفر الله لرجل سقى كلبا يلهث من شدة العطش ودخلت إمرأة النار فى هره قال رسول الله ﷺ (**بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكره الله فغفر له قالوا:يارسول الله وإن لنا فى البهائم أجرا قال فى كل ذات كبد رطبة أجر**) وقال ﷺ (**عذبت إمرأة فى هرة لم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض**)

لو تتبعنا آثار الرحمة وما فعله الإسلام بقلوب المؤمنين ولواسترسلنا فى ضرب الأمثال لضاقت الصفحات لولا الرحمة التى أودعها الله قلوب عباده لكان الناس كالوحوش الكاسرة بل شر منها لا يحسون بعاطفة ولا توجد بينهم رحمة ولا بين الناس شفقة

البقية ص ١٢٤

كيف انتشرت الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية

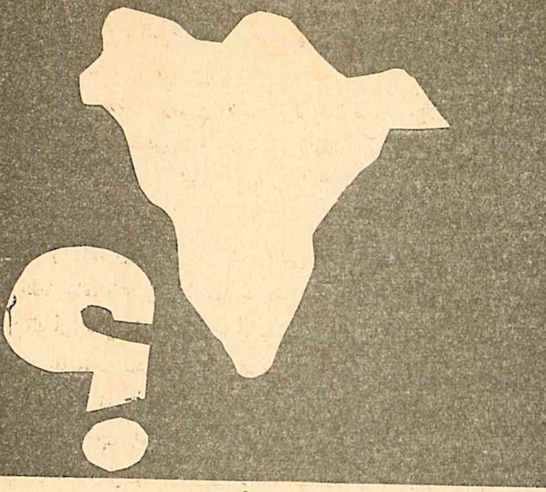

الدكتور محيى الدين الألوانى

يتوقف نجاح أية دعوة على الدعاة القائمين بها وصفاتهم والوسائل التى يتخذونها فى سبيل نشرها . وفى مقدمة هذه الصفات التى يجب أن تتوفر فيهم إيمانهم بها وإخلاصهم لها وفهمهم لعناصرها . ومن الصفات اللازمة للدعاة أيضا ، صدق العزيمة وتطبيق النظام الذى يدعون إليه الناس على أنفسهم أولا حتى يكونوا قدوة عملية للآخرين .

إن الفضل فى انتشار الدعوة الإسلامية فى الهند ، يرجع أولا وقبل كل شىء ، إلى الدعاة من المسلمين العرب والهنود الذين تشبعوا بروح الإسلام السمح وبذلوا جهودا فردية وجماعية فى سبيل نشر الحق والدعوة الصالحة ، ولا يرجع الفضل فيه إلى الملوك والأباطرة المسلمين الذين قاموا بفتوحات عسكرية فى هذه البقعة وشيدوا دولهم فيها ، إلا أنهم تركوا بعض الآثار والمعالم الإسلامية من المساجد والقلاع وقاموا أيضا بإحياء بعض العلوم والفنون والآداب .

وأن القائمين على نشر الدعوة الإسلامية فى الهند اليوم وفى المستقبل يحاولون أن يسيروا على نهج أسلافهم من الدعاة الصالحين فى بعد عن أى نوع من المآرب السياسية أو الإقتصادية أو الشخصية . ومن الوسائل الرئيسية التى يتبعونها ـ كما اتبعها الدعاة المصلحون من قبلهم ـ فى المحافظة على كيان الإسلام فى البلاد ونشر دعوته فى أرجائها :

١ ـ القدوة الشخصية : اتخذ الدعاة القدوة الحسنة الشخصية كوسيلة رئيسية فى أداء رسالتهم نحو نشر التعاليم القرآنية والارشادات النبوية بين أفراد الأمة الهندية وجماعاتها . وتمسكوا بهذه الوسيلة اعتقادا راسخا منهم بأن اسداء النصح والأوامر بدون أن يكونوا هم القدوة الأولى لا يؤثر فى القلوب ولا يؤدى إلى الهدف المطلوب . وهذه هى إحدى الميزات الكبرى التى امتاز بها الدعاة المسلمون فى شبه القارة الهندية وكانوا دائما مظهرا حيا لما يدعون إليه عن الخلق القويم والأعمال الصالحة حيث يتأثر بها المدعوون بالقدوة الشخصية والسلوك الشخصى .

٢ ـ الموعظة الحسنة : وهى الكلام اللين المشتمل على العظات التى يستحسنها السامع ويندفع للاستماع إليها ويتقبلها . وكانوا يتمسكون فى ذلك بارشاد قوله تعالى :

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . فانجذب سكان البلاد إلى حظيرة الإسلام مقتنعين بصدق الدعوة وصدق الدعاة ومتأثرين بدين العدل والمساواة ، نعم ، وقد وجدوا فى هؤلاء الدعاة أخلاقا عالية بعيدة عن شوائب المآرب الشخصية أو المطالب الذاتية .

٣ ـ ابتعادهم عن المآرب السياسية : وكان الدعاة المسلمون الحقيقيون فى الهند فى بعد تام عن ساحة الملوك وأصحاب السلطان ، كما كانوا يتبعون حياة الزهد والقناعة ، ولقنوا مبادىء الدين الحق للناس ، وعلموهم آداب الإسلام .

« وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » . وقد أدركوا جيدا أن الاهتمام بالسياسة والاختلاط بأصحابها يُلهيهم عن مهمة الدعوة الخالصة ويجذبهم إلى الحزازات الطائفية والاختلافات الداخلية ، فكرسوا جهودهم وأوقاتهم وطاقاتهم فى أمر الدعوة . ولذا ارتفعت مكانتهم فى قلوب الشعب وأصبحوا بعيدين عن مظان التهم والشكوك .

٤ ـ الصوفيون : وكانوا فى الواقع فاتحى القلوب لا فاتحى البلاد . وقد انتشرت الدعوة الإسلامية فى ربوع الهند بأيدى هؤلاء الصوفيين والزهاد الذين كانوا يجلسون على الحصر فى زواياهم المنعزلة عن

العمران وضوضاء المدينة أو فى بيوت الله ، ويلقنون الناس مبادىء الحب والأخوة والتسامح والمساواة الإنسانية ، ويحثونهم على فعل الخير واجتناب الشر ، وكانوا يقومون بتربية النفوس على الأخلاق الفاضلة وتزكيتها من الخصال الفاسدة فكانت زوايا وصوامع هؤلاء الدعاة الصوفيين محط الزائرين من جميع الطوائف ، لأنهم كانوا مراكز الإشعاع الروحى والخلق والانسجام الطائفى فى البلاد .

وأما الدعوة الإسلامية الحقة ، فهى الدعوة إلى الله وإلى الأخوة الإنسانية والعدالة الإجتماعية والتسامح والبساطة فى جميع مرافق الحياة . وكان الدعاة الأوائل بعيدين كل البعد عن التعصب الدينى والعنف والإكراه فى كل خطوة يخطونها فى سبيل أهدافهم النبيلة . وكانوا قدوة عملية للآخرين . وقد اتخذوا رائدهم فى ذلك إرشاد القرآن الكريم :

« لا إكراه فى الدين » . وقوله :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »

وكان الدعاة المسلمون فى شبه القارة الهندية ، سواء العرب أو الهنود الذين تشبعوا بروح الإسلام السمح ، مظهرا حيا لما يدعون إليه من الخلق القويم والأعمال الصالحة حيث تأثر بها المدعوون بالقدوة الشخصية حتى أصبحوا محل احترام وتقدير ، لدى أفراد وجماعات جميع طوائف الأمة .

يقرر الإسلام مبدأ الأخوة الإنسانية وعدم العنف والتعصب فى الشئون الدينية بأى شكل من الأشكال ، بالآيات القرآنية الآتية :

١ - **« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »** .

٢ - **« وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله »** ولا يسمح الإسلام لأتباعه أن يتعرضوا قط لعقائد أى دين من الأديان ، فى أى حال من الأحوال .

وهذه هى الأسباب الرئيسية التى يرجع إليها الفضل الأكبر لانتشار الإسلام فى الهند بسرعة وكثرة . واستقرت جذوره فى أرضها الخصبة . وأصبح تاريخه جزءا لا يتجزأ من تاريخ الهند المديد .

وأن الدعاة المسلمين الذين يقومون بإرشاد الناس إلى طريق الحق وتلقينهم مبادىء الخير لهم دور كبير فى سبيل إيجاد مستقبل ميمون للإسلام والمسلمين فى الهند ، التى كانت دائما أرضا خصبة تترعرع فيها الدعوات الروحية والأخلاقية والأفكار الإنسانية والحكم السامية .

بقية مقال « الإسلام والمجتمع المتعاطف »

إن الإسلام ربى المسلم على البر والرحمة وجعلها صفة له ودعاه أن يبدأ صلاته وطعامه وشرابه وكل أمر ذى بال باسم الله مقرونا برحمته فيبدأ فى صلاته (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم) **ومن أجل ذلك سميت سورة كاملة فى القرآن الكريم بسورة الرحمن**

جدير بالمسلم وهو يقرأ ويسمع آيات الرحمة أن يتصف بها وأن تختلط بقلبه وتمتزج بنفسه فلا يصدر أعماله إلا بها جدير بالمسلمين أن تفيض قلوبهم بالرحمة فيرحم كبيرهم صغيرهم ويعطف غنيهم على فقيرهم وبذلك تكون الأمة كما أراد الله لها (كالجسد الواحد إذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) .

اللهم املأ قلوبنا برحمتك وارحمنا برحمتك إنك أنت أرحم الراحمين ؟

الفن الإسلامي

الأسس الفنية والصناعية للسجاد الإيراني

الدكتورة سعاد احمد جمعة

عرف الفن الاسلامى واكتسب شهرته كفن تطبيق يخدم المنفعة البشرية فى شتى مجالات الحياة . ومن هنا اكتسب استمراريته وبقاءه على مر العصور ، الا ان هذا لا يعنى عدم اتسامه بالطابع الابداعى ، فالفن الاسلامى فى جميع نوعياته يحمل قيما فنية عالية ، هذا بالاضافة الى تفوقه من الناحية الصناعية والتقنية .

ومن الصناعات التى اشتهر بها الفن الاسلامى صناعة السجاد اليدوى ، حيث اكتسب شهرة واسعة فى جميع انحاء العالم وبخاصة السجاد الايرانى .

لقد عرف المسلمون صناعة السجاد منذ عهودهم الاولى وأقاموا له مراكز متعددة فى مصر والمغرب العربى وايران وتركيا والهند وبلاد القوقاز .

وقد ازدهرت هذه الصناعة فى مصر فى العصر الفاطمى والعصر المملوكى ومن اشهر مراكزه أسيوط واخميم ، وتميزت زخارفه بالأشكال الهندسية .

كما اشتهر السجاد التركى ايضا بتلك الانواع الصغيرة التى تسمى سجاجيد الصلاة والتى انفردت بطابع مميز عن سائر الانواع الاخرى ذات الزخارف الهندسية، فقد كانت تزخرف سجاجيد الصلاة بصورة محراب يتدلى من فوقه مشكاة وعلى جانبيه رسوم اعمدة.

ورغم تعدد مراكز صناعة السجاد فى العالم الاسلامى وشهرتها العالمية إلا أن السجاد الايرانى كان من ابرزها حيث اكتسب شهرة عالمية على مستوى الملوك والامراء.

لقد عرفت ايران صناعة السجاد منذ عصورها الاولى حيث كانت تصدره الى الاغريق والبيزنطيين ثم الى الغربيين فى العصور الوسطى.

وترجع اقدم أنواع السجاد الايرانى الى عصر السلاجقة فى القرن السادس الهجرى حيث كان يمارسها قبائل البدو الرحل وبعض الاسر العادية فى المدن والمصانع التجارية المختلفة. ثم بدأ اهتمام البلاط والامراء بهذه الصناعة اعتبارا من القرن التاسع الهجرى حيث أنشئت مصانع النسيج الشاهانية لينسج فيها مهرة الصناع السجاجيد الفاخرة لقصور الشاه والامراء والملوك الاجانب وأصبحت أصفهان وهراه وخراسان وتبريز وقاشان مراكز انتاج هذه الصناعة.

وكانت ايران تعتبر من أكبر مراكز صناعة السجاد فى الشرق كله وذلك بفضل تشجيع الملوك ورجال الدولة وانفاق الاموال الطائلة عليها. وقد أدى هذا إلى إقامة تجارة واسعة بين الشرق والغرب لعبت دورا هاما فى اقتصاديات ايران. وتسابق الملوك الغربيون فى اقتناء العديد من انواع هذا السجاد.

مراحل صناعة السجاد الايرانى:

تتم صناعة السجاد وفق مراحل مقننة تبدأ أولا بعملية تلوين خيوط الصوف التى تعتمد على الصبغات النباتية والحيوانية. ورغم قصور هذه الانواع من الصبغات الا أن الايرانيين قد استطاعوا انتاج ألوان عديدة منها وذلك بغمس الخيوط فى لون ثم اعادة غمسه فى لون آخر، وبهذه الطريقة استطاعوا الحصول على الوان عديدة ودرجات متنوعة ومن اشهر أنواع الصبغات التى استخدمت فى ذلك الوقت، الفوه أو الحمراء أو النيلة أو النيلج وهى تعطى اللون الازرق.

أما عملية التصميم الزخرفى فقد كان يقوم بها فنانون بناء على أوامر الملوك والامراء والذين كانت لهم بعض المراكز الصناعية الخاصة وتسمى مراكز البلاط. ومن أشهر الفنانين فى هذا المجال: «بهزاد، وسلطان محمد، وسيد على».

والمرحلة الثالثة من مراحل صناعة السجاد هى مرحلة النسيج ومن المعروف عن هذه المرحلة بوجه عام أنها اما أن تتم يدويا كما فى السجاد الشرقى أو اليا ميكانيكيا كما فى السجاد الغربى الاوربى. كانت تتم صناعة نسيج السجاد يدويا بواسطة منسج يدوى بسيط يتكون من عارضتين متوازيتين تمد بينهما خيوط من القطن او الكتان تسمى خيوط السداء. ويعتبر طول العارضتين هو عرض السجاد اما المسافة بينهما فهى طول السجاد.

وتتكون السجادة من جزئين رئيسيين هما الرقعة والخميلة.

والرقعة فى السجاد الايرانى تنسج أولا أما فى حالة السجاد الميكانيكى الغربى فتنسج الرقعة والخميلة معا.

والرقعة هى النسيج السفلى وتصنع من خيوط القطن والكتان وتتكون من سداء ولحمة.

اما الخميلة فهى النسيج العلوى للسجاد وتتكون من خصلات طويلة من خيوط الصوف الممشط أو الحرير. وبعض الانواع توشى بالخيوط الذهبية او الفضية وتعقد من الوسط بخيوط السداء. ويبلغ طول الخصلة حوالى بوصتين وعملية عقد الخصلات على نسيج السداء تتم وفقا للتصميم الزخرفى للسجادة، كما أنها تخضع فى حد ذاتها لاسس وخصائص تقنية معينة ينفرد بها كل مركز للسجاد عن الاخر.

فالعقد التركية تتم بلف الخصلة حول خطين متجاورين من خيوط السداء بحيث تجتمع بينهما من أعلى ثم يدور طرفاها خلف هذين الخطين من أسفل فى مستوى الرقعة ثم يجتمعان لينفذان من بينهما صاعدين معا متلامسين على وجه الرقعة ليكونا جزءا من خميلة السجادة.

أما فى السجاد الايرانى فان الخصلة تلتف وراء خيط واحد من خيوط السداء وتمر على من يجاوره من أسفل، ثم يجتمع الطرفان فوق الرقعة ليكونا الخميلة. وتتميز هذه الطريقة بخفض عدد الخصلات وهذا يعطى للسجاد الايرانى ملمسا ناعما رقيقا ويسمح بأنتاج تصميمات رقيقة ذات الوان متعددة. وبعملية الربط هذه يمكن التفرقة بين السجاد الميكانيكى والسجاد اليدوى.

أنواع للسجاد الايرانى:

تميز السجاد الايرانى بخصائص ابداعية تمثلت فى الاساليب الزخرفية التى استخدمت فى تزيين السجاد. والتى يمكن تصنيفها على النحو التالى: -

أولا - سجاجيد الصلاة:

هى سجاجيد صغيرة الحجم اشتهرت بها مراكز صناعة السجاد فى شمال ايران والتى من أشهرها تلك المقامة فى مدينة «تبريز». وتقتصر زخارفها على صورة محراب فى الوسط. وتحاط السجادة باطار من الايات القرآنية مكتوبة بخط النسخ أو الكوفى.

ثانيا - السجاجيد ذات الصرة أو الجامة:

ويعتبر هذا النوع من اشهر انواع السجاد الايرانى. وقد وصلت صناعته الى درجة عالية من الدقة فى القرن العاشر الهجرى. واشهر مراكز انتاجه مدينة «تبريز». وقد فضل استخدامه فى المساجد لخلوه من صور الاشخاص والحيوان. وابرز ما يميزه اللون الاحمر مع الاخضر مع الازرق الفاتح أو القاتم والاصفر والابيض.

ووحداته الزخرفية عبارة عن صرة أو جامة فى وسط السجادة تتكون من فصوص أو أشكال مختلفة، وأربع جامات فى الاركان على ارضية من رسوم تجريدية لفروع وسيقان نباتية وزهور مع سحب صينية. ويحيط بالسجادة اطار بسيط بداخله اطار آخر. والاسلوب الزخرفى القائم على الوحدات الزخرفية المكونة من الجامات يعتبر من الاساليب الزخرفية الاسلامية والتى شاع استخدامها فى تزيين منتجات مختلفة مثل أغلفة الكتب.

ثالثا - السجاجيد ذات الرسوم الحيوانية:

اشتهر هذا النوع من القرنين العاشر والحادى عشر واختصت به مراكز صناعة السجاد فى شمال ايران.

وزخارفه تمثل مناظر الصيد أو رسوم تجريدية لحيوانات خرافية على أرضية من الوحدات النباتية. ورغم طابع هذه الرسوم التجريدية الا أنها تتسم بالحيوية والحركة.

رابعا - السجاجيد البولندية:

نسب هذا النوع الى «بولندا» فترة من الزمن ومن المعتقد ان اسلوبه مشتق من اسلوب السجاجيد التى كانت تنتجها بولندا فى ذلك الوقت. ويتميز هذا النوع بتكاليفه الباهظة حيث يصنع من الخيوط الحريرية الموشاة بالخيوط الذهبية والفضية. وأغلب الظن ان هذا النوع كان من انتاج مصانع البلاط التى يشرف عليها الملوك والامراء.

ولا يتميز هذا النوع باسلوب زخرفى خاص فهو يستمد اسلوبه من أنواع الاساليب الزخرفية المستخدمة فى أنواع السجاد الاخرى وتمتاز ارضياته بالوانها المتعددة والتى من أبرزها الاصفر الفاتح والاخضر الباهت والبرتقالى والازرق والفيروزى والاحمر القرمزى.

خامسا - السجاجيد ذات رسوم الحدائق:

اشتهرت بهذا النوع مراكز شمال ايران فى القرنين العاشر والحادى عشر وتدخل فى صناعته الخيوط الذهبية والفضية. ويزين السجادة منظر طبيعى

لاحدى الحدائق بطرقاتها وقنوات المياه بها ـ هذا بالاضافة الى رسوم بعض الاشجار والنباتات والزهور .

وقد اشتهر هذا النوع بأنه كان يصنع ليقدم هدايا الى ملوك اوربا .

سادسا ـ السجاجيد المزخرفة برسوم الزهور :

اشتهرت بصناعة هذا النوع « خراسان وهراة » فى القرنين العاشر والحادى عشر الهجرى . واهم ما يميزه الارضية الحمراء ذات الاطار الاخضر والوحدات الزخرفية المكونة من الفروع النباتية والمراوح التخيلية والسحب المتناثرة المرسومة بأسلوب صينى .

سابعا ـ السجاجيد ذات الزهريات :

من المعتقد ان هذا النوع كان يصنع فى الاقاليم الوسطى من ايران فى القرنين العاشر والحادى عشر الهجرى ، وقد امتاز به عصر الشاه « عباس » .

أنواع من السجاد الإيرانى ١٧٠ × ٢٩٥ سم

وقد اشتهرت هذه السجاجيد بهذا الاسم لأن وحداتها الزخرفية تشبه رسوم الزهريات المرتبة فى توازن حول محور السجادة الاوسط . وتمتاز هذه السجاجيد بمتانتها وضخامة وبرها ، وضيق اطارها ، ويغلب على ارضياتها اللون الازرق او الاحمر ، وعليها معينات من سيقان الزهور وفروع النباتات والمراوح التخيلية . وهذا الاسلوب الزخرفى يمتاز بطابع خاص يختلف عن اسلوب المصورين والمذهبين الذين كانوا يقومون بتصميم بعض انواع السجاد مما يرجح القول بأن مصممى هذا النوع من السجاد مصممين متخصصين هذا بالاضافة الى الوانها الصارخة والبراقة .

لقد اكتسب السجاد الايرانى شهرته الواسعة نظرا لما يتصف به من قيم إبداعية ومزايا صناعية تمثلت فى تنوع الاساليب الزخرفية وثبات الالوان وروعتها وتوافقها ، والملمس الناعم ومتانة النسيج وقوة التحمل .

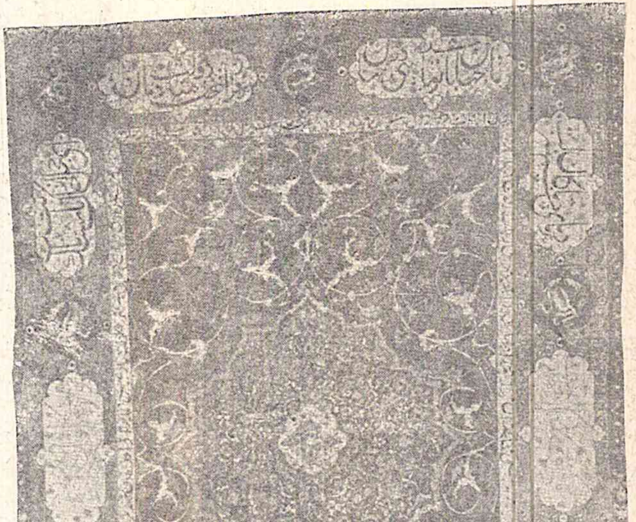

أنواع من السجاد الايرانى ١٦٧ × ٢٣٠سم
القرن ١١ هـ

القصة الإسلامية

قصة العدد

رجل ومعارك

الفدائي عبدالله بن عتيك

فى حوالى السنة الخامسة للهجرة ذهب خمسة رجال بقيادة عبد الله بن عتيك بتكليف من رسول الله صلوات الله عليه للقضاء على أبى رافع سلام بن أبى العقيق أحد زعماء اليهود لما قام به مع حيى بن أخطب من تحريض لمشركى مكة وحلفائهم على حرب محمد فى معركة الخندق ، وكذلك لألقاء الرعب فى قلوب يهود خيبر فلا يقومون بما قام به اليهود الاخرون من مساعدة للمشركين . . .

فى هذه المهمة تبدو فدائية عبد الله بن عتيك مما جرى وكان كالتالى بعد أن وصل مع رجاله الى مداخل خيبر مقر : أبى رافع ابن أبى العقيق .

ابن عتيك : هانحن الآن على مشارف خيبر وقد آن لى أن اتحدث اليكم فى تفاصيل خطة دخول خيبر ولأذكركم بقول رسول الله ﷺ من أطاع أميرى فقد اطاعنى ، ومن عصاه فقد عصانى وانكم متى ماتعصون تعصون نبيكم .

ابن انيس : لرسول الله السمع والطاعة ، ولك السمع أيضا السمع والطاعة يا عبد الله بن عتيك .

ابن عتيك : بارك الله فيك يا محمد بن أنيس ، والآن أقول لكم ، ان خطتى هى البقاء هنا خارج خيبر حتى يحل الظلام فندخلها ليلا وعند الحصن تنتظرون بعيدا عن العيون ، بينما أتحين فرص دخول الحصن وحدى ، وذلك حتى لا نلفت الانظار ويتعرفون علينا وعليكم بالحذر فى مكمنكم فإن اصابنا حادث كان القائد . . عليكم محمد بن أنيس تسمعون له وتطيعون أمره .

المحاربون : الطاعة لرسول الله ولمن اختاره علينا أميرا ، ثم لمن يختاره أميرنا .

ابن عتيك : هيا بنا . . تقدموا فقد حل الظلام .

* * *

ودخل الرجال الى خيبر تحت ستار الظلام وبعيدا عن حصن أبى رافع انتظروا بينما تقدم ابن عتيك وحده نحو الحصن بعد أن قدم لهم المزيد من النصائح والأوامر الواجب تنفيذها ان لم يعد اليهم فى ساعة حددها ، وتأكيد توليته محمد بن انيس عليهم فى هذه الحالة . . وقبل الساعة التى حددها ابن عتيك عاد الى رجاله . .

* * *

ابن عتيك : هيا بنا تقدموا

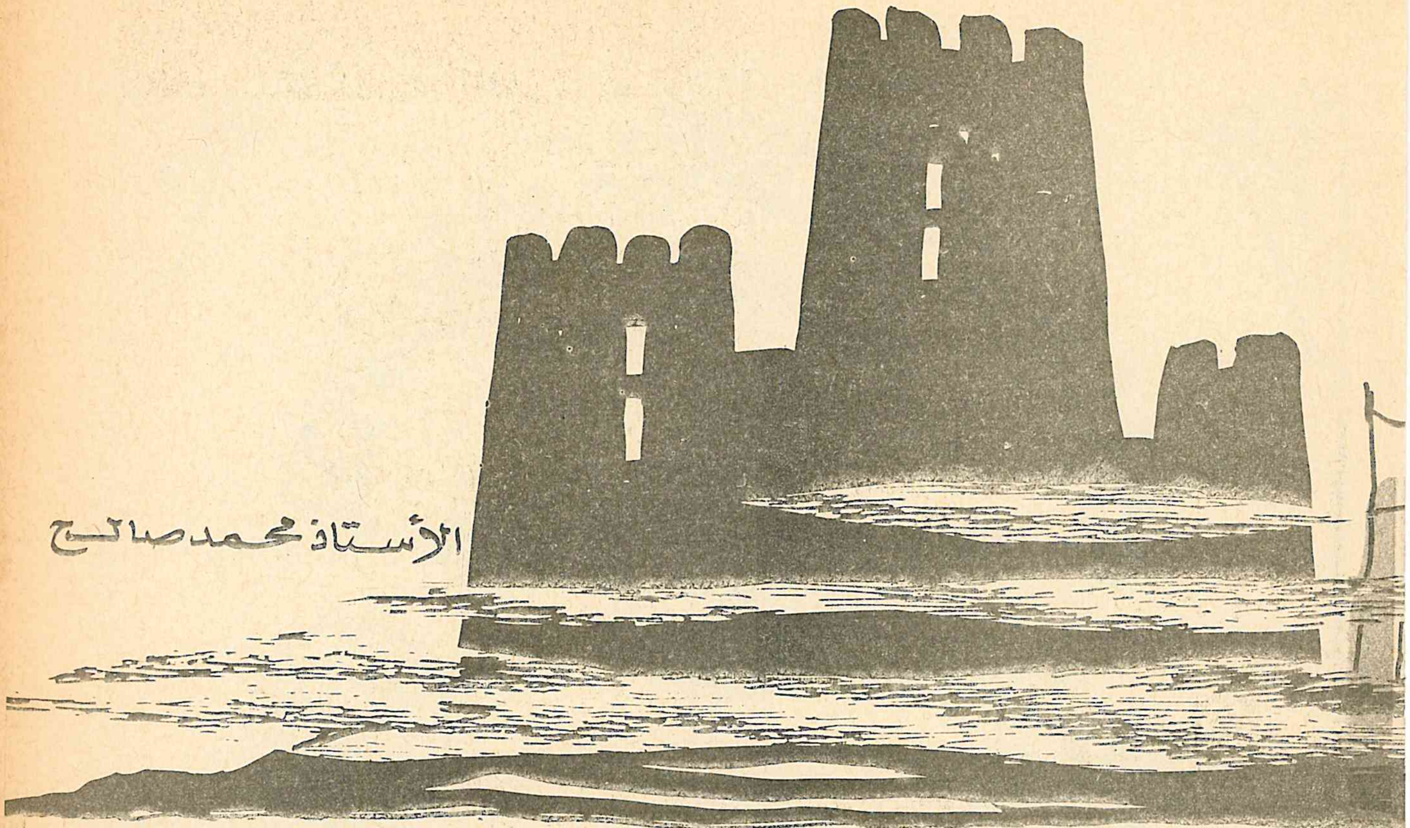

الأستاذ محمد صالح

ابن أنيس : خيرا باذن الله ايها القائد .. ماذا جرى ؟

ابن عتيك : صمتا ، هيا بنا نبتعد عن هذا المكان مغادرين لخيبر وسأحكى لكم فى الطريق

* * *

ابن أنيس : ها نحن قد غادرنا خيبر ، أما تحكى لنا ؟

ابن عتيك : عندما استطعت دخول الحصن لبثت مستترا حتى نام القوم ثم أخذت اتلمس طريقى وسط الظلام الى الغرفة التى ينام بها أبو رافع فى أعلى الحصن ، وعندما أصبحت داخلها جرت الأحداث كالأتى والظلام من حولى :

* * *

ابن عتيك : يا أبا رافع .. أين أنت .. أين أنت ؟

ابو رافع : ما هذا ؟

ابو عتيك : اذا هاهو ذا أنت .. خذ هذا السيف

ابو رافع : آه من ضربنى بالسيف ؟

ابن عتيك : (مغيرا صوته) ما الذى جرى يا أبا رافع ؟ لماذا تصيح ؟

أبو رافع : لك الويل ، دخل على وضربنى بالسيف

ابن عتيك : او لم يقتلك الله بعد يا أبا رافع ، اذن خذ هذه الضربة القاضية باذن الله ..

* * *

ابن عتيك : هكذا قضيت على عدو الله .. وبينما أنا أنزل سلالم الحصن اذا برجال الحصن وقد ايقظتهم صرخات ابى رافع يصعدون اليه متسائلين عن الذى جرى بينما أحدهم يقول اين المشاعل فقلت لهم وأنا اسرع بالنزول بعد ان غيرت صوتى : يبدو ان شخصا ما قد ضرب سيدى ، أصعدوا اليه أولا ثم ابحثوا عن المشاعل ثم خرجت من الحصن وقد انتاب الذعر أهله .

ابن أنيس : حمدا لله أن وفقنا فى هذه المهمة ، لكن ماذا اصاب ساقك فجعلك تعرج بها ؟

ابن عتيك : انها اصابة بسيرة فقد سقطت من فوق سلم الحصن ، وأنا أسرع بالخروج منه عندما انتاب الذعر اهله .

ابن أنيس : عافاك الله يابن عتيك .. وارجو ان لا يكون كسرا قد أصاب ساقك !

ابن عتيك : ليتها كانت الشهادة يابن انيس .

طليعة الصناعة العربية نالت منتجاتها العزيزة شهرة قومية

العيد الخمسيني

١٩٢٧ — ١٩٧٧

الانتاج

غزل القطن	٣٧٠٠٠	طن
منسوجات قطنية	١٥٥	مليون متر
أقمشة وبرية	٥٨٠	طنا
غزل الصوف	١٨٨٠	طنا
منسوجات صوفية	٣,٥	مليون متر
بطاطين صوفية	٧٠,٠٠٠	قطعة
ملابس جاهزة	٧	مليون قطعة
قطن طبي	١٨٧٥	طنا

العمالة

عدد العاملين
٣٤٣٥٠ عاملا
الاجور
١٨,٢ مليون جنيه

المبيعات

محلى
٤٣ مليون جنيه
تصدير
١٧ مليون جنيه
جملة
٦٠ مليون جنيه

شركة مصر للغزل والنسج بالمحلة الكبرى

الشعر الإسلامى

شهر العبور

شهر عليه من الهداية نور
ما شابهته أهلة وشهور
يسرى يجوب الكون فى قدسية
وتزفه وسط السماء بدور
شهر له فى كل قلب فرحة
وعلى البرية من سناه حبور
شهر الصيام يطل فى إشراقة
وإذا يطل يُحطم الديجور
شهر يفوح تقى ويعبق طاعة
فإذا الوجود نسائم وعطور
أيامه للطائعين .. حدائق
فيها التقرب للاله زهور
فنهاره بالصوم تقوى عابد
والعبد من هدى الصيام وقور
وسنا كتاب الله يجعل ليله
نورا تغنى فى ضياه الحور
ومن الليالى ليلة قدسية
ما مثلها مر الدهور دهور
شهر التجلى والصفاء وكم به
ترقى النفوس إلى العلا وتطير
والروح من آى الكتاب وهديه
شهب من التقوى هناك تدور
شهر التقرب والعبادة والهدى
ومن المآذن يشرق التكبير
شهر أتى النصر المبين بركبه
فى يوم بدر والهدى منشور
شهر الهدى كم خلدته مواقع
الدين فى أفيائها .. منصور
بالأمس توج للشريعة هامها
واليوم حقق للقناة عبور
شهر عليه من العبور قداسة
وعليه من حلل الهداية نور

الشاعر عبد المنعم عبد الله حسن القنى

إنها مصر

الشاعر رشاد محمد يوسف

لن تنالـوا من ارضها أو سماها
لن تنالـوا من حسنها أو بهاهـا
لن تنالـوا من فكرها أو حجاها
لن تنالـوا من عزمهـا أو قـواها
انها مصر والكنانـة اسـم
طـاب من قالـه ومن اسماهـا
فى حمى الله مذ خلق الكـون
يحمى ربـوعهـا وثـراهـا
اسمها دفقه الضياء شذا العطر
نشيد السـلام بين فضاهـا
نيلها شاعـر الضفاف يغنى
ساعيا بالنماء بين رباها
شمسها ساحة الضياء أرونى
اين فى الكون شمسـها أو ضحاها
ارضهـا الخصب والنمـاء نعيم
دائم من قطـوفهـا وخباهـا
ليلهـا السحر والكـواكب فيه
شرفـات الضيـاء عبر دجاها
شعبها صانع الحضارة والعلم
والثقافـات نمقتهـا يداهـا
لن تنالوا من شعبها فهو طود
شامخ الهام كبرياء وجـاهـا

***

انهـا مصر والحضـارة طفل
لقنتـه علـومهـا ولغاهـا
فسما الكون بالمعارف والفن
عارفـاً بفضلهـا وهداهـا
انها مصر ما استكانت لضيم
أو أذلت لدى الخطوب جباها

كم على أرضها توالت جيوش
وغزاة بخيلهـا تتبـاهى
ثم عادت والخزى ترفـل فيـه
ودروس فى الحرب لاتنسـاهـا

***

لن تنـالـوا من دينها فهـو حق
ويقين بفـكرهـا وحجـاهـا
عرفت ربهـا قديمـا وعاشت
تحفظ الله فى عميق حشـاهـا
وترى الدين طـاقـة وحيـاة
يشمل النـاس أمنهـا ورخاهـا

***

ايها المـارقـون شلت يمين
تتمنى تخـريبها أو أذاهـــا
ايها العابثون فى الأرض كفـوا
لا تريقـوا على الطريق دماهـا
احذروا سـارق الضيـاء وصدوا
جحفل الشر ان ينال حماها
احذروا سالبى الحقوق وكونوا
اسهم الحق فى صدور عداها
احذروا الدب والذئاب فكل
ينصب الفخ كى ينال رضاها
ايها الخارجون ثوبوا وعودوا
لحياة الأمـان فـوق رباها
انها مصر موطن الحضارات
نبـع العلـوم مهد هـداهـا
صانها الله فى السنين الخوالى
ورعى الله غرسهـا وحماهـا

تفكرت فى مخلوقات الله

فى عظيم قدرته ، فى عميم نعمته ، فى واسع رحمته ، فى إبداع حكمته ، وأرسلت نفسى فى أنوار صفاته العلية وطوقت بأفكارى فيما أبدع من خلق وما أفاض من رزق ، تفكرت فى الملك الذى لايحد ، وفى صنوف من الخلائق لا تعد ، فمن أى هذه الموجودات أتناول الثناء على ربى ؟ !! . . .

إليك أيها القارئ الكريم ما تناجت به الخواطر وهمست به المشاعر !!!

فضيلة الشيخ الصاوى شعلان

بالله إيمانى وفيه رجائى
وإلى علاه ضراعتى ودعائى !!
يا مؤنسى فى وحدتى يامنقذى
فى شدتى باسامعاً لندائى !!
أنا إن دجا ليلى وطال ظلامه
ناديت يارب فكنت ضيائى !!
إن لم يكن بك للعليل دواؤه
منا وفضلاً لم يفز بشفاء !!
إن لم يكن بك للغريب هداية
طال الطريق على الغريب النائى !!
أنا قاصر عن وصف ما أوليتنى
يارب من نعم ومن آلاء !!
أرسلت من فيض السحاب مواردأ
تسق عطاش البيد فى البيداء !!
أودعت فى وطن العروبة طاقة
تحت الثرى تحوى كنوز ثراء !!
وجعلت من سمك البحار موائداً
للطير وهى تجوب فى الأجواء !!
يارب كم لك من أياد جمة
جلت مواهبها عن الإحصاء !!
تهدى الجنين الرزق خلف حجابه
والنمل تحت الصخرة الصماء !!
حولت فى الجنات وحشة آدم
للبشر والايناس من حواء !!
وصفا لأم الأمهات نعيمها
وعروس جنتها أبو الآباء !!

أسكنت نوحاً فى السفينة آمناً
ونصرته بالماء فوق الماء !!
وضمنت فى نار الخليل سلامة
وكأنه فى روضة غناء !!
وحفظت خير الأنبياء محمداً
فى غار ثور بعد غار حراء !!
يجرى الإله عجائباً فى خلقه
فيقيم حصناً من خيوط هباء !!
تحمى بخيط العنكبوت بيته
ويقيه كيد أقارب أعداء !!
هو آخر فى المرسلين ببعثه
هو أول فى الرتبة العلياء !!
لك رحمة فى كل ماقدرته
لك حكمة غابت عن الحكماء !!
وكأن غاية علمنا صارت جهلنا بحقائق الأشياء !!
فقرى إليك أعده كنز الغنا
وأرى حياة العز فى استغنائى !!
ماذا يؤمل عاجز فى عاجز
أو يصنع الضعفاء للضعفاء ؟!
شهدت يدى بالفضل منك وإنها
بسواك ما مدت لنيل رجاء !!
من ذا يوفى شكر فضلك حقه
بجزيل حمد أو جميل ثناء ؟!
سبحت باسم علاك يارب ولو
سكت اللسان لسبحت أعضائى

الطب في الإسلام

الطب الوقائى بين الهدى النبوى ونظريات الطب الحديثة

الدكتورة
ابتسام عبد الحليم

قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى أحد أحاديثه :

(من أحب أن يكثر الله خير بينه فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رفع) .

صدق رسول الله فبهذه الكلمات الوجيزة رسم - ﷺ - **الطريق السليم من أجل حياة راقية ينعم فيها المسلم بالصحة والعافية وذلك لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ولأنه بقوته سيعز دين الاسلام ويحمل لواءه .**

وقد قمت بمشيئة الله - سبحانه وتعالى - ببيان مقدار ما قد يصاب به المسلم من أمراض من جراء عدم اتباعه للإجراءات الوقائية البسيطة وهى عدم غسل الأيدى قبل الأكل وبعده وذلك فى الأعداد السابعة من مجلة (منبر الاسلام) الغراء فى مقالات تحمل ، نفس هذا العنوان (الطب الوقائى بين الهدى النبوى ونظريات الطب الحديثة) . وبينا بعون الله سبحانه وتعالى - أنه قد يصاب بالطفيليات ومنها :

أولاً : الأكسيورس (الديدان الدبوسية) .

ثانياً : الإنتاميبا هيستولوتيكا (المسببه لمرض الدوسنتاريا الأميبية) .

ثالثاً : الهيمينوليبس نانا .

أو قد يصاب بالبكتريا ومنها :

أولاً : الشيجيلا بأنواعها (المسببة لمرض الدوستناريا الباسيلية) .

ثانياً : الڤيبريو كوليرا (المسببة لمرض الكوليرا) .

ثالثاً : السالموبيلا تيفورا (المسببة لمرض الحمى التيفودية) .

رابعاً : السالمونيلا باراتيفوزا (المسببة لمرض الباراتيفود) .

خامساً : بعض أنواع البكتريا المسببة لمرض التسمم الغذائى .

ويأتى بنا الأمر إلى التحدث عن الفيروثات التى قد يصاب بها المسلم إذا لم يتبع الإجراءات الوقائية وهما :

أولا : الفيروس المسبب لمرض الإلتهاب الكبدى المعدى الحاد .

ثانياً : الفيروس المسبب لمرض شلل الأطفال :

وعند التحدث عن مرض الإلتهاب الكبدى المعدى الحاد ، نجد أنه يعرف إكلنيكيا بأنه من الأمراض المعدية الشائعة ويتميز بالإرتفاع فى درجة الحرارة مصاحباً (باليرقان) مرض الصفراء وفترة حضانة الڤيروس تكون طويلة ولكن نسبة الوفيات قليلة وينشأ المرض عن طريق العدوى (بڤيروس) يخرج من براز المريض ويسبب العدوى للسليم عن طريق بلعه مع الطعام إذا أهمل غسل يديه قبل الأكل .

وقد تكون العدوى بواسطة الملامسة المباشرة للمصابين فى فترة الحضانة أو فى أثناء المرض أو من حاملى الميكروب الذين يظهرون كأنهم أصحاء . وفى المناطق الوبائية يعتبر الماء واللبن مصدرين

أساسيين للعدوى . ويكثر حدوث المرض بين الأطفال فى وقت السلم . وبين البالغين فى وقت الحرب .

فترة الحضانة : ١٥ - ٣٥ يوم .

التغير المرضى :

يحدث إلتهاب حاد بالإثنى عشر (الجزء الأول من الأمعاء الدقيقة) مما يسبب انسداد القناة المرارية عند (الأمبولافارتر) ويؤثر المرض على كل أجزاء الجسم ومنه القناة الهضمية والقلب والبنكرياس ويحدث التغير المرضى الأساسى فى الكبد فيحدث ضمور وموت عند مراكز فصوص الكبد أما الأنسجة الشبكية التى حول الخلايا فإنها لا تتأثر وهذا مما يسمح بعودة بناء خلايا الكبد إلى ما كانت عليه عند الشفاء .

ويحدث انتفاخ فى الخلايا ويكثر وجود خلايا الإلتهاب مما يؤدى إلى الضغط على القنوات المرارية الصغيرة التى توجد بداخل الكبد القنوات المرارية الكبيرة التى بداخل الفص فيحدث اليرقان الكبدى

الأعراض والمشاهدات :

فى الحالة المتوسطة الشدة يحدث مقدمات للمرض تسبق حدوث اليرقان بفترة تتراوح بين أيام قلائل الى حوالى أسبوعين مثل ، الرعشة - الصداع - التوعك - ثم تظهر أعراض بالجهاز الهضمى مثل فقدان الشهية للطعام والغثيان والقىء وقد يصحب ذلك إسهال .

وتحدث آلام شديدة فى الجزء الأعلى من البطن وهى ليست مغصاً ويكون سببها شد البريتون على الكبد المتضخم وتكون **أعراض المرض قليلة فى البدء فتحدث آلام عند ضغط الطبيب عل الكبد مع أنه لا يكون محسوساً وقد يحس المريض بالألم عند ضغط الطبيب على الغدد اللمفاوية التى تكون متضخمة كما يحدث تضخم بالطحال . وفى الأماكن الوبائية تحدث أعراض ومشاهدات العدوى الحادة بأعلى الجهاز التنفسى . وتوجد أملاح الصفراء فى البول ويحدث اصفرار الملتحمة (بالعين) وهى تبين حدوث اليرقان وعندما يحدث انسداد للقنوات المرارية فإن اليرقان يكون أعمق ويصبح البراز باهت اللون ويصبح لون البول داكناً مثل (الكوكاكولا) كما يحدث تضخم بالكبد . وفى هذا الوقت تتحسن الشهية للطعام وتقل حدة أعراض إصابة الجهاز الهضمى .**

وبعد وقت مختلف من حالة إلى أخرى وفى العادة عدة أسابيع نجد أن حالات كثيرة ترجع إلى طبيعتها ونجد شفاء لحالة اليرقان ويقل تضخم الطحال .

وقد وجدت حالات الأن لا يوجد بها يرقان .

وقد وجدت حالات لا توجد بها أعراض ولكنها تشخص فقط بواسطة التحاليل الكيماوية العضوية لوظائف الكبد .

تقدم المرض :

يحدث الشفاء التام فى معظم الحالات فى خلال ٣ - ٦ أسابيع وتكون نسبة الوفيات فى الأطفال والبالغين حوالى ٢ و٪

وقد تحدث نكسة للمرض فى عدد قليل من المرضى فى أواخر فترة النقاهة وفى هذه الحالة نجد أن الأعراض والمشاهدات ترجع إلى ما كانت عليه ثم لا تلبث أن يحدث شفاء تاما .

التحليل المعملى :

يحتوى البول على كثير من أملاح الصفراء (اليورو بلينوجين) فى المراحل الأولى من الإلتهاب الكبدى المعدى قبل ظهور اليرقان . ويكثر وجود (اليورو بلينوجين) فى البول عندما يحدث اليرقان ولو حدث انسداد كامل فى القنوات المرارية داخل الكبد يحدث اختفاء (اليوربلينوجين) مؤقتا من البول ويظهر (البيليروبين) كما يوجد البروتين فى البول . وتزيد كمية (البيليروبين) فى الدم وتكون عدد كريات الدم البيضاء إما عادية أو أقل من العادية عند عدم حدوث مضاعفات . وقد يحدث زيادة فى عدد اللمفوسيت) من الكريات البيضاء من الدم ويعتبر ذلك ذات قيمة تشخيصية عالية .

العلاج :

لا يوجد علاج نوعى للإلتهاب الكبدى المعدى ولا يتأثر المرض بواسطة استعمال المضادات الحيوية وتحدث العدوى بسهولة فى المراحل الأولى من المرض قبل حدوث اليرقان والعزل ليس ضروريا فى حالة الإلتهاب الكبدى المعدى ولكن الإجراءات الوقائية العادية التى تمنع حدوث إنتشار المرض يجب اتباعها مثل غسل اليدين قبل الأكل ويشمل العلاج :

أولا : الراحة التامة بالفراش حتى تقل الأعراض ويقل تضخم الكبد ويقل الألم

ثانيا : الأدوية :

يستحب عدم استخدام الأدوية التى لا تتكسر بالكبد لأنها سامة بالنسبة للكبد ومن أمثلتها المورفين والباربيتيورات .

ثالثا : التغذية :

وفى الحالات الخفيفة والمتوسطة يجب إعطاء غذاء يحتوى على ثلاثة آلاف سعر من بداية المرض إلى الشفاء ويشمل الغذاء شراب الفاكهة والجلوكوز ويجب إعطاء الغذاء ذو القيمة البيولوجية العالية مثل البروتين بأسرع الامكان وعند حدوث عدم الشفاء من المرض لعدة شهور فإن الطعام يجب أن يستمر على ما عليه فى الحالات الشديدة :

يجب الابتعاد عن الأغذية التى تحتوى على النيتروجين مثل البروتين حتى تمنع حدوث غيبوبة الكبد . اعطاء الجلوكوز أو اللاكتوز بواسطة أنبوبة المعدة أو الجلوكوز والفركتوز بواسطة الوريد . ويفضل استعمال الفركتوز لأن من السهل أكسدته بواسطة الكبد ولا تحدث منه جلطه وتكون كمية السكر حوالى ٣٠٠ جم فى اليوم وتعطى محاليل حسب احتياجات الجسم ويجب اعطاء فيتامين ب المركب مع فيتامين ج وإعطاء أملاح

البقية ص ١٤٤

اتحاد الإذاعة والتليفزيون

شركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات

شركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات

SONO CAIRO A. V.

يسرها أن تقدم

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك

- المصحف المجود والمرتل على اسطوانات وشرائط كاسيت للشيخ عبد الباسط عبد الصمد
- المصحف المجود كاملاً على اسطوانات ٣٣ ١/٣ لفة للشيخ محمود خليل الحصري (شيخ المقارئ المصرية)

عبد الباسط عبد الصمد

محمود الحصري

- تسجيلات بصوت الشيخ .. محمد رفعت
- تسجيلات للشيخ ...... محمود علي البنا
- تسجيلات للشيخ ...... محمد محمود الطبلاوي

محمد رفعت

محمود علي البنا

تسجيلات لأحب الأصوات من الابتهالات والتواشيح الدينية ..

• الشيخ سيد النقشبندي :

في حبك ربي تنفاني - يارب العزة لبيك

مولاي - ذكرى بدر .. الخ ...

• الشيخ طه الفشني :

ميلاد طه - يا أيها المختار ... اسطوانات وكاسيت

السيد النقشبندي

طه الفشني

محمد محمود الطبلاوي

يباع بفروع الشركة وجميع محلات بيع الاسطوانات

شخصيات إسلامية

من حياة الأنبياء والرسل

أيوب

عليه السلام

كما كان شعيب عليه السلام يتصل زمنه بزمن ابراهيم واسماعيل وأسحاق ويعقوب ولوط، وتقترب بيئته من بيئتهم، كذلك كان أيوب عليه السلام يتصل بهؤلاء الأنبياء زمنا ويقترب بيئة ويختلف الاخباريون وأصحاب السير فى أيهما كان أسبق: شعيب أم أيوب؟ فيقول بعضهم ان أيوب عليه السلام جاء سابقا، ويأخذ بهذا الرأى الطبرى والمسعودى، ويقول آخرون: ان شعيبا عليه السلام هو الذى جاء سابقا، وإلى هذا الرأى يذهب ابن عساكر.

وهذا الاختلاف الذى مر بك فى نسب شعيب نجد مثله فى نسب أيوب، فمنهم من يرفعه إلى ابراهيم عليه السلام مع تباين فى سرد الآباء، فيجعله بعضهم أيوب بن موص ابن رزاح بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم، كما يجعله بعض آخر: أيوب بن موص بن رعويل بن العيص ابن اسحاق بن ابراهيم.

الأستاذ ابراهيم الابيارى

ومنهم من يقول، كما قيل عن شعيب: ان أباه كان ممن آمن بابراهيم عليه السلام وخرج معه بعد أن نجاه الله من النار التى أعدها قوم ابراهيم له لاحراقه، وان هذا الأب تزوج بنتا للوط عليه السلام ولدت له أيوب عليه السلام، فأيوب وشعيب على هذا ابنا خالة.

وحجة القائلين بالرأى الأول، أى أن أيوب من نسل ابراهيم، هى فى حملهم الضمير فى (ذريته) من قوله تعالى «**وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم. ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين. واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين**» (الأنعام: ٨٤ ـ ٨٦، على أن الضمير لابراهيم لا لنوح، فيقول ابن كثير: وعود الضمير إلى نوح، لأنه أقرب المذكورين، ظاهر، وهو اختيار ابن جرير ولا أشكال عليه، وعوده إلى ابراهيم، لأنه الذى سيق الكلام من أجله، حسن. لكن يشكل على ذلك لوط، فإنه ليس من ذرية ابراهيم، بل هو ابن أخيه، اللهم الا أن يقال: انه دخل فى الذرية تغليبا.

هذا ما يقوله ابن كثير فى تفسيره. ويقول فى تاريخه: والمشهور أنه ـ يعنى أيوب ـ من ذرية ابراهيم، فالصحيح أن الضمير فى قوله تعالى (ومن ذريته) عائد على ابراهيم دون نوح عليهما السلام، وأنه من سلالة العيص أبن اسحاق. وكان أيوب نبيا مرسلا، وفى هذه الآية الكريمة ما ينص على أنه من الموحى اليهم، يقول تعالى «**إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب**» النساء:

ومن البثنة، أو البثنية، كان أيوب. والبثنة ناحية من نواحى دمشق. وقيل: هى قرية بين دمشق وأذرعات. كما كان منزله ببلدة نوى، وهى من أعمال حوران، وبينها وبين دمشق مرحلتان وبدير أيوب، وهى قرية بحوران، كان ابتلاء الله له، وبها ـ أى بدير أيوب ـ العين التى ركضها أيوب برجله، وذلك حيث يقول تعالى «**اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب**» كما يقال ان بدير أيوب أيضا كانت الصخرة التى قعد عليها، وكذا كان بدير أيوب قبره.

كما يقال: انه إلى الفاخرة ـ وهى اسم لبخارى بما وراء النهر ـ كان مبعثه، وان علة تسميتها كذلك كما يقول ياقوت: أنه دعى لها بالخير فصارت بذلك فاخرة على غيرها.

ويقول المسعودى: ومسجده والعين التى اغتسل منها فى وقتنا هذا، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، مشهوران ببلاد نوى والجولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الأردن. وهذا المسجد والعين على ثلاثة أميال من مدينة نوى. والحجر الذى كان يأوى اليه فى حال بلائه هو وزوجته فى ذلك المسجد إلى هذا الوقت.

ولا يزال إلى اليوم حمام يسمى: حمام أيوب، ومقام يسمى: مقام الشيخ سعد، وكان من قبل يسمى: مقام أيوب.

وقد جاء فى تاريخ بيت المقدس لمجير الدين (٢: ١٣٠) ذكر لبئر تسمى: بئر أيوب، يقال انها عين تفوح، التى جاء ذكرها فى التوراة (سفر يشوع: ١٧: ٧)

غير أن سليجسون فى كلمته عن أيوب، فى دائرة المعارف الإسلامية، يذهب إلى تلك الصخرة، التى تعرف بصخرة أيوب هى أثر مصرى يرجع إلى عهد رمسيس الثانى.

هذا عن زمن أيوب وعن بيئته وعلى أية رواية من الروايتين فى نسبة اعتمدنا، كان زمنه قريباً أو متصلا بزمن من ذكرنا من الأنبياء قبل ثم انه من هذا التعريف ببيئته نشأة ومنزلا ومقاما ومبعثا، نجد أنه لم يبعد أيضا عن بيئة من سبقوه من هؤلاء الأنبياء المرسلين.

والمؤرخون والاخباريون والمفسرون يفيضون فى الحديث عن أيوب ، وهم مجمعون على أنه كان كثير المال والولد .

تقول التوراة : وولد له سبعة بنين وثلاث بنات . وكانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم وثلاثة آلاف جمل وخمسمائة فدان بقر وخمسمائة أتان وخدمه كثير جدا . وكان هذا الرجل أعظم كل بنى المشرق (سفر أيوب : الاصحاح الأول : ١ ـ ٤)

وكان ان ابتلاه الله فى ذلك كله ، واذا هو قد فقد ما يملك وفقد مع ما يملك بنيه وبناته ، وتسوق التوراة تفصيل ذلك فتقول : وكان ذات يوم وابناؤه وبناته يأكلون ويشربون فى بيت اخيهم الأكبر . أن رسولا جاء إلى أيوب وقال : البقر كانت تحرث الأرض والأتن ترعى بجانبها فسقط عليها السبئيون واخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف ونجوت انا وحدى لاخبرك . وبينما هو يتكلم اذ جاء آخر وقال : نار الله سقطت من السماء فأحرقت الغنم والغلمان وأكلتهم ونجوت انا وحدى لاخبرك . وبينما هو يتكلم اذ جاء آخر وقال : بنوك وبناتك كانوا يأكلون ويشربون ، فى بيت اخيهم الأكبر واذا ريح شديدة جاءت من عبر القفر وصدمت زوايا البيت الأربع فسقط على الغلمان فماتوا ونجوت انا وحدى لاخبرك . (سفر ايوب : ١ : ١٣ ـ ٢٠)

ثم كان بعد هذا الابتلاء فى المال والبنين ابتلاء اشد وأقوى ، فلقد كان هذا الابتلاء الثانى ابتلاء فى البدن ، وما أهون على المرء أن يفقد ماله ويسلم له بدنه . وهذا الابتلاء الثانى يذهب فى تصويره الاخباريون مذاهب مختلفة تنتهى كلها إلى أنه كان بلاء عظيما لم يسلم منه عضو من أعضاء جسد أيوب ، حتى عافه الجليس واستوحش منه الانيس

ويمعنون فيقولون : ان تلك الحال التى انتهى اليها ايوب جعلت أهل بلده يخرجونه ويلقونه على مزبلة خارجها . ولم يبق على رعايته من أهله غير زوجته دينا ، ابنه يعقوب ، فقد ظلت وفيه له تخدم الناس بالأجر لتحصل على ما يقيم حالها ولعل هذا الوصف مرده إلى التوراة حيث تقول : وضرب أى الشيطان ـ أيوب بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته . فأخذ لنفسه شقفه ليحتك بها وهو جالس وسط الرماد . (سفر ايوب : ٢ : ٧ ـ ٨)

والتوراة حين تذكر هذا البلاء وذاك ، اعنى بلاء ايوب فى ماله ثم بلاءه فى بدنه ، تسوقه على انه محاولة من الشيطان فى أغواء ايوب ، والخروج به عن طريقه السوى من صلاح وتقوى . ولقد كانت السماء على علم بما يحمله ايوب من قلب سليم ، وكان الشيطان يحسب ان بقاء هذا القلب سليما ببقاء تلك النعم التى أغدقها الله على أيوب ، فكانت هذه المحاولة من الشيطان التى تفصلها التوراة فتقول : وكان ذات يوم انه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان ايضا فى وسطهم . فقال الرب للشيطان : من أين جئت . فأجاب الشيطان الرب وقال : من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها . فقال الرب للشيطان : هل جعلت قلبك على عبدى ايوب لأنه ليس مثله فى الأرض رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر . فأجاب الشيطان الرب فقال : هل مجانا يتقى الله أيوب . أليس أنك سيجت حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية . باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه فى الأرض . ولكن ابسط يدك الآن ومس كل ما له فانه فى وجهك يجدف عليك . فقال الرب للشيطان : هو ذا كل ماله فى يديك وانما اليه لا تمد يدك . (سفر ايوب . الاصحاح الأول : ٦ ـ ١٢)

هذا عن الابتلاء الأول ، أما عن الابتلاء الثانى فتقول التوراة : وكان ذات يوم انه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم ليمثل أمام الرب . فقال الرب للشيطان : من أين جئت . فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان فى الأرض والتمشى فيها . فقال الرب للشيطان : هل جعلت قلبك على عبدى ايوب . لأنه ليس مثله فى الأرض رجل كامل مستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر . وإلى الآن هو يتمسك بكماله وقد هيجتنى عليه لأبتليه بلا سبب . فأجاب الشيطان الرب وقال : جلد بجلد وكل ما للانسان يعطيه لأجل نفسه . ولكن أبسط الآن يدك ومس عظمه ولحمه فانه فى وجهك يجدف عليك . فقال الرب للشيطان : ها هو فى يديك ولكن احفظ نفسه . (سفر ايوب ، الاصحاح الثانى : ١ ـ ٦)

ثم مضت التوراة تسوق ما قدمناه قبل من ضرب الشيطان ايوب بقرح

وكما صبر أيوب للابتلاء الأول صبر للابتلاء الثانى . فاذا الشر ينهزم واذا الخير ينتصر ، واذا ايوب قد خرج من الابتلاءين أقوى نفسا وأقوى إيمانا ، واذا هو قد تهيأ لما اراده الله له من نبوة ورسالة .

وبمثل ما ابتلى الله أيوب ابتلى غيره من الأنبياء ، على اختلاف فى ذلك الابتلاء ، ليصهر نفوسهم ويطهرها ، ثم ليكون للناس من حول الرسل فيما يشاهدون من صبر على الابتلاء قدوة ، هذا إلى ما يحمل هذا الابتلاء فى طياته من شبه ارهاص بالنبوة والرسالة . فايوب حين فقد المال ، وكان كثيرا ، كان صبره على ذلك الفقد وبقاؤه على ولائه لربه مما يزيد الناس له توقيرا ويجمعهم حوله ، وهو حين فقد أهله أجمع وما تزعزت نفسه ولا وجل قلبه كان المثل الأعلى للرجل الجلد الذى سمت روحه عن الماديات واتصلت بالعلويات ، وهو حين أصيب فى جسمه على هذا النحو الذى تصفه التوراة ويصفه المؤرخون ولم يسؤ ظنه بربه دلنا على أنه قريب من تلك الصفوة التى يختارها الله لرسالته . وهكذا كان هذا الابتلاء وذاك لاعداد هذه النفس لاعباء الرسالة أولا ، وما أشق الرسالات وما أشق تبعاتها . ولم تكن السماء تريد هذا اختبارا لمن قر فى علمها السابق صلاحه ، ولكنها كانت تريده حجة لها على الناس لتهيىء نفوسهم بإيمان مسبق بكمال هذا الذى سيبعث بعد ، حتى اذا ما بعث كان علمهم السابق عنه كفيلا بجمعهم على دعوته ، لذا كان هذا الابتلاء وذاك من الإرهاصات التى تسبق الرسالات ، نعنى أن أيوب فيما لقى من هذين الابتلاءين كان يهيأ لنبوة ورسالة ، ولم يكن قد حمل الرسالة بعد ، فما كان لرسول أن يصاب بمثل ما أصيب به أيوب من مرض لبث به أعواما لم تكن قليلة ، ثم لقد كان مرضا ينفر الناس منه ، وقد مرت الإشارة إلى ذلك .

وهذا التفصيل الذى ذكرته التوراة أجمله القرآن الكريم فى هذه الآيات القليلة . يقول تعالى (**واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب**) ، ويقول تعالى (**وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين**) الأنبياء :

ولتكلل السماء هذا الابتلاء بمعانيه كلها بما فيه الحجة القاطعة على أنها قد اختارت أيوب رسولا استجابت له فيما دعا ، فاذا هى تكشف عنه ضره ، واذا هى ترد اليه ما فقد من أهله وتعوضه عنهم بخلف آخر وتزيد عليهم مثلهم ، وذلك حيث يقول تعالى (**فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين**) الأنبياء :

وفى هذه الاستجابة ما يكاد يكون معجزة لأيوب باده بها قومه وطالعهم ، ولعل ما جاء فى القرآن الكريم عن تفصيل لتلك الطريقة التى برئ بها أيوب ، ما يشعرنا بأن ذلك البرء كان من صنع السماء ، ثم ان وقوعه استجابة لأيوب حين دعاه دليل على أن ذلك كان من المعجزات التى أيد الله بها رسوله يقول تعالى (أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) .

فلقد ركض أيوب الأرض برجله عن أمر ربه فاذا ثمة عين اغتسل فيها فبرىء ، وإذا ثم عين كان منها شرابه .

هذه هى المعجزة التى باده بها أيوب قومه وزكاه بها ربه ، بعد تلك الارهاصات التى سبقت ثم كان ما كان من انعام الله عليه بالخلف الصالح الكثير الذى عوضه به عما فقده من بنيه وما قصدت السماء إلى هذا لذاته ، ولكنها قصدت اليه لتلفت الناس إلى أن الله لا يضيع أجر عامل فى الدنيا ولا فى الآخرة ولتؤذن الناس بأن الله معوض كلا عما فقد أيا كان هذا المفقود ما دام هذا الفقد فى سبيل الله .

عيسى عليه السلام

رسول الله وكلمته

الأستاذ محمود معوض

نشأ عيسى عليه السلام رسول الله وكلمته مع أترابه، وبدت عليه أمارات الفطانة ودلائل النبوة فقد نهج منهج أولى العزم، وسلك مسلك الكرماء، يستمع فى يقظة ويصغى فى اهتمام إلى كل ما يثار حوله ثم رحل مع أمه مريم العذراء إلى بيت المقدس وقد قارب الثانية عشرة من عمره، فلم يؤثر فى سلوكه زخارف المدينة، وعاش فى بيئة معنية بالدين، حريصة على تفهم أسراره وأحب مجالس العلماء ومناقشاتهم يكشف عن الحقائق العلمية ويبدى ما يرى فى ثبات ويقين، فضاقت به صدور أعدائه من الحانقين على رسالته وهو جاد، فى طريقه لايلوى على شىء ولما بلغ الثلاثين من عمره صعد إلى جبل الزيتون مع أمه وبينما هو يصلى فى الظهيرة اذا بالنور يحيط به، والملائكة من حوله، فقدم إليه جبريل الأمين عليه السلام كتابا كريما هو نور الهدى بعث به الله اليه، فعلم أنه نبى مرسل وأنبأ أمه بذلك...

بدأت بذلك رسالته وبدت نبوته، وكان بنو اسرائيل قد حرفوا الشريعة وانغمسوا فى الرزيلة،، وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وجاوزوا الحد فى إخراج التوراة عن روحها، فحرموا على أنفسهم عمل الخير يوم السبت لأنه يوم عطلة لا ينبغى أن يكون فيه عمل. وكانوا بتلك الحجة الباطلة قد أبعدوا أنفسهم عن كثير من الطاعات التى تقربهم إلى الله زلفى.

طالبوه بما يؤيد دعوته ويثبت رسالته فأظهر الله معجزاته على يده لتخرس ألسنتهم يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله... ومع ذلك فقد تمادى بنو اسرائيل فى غيهم، واستمروا فى طغيانهم واعتبروه ساحرا، على أن بينهم من استمع لكلمته واستجاب لدعوته، فانبرى الكهنة الحانقون للخلاص منه والقضاء عليه ولكن الله حفظه ورعاه.

« ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين »

وكان من خير ما جاء به المسيح عيسى ابن مريم البشارة باقتراب الشريعة الألهية التى يرسل بها النبى الأمين. واستمر الكهنة فى محاولة الغدر بالمسيح مستعينين بذوى الجاه، وهو لايحفل بهم، ولما أعياهم أمره لم يجدوا غير التدبير لاغتياله ـ وقد أعماهم الجهل بالدين ـ فاجتمعوا فى بيت المقدس ينثرون آراءهم ليتخلصوا منه، ورجال السلطان يبذلون كل جهد للبحث عنه وهو يعلم ما يدبرونه له.

ولما جن الليل انقض الكهنة وذوو السلطان على عيسى وتلاميذه، فأنقذه الله من بين أيديهم وأنجاه وفتح عيونهم على رجل شديد الشبه به، ذلكم هو يهوذا الذى دلهم عليه فلم يشكوا فى الأمر فقبضوا عليه وعقد الله لسانه واستسلم فأخذ وصلب وقتل وقد فرحوا به بعد أن زعموا أنهم صلبوا وقتلوا عيسى عليه السلام، وما علموا أن الله قد رد كيد الخائن فى نحره وجازاه على خيانته ومكره جزاء وفاقا.

يقول الله تعالى: « **اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم إلىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** »

ويقول سبحانه وتعالى « **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه. مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما** »

بقية مقال « الطب الوقائى »

البوتاسيوم يجب إعطا النيوميسين ويجب تفريغ محتويات الأمعاء بواسطة الحقنة الشرجية وذلك لمنع بكتريا الأمعاء (الفلورا) من فرز المركبات النيتروجينية إعطاء الكورتيكو ستيرويد فى الحالات الشديدة من فشل وظائف الكبد يحسن حالة المريض ويصبح قادرا على تناول الطعام كما أنه يحسن من حالة اليقظة وبعد التحسن فإن البروتين يجب أن يوجد بالطعام ويبدأ بواسطة ٢٥ جم فى اليوم ولكن إذا حدث للمريض غيبوبة الكبد فإنه لا يقدر على أكل أكثر من ٥ جم بروتين فى اليوم. للحديث بقية بإذن الله تعالى.

الحسن ابن علي

رضي الله عنه

ألقابه رضي الله عنه
الامام الحسن سيد وسبط

يلقب رضى الله عنه بألقاب كثيرة ، وهى : التقى ، والطيب ، والزكى ، والولى ، والسبط ، والسيد ، وأمير المؤمنين ، والحجة والزاهد والمجتبى ، وأشهرها السبط ، وأعلاها السيد ، ومن كناه أبو محمد وأبو القاسم .

فقد روى البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن على معه ، وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول : « ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وسنعود الى هذا الحديث الكريم بالتفصيل فيما بعد ، وكذلك السبط .

ويكنى رضى الله عنه بأبى محمد ، كناه بذلك رسول الله ﷺ . وفى أسد الغابة : أن الكنية هى أن تصدر بأب أو أم ، وهى من سنن الولادة ، فعن الامام محمد الباقر عليه السلام : « انا لنكنى أولادنا فى صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم » .

الأستاذ توفيق أبو علم

انه سيد شباب أهل الجنة ، وأحد الاثنين الذين انحصرت ذرية رسول الله ﷺ فيهما ، وأحد الأربعة الذين باهل بهم النبى ﷺ نصارى نجران ، وأحد الخمسة « أصحاب الكساء » وهو أحد المطهرين من الرجس فى الكتاب ، وأحد الذين جعل الله مودتهم أجرا للرسالة ، وجعلهم رسول الله ﷺ أحد الثقلين الذين لا يضل من تمسك بهما ، وهو ريحانة رسول الله ﷺ ، وحبيبه الذى يحبه ويدعو الله أن يحب من أحبه .

وكانت ملامحه تحاكى جده الرسول ، ووصفه وأصفوه فقالوا : « **لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن على عليه السلام خلقا وخلقا وهيأة وهديا وسؤددا** » .

وعن الغزالى فى الاحياء أن النبى ﷺ قال للحسن رضى الله عنه : **أشبهت خَلقى وخُلقى** . وعن أنس بن مالك قال : « **لم يكن أحد أشبه بالنبى من الحسن بن على** » . وعن على رضى الله عنه أنه قال : « **الحسن أشبه برسول الله ما بين الصدر الى الرأس ، والحسين أشبه بالنبى ﷺ ما كان أسفل من ذلك** » . وفى الاصابة عن البهى قال : **تذاكرنا من أشبه النبى ﷺ من أهله ، فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال : أنا أحدثكم بأشبه أهله به وأحبهم اليه الحسن بن على** » .

ولكن ينافى ذلك ما حكى عن الزهراء رضى الله عنها أنها كانت ترقص الحسن عليه السلام وتقول :

أشبه أباك ياحسن ... **واخلع عن الحق الرسن**
وأعبد الها ذا منن ... **ولا توال ذا الإحن**

وقالت للحسين :

أنت شبيه بأبى ... **لست شبيها بعلى**

وروى البخارى عن عقبة بن الحارث قال : « **صلى بنا أبو بكر العصر ، ثم خرج فرأى الحسن بن على يلعب فأخذه فحمله على عنقه وهو يقول : بأبى شبيه بالنبى وليس شبيها بعلى** » وعلى يضحك .

وكان الحسن أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين « والأدعج شدة فى سواد العين مع سعتها » ذا وفرة « الوفرة : الشعر السائل على الأذنين » عظيم الكراديس سهل الخدين دقيق المسربة ، كث اللحية ، بعيد ما بين المنكبين جعد الشعر ، حسن البدن ، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير مليحا من أحسن الناس وجها يخضب السواد ، وقال ابن سعد : « كان الحسن والحسين يخضبان بالسواد » أو كما قال الشاعر :

مانشبفى قطن الأوهام من حسن ... **إلاوكان له الحظ الخصوصى**
كأن جبهته من تحت طرته ... **بدر يتوجه الليل البهيمى**
قد جل عن طيب أهل الأرض عتبره ... **ومسكه فهو الطيب السماوى**

نشأ الامام الحسن رضى الله عنه فى بيت الوحى وتربى فى مدرسة التوحيد وشاهد جده الرسول ﷺ الذى هو أكمل انسان ضمه هذا الوجود جمع الناس على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، فتأثر السبط بذلك وانطلق يسلك خطى جده فى نصح الناس وإرشادهم ، فقد اجتاز مع أخيه سيد الشهداء رضى الله عنه وهما فى دور الطفولة على شيخ لا يحسن الوضوء ، فلم يدعهما السمو فى النفس وحب الخير للناس أن يتركا الشيخ على حاله لا يحسن وضوءه فأحدثا نزاعا صوريا أمامه ، وجعل كل منهما يقول للآخر : أنت لا تحسن الوضوء ، والتفتا الى الشيخ بأسلوب هادىء وجعلاه حكما بينهما قائلين له :

« يا شيخ كل واحد منا يتوضأ أمامك وانظر أى الوضوئين أحسن ؟ » فتوضأ أمامه وجعل الشيخ يمعن فى ذلك فتنبه الى قصوره والتفت الى تقصيره من دون أن يأنف وقال لهما : « كلاكما يا سيدى تحسنان الوضوء ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذى لا يحسن ، وقد تعلم الآن منكما وتاب على يديكما » .

وتدل هذه الواقعة على اتجاه الرسول ﷺ الى الهداية بالطرق السليمة والأخلاق الرفيعة ، وقد انطبعت فى ذهن الامام الحسن عليه السلام وهو فى دور الصبا حتى صارت من خصائصه ومن طبائعه ، وبذلك يكون الامام قد تأثر بالبيئة الصالحة التى تكونت من أسرته ومن خيار المسلمين وصلحائهم .

وكان الامام الحسن أعبد الناس فى زمانه وأزهدهم وأفضلهم ، وكان اذا حج حج ماشيا وربما مشى حافيا ، وعن ابن عباس أنه قال : **ما ندمت على شىء فاتنى فى شبابى الا أنى لم أحج ماشيا** . ولقد حج الحسن بن على عليهما السلام خمسا وعشرين حجة ماشيا ، وكان اذا توضأ أو صلى ارتعدت فرائصه واصفر لونه . ولا يرى فى شىء من أحواله الا ذكر الله سبحانه وتعالى ، وكان حليما ورعا فاضلا دعاه ورعه وفضله الى أن ترك الدنيا والملك رغبة فيما عند الله ، وقال : « والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى ويضرنى ان أرلىَ امر امة محمد ﷺ على ان يراق فى ذلك محجمة دم « أو ليس تنازل الامام الحسن عن الخلافة هو الزهد بعينه ، قالوا : « **وكان أعبد الناس فى زمانه وأزهدهم فى الدنيا** » .

وقد كان الامام الحسن يخاف الله ، وقد روى أن رجلا سمعه يناجى ربه ويبكى . فقال له : أتخاف عذاب الله وعندك أسباب النجاة ؟ أين رسول الله وشفاعته ﷺ ، ورحمة الله التى وسعت كل شىء ؟

فقال الامام الحسن : أما أبى ابن رسول الله ، فالله يقول : (**فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم**) .

وأما الشفاعة فهو سبحانه يقول : (**من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه**) .

وأما الرحمة التى وسعت كل شىء فالله يقول (**فسأكتبها للذين يتقون**) .

فكيف الأمان يا أخا العرب ؟

وكان الامام الحسن عذب الروح ، حلو الحديث ، كريم المعاشرة ، حسن الألفة ، محببا الى الناس يحبه أترابه من شباب قريش والأنصار ، لهذه الخصال ويحبه الشيوخ من أنصار النبى ﷺ لهذه الخصال نفسها ولمكانه من الرسول ﷺ ، ويحبه عامة الناس لكل هذا ، ولسخائه وجوده ، ولعل هذه الصفة من الصفات البارزة التى يشترك فيها مع الامام الحسين رضى الله عنه ، فقد كان الامام الحسن يعطى للناس حين يسأل وحين لا يسأل ، وكان يصبح فيصلى الصبح ويجلس فى مكانه حتى اذا ارتفعت الشمس طاف بأمهات المؤمنين زائرا لهن متحدثا اليهن ، يبرهن ويبررنه ويهدى اليهن ويهدين اليه ، ثم يفرغ لبعض شأنه ، فاذا صليت الظهر جلس للناس فى المسجد فأطال الجلوس يسمع منهم ويقول لهم ، يعلم من احتاج منهم للعلم ، ويؤدب من احتاج منهم الى الأدب ويسمع من شيوخ الصحابة من يفيده علما وأدبا .

وكان فى أثناء هذا كله اذا ذكر السلطان أو ذكر السلطان عنده يعرف الخير وينكر الشر فى أرق لفظ وأعذبه ، ولكنه كان يشتد حتى يبلغ القسوة اذا ذكر أبوه بغير ما يحب ، أو لقى من يبغى أباه الغوائل ، أو سعى اليه بمكروه ، وكان بعد هذا كله يحسن كما أحسن الله اليه ولا ينسى نصيبه من الدنيا .

وكان الامام الحسن أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقا ، وكان اذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول : « الهى ضيفك ببابك يا محسن قد أتاك المسىء فتجاوز عن قبيح ما عندى بجميل ما عندك يا كريم » .

وروت زينب بنت أبى رافع قالت : « أتت فاطمة بابنيها الى رسول الله ﷺ فى شكواه التى توفى بها ، فقالت يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئا .

فقال : أما الحسن ، فان له هيبتى وسؤددى ، وأما الحسين فان له جرأتى وجودى » .

وقال الطبرسى فى أعلام الورى : ويصدق هذا الخبر ما رواه محمد بن اسحاق قال : ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله ﷺ ما بلغ الحسن بن على ، كان يبسط له على باب داره ، فاذا خرج وجلس انقطع الطريق فما يمر احد من خلق الله اجلالا له ، فاذا علم قام ودخل بيته فيمر الناس قال الراوى : *ولقد رأيته فى طريق مكة نزل عن راحلته فمشى فما من خلق الله أحد الا نزل ومشى حتى رأيت سعد بن أبى وقاص قد نزل ومشى الى جنبه .*

أما عن شرف النسب فكفى الحسن والحسين أن جدهما محمد المصطفى سيد ولد آدم ﷺ وأباهما على المرتضى ، وأمهما فاطمة البضعة الزهراء سيدة النساء وجدتهما خديجة بنت خويلد وعمهما جعفر وعم أبيهما حمزة أسد الله وأسد الرسول وسيد الشهداء وجدهما أبو طالب ناصر الرسول ﷺ والمدافع عنه والمحتمل الأذى فى سبيله وجد أبيهما عبد المطلب شيبة الحمد وسيد البطحاء ، وجد جدهما هاشم مطعم الحجيج وهاشم الثريد وسيد قريش :

شرف تورث كابرا عن كابر ... كالرمح أنبوبا على أنبوب

خير الفروع فروعهم وأصولهم خير الأصول

الرسول والحسن والحسين :

كان الرسول ﷺ يخاطب الحسن والحسين فيقول : اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ويقول : أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم ويبتهل قائلا اللهم احب من أحبهم وابغض من أبغضهم ، ووال من والاهم وعاد من عاداهم ، وأعن من أعانهم ، واجعلهم مطهرين من كل دنس معصومين من كل ذنب ، ويحق للرسول ﷺ أن يتأثر بما يعرفه عن الطوايا والنوايا نحو آله فيبكيهم أحياء ، لأنه بصفاء نفسه قد انكشف له الغطاء عن أمور صدقها الوحى ، فأجاز لنفسه أن يبكى وقد أقبل عليه الحسن وأن يقول : الىّ الىّ يا بنى - ثم يدينه ويجلسه على فخذه ويعدد ما ينزل بآله من البلاء والتقتيل والتشريد والتنكيل فيذكركم واحدا واحدا ويقول : أما الحسن فانه ابنى وولدى ومنى ، وقرة عينى وضياء قلبى وثمرة فؤادى ، وهو سيد شباب أهل الجنة وحجة الله على الأمة ، أمره أمرى وقوله قولى ، فن تبعه فانه منى ومن عصاه فليس منى ، وانى لما نظرت اليه تذكرت ما يجرى عليه من الذل بعدى - وعند ذلك تبكى الملائكة والسبع الشداد لموته ويبكيه كل شىء وحتى الطير فى كبد السماء والحيتان فى جوف الماء ، فن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون ، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب ، ثم يرفعه على عاتقه ويبعثها صرخة تتردد على الزمن : ان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة والحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا وهما سيدا شباب أهل الجنة .

وقد شرف الامام الحسن جده المصطفى ﷺ ، كما شرف أخاه الامام أبا عبد الله الحسين السبط بأن نسبهما اليه بالبنوه ، وان كانا من صلب على كرم الله وجهه .

روى الترمذى من حديث أسامة بن زيد قال : « طرقت النبى ﷺ فى بعض الحاجة فقال : هذان ابناى وابنا ابنتى ، اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

لذلك يقال لكل من السبطين الحسن والحسين : « يا ابن المصطفى » .

وكانا رضوان الله عليهما يعتزان بأبوته ﷺ ويهتفان به ، فيقول كل منهما له ﷺ « يا ابت » فاذا هتف الحسن بابيه على قال له « يا أبا الحسين » واذا هتف الحسين بأبيه قال له « يا أبا الحسن » فلما انتقل جدهما ﷺ الى الرفيق الأعلى كانا يقولان لأبيهما « يا أبت » .

ومن ذلك نرى ان النبوة التى شرفه بها مولانا الرسول فى قوله الكريم : « أن ابنى هذا سيد » وقوله : « انما هما ابناى وابنا ابنتى ، اللهم انى أحبهما وأحب من يحبهما » أيدها القرآن الكريم ، فى آية المباهلة حيث يقول سبحانه وتعالى : « **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** » .

فقد جاء ﷺ بالحسن والحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلىّ خلفهما وهو يقول لهم : « **ان أنا دعوت فأمنوا** » .

وقد أبى أهل نجران المباهلة خشية أن يصيبهم عذاب الله ورضوا بدفع الجزية .

وروى الطبرانى عن جعفر بن محمد عن ابيه أن النبى ﷺ بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا ، قال : « ولم يبايع صغيرا الا منا » .

ووقف رسول الله بالمسلمين فجاء الحسن وهو ساجد فجلس على ظهره ، فرفعه النبى رفعا رقيقا ، فلما فرغ من الصلاة وضعه فى حجره فكان يدخل أصابعه فى لحيته والرسول ﷺ يضمه ويقبله فى حنان ويقول : اللهم انى أحبه ، ورأى المسلمون ذلك الحب الدافق فقالوا :

- يا رسول الله انا رأيناك تصنع لهذا الصبى شيئا ما رأيناك تصنعه بأحد ؟
- هذا ريحانتى ، وان ابنى هذا سيد ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين .

ونهض النبى وحمل الحسن وسار ، فقابله رجل ، فقال :

البقية ص ١٤٩

من قضاة الإسلام

كعب ابن سور الأزدي

الدكتور فؤاد عبد المنعم

إشترط الخليفة العادل الحازم : عمر بن الخطاب فيمن يقيم أمر الله بالفصل بين الناس ثلاث خصال : لا يصانع ، ولا يضارع (أى يشبه فعله الرياء) ، ولا يتبع المطامع . وقد استبان بالتجربة لعمر رضى الله عنه توافر هذه المواصفات فى كعب فولاه . قضاء البصرة ، وكانت أحكام كعب من دليل صحتها لا يختلف فيها أو عليها . فكانت الشهادة التقديرية من عمر لكعب قوله : « نعم القاضى أنت » .

معالم حياته :

* كعب بن سور بن بكر بن الأزدى ، من قبيلة من أهل اليمن ، لم تشر المصادر والمراجع التى بين أيدينا الى تاريخ ولادته وأن أجمعت أن وفاته كانت فى موقعة الجمل سنة ٣٦ هـ .

* كان كعب مسيحيا فى الجاهلية ، واعتنق الاسلام عن وعى وادراك ـ واقتناع ، فكان من القلة الخيرة المؤمنة من أهل الكتاب الموصوفة من الله بقوله : « **ليسوا سواء . من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ، والله عليم بالمتقين** » (آل عمران : الآيات ١١٣ ـ ١١٥) فقد آمن كعب ايمانا صادقا عميقا ، وكاملا وشاملا وانضم الى الصف المسلم وقام بحراسة دين الإسلام .

* لم تثبت رؤيته للرسول ﷺ ، ولم يرو عنه أى حديث ، وان عاصر كبار الصحابة ، وفقه آيات الأحكام والحديث . وبعد كعب من كبار التابعين .

* مكث فى القضاء اثنى عشر عاما فقد استقضاه عمر قاضيا على البصرة فى سنة ١٨ هـ ، ولم يزل كعب قاضيا لعمر حتى استشهد عمر رضى الله عنه فى عام ٢٣ هـ ، وفى عام ٢٩ هـ ولى عثمان بن عفان ، عبد الله بن عامر على البصرة فأعاد ابن عامر كعبا على القضاء فلم يزل حتى استشهد .

كيف ولى عمر كعبا قضاء البصرة ؟

يحدثنا الشعبى : أن كعب بن سور كان جالسا فجاءت امرأة ، فقالت : يا أمير المؤمنين : ما رأيت رجلا قط أفضل من زوجى انه ليبيت ليله قائما ، ويظل نهاره صائما فى اليوم الحار ما يفطر ، فاستغفر لها وأثنى عليها . وقال : مثلك أثنى الخير ، وقال واستحيت المرأة فقامت راجعة . فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، هلا أعديت المرأة على زوجها ان جاءتك تستعديك ؟ قال : أو ذاك أرادت ؟ قال : نعم فردت ، فقال : لا بأس بالحق أن تقوليه ، ان هذا زعم أنك جئت تشتكين زوجك ، أنه يجتنب فراشك . قالت : أجل انى امرأة شابة ، وانى أتتبع ما يتبع النساء ، فأرسل الى زوجها فجاءه . فقال لكعب : أقض بينهما ، فانك فهمت من أمرها ما لم أفهمه . فقال كعب : أمير المؤمنين أحق أن يقضى بينهما ، فقال : عزمت عليك لتقضين بينهما قال : فانى أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة هى رابعتهن فأقضى له بثلاثة أيام ولياليهن ، يتعبد فيهن ، ولها يوم وليلة (ليس له فيها الا

أداء الفريضة) فقال عمر : والله ما رأيك الأول بأعجب من الآخر ، اذهب فأنت قاض على أهل البصرة .

وفى رواية أخرى طريفة عن المدائنى تتفق معها فى المعنى وتنفرد بأنها تصور حجج الخصوم وأدلتهم بصياغة شعرية . . فالمرأة التى أتت عمر بن الخطاب تثنى على زوجها فقال له كعب بن سور : إنها تشكوه . فقال عمر أقض بينها . فتكلمت المرأة فقالت :

يا أيها القاضى الحكيم رشده — ألهى خليلى عن فراشى مسجده
زهده فى مضجعى تعبده — نهاره وليله ما يرقده
ولست فى أمر النساء أحمده — فاقض القضاء يا كعب لا تردده

فقال الزوج :

انى امرء أذهلنى ماقد نزل — فى سورة النور وفى السبع الطول
زهدنى فى فرشها وفى الحجل — وفى كتاب الله تخويف جلل
فحثها فى ذا على حسن البعل

فقال كعب :

ان أحق القاضين من عقل — ثم قضى بالحق جهدا وفصل
ان لها حقا عليك يابعل — نصيبها من أربع لمن عدل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

كعب يراجع عمر فى قضائه فى عين ماء :

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى : أن صاحب عين أتى عمر ، وعنده كعب ابن سور ، فقال : يا أمير المؤمنين إن لى عينا فا جعل لى خراج ما تسق . فقال : هو لك . فقال كعب : يا أمير المؤمنين ليس ذاك له . قال : ولم ؟ قال : لأنه لا يفيض ماؤه عن أرضه فيسق أرض الناس ، ولو حبس ماءه فى أرضه لغرقت ، فلم ينتفع بمائه ، ولا بأرضه ، فره فليحبس ماءه عن أرض الناس ان كان صادقا . فقال له عمر : أتستطيع أن تحبس ماءك ؟ قال : لا . قال عمر هذه لكعب مع الأولى . ذلك لأن موقف كعب تطبيقا لقاعدة إسلامية كلية « الخراج بالضمان » ومعنى الخراج ما يخرج من الغلة والنتاج والمنفعة ومعنى الضمان ما يصرف من النفقات أو يتحمل من الأضرار .

رفض كعب الهدية لأنها سحت ورشوة :

حدث المدائنى قال : قالت بنت كعب بن سور : ألطفنا بعض الحى بلطف (الهدية) فدخل أبى فرآه فأدنيناه اليه ، فأكل ثم قال : من أين هذا لكم ؟ قلنا له : أهداه لنا فلان فتقيأه . لأن الهدية اذا دخلت بيت القاضى دفعت الى الطمع منه والشبهة فيه ، فقد كانت تعاليم عمر بن الخطاب إلى عماله - من جراء تجربته - أن الهدايا هى الرشا فقد روى لنا الشعبى أن رجلا كان يهدى إلى عمر بن الخطاب كل عام رجل جزور (صغير الناقة) خاصم اليه يوما ، فقال يا أمير المؤمنين : اقض بيننا قضاء فصلا كما يفصل الرجل من سائر الجزور ، فشعر عمر بثقل هذا القول وأثره على نفس القاضى الذى قد يحيد به عن وجه الحق فى الدعوى ، وقد قضى على الرجل لأن الحق لم يكن معه ، وكتب الى عماله : **ألا ان الهدايا هى الرشا فلا تقبلن من أحد هدية . انه تطبيق حى من كعب لتعاليم ولى الأمر العام .**

من قضاياه واجتهاده :

* اختصم الى كعب رجلان ، باع أحدهما صاحبه ورقا على أن يقطع برضاه ، فجعل يأتيه بالأديم (آله القطع) فيقول له : اقطع لى من وسطه ورقة ودع باقيه ، فقال كعب : أما أن تقطعه كله أولا تفسده عليه ، والا فخذ دراهمك . وذلك من كعب تطبيقاً للمبدأ « **لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام** » والضرر لايزال أساس نظرية التعسف فى استعمال الحق فى الفقه الإسلامى .

* اشترى رجل من رجل أرضا ، فوجدها صخرية ، فاختصما الى كعب بن سور فقال كعب : أرأيت لو وجدتها ذهبا . أكنت تردها ؟ قال : لا . قال فهى لك . لقد استند كعب ابن سور الى معيار الشخص العادى فى تقدير العيب المألوف ، وطبق قاعدة : **الغرم بالغنم ، يعنى أن من ينال نفع شىء يتحمل ضرره .**

* حدث الرواة : أن امرأتين رقدتا ، ومع كل واحدة ولدها ، فا نقلبت احداهما على أحد الصبيين فقتلته ، وأصبحتا وكل واحدة منها تدعى الباقية ، فاختلفا إلى كعب بن سور فبعث الى القافة فأوطوا (القافة : من يقتنى الأثر ، أوطوا : الصقوا) فألحق الشبه باحدى المرأتين ، فقال كعب : انى لست بسليمان ابن داود ، ولم أجد شيئا أفضل من أربعة من المسلمين شهودا . ان اجتهاد كعب فى المسألة المعروضة عليه . وكل من طرفيها مدع ومدعى عليه فى آن واحد ، والتجائه الى خبرة رجال الأثر والالصاق بالشبه مقرونة بتعددهم وعدالتهم لهو دليل ظنى مفضى فى الغالب الى اليقين ، وما التحليل الدموى للطفل والمنسوب اليها فى العصر الحديث من الوقوف على الفصائل الدموية الا الحاقا للشبه وبناء على الظن القريب من اليقين أيضا .

موقف كعب بن سور من الخارجين على الخليفتين عثمان وعلى :

بعث الخليفة عثمان بن عفان إلى كعب بن سور وذوى الشوكة والولاة فى الأمصار أن ينصروه ويحثوا الرعية على طاعته ، بعد ظهور الفتنة والتفاف أهل الشغب بداره مطالبينه بأن يخلع نفسه من الخلافة بمقولة أن عماله من أقاربه دون الكفاءة والأمانة المسندة اليهم ويستبدون بالأمر من دونه . وان كان الواقع أن وراء هذه القوى أيد خفية معادية للاسلام دخلته بقصد الافساد والقضاء على دولته ورجاله ، **وكانت تبث سمومها ودسائسها المزورة الى الأمصار على لسان كبار الصحابة تدعوهم فيها الى الخروج على عثمان ، وفى مقدمة هؤلاء اليهود عبد الله بن سبأ ، وكان الغرض أن يتكاثر الخارجين على عثمان وتزداد المطالبة بخلعه .**

وقد قام كعب بحق ولى الأمر وحث أهل البصرة على نصرة الخليفة عثمان وطاعته . . ومضى كعب إلى عثمان بناء على طلب الأخير وأكد له أن البصرة عامة والأزد خاصة فى طاعته ونصرته وذلك فى

سنه ٣٥ هـ ولكن الأحداث تصاعدت بعد ذلك وتمكن بعض رجال الشغب من اقتحام دار عثمان وقتله والمصحف فى يده . . وأصبحت البلاد وقد استشهد رئيسها والثوار وأهل الشغب كادوا أن يملكوا الزمام فى حاجة الى الامام الذى يدرك أن ـ الحكم مسئولية وتضحية ، وقد اتفق الجميع فى الظاهر بما فيهم الثوار على بيعة على بن أبى طالب وان كان طلحة والزبير قد بايعاه كارهين لأنهما طلبا منه أن ينصبهما فى ولايات معينة وأن يبدأ بالقصاص من قتلة عثمان ، ولم تكن الظروف لتسمح بذلك . لذلك فقد مضى طلحة والزبير الى أم المؤمنين عائشة التى كان لها موقفا خاصا من ولاية الامام على بن أبى طالب ومضوا جميعا الى البصرة مطالبين بثأر عثمان أو خلع الامام على ، وقد بعث طلحة والزبير إلى كعب ابن سور برسالة بقصد استقطابه نصها : « **أما بعد فإنك قاضى عمر بن الخطاب ، وشيخ أهل البصرة ، وسيد أهل اليمن ، وقد كنت غضبت لعثمان من الأذى فاغضب له من القتل والسلام (فأجابها) : أما بعد فإنا غضبنا لعثمان من الأذى والغير باللسان فجاء أمر الغير فيه بالسيف ، فان يكن عثمان قتل ظالما فما لكما وله ، وأن قتل مظلوما فغيركما أولى به ، وان كان أمره أشكل على من شهده فهو على من غاب عنه أشكل** » .

وقد كان موقف كعب فى البداية الاعتزال عن الحرب ويحث الناس على ذلك فى المساجد ويقول : ويلكم أطيعونى ، اقطعوا هذه النطفة (**المال القليل**) وكونوا من ورائها ، وخلوا بين الغاوين فوالله **لا يظهر طائفة منهم الا احتاجوا اليكم ، فتصدى له صبرة بن سليمان سيد الأزد وقال له : اسكت فأمر بزاده ليخرج من البصرة ، فبلغ عائشة الخبر وقيل لها ان أتبعك كعب بن سور خرجت الأزد كلها معكى ، فجاءت اليه على بعيرها ولم تزل تقنعه بأن غايتها الاصلاح دون قتال حتى خرج معها وراية الأزد معه ولما نشب القتال بين فريقها وفريق على كان كعب ممسكا بزمام جملها ' عسكر ' فكلفته عائشه بقولها : خل يا كعب عن البعير وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم اليه ودفعت اليه مصحفا ، فمضى يحث على العمل بكتاب الله بيد أن سهما غرب فأصابه فكان أول مقتول بين يدى عائشة وأهل الكوفة . .**

وقيل انه أصيب مع كعب ثلاثة أخوة أو أربعة ، فجاءت أمهم ، فوجدتهم فى القتلى فقالت :

أياعين جودى بدمع سرب ... على فتية من خيار العرب
فما ضرهم غير جبن النفوس ... أى أميرى قريش غلبا

ونختم مقالتنا بكلمة للامام على بن أبى طالب وقد مر على أثر المعركة فى القتلى فوجد كعب بن سور وهو قتيل ، فقام عليه (صلى عليه) وقال : والله ما علمت ان كنت الا صلبا فى الحق ، قاضيا بالعدل . . وأثنى عليه على ما ذكره بن وكيع فى أخبار القضاة . .

بقية مقال « الحسن بن على »

ـ نعم المركب ركبت يا غلام .
ـ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : ونعم الراكب هو .

ووقف الرسول ﷺ فى مسجده يخطب ، وبينا عليه أفضل الصلاة والسلام يعظ المسلمين جاء الحسن والحسين وعليهما قيصان أحمران يعثران ويقومان ، فلم يملك رسول الله نفسه ، بل نزل اليهما وأخذهما وعاد الى المنبر وهو يضمهما اليه ، ثم وضعهما فى حجره .

وقال : صدق الله العظيم : (**انما أموالكم وأولادكم فتنة**) .

ولقد شعر أصحاب الرسول بأن ذكر الحسن والحسين يدخل على نفسه الغبطة فسأله بعض الجلساء يوما : أى أهلك أحب اليك ؟ فأجابه : الحسن والحسين ـ من أحبنى وأحبهما وأباهما وأمهما كان معى فى الجنة ـ وقال مرة لواحد من أصحابه : ادع ابنى فأتى له بالحسن وهو يشتد حتى وقع فى حجره فأحتضنه شغفا .

[يتبع]

مصعب ابن عمير

الأستاذ حمدى عبد القادر

فرض الجهاد على المسلمين الأوائل فرضاً ، فما كان رسول الله صلوات الله وتسليماته عليه محارباً ولا غازياً ، وإنما كان يجبر على القتال لرد العدوان ودفع الطغيان .

ذلك لأن تبليغ دعوة الله للبشر ، ما كانت تعتمد أبداً إلا على الإقتناع بالحجة والموعظة الحسنة ، ولكن أعداء الله مع انبهارهم بأنوار الإسلام الوضاءة ـ أبوا إلا أن يكونوا من الضالين ، والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو على كل شىء قدير .

و « مصعب بن عمير » من الأبطال المرموقين منذ فجر الإسلام ، الذين أبلوا بلاء حسناً فى سبيل الذود عن دين الله ، كان الصادق فى عهده ، الأمين فى جهاده وصموده أمام قوى البغى والضلال إلى أن استشهد فى أسمى معارك الجهاد والفداء .

باع الجاه والغنى والمال ليجاهد فى سبيل الله ، ما استطاعت أية قوة أن ترده عن اعتناق العقيدة التى آمن بها ، حاول الأهل ، وحاولت العشيرة ، بل وحاولت قريش كلها ، بشتى أنواع الضغط والاضطهاد والتعذيب ـ أن تثنيه عن إيمانه ، ولكن بلا جدوى ذهبت كل تلك المحاولات .

قال فيه الرسول المختار صلوات الله وتسليماته عليه ـ قبل اسلامه ـ : « ما رأيت بمكة أحسن لمة ، ولا أرق حلة ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير » .

* * *

ولد « مصعب بن عمير » بمكة من أبوين مترفين من أسرة « بنى عبد الدار » صاحبة الجاه والسطوة ، فأبوه « عمير بن عبد مناف » وأمه « خناس بنت مالك » ذات الشخصية القوية والجانب المرهوب ، التى كانت تحبه أعظم الحب ، وتمنحه من رعايتها وحبها ما يفوق الوصف ، وتنفق عليه فى بذخ غير محدود لتوفر له الحياة المترفة الناعمة التى تملأه سعادة وبهجة ، وتهىء له ، بين أقرانه ، المكانة المرموقة والشخصية الكاملة التى تملأه قوة وأملاً .

أما « قريش » فكانت فى ذلك الحين ، بشيوخها وشبابها وشاباتها فى ثورة عارمة ضد رسول الله ﷺ ، تحاول بكل طاقاتها أن تنال من رسالة الله ، لا أملاً فى أن توقف من سرعة انتشارها فحسب ، بل إنها كانت تهدف إلى وئدها وهى فى المهد ، لايمانها بأن نجاحها سيقضى تماماً على سطوة سادتها ويطهر البشرية من فسادهم وضلالهم ، بل ويخلص الانسانية مما كانت تعانيه ، ويكفل للبشرية البقاء رحمة ببنى الانسان .

وكان مصعب بن عمير الذى استغرق تأمله ، وتعمقه فى دراسته ، لرسالة الله الكثير من الجهد والوقت ، كان يحرص دائماً وفى خلسه ـ على حضور مجتمعات الرسول المختار ﷺ ، وينصت بإمعان ، ويستوعب فى دقة كل ما يقال ويثار فيبهره ما فى آيات الله من نور ورحمة ، فتشع نفسه فى روحانية عميقة ، ويمتلىء قلبه بالايمان بدعوة الله ، الرحمة المزجاة للبشر أجمعين ، إلى أن تمكنت دعوة الله من قلبه تمكناً وسرعان ما أشهر إسلامه .

* * *

وما كادت أمه تعلم بإسلامه إلا ثارت ثورة عارمة ، فى وجهه عساها تثنيه عن إيمانه ، ولكنه آثر الفرار من إيسارها بالسفر مع المهاجرين إلى الحبشة فى سبيل الدعوة لدين الله ، وعندما عاد إلى مكة أرسلت اليه من يقول له على لسانها ، اتقدم بلداً أنا فيه ولا تبدأ بى ، فيجيب بقوله : « ما كنت أبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ » .

كم حاولت أمه الغاضبة العاصية اغراءه بالتراجع عن دين الله تارة بالدموع والتوسلات، وتارة أخرى بالعنف والتعذيب، ولكنها ما كانت تجد منه دائماً إلا الصمود على عقيدته والتمسك الشديد بمبدئه، ورفقاً بأمه وحنوا عليها دعاها لاعتناق الإسلام بقوله: «يا أمه... انى لك ناصح، وعليك شفيق، فاشهدى أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فكان ردها عليه: «قسماً بالثواقب لا أدخل فى دينك فيزرى برأيى، ويضعف عقلى، ولكنى أدعك وما أنت عليه وأقيم على دينى».

* * *

لقد أحس مصعب «بأنه قد أرضى ضميره فتركها وشأنها وسار فى طريق دعوة الله، مؤثراً التقشف والخشونة، والجوع والحرمان على الحياة الناعمة الرخية.. تسعده النظرة الحانية الشاكرة المحبة من رسول الله ﷺ، تملأه بالأمل وتريحه قولة المختار المصطفى فيه: «الحمد لله مقلب الدنيا بأهلها، لقد رأيت مصعباً هذا، وما بمكة فتى أنعم عند أبويه نعماً منه، ثم أخرجه من ذلك الرغبة فى الخير فى حب الله ورسوله».

* * *

لقد وصلت مكانة مصعب لدى رسول الله ﷺ الذروة كفاءة ومقدرة، وإيماناً عميقاً بالله ورسوله بعد موقعة بدر التى انعقد عليه لواءها وعاد ظافراً منصوراً، ضارباً أروع المثل فى البطولة والفداء.. لذلك وقع اختيار رسول الله ﷺ عليه فى «بيعة العقبة» الأولى، فما كاد «مصعب» يصل إلى المدينة إلا ونزل على أسعد بن زرارة ضيفاً وتنقلا معاً بين الانصار فى دورهم وقبائلهم يدعوان لدين الله بالموعظة الحسنة، وسرعان ما انتشرت دعوة الله انتشاراً، وكان ضمن من أسلم على يدى «مصعب» سعد بن معاز واسيد بن حضير.

وفى موسم الحج التالى لبيعة العقبة بعث مسلمو المدينة وفداً يمثلهم بقيادة «مصعب» إلى رسول الله ﷺ فى بيعة العقبة الثانية للهجرة ألى المدينة.

لم تهدأ نفوس المشركين، بعد هزيمتهم فى «بدر» فأخذوا يعدون العدة لحرب جديدة مع المسلمين فى موقعة «أحد» فى السنة الثالثة للهجرة، لذلك أعد رسول الله ﷺ مخططاً محكماً سديداً من ثلاثة ألوية: أعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير، ولواء الأوس لأسيد بن حضير، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر، على أن يكون لواء المهاجرين فى القلب واللواءان الآخران فى الجناحين لحماية المحاربين من ممر بجبل «أحد»، وزيادة فى تحصين هذا الممر خصص له خمسين رامياً وأمر عليهم هو عبد الله بن جبير وقال له «انضح عنا الخيل بالنيل، فرشقوهم بالنبل لأن الخيل لا تقبل على النبل، أنا لا نزال غالبين ما مكثتم مكانكم، اللهم أنى أشهدك عليهم». وقل للرماة: «وان رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم».

ونشبت معركة رهيبة بين الطرفين، سرعان ما خطف المسلمون النصر على أعدائهم ظانين أن المعركة انتهت فشغلتهم الغنائم والأسلاب، وشاركهم معظم الرماة فيمن هم فيه إلا عدداً ضئيلاً منهم لا يتجاوز العشرة ظلوا فى أماكنهم مع أمرهم الذى رفض أن يتحرك من مركزه قائلاً: «لاأجاوز أمر رسول الله ﷺ».

وهم فى غفلتهم تلك، هجم عليهم جيش المشركين بقيادة خالد بن الوليد، وعكرمه بن أبى جهل - وقد أسلما فيما بعد - من جهة الممر فانقلب نصر المسلمين إلى هزيمة.

أما «مصعب بن عمير» هذا البطل المخلص الأمين، فقد صمد أمام الخطر - فى شجاعة لا مثيل لها، ليحمى رسول الله صلوات الله وتسلياته عليه - هدف المشركين ومبتغاهم - من أدنى سوء قد يناله، رافعاً اللواء عالياً، ومضى يقاتل وحده أمام قوى عارمة لا يعرف كيف انتشرت هكذا يصول فيهم ويجول ويسقط العديد من قتلاهم إلى أن فاجأه بن قمئة من فرسان قريش بضربة سيف قطعت يده اليمنى وسرعان ما التقطت اليسرى اللواء ولسانه لا يكف عن ترديد: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» فيضرب ابن قمئة يده اليسرى فيلتقط مصعب «اللواء بعضديه ضامه إلى صدره، حانياً عليه، وينفذ رمح ابن قمئة الى صدره ويسقط مصعب.» على الأرض شهيداً بطلاً، جاوز حدود البطولة والفداء، ضارباً أرفع المثل فى الإيمان والفداء وسرعان ما يلتقط اللواء أخوه أبو الروم» ويظل مرفوعاً حتى بلغ به المدينة.

* * *

وبعد انتهاء المعركة، جاء رسول الله ﷺ ليودع شهداءها، وسرعان ما تنهال دموعه الذكية عند جثمان مصعب بن عمير. وهو يتلو قول الله تعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه: فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً».

ثم يتذكر عليه السلام أيام «مصعب» الماضية بمكة، وهو مسجى أمامه بلا كفن إلا من أثمال تستره قائلاً: «لقد رأيتك بمكة، وما بها أرق حلة، ولا أحسن لمة منك ثم ها أنتذا شعث الرأس فى برده»..

وراحت نظرات الرسول الأعظم صلوات الله وتسلياته عليه الحانية تشمل أرض المعركة بشهدائها من رفاق مصعب ثم يقول: «إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة».

ويقول عليه الصلاة والسلام وهو يقبل على أصحاب مصعب الأحياء: «أيها الناس.. زوروهم وأتوهم وسلموا عليهم. فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام».

هكذا استشهد مصعب بن عمير، ضارباً أروع صورة من صور الجهاد لإعلاء كلمة الله... كلمة الحق..

ابن دقيق العيد المصرى

الدكتور احمد جمال العمرى

الرجل : « هو تقى الدين . . أبو الفتح محمد بن على بن وهب بن مطيع القشيرى المنفلوطى الصعيدى المصرى ، العالم المحدث ، الفقيه المالكى الشافعى الإمام العلامة ، شيخ الاسلام ، ابن دقيق العيد .

علم من أعلام القرن السابع الهجرى ، كان له شأنه فى عصره وبعد عصره ، ذاعت شهرته حتى طبقت الآفاق ، لما عرف عنه من علم وفير ، وأدب غزير ، ولما بذله من جهد فى خدمة الاسلام وتعاليمه وعلومه .

وترجع تسميته بالقشيرى إلى أنه من أحفاد بهزر بن حكيم القشيرى ، يقول ابن الاثير فى كتابه « الالباب فى تهذيب الأنساب : » القشيرى بضم القاف وفتح الشين وسكون الياء تحتها نقطتان وفى آخرها راء . هذه النسبة الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعه قبيلة كبيرة ينسب إليها كثير من العلماء منهم بهزر بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيرى . »

أما نسبته إلى منفلوط ـ إحدى مدن صعيد مصر ـ فلأن أباه على بن وهب ولد ونشأ فيها ، وأما « دقيق العيد » فهى شهرة جده مطيع ، اكتسبها لأنه كان يلبس فى يوم العيد طيلسانا أبيض ، فقيل كأنه دقيق العيد ، فسمى به ، ثم توارث هذه التسمية أولاده وأحفاده ، آخرهم « تقى الدين » مسمى « ابن دقيق العيد »

ولد تقى الدين فى منفلوط ، فى الخامس والعشرين من شعبان سنة ٦٢٥ ه ، أثناء رحلة أبويه إلى الأراضى الحجازية لأداء فريضة الحج فكان فالا حسنا لهما ، ومبعث سعادتهما ، فلما قدم أبوه مكة ، حمله وطاف به البيت ، وسأل الله تعالى أن يجعله عالما .

وقد نشأ ابن دقيق العيد فى مدينة قوص التى كانت ـ فى ذلك العهد ـ مدينة زاخرة بالعلم والعلماء ، لا تقل من حيث المكانة العلمية والأدبية عن القاهرة . ولقد كان من عوامل ازدهار قوص فى عصر الرجل ـ القرن السابع الهجرى ـ هجرة العلماء إليها لائذين فارين حيث كانت الحروب على أشدها بين المسلمين والصليبيين ، بعد أن سيطر الصليبيون على الكرك والعقبة طريق الحج الأمين ، أضف إلى ذلك بعد قوص عن غارات الفرنجة حيث كان الوجه القبلى بعيداً عن الثغور الساحلية كالاسكندرية ودمياط وغيرهما .

ومن المهم أن تعلم أن أسرة الرجل كانت إحدى الأسر العريقة التى أسهمت بدور حيوى وإيجابى فى مجال العلم والقضاء والفقه والأدب . . .

فأبوه شيخ الاسلام أبو الحسن على بن وهب ، المحدث الأصولى والفقيه المالكى الذى كان يلقبه القوم بمجد الدين ، وجده وهب بن مطيع العالم الفاضل . التقى الورع ، الكريم السخى ، الذى لقبة الناس « بأبى العطايا » كل ذلك يشير الى أن الرجل كان من أسرة كريمة ، تتمسك بأهداب الدين وتسعى فى سبيل مجد الاسلام . ولا شك أن فى ذلك أكبر دليل على أن نشأة الرجل كانت نشأة دينية علمية ، رسم خطوطها أبوه ، وساعده فيها على بلوغ أقصى غاياتها وأسمى مراميها وأبعادها .

بدأ الرجل حياته الدراسية بحفظ القرآن الكريم ، ودراسة الحديث النبوى الشريف ، ثم درس فقه المالكية على أبيه ، وفقه الشافعية على البهاء القفطى ، وتتلمذ على مجموعة من العلماء ، منهم الشيخ المعز عبد العزيز بن عبد السلام ـ الذى لازمه فترة طويلة ، وأخذ عنه علما كثيرا ، ورحل ابن دقيق العيد الى دمشق حيث سمع من مجموعة من العلماء مثل أحمد بن عبد الدايم ، والزين خالد وغيرهما ، كل ذلك فى سبيل علوم الدين ، خاصة علم الحديث . . بيد أن تمسكه بعلوم الدين ، وسعيه وراءها ، لم يبعده عن دراسة علوم اللغة والأدب ، فقد قرأ العربية على مجموعة العلماء منهم الشيخ محمد أبى الفضل المرسى وغيره . وظل يطوف ويسعى من أجل العلم والدين حتى تدعمت شخصيته ووضحت . ووجد فى نفسه المقدرة على التصدر فى المجالس ، فانتقل من مرحلة الأخذ إلى مرحلة البذل ، فعقدت له الحلقات ، واجتمع الناس حوله ، وذاعت شهرته ، ثم نراه يتولى بعد ذلك تدريس الحديث ، بالمدرسة النجيبية التى بناها النجيب بن هبة الله القوصى ، ثم بدار الحديث الكاملية . ثم يتولى قضاء قوص على مذهب المالكية .

المحدث : حين تصدر ابن دقيق العيد المجالس ، كان من أهم وسائله فى العلم « الحديث النبوى الشريف » لذلك لقبوه « بالمحدث » وأطلقوا عليه « العالم بمصطلح الحديث » يقول الحافظ اليعمرى » لم أر مثله فيمن رأيت ، ولا حملت عن أجل منه فيما رأيت ورويت ، وكان للعلوم جامعا ـ وفى فنونها بارعا ، مقدما فى معرفة علل الحديث على أقرانه منفرداً بهذا الفن النفيس فى زمانه » .

وترجم له الذهبى فى كتابه « تذكرة الحفاظ » فوصفه بأنه أحد حفاظ الحديث الأعلام ، الموثوق برواياتهم ، المقطوع بصحة ما يحدثون به عن النبى ﷺ ولقد وثقه المترجمون وجعلوه ثبتا حجة فيما يروى ، وقالوا إنه كان دقيقا ، قليل التحدث ـ لا لقلة محفوظه ولكن لدقته وفرط تحريه واحترازه .

الفقيه : وتذكر المصادر العلمية القديمة أن ما من عالم تقدم ونبغ فى علم الحديث الا وكان له شأنه فى علم الفقه وعالم القضاء - ذلك أن علم الفقه - كما هو معروف - مبنى على الدراية بالحديث النبوى الشريف، ومعرفة علله وطرق التجريح والتعديل، لذلك نرى ابن دقيق العيد حين اشتهر بعلم الحديث، أختير ليتولى القضاء فى قوص، ليحكم بين الناس بالعدل على ضوء معرفته بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ والظاهر أن ابن دقيق العيد - الفقيه - كان مجتهدا لا يقف عند ظواهر النصوص، بل يعمل عقله، ويستنبط الأحكام، ويدعم هذا الرأى قول الأدفوى عنه : « وكان حسن الاستنباط للاحكام والمعانى من السنة والكتاب، بلب يسحر الألباب، وفكر يفتح ما يستغلق على غيره من الأبواب، مستعين على ذلك بما رواه من العلوم، مستبين ما هنالك بما حواه من مدارك الفهوم، مبرز فى العلوم النقلية، والعقلية والمسالك الأثرية، والمدارك النظرية ».

ولقد كان ابن دقيق العيد العالم المحدث الفقيه - يجيد بالاضافة الى علم الحديث وعلم الفقه - علم التفسير وأصول الفقه وغير ذلك من العلوم العقلية والنقلية : يقول الأدفوى أيضا : « إن ذكر التفسير فحمد فيه محمود المذهب أوالحديث فالقشيرى فيه صاحب الرقم العام والطراز المذهب أوالفقه، فأبو الفتح العزيز الإمام الذى اليه الاجتهاد ينسب، أو الأصول فأين ابن الخطيب من الخطيب وهل يقرن المخطىء بالمصيب ؟ ».

مؤلفاته ومصنفاته : وحديثنا عن جوانبه العلمية - يحتم علينا أن نذكر مصنفاته التى أخرجتها قريحة الرجل فى هذا المجال، فذكرت لنا المصادر أن ابن دقيق العيد - ألف مجموعة من المؤلفات الدينية فى مجال الحديث والفقه، كما شرح مجموعة أكثر من أمهات المصادر من هذه المصنفات :

١ - الاقتراح فى معرفة الاصطلاح.
٢ - الإلمام والإمام - تقول المصادر أنه شرحه ولم يكمله، ولو كمل لم يكن للاسلام مثله، وكان يجىء فى خمس وعشرين مجلدا.
٣ - علوم الحديث.
٤ - شرح العمدة فى الأحكام.
٥ - شرح مقدمة المطرز فى أصول الفقه.
٦ - الأربعين فى الرواية عن رب العالمين.
٧ - شرح مختصر ابن الحاجب.
٨ - شرح كتاب ابن الحاجب فى فروع المالكية.
٩ - شرح مختصر التبريزى فى فروع الشافعية.

الأديب :

وإذا تركنا هذه الجوانب العلمية الدينية المتخصصة. وجدنا أن للرجل جوانب أخرى أدبية إنسانية متعددة، واهتمامات شتى، جال الرجل فيها جولات ليست بالقليلة، فى فنون الكتابة والخطابة والشعر.

أما كتاباته الأدبية : فقد قال اليعمرى عنها - فى ذكره الأدفوى : « وله فى الأدب باع وساع، وكرم طباع، لم يخل فى بعضها من حسن إنطباع. لقد كان محمود - الكاتب المجيد فى تلك المذاهب، والمشهور له بالتقدم فيما يشاء من الانشاء على أهل المشارق والمغارب - يقول : لم تر عينى أدب منه »، كما وصفت كتاباته بأنها « كانت وحياوطبعا ».

أما خطابته : وإن كان لم يصلنا منها شىء يذكر - فقد شهد بقوتها وبلاغتها علماء زمانه، فقالوا عنه : « كان إذا خطب أسهب فى البلاغة، وأطنب فى البراعة » وقد مدحه أحدهم حين سمعه وهو يخطب بقوص بقوله :

يا سيد العلماء والأدباء والـ ... بلغاء والخطباء والحفاظ
شنقت أسماع الأنام بخطبة ... كست المعانى رونق الألفاظ
أبكت عيون السامعين فصولها ... فزكت على الخطباء والوعاظ

على أن أهم فن تجلى فيه الرجل بأدبه - هو فن الشعر، ذلك الفن الخالد، الذى يصور عاطفة الرجل، ويعكس ذهنيته، ولون قريحته.

فقد كان ابن دقيق العيد شاعرا - وان كان شعره لا يرقى إلى مستوى كبار الشعراء وفحولهم، ولكنها محاولات للنظم تعبيرا عما يجول بخاطره، وتنفيسا عما يعتمل فى نفسه، وترجمة عن عواطفه ومشاعره.. على كل حال - كان شعره حسنا، يتناسب مع ظروف عصره وشعرائه، حيث تحول الأدب فى هذا العصر المملوكى الى الضعف نتيجة للتكلف فى **استخدام المحسنات البديعية، والتماس الصنعة، ومحاولة التقليد والمحاكاة لأشعار القدماء، والنسج على منوالهم.**

ولقد تعددت موضوعات الشعر عنده وتباينت نتيجة للطاقة الشعورية الكامنة فى أعماقه، وإن كانت تندرج جميعا لتتجمع فى مجالات ثلاثة :

أولها - المجال الذاتى، وفيه يتغزل الرجل، ويعبر عن عواطفه الانسانية تعبيرا دقيقا، وان كان هذا الغزل فى المطلق والمجهول، من مثل قوله :

أأحباب قلبى والذين بذكرهم
وترداده طول الزمان تعلق
لئن غاب عن عينى بديع جمالكم
وجار على الأبدان حكم التفرق
فاضرنا بعد المسافة بيننا
سرائرنا تسرى إليكم فنلتق

إلا أن هذا المجال الذاتى لا يقف عند هذااللون وحده، بل يضم إليه عاطفته الدينية وحنينه إلى الأماكن المقدسة فى أرض الحجاز. وما يعتمل فى نفسه من شوق إلى زيارتها من مثل قوله :

يهيم قلبى طرباً عندما ... أستملح البرق الحجازيا
ويستخف الوجد عقلى وقد ... أصبح لى حسن الحجازيا
يا هل اقضى حاجتى من منى ... وانحر البدن المهاريا
وأرتوى من زمزم فهى لى ... الذ من ريق المهاريا

وثانى مجالات الشعر عنده - المجال الانسانى.. وفيه يتناول ماخبره من الدهر والأيام كما يضمنه نظراته فى الحياة وحكمته الزاهدة.. مثل قوله.

وقائلة مات الكرام فمن لنا ... إذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها ما كان غاية قصده ... سؤالا لمخلوق فليس بنابه
لئن مات من يرجى فمعطيهم الذى ... يرجونه باق فلوذى ببابه

٦ - أما المجال الثالث - فهو المجال الغيرى، الذى يتناول فيه مديح الناس ورثاءهم وغير ذلك من الموضوعات التى سمتها فى كثير من الأحيان التكلف والتصنع، لكن الجديد فى هذا المجال - عند أبن دقيق العيد - أنه تحول بهذا المجال الغيرى تحولا جميلا، فبدلا من أن يجعله مديحا للناس

جعله مديحا للرسول ﷺ . فكان بذلك مواكبا للحركة الأدبية التى سادت إبان العصرين الأيوبى والمملوكى . حيث وجد الشعراء فى ذلك المديح الدينى تنفيسا عن عواطفهم الدينية .

يقول ابن دقيق العيد فى إحدى مدائحه الدينية :

ياسائراً نحو الحجاز مشمراً   اجهد فديتك فى المسير وفى السرا
فالقصد حيث النور يشرق ساطعا   والطرق حيث ترى الثرى متعطرا
قف بالمناهل والمنازل من لدن   وادى قباء إلى حمى أم القرى

هذا هو الرجل ـ ابن دقيق العيد المصرى ـ وهذه بعض جوانبه العلمية والأدبية ، لكل ذلك قال عنه الأدفوى :

« هو الشيخ الإمام علامة العلماء والأعلام ، وراوية فنون الجاهليين وعلوم الإسلام ، ذو العلوم الشرعية ، والفضائل العقلية ، والفنون الأدبية ، والمعارف الصوفية ، والباع الواسع فى استنباط المسائل ، والأجوبة الشافية لكل سائل ، والاعتراضات الصحيحة التى يجعلها الباحث لتقرير المشكلات وسائل ، والخطب الصادحة الفصيحة البليغة ، التى تستفاد منها الوسائل إن عرضت الشبهات أذهب جوهر ذهنة ما عرض ، أو اعترضت المشكلات أصاب شاكلتها بسهم فهمه فأصاب الغرض »

وقد كانت وفاته ـ رحمة الله ـ يوم الجمعة ٢١ صفر سنة ٧٠٢ هـ .

كلمة

■ المؤمن ـ حقا ـ لا يحفل إلا بحكم ربه ..

الذى لايمكن الاختفاء منه ..
ولايمكن الاحتيال عليه .. !

« د . طه حسين »

املأ هذا الكوبون وارسله إلى ص . ب ٢٠٩٣ يصلك الكتيب التفصيلى دون مسئولية أو ارتباط

الإسم ________________

العنوان ________________

المهنة ________________ السن ________________

تليفون ________________

من الفلاسفة العلماء

الكندي

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران ابن اسماعيل بن محمد الأشعث بن قيس الكندي .

ولد عام ١٨٥ هجرية الموافق ٨٠١ ميلادية . وتوفى عام ٢٥٢ هجرية الموافق عام ٨٦٥ ميلادية .

من قبيلة « كنده » من أشرف بيوتات العرب . وهى إحدى قبائل كانت باليمن والحجاز . ويعتبر بيت الكندى ، من بيوتات المجد ، لأن أول من أسلم من آباء الكندى هو الأشعث ابن قيس ، الذى قدم على رسول الله ﷺ فى وفد « كنده » ويعد فيمن نزل الكوفة من الصحابة ، وروى عن النبى ، وشهد مع سعد بن أبى وقاص ، وكان على راية كنده يوم صفين مع على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، وحضر قتال الخوارج بالنهراوان ، أما محمد بن الأشعث ، فقد ولاه ابن الزبير على الموصل ، وظل بيت الكندى من البيوتات العريقة إلى أن تولى العباسيون الخلافة ، فتولى إسحق بن الصباح ، الكوفة ، أيام المهدى والرشيد ، وأنجب ابنه يعقوب - فيلسوفنا - الذى نتحدث عنده .

إذن ، من هذه السلالة ، ولد الكندى ، الفيلسوف الاسلامى ، الذى تلقى علوم دينه ، والعلوم الشرعية ، فى هذا الوسط الاسلامى البحت ، إلا أنه تعلم ، علم الكلام ، وشارك فيه مشاركة فعالة ، ومعنى علم الكلام هنا - الفلسفة ، فنقل بعض كتب الفلاسفة عن السريانية التى كان يعرفها ، وأصلح كتبا أخرى لبعض المترجمين ، مثل كتاب « الربوبية » الذى ترجمه ابن ناعمة الحمصى ، وأصلحه الكندى .

الأستاذ احمد حامد

وهنا يعتبر الكندى ، من أبرع المترجمين ، ويقول عنه صاحب طبقات الأطباء : « حذاق الترجمة فى الإسلام أربعة ، ثانيهم ، يعقوب بن اسحاق الكندى » . ويقول ابن جلجل ، فى كتاب طبقات الأطباء : « لكنه كان إلى جانب أنه ترجم المستعصى من كتب الفلسفة ، عالما بالطب والفلسفة ، وعلم الحساب والمنطق ، وتأليف اللحون ، والهندسة ، وطبائع الأعداد ، والهيئة ، وعلم النجوم » وذلك يدل على أنه كان متبحرا فى العلوم ، قبل أن يصبح فيلسوفا . وليس بمستغرب أن يكون الكندى على هذا العلم ، وقد نشأ فى الكوفة ، التى كانت تعنى بالعلوم ، حيث استهوى ذلك الكندى . وكان طبيبا معالجا فى أمراض شتى ، إلا أنه كان عاكفا على القراءة والكتابة والبحث . وكان يحب العزلة والبعد عن الناس ، فلما مرض ابن لجاره ، مرضا نفسيا ، حار الأطباء فى علاجه ، ولم تكن بينه وبين الكندى مودة ، سأل الجار أهل الرأى فقالوا له : « أنت فى جوار فيلسوف زمانه وأعلم الناس بعلاج هذه العلة ، فلو قصدته ، لوجدت عنده ما تحب » ، وبالفعل عالجه الكندى بالموسيقى حتى تم الشفاء .

وقد أحاط الكندى ، بشتى العلوم والمعارف ، ولأنه كان عربيا ومسلما على خلاف الذين كانوا يشتغلون بهذه العلوم ويترجمونها من أطباء السريان فقد سمى « فيلسوف العرب » كما سمى « فيلسوف الاسلام » .

ويرجع فضل الكندى فى الفلسفة ، إلى أنه جعلها من جملة المعارف الاسلامية بعد أن ربط بينها وبين الاسلام . فقد ذهب إلى أن كلا من الدين والفلسفة يطلبان الحق . أما الدين فيسلك طريق الشرع ، والفلسفة تسير على منهج البرهان ، والفلسفة أعلى الصناعات الإنسانية منزلة ، وأشرفها مرتبة .

وكان جميع الفلاسفة خاصة فى الإسلام ، يرفعون من شأن الحق ويجعلونه شيئا ثابتا أزليا فى عالم اعلى وأسمى من عالمنا الذى يخضع للتغيير والملاحظة .

وجاء الكندى ، فجعل الجزء الأشرف من الفلاسفة ، هو علم الحق الأول . والواحد الحق عنده هو الأول المبدع الممسك كل ما أبدع .

ويعتبر الكندى ، أول من اجرى فى الفلسفة الإسلامية ، تصنيفها إلى نظرية ورياضية وطبيعية وربوبية . وهو أول من سن للفلسفة الإسلامية سنة التوفيق بينها وبين الإسلام ، وجرى خلفاؤه على أثره .

وبعد .. فالكندى ، يعتبر بحق فيلسوف الحضارة الإسلامية وعالمها ، فى القرن الثالث ، ولاشك فى ذلك . وقد تبعه فى المشرق ، الفارابى ، وابن سينا . وفى المغرب : ابن ماجة وابن طفيل وابن رشد .

١ = ٣

وهذا أصحيح

ولأول مرة في تاريخ التأمين

مبالغ التأمين الأساسية

المستثمرة تتضاعف إلى أكثر من

ثلاثة أضعافها

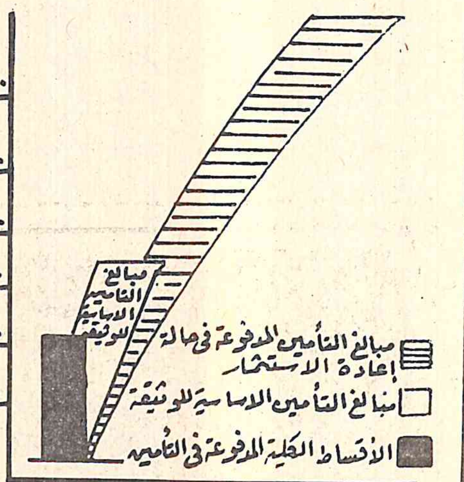

هذا هو أكبر استثمار تأميني

توفره لك

الوثيقة

الماسية

لكافة الاستعلامات إملأ الكوبون المرفق

وارسله إلى :

شركة التأمين الأهلية المصرية

القاهرة ٢٣ و٢٤ شارع قصر النيل تليفون ٩٧٩١٠٠

الاسكندرية ٣٣ شارع سعد زغلول ٨٠٢٣٢٨

القاهرة ص.ب ٥٨٠ الاسكندرية : ص.ب ٤٤٦

الاسم ------------------

العنوان ------------------

شاهندة

المكتبة
الإسلامية

تفسير الشيخ

محمد عبده

الدكتور منيع عبد الحليم محمود

لعل خير ما يعرف بالشيخ محمد عبده ما كتبه عن نفسه ونقله عنه صاحب المنار فى كتاب خاص سماه : تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وفيه يقول :ـ

عرفت أنى ابن عبده خير الله ، من سكان قرية محلة نصر بمركز شبراخيت من مديرية البحيرة ، ووقر فى نفسى احترام والدى ، ونظرت اليه أجل الناس فى عينى ، وسكن من هيبته فى قلبى ما لا أجده لأحد من الناس اليوم عندى .

ويقول وجدت والدى يقرى الضيف ، ويؤوى الغريب ، ويفخر باكرام النزيل وذلك كان يزيد منزلته من نفسى علوا ، وأنا لا أفهم من هذا الا أنه شىء يفتخر به بدون أن أعقل له علة .. وبالجملة كنت اعتقد أن والدى أعظم رجلى القرية وكل من فيها دونه ، وهو بذلك كان أعظم رجل فى الدنيا فان الدنيا عندى لم تكن أوسع من قرية محلة نصر .

أما والدتى فكانت منزلتها بين نساء القرية لا تنزل عن مكانة والدى ، وكانت ترحم المساكين وتعطف على الضعفاء ، وتعد ذلك مجدا وطاعة لله وحمدا ، ولم أزل أجد أثر ما وعيت من ذلك فى نفسى الى اليوم ..

أما عن تدرجه فى التعليم والطلب فيقول :

تعلمت القراءة والكتابة فى منزل والدى ، ثم انتقلت الى دار حافظ قرآن قرأت عليه وحدى جميع القرآن أول مرة ، ثم أعدت القراءة حتى أتممت حفظه جميعه فى مدة سنتين ، بعد ذلك حملنى والدى الى طنطا حيث كان أخى لأمى الشيخ مجاهد رحمه الله لأجود القرآن فى المسجد الأحمدى لشهرة قرائه بفنون التجويد ، وكان ذلك فى سنة ١٢٧٩ هجرية . . ثم فى سنة أحدى وثمانين جلست فى دروس العلم وقضيت سنة ونصفا لا أفهم شيئا لرداءة طريقة التعليم ، فأدركنى اليأس من النجاح ، وهربت من الدرس وحاول أخى اكراهى على طلب العلم فأبيت ، وانتهى الجدال بتغلبى عليه ، فأخذت ما كان لى من ثياب ومتاع ، ورجعت الى محلة نصر على نية أن لا أعود الى طلب العلم وتزوجت فى سنة ١٢٨٢ على هذه النية .

ثم يواصل الحديث عن تدرج حياته فى التعليم فيقول :

بعد أن تزوجت بأربعين يوما جاءنى والدى ضحوة نهار وألزمنى بالذهاب الى طنطا لطلب العلم ، وبعد احتجاج وتمنع واباء لم أجد مندوحة عن إطاعة الأمر . .

ولم يواصل السير الى طنطا ، لقد تغلبت عليه نزعة الهرب من طلب العلم والعزوف عن تحصيله فتخلف فى قرية بها عدد كثير من أقاربه ، وانطلق مع أقرانه من الشباب يلهو ويلعب وفى هذه القرية التى بأحد أخوال أبيه وهو الشيخ درويش .

وكان الشيخ درويش قد أخذ عن بعض الشيوخ طريقة الشاذلية ، وكان يحفظ الموطأ ، وبعض كتب الحديث ، ويجيد حفظ القرآن وفهمه ، ثم رجع من أسفاره الى قريته هذه ، واشتغل بما يشتغل به الناس من فلح الأرض ، وكسب الرزق بالزراعة .

وتدرج معه الشيخ درويش فى ترويضه على العلم ، والعودة به الى رحاب المعرفة فأعطاه كتابا يحتوى على رسائل كتبها السيد محمد المدنى الى بعض مريديه بالأطراف وسأله أن يقرأ له فيها شيئا لضعف بصره ، وما زال به حتى قرأ بضعة أسطر فاندفع يفسر له معانى ما قرأ بعبارة واضحة غلبت إعراضه وسبقت الى نفسه ، وقاومت نزعته الى اللعب واللهو .

وان هى الا أيام قليلة حتى صار أبغض شىء اليه ما كان يحبه من لعب ولهو وفخفخة وزهو وعاد أحب شىء اليه ما كان يبغضه من مطالعة وفهم . . ثم سأل الشيخ عن الطريقة فقال : الاسلام وعن الورد فقال : القرآن ، ولم تمض أيام حتى رأى نفسه يطير فى عالم آخر غير الذى كان . . بعهد ، فاتسع له ما كان ضيقا ، وصغر عنده من الدنيا ما كان كبيرا ، وعظم عنده من أمر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيرا وتفرقت عنه جميع الهموم ولم يبق الا هم واحد وهو أن يكون كامل المعرفة ، كامل أدب النفس .

ويتابع الشيخ حديثه فيقول :

وفى منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الأزهر ، وداومت على طلب العلم على شيوخه ، مع محافظتى على العزلة والبعد عن الناس ، حتى كنت أستغفر الله اذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة وفى أواخر كل سنة دراسية كنت أذهب الى (محلة نصر) لأقيم بها شهرين - من منتصف شعبان الى منتصف شوال وكنت عند وصولى الى البلد أجد خال والدى الشيخ درويش قد سبقنى اليه فكان يستمر معى بدراسة القرآن والعلم الى يوم سفرى .

كان الشيخ يدارسه ويسأل ماذا قرأت ؟ ثم يوجهه الى دراسة علوم أخرى الى جانب ما يدرس بالأزهر كالمنطق والحساب والهندسة ، واستجابة لتوجيهه كان يلتمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كان يخطىء فى الطلب وأخرى يصيب الى أن جاء السيد جمال الدين الأفغانى الى مصر أواخر سنة ١٢٨٦ ، فوجد عنده ما ابتغاه من العلوم وشاركه فى الدعوة الى الاصلاح ثم عرض نفسه على مجلس الامتحان فى سنة ١٢٩٤ هجرية للحصول على العالمية فخرج منه بالدرجة الثانية ، وصار مدرسا من مدرسى الجامع الأزهر ، وأخذ يقرأ العلوم الكلامية والمنطقية وغيرها .

ومع ما وصل اليه فى العلوم ظل يطلب العلم ، ويتحدث عن ذلك فيقول :

بدأت بتعلم اللغة الفرنسية عندما كانت سنى أربعا وأربعين سنة ، فبحثت عن معلم فوجدت أستاذا لا بأس به ، فتعلمت مبادىء اللغة الفرنسية ، وحصلت منها ما كان يمكننى من القراءة والفهم ، لكن ما كنت أستطيع الكلام . . سافرت بعد ذلك الى فرنسا والى سويسرا عدة مرات فى أيام العطلة فى كلية جنيف ، وبهذه الطريقة تعلمت اللغة الفرنساوية فى أوقات الفراغ مع اشتغالى بالقضاء فى المحاكم الابتدائية ومحاكم الاستئناف .

ونشط الشيخ فى التأليف والتدريس بالأزهر وغير الأزهر فذاع صيته ، وطارت شهرته وعم النفع به . .

تفسيره

لم يكن التفسير عند الأستاذ الامام بالشىء السهل ، بل كان من أصعب الأمور وأهمها . . ووجه الصعوبة فيه - فى يرى الامام من وجوه أهمها :

إن القرآن كلام سماوى تنزل عن حضرة الربوبية على قلب أكمل الأنبياء وهو يشتمل على معارف عالية ، ومطالب سامية ، لا يشرف عليها الا أصحاب النفوس الزاكية والعقول الصافية . .

وكان الامام فى تصديه للتفسير راغبا بث الدعوة الى أمرين عظيمين :

الأول : تحرير الفكر عن قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفه الى ينابيعها الأولى ، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خلطه وخبطه ، لتتم حكمة الله فى حفظ نظام العالم الانسانى ، وانه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على البحث فى أسرار الكون ، داعيا الى احترام الحقائق الثابتة مطالبا بالتعويل عليها فى أدب النفس واصلاح العمل .

الثانى : اصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير ، سواء كان فى المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها ، أو فى تنشره الجرائد على الكافة منشئا أو مترجما من لغات اخرى أو فى المراسلات بين الناس .

وللتفسير فى نظر الامام وجوه شتى :

أحدها : النظر فى أساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة ، ليعرف به : علو الكلام وامتيازه على غيره من القول . . سلك هذا المسلك الزمخشرى ، ونحا نحوه آخرون .

ثانيها : الاعراب . . وقد اعتنى بهذا أقوام توسعوا فى بيان وجوهه وما تحتمله الألفاظ منها . .

ثالثها : تتبع القصص ، وقد سلك هذا المسلك أقوام « زادوا فى قصص القرآن ما شاءوا من كتب التاريخ والاسرائيليات ، ولم يعتمدوا على الكتب السماوية ، بل أخذوا جميع ما سمعوه من غير تفريق بين غث وثمين ولا تنقيح لما يخالف الشرع ولا يطابق العقل . .

رابعها : غريب القرآن

خامسها : الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات والاستنباط منها .

سادسها : الكلام فى أصول العقائد ومقارعة الزائغين ، وللامام الرازى العناية الكبرى بهذا النوع . .

سابعها : المواعظ والرقائق ، وقد مزجها الذين ولعوا بها بحكايات المتصوفة والجهاد ، وخرجوا ببعض ذلك عن حدود الفضائل والآداب التى وضعها القرآن . .

ثامنها : ما يسمونه بالاشارة ، وقد أشتبه على الناس فيه كلام الباطنية والصوفية . .

ومن ذلك التفسير الذى ينسبونه للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ، وانما هو للقاشانى الباطنى الشهير ، وفيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله وكتابه العزيز .

واذا كان الأكثار فى مقصد خاص من هذه المقاصد يخرج الكثيرون عن المقصود من الكتاب الالهى ، ويذهب بهم فى مذاهب تنسيهم معناه الحقيقى ، فان ما كان يعنى الامام من التفسير هو فهم الكتاب من حيث هو دين ، وهداية من الله للعالمين ، جامعة بين بيان ما يصلح به أمر الناس فى هذه الحياة الدنيا ، وما يكونون به سعداء فى الآخرة ، ويتبعه - بلا ريب - بيان وجوه البلاغة بقدر ما يحتمله المعنى ، وتحقيق الأعراب على الوجه الذى يليق بفصاحة القرآن وبلاغته عند الحاجة الى ذلك . .

وللتفسير فى نظر الامام مراتب :

أدناها: أن يبين بالاجمالى ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه، ويصرف النفس عن الشر، ويجذبها الى الخير، وهذه التى تتيسر لكل أحد (**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**).

وأما المرتبة العليا فهى لا تتم الا بأمور:

أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة التى أودعها القرآن يبحث المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكتف بقول فلان وفهم فلان.

ثانيها: الأساليب، فينبغى أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة، وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته، مع التفطن لنكته ومحاسنه، والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه.

ثالثها: علم أحوال البشر، فقد ورد فى القرآن من الحديث عن أحوال الخلق وقصص الأمم والسنن الالهية فى البشر ما يجعل العلم بأطوار البشر وأدوارهم ومناشىء اختلاف أحوالهم من ألزم الأمور.

رابعها: العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن بمعرفة ما كان عليه الناس فى عصر النبوة من العرب وغيرهم وما كانوا عليه من العوائد.

خامسها: العلم بسيرة النبى وأصحابه، وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف فى الشئون دنيويها وأخرويها.

والغرض الأول الذى رمى اليه فى قراءة التفسير، استجماع تلك الشروط لأجل أن تستعمل فى غايتها وهى محاولة فهم المراد من القول، وحكمة التشريع فى العقائد والأحكام على الوجه الذى يجذب الأرواح، ويسوقها الى العمل والهداية المودعة فى الكلام... فالمقصد الحقيقى وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن. إن القرآن لا يحتاج الى تفسير كامل من كل وجه، ولكن الحاجة شديدة الى تفسير بعض الآيات..

وفى سنة ١٣١٥ اتصل بالشيخ محمد عبده الشيخ رشيد رضا ولم يزل به الشيخ رشيد رضا حتى اقنعه بقراءة التفسير فى الأزهر، وبدأ بالدروس فى غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ وانتهى منه فى منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ عند تفسير قوله تعالى: (وكان الله بكل شىء محيطا) من سورة النساء.

وعلى الرغم مما فى تفسير الشيخ محمد عبده من محاسن، فانه يحتاج الى تعقيب، ونكتفى هنا بمثال على ذلك:

اننا جميعا نجل الشيخ محمد عبده، ونحترمه، وندين له بكثير من تخليص الدين من الخرافات والأساطير ولكن حينما نقرأ له تفسير قصة آدم، نراه يضع احتمال أنها تمثيل ونتساءل: لم ذكر الشيخ محمد عبده هذا الاحتمال؟

حينما نتساءل حقيقة عن السر العميق - فى الشعور وفى اللا شعور - نجد أن الشيخ محمد عبده رأى أن فكرة التطور منتشرة فى جميع أرجاء أوروبا، بل والعالم، وهى فيما يرى بظاهرها تتعارض مع التعاليم التى تنبىء أن آدم هو أول البشر، وهو الذى خلقه الله وسواه، وخاطب الملائكة فى شأنه وأمرهم أن يسجدوا له.

رأى الشيخ محمد عبده أن كل ذلك لايتلاءم كثيرا مع فكرة التطور المزعومة فماذا صنع؟

ذكر هذا الاحتمال، وبذلك يمكننا أن نؤولها كيفما شئنا، وما كنا نود ان يجيز ذلك اذ أنه يفتح للناس باب التأويل فى صورة من الاستفاضة الضارة..

كما رأى الشيخ محمد عبده أن يفسر اختلاف رسالات الرسل وتعاقبها: موسوية وعيسوية واسلامية بتطور الانسانية.

الانسانية - حسبما يرى حسية فى زمن موسى، فكانت رسالة سيدنا موسى حسية.

ثم تطورت الانسانية من الحس الى العاطفة، فكانت رسالة سيدنا عيسى عاطفية.

ثم تطورت الانسانية من الحس والعاطفة الى العقل، فكانت رسالة سيدنا محمد عقلية.

ورأيى أن الانسانية لم تتطور هذا التطور وان الانسانية أينما سرنا وعند أى فرد رأينا وفى أى مجتمع شاهدنا، فانما يتمثل فيها جوانب ثلاث: الحس والعاطفة والعقل..

ولكن فكرة التطور، وان الانسانية متطورة، انتهت بأن أصبحت مسيطرة على الكثيرين فانقادوا لها، وأدخلوها فى المحيط الدينى، فافسدت كثيرا من القضايا..

ومن تفسيره:

قال تعالى: (**أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، متاعا لكم ولأنعامكم**)

(أأنتم أشد خلقا: عود الى خطاب أولئك المكذبين المغرورين لتقريعهم وتسفيه أحلامهم، فى استبعاد ما يوعدون به من البعث وما يتبعه، أو استبطاء أخذ الله لهم فى هذه الدنيا مع أنه هو الذى أنشأهم وخلقهم أول مرة فان كانوا قد غفلوا عن أنه هو خالقهم فلينظروا الى السماء والى الأرض، فيعلموا أن من خلقها وأنشأها لا يصعب عليه خلقهم، ولا يسعهم انكار ان خالق السماء والأرض هو الله، فكيف ينكرون أنه خالقهم، وأنه القادر على اعادتهم كما بدأهم؟

(أشد خلقا) أصعب انشاء..

(بناها) بيان لكيفية خلق السماء، والبناء ضم الاجزاء المتفرقة بعضها الى بعض مع ربطها بما يمسكها حتى يكون عنها بنية واحدة، وهكذا صنع الله بالكواكب وضع كل منها على نسبة من الآخر مع ما يمسك كلا فى مداره حتى كان عنها عالم واحد فى النظر سمى باسم واحد وهو السماء التى تعلونا، وهى معنى قوله:

(رفع سمكها فسواها) والسمك قامة كل شىء، فقد رفع اجرامها فوق رؤوسنا

(فسواها) عدلها بوضع كل جرم فى موضعه (أغطش الليل) أظلمه، وغطش الليل أظلم ونسبة الليل الى السماء لأنه يكون بعقيب كواكبها (ضحاها) نورها وضوء شمسها، قال تعالى « **والشمس وضحاها** » **أى ضوؤها، وتعاقب الليل والنهار واختلاف الفصول التابع لحركة بعض السيارات يهيىء الأرض للسكنى، وهو معنى قوله (والأرض بعد ذلك) تسوية السماء على الوجه السابق وابراز الأضواء (دحاها) أى مهدها وجعلها قابلة للسكنى، وذلك بأن (أخرج منها ماءها) بتفجير الينابيع والعيون والأنهار، (ومرعاها) أى رعيها، وهو النبات الذى يأكل منه الناس والدواب، وتثبيت الجبال وجعلها مانعة من اضطراب الأرض من تتمة التمهيد واعداد الأرض لسكنى الأحياء، وهو متأخر عن الاستعداد الأول لانبات النبات وان كان بروز الجبال سابقا على ذلك، وقد جعل الله ذلك كله ليتمتع به الناس والأنعام أفلا يكون صانع ذلك كله هو صانعكم؟ أفلا يكون خالقكم وواهبكم ما به تحيون ورافع السماء فوقكم وممهد الأرض تحتكم، قادرا على بعثكم؟ وهل يليق به أن يترككم سدى بعد أن دبركم هذا التدبير، ووفر لكم هذا الخير الكثير؟..**

قراءات جديدة فى كتب قديمة

العقل يأمرك بالأنفع والمروءة تأمرك بالأجمل

لعل من أجمل وأوفى وأصدق ما كتب عن المشورة ما جاء فى كتاب أدب الدنيا والدين لأبى الحسن البصرى حيث قال - فى مقدمة فصل خاص - إعلم أن من الحزم لكل لب ، ألا يبرم أمرا ولا يمضى عزما إلا بمشورة ذى الرأى الناصح ومطالعة ذى العقل الراجح فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع ما تكفل به من ارشاده ، ووعد به من تأييده ، فقال تعالى « وشاورهم فى الأمر »

الأستاذ صبرى أبو المجد

قال قتادة ، أمره بمشاورتهم تألفا لهم ، وتطييبا لأنفسهم وقال الضحاك أمره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى أمره بمشاورتهم **ليستن به المسلمون ، ويتتبعه المؤمنون وإن كان عن مشورتهم غنيا** ، وروى عن النبى ﷺ إنه قال : « **المشورة حصن من الندامة ، وأمان من الملامة** » ، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : **نعم الموازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد** وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه **الرجال ثلاثة : رجل ترد عليه الأمور فيسددها برأيه ورجل يشاور فيما اشكل عليه ، وينزل حيث يأمره اهل الرأى ورجل حائر بأمره لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا ، وقال عمر بن عبد العزيز : إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة لا يضل معهما رأى ولا يفقد معهما عزم »**

وقال سيف بن ذى يزن من أعجب برأيه لم يشاور ومن أستبد برأيه كان من الصواب بعيدا وقيل فى منثور الحكم المشاورة راحة لك وتعب على غيرك وقال بعض البلغاء من حق العاقل ان يضيف إلى رأيه أراء العقلاء ويجمع الى عقله عقول الحكماء ، فالرأى الفز ربما زل والعقل الفرد ربما ضل .

وقال بعض الحكماء : نصف رأيك مع أخيك فشاوره ليكمل لك رأيك

وقال بعض البلغاء إذا شكلت عليك الأمور وتغير لك الجمهور فارجع إلى رأى العقلاء وافزع ، الى استشارة العلماء ، ولاتأنف من الاسترشاد ولا تستنكف من الاستمداد فلأن تسأل وتسلم ، خير لك من ان تستبد وتندم .

ويقول أبو الحسن البصرى : وينبغى لمن أنزل منزلة المستشار ، وأحل محل الناصح ، المواد ، حتى صار مأمول النجح ، مرجو الصواب أن يؤدى حق هذه النعمة بإخلاص السريرة ، ويكافىء على الاستسلام ببذل النصح فقد روى عن النبى ﷺ ، **من حق المسلم على المسلم إذا استنصحه أن ينصحه** ، وربما ابطرته المشاورة فأعجب برأيه فأحذره فى المشاورة فليس للمعجب رأى صحيح ولا روية سليمة وربما شح فى الرأى لعداوة ، أو حسد فاحذر العدو لا تثق بحسود ولا عذر لمن استشاره عدو أو صديق إن يكتم رأيا وقد استرشد ، ولا أن يخون وقد ائتمن ، روى محمد بن المنكدر ، عن عائشة رضى الله عنها ان النبى ﷺ قال : المستشير معان ، والمستشار مؤتمن وقال سلمان بن دريد .

وأجب أخاك إذا استشارك ناصحا   وعلى أخيك نصيحة ، لاترد

وفى فصل آخر ، عن كتمان السر يقول أبو الحسن البصرى : إعلم ان كتمان الاسرار هى أقوى اسباب النجاح وادوم لاحوال الصلاح . وروى عن النبى ﷺ انه قال : استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود .

وقال على كرم الله وجهه سرك اسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره

ويقول أبو الحسن . البصرى ايضا : كم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنع من نيل مطالبه ولو كتمه كان من سطوته آمنا وفى عواقبه سالما ، ولنجاح حوائجه راجيا .

وقال أنو شروان : من حصن سره فله بتحصينه خصلتان : الظفر بحاجته والسلامة من السطوات .

واظهار الرجل سر غيره اقبح من إظهار سر نفسه لأنه يبوء بوصمتين : الخيانة ان كان مؤتمنا او النميمة إن كان مستودعا ، فأما الضرر فربما استويا وكلاهما مذموم وهو فيهما ملوم . . وفى الاسترسال بإبداء السر ، دلائل على ثلاثة احوال مذمومة احداها ضيق الصدر وقلة الصبر حتى أنه لم يتسع لسر ، ولم يقدر على صبر والثانية الغفلة على تحذر العقلاء والسهو على يقظة الاذكاء والثالثة ما أرتكبه من الغرور واستعمله من الخطر . .

وقال بعض الحكماء : سرك من دمك فإذا تكلمت به فقد أرقته

وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : القلوب أوعيه الأسرار ، والشفاه اقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل امرىء مفتاح سره وحكى أن رجلا أسر إلى صديق حديثا ثم قال : افهمت قال ، بل جهلت : قال أحفظت ؟ قال : بل نسيت وحكى ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس فى مجلسه حفظ السر فقال ابنه :

ومستودعى سرا ، تضمنت سره   فأودعته من مستقر الحشى قبرا

وينتقل أبو الحسن البصرى من حفظ السر الى المزاح والضحك فيقول : اعلم ان للمزاح ازاحة عن الحقوق ومخرجا إلى القطيعة والعقوق يصم المازح ، ويؤذى المزاح فوصمة المازح ان يذهب عنه الهيبة والبهاء ويجرىء عليه الغوغاء والسفهاء واما أذيه المزاح فلأنه معقوق بقول كريه وفعل ممض إن امسك عنه احزن قلبه وان قابل عليه

جانب أدبه، فحق على العاقل أن يتقيه، وينزه نفسه عن وصمة مساويه، وقد روى عن النبي ﷺ انه قال: **المزاح استدراج من الشيطان واختداع من الهوى»**

وقال عمر بن عبد العزيز: اتقوا المزاح، فإنه حمقة تورث ضغينة

وقيل انما سمى المزاح مزاحا لأنه يزيح عن الحق، وقيل فى منثور الحكم المزاح يأكل الهيبة، كما تأكل النار الحطب ويقول «أبو نواس»

خل جنبيك لرام   وإمض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير   لك من داء الكلام
إنما السالم من   الجم فاه بلجام
ربما استفتح بالمزح   مغاليق الحمام

وقد كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول الاحقا، ومن مزاحه ﷺ ما روى أن عجوزا من الانصار اتته فقالت يا رسول الله ادع لى بالمغفرة، فقال: أما علمت ان الجنة لا يدخلها العجائز فصرخت فتبسم الرسول ﷺ وقال أما قرأت من القرآن قول الله عز وجل ' إنا انشاناهن إنشاء، فجعلناهن أبكارا، عربا أترابا»

واتته أخرى فى حاجة لزوجها فقال لها ومن زوجك فقالت فلان: فقال لها: الذى فى عينيه بياض فقالت لا فقال بلى، فانصرفت الى زوجها، وجعلت تتأمل عينيه فقال لها ما شأنك فقالت اخبرنى رسول الله ﷺ ان فى عينيك بياضا فقال اما ترين بياض عينى أكثر من سوادها.

وسأل الشعبى عن أكل لحم الشيطان فقال نحن نرضى منه بالكفاف، وقيل له ما اسم امرأة ابليس لعنه الله فقال ذلك نكاح ما شهدناه وقال رجل لغلام، بكم تعمل معى: قال بطعامى فقال له أحسن قليلا قال فاصوم الاثنين والخميس.

وقد كان صهيب بن سنان مزاحا فقال له رسول الله ﷺ: أتأكل تمرا وبك رمد، فقال يا رسول الله إنما امضغ على الناحية الأخرى وانما استجاز صهيب ان يعرض لرسول الله ﷺ بالمزح فى جوابه لأن استخباره ﷺ قد كان يتضمن المزح فأجابه عن استخباره ﷺ مزحا، لأن المزح هزل ومن جعل جواب رسول الله ﷺ المبين عن الله عز وجل أحكامه المؤدى إلى خلقه أوامره هزلا، ومزحا فقد عصى الله ورسوله وصهيب كان أطوع لله سبحانه وتعالى من أن يكون بهذه المنزلة فقد قال ﷺ انا سابق العرب وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش

وعن الضحك يقول أبو الحسن البصرى إن عتياده شاغل عن النظر فى الأمور المهمة مذهل عن الفكر فى النوائب الملمة وليس عن أكثر منه هيبة ولا وقار ولا لمن وسم به خطر ولا مقدار.

روى أبو أدريس الخولانى عن ابى ذر الغفارى قال قال رسول الله ﷺ إياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى: ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها إن الصغيرة الضحك وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته وقيل فى منثور الحكم: ضحكة المؤمن غفلة من قلبه.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه التبسم دعابة وهذا ابلغ فى الايناس من الضحك الذى قد يكون استهزاء وتعجبا، وليس بنكر منه المرة النادرة لطارىء استغفل النفس عن دفعه هذا رسول الله ﷺ وهو املك الخلق لنفسه قد تبسم حتى بدت نواجزه

ومن فصول كتاب ادب الدنيا والدين فصل عن الطيرة والفأل، وعن الطيرة والفأل يقول: أعلم انه ليس شيء اضر بالرأى ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ومن ظن أن خوار بقرة، أو نعيب غراب، يرد قضاء أو يدفع مقدورا، فقد جهل وقد روى عن النبى ﷺ انه قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر والعدوى ما يظنه الناس من تعدى العلل، والأمراض فأخبر انها لاتعدى فقيل يا رسول الله: أنا نرى النقبة من الجرب فى مشفر البعير، فتتعدى إلى جميعه فقال ﷺ: فن أعدى الأول، وأما الهامة فهو ما كانت العرب فى الجاهلية تعتقده من أن القتيل اذا طل دمه فلم يدرك بثاره صاحت هامته فى القبر اسقونى وأما الصفر فهو كالجنة يكون فى الجوف بصيب الماشية والناس وهو أعدى عندهم من الجرب وبه يقول الشاعر:

لا يمسك الساق من ابن وصب   ولايعض على شرسوفة الصفر

ورووى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا ظننتم فلا تحققوا، وإذا حسدتم فلا تبغوا وإذا تطيرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا..

وقد قال لبيد:

لعمرك ماتدرك الضوارب بالحصى   ولازاجرات الطير ما الله صانع

وحكى الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوما فى المصحف فخرج له قوله تعالى «**واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد**» فزق المصحف وانشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد   فها انذا جبار عنيد
إذا ماجئت ربك يوم حشر   فقل يا رب مزقنى الوليد

فلم يلبث إلا اياما حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره، ثم على سور بلده

أما الفصل السابع من الباب الأخير من كتاب ادب الدنيا والدين، فقد كان عن المروءة وينقل عن بعض الحكماء، الذى سئل عن الفرق بين العقل، والمروءة فقال: العقل يأمرك بالأنفع، والمروءة تأمرك بالأجمل وحكى ان معاوية رضى الله عنه سأل عمر عن المروءة فقال تقوى الله تعالى وصلة الرحم وسأل المغيرة فقال هى العفة عما حرم الله تعالى والحرمة في أحل الله تعالى وسأل يزيد فقال هى الصبر على البلوى والشكر على النعمى، والعفو عند المقدرة فقال معاوية انت منى حقا!

واخر فصول الكتاب ـ كتاب أدب الدنيا والدين لابى الحسن البصرى بعنوان «فى أداب منثورة ومن هذا الفصل ننقل الكلمات التالية:

روى عن النبى ﷺ انه قال: اياكم والبطنة فانها مفسدة للدين مورثة للسقم، مكسلة عن العباده. وللفتح البستى هذين البيتين:

يا خادم الجسم كم تسعى بخدمته   أتتطلب الربح مما فيه خسران
اقبل على النفس واستكمل فضا   ئلها فانت بالنفس لابالجسم إنسان

ورووى ان عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز دخل على ابيه فوجده نائما فقال يا أبت اتنام، والناس بالباب فقال: يا بنى نفسى مطيتى وأكره ان اتعبها فلا تقوم بى

ورووى زيد بن خالد الجهنى عن رسول الله ﷺ أنه قال السعيد من وعظ بغيره. ومن أبيات لطاهر بن الحسن:

إذا اعجبتك خصال امرىء   فكنه يكن منك ما يعجبك
فليس على المجد والمكرمات   إذا أجتهد حاجب يمنعك

ويقول مؤلف الكتاب: ليعلم كل إنسان أن لكل حين من ايام عمره خلقا وفى كل وقت من أوقات دهره عملا، فإن تخلق فى كبر، باخلاق الصغر وتعاطى افعال الفكاهة والبطر استصغره من هو اصغر، وحقره من هو أقل وأحقر فكن أيها العاقل مقبلا على شأنك راضيا عن زمانك سلما لأهل دهرك جاريا على عادة عصرك، منقادا ولمن قدمه الناس عليك متحننا على من قدمك الناس عليه ولا تباينهم بالعزلة عنهم فيمقتوك ولا تجاهرهم بالمخالفة لهم فيعادوك، فإنه لا عيش لممقوت ولا راحة لمعادى وانشد بعض أهل الأدب لبعضهم

إذا اجتمع الناس فى واحد   وخالفهم فى الرضا واحد
فقد دل اجماعهم دونه   على عقله انه فاسد

واجعل نصح نفسك غنيمة عقلك ولا تداهنها بأخفاء عيبك، واظهار عذرك فيصير عدوك، احظى منك فى زجر بانكارك مجاهرتك من نفسك التى هى اخص بك لاغرائك لها بأعذارك ومساءتك، فحسبك رجل ينفع عدوه ويضر نفسه وقال بعض الحكماء اصلح نفسك لنفسك تكن الناس تبعا لك، وقال بعض البلغاء من اصلح نفسه رغم انف اعاديه ومن أعمل جده، بلغ كنه أمانيه وقال بعض الأدباء من عرف معابه فلا يلم من عابه وأنشدنى أبو ثابت النحوى لبعض الشعراء:

ومصروفة عيناه عن عيب نفسه   ولوبان عيب من أخيه لايبصرا
ولو كان ذا الإنسان بنصف نفسه   لأمسك عن عيب الصديق وقصرا

ويقول فى النهاية ـ من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ.

وبذلك تنتهى قراءتنا لكتاب أدب الدنيا والدين لأبى الحسن على بن محمد، بن **حبيب البصرى الماوردى، والذى كان مقررا على طلاب المدارس فى أبان الاحتلال البريطانى فى عام ١٨٩٨ فتى يكون بين ايدى ابنائنا فى المدارس الثانوية وفى الجامعات مثل هذا الكتاب القيم؟**

مشكلة اليهودية العالمية

عرض وتحليل الأستاذ مأمون غريب

ليس هناك شعب كتب تاريخه بنفسه ثم زعم أن هذا التاريخ منزل من عند الله سوى اليهود.. فقد حرفوا التوراة، وكتبوا فيها ما يلائم أهواء خيالاتهم المريضة، وأقنعوا بها أنفسهم، وحاولوا إقناع العالم بأنهم شعب الله المختار. وهذا الاعتقاد نفسه هو الذى جعلهم يتقوقعون فكريا.

وحول مشكلة اليهودية العالمية استطاع الاستاذ فؤاد شبل وقد عمل فى السلك السياسى أن يلق أضواء على الفكر اليهودى من خلال تحليل آراء المؤرخ العالمى أرنولد توينبى لهذه المشكلة.

وأول ما يتبادر إلى الذهن هو هذا السؤال: ما هو طابع التاريخ اليهودى؟ والإجابة هى أن اليهود اعتبروا غيرهم من شعوب العالم أقل منزلة. فإنهم هم الشعب المختار أما شعوب العالم الأخرى فهى فى مركز منحط يطلقون على أفرادها كلمة الأمميين. وهم بتعبير الشاعر الإنجليزى كبلنج سلالات دنيا لا شريعة لها.

ومع ظهور الإسلام والمسيحية تقوقع اليهود روحانيا وفكريا، وأصبحت اليهودية بقية حضارة بائدة. هى حضارة المجتمع السريانى (مجتمع الشرق الأوسط القديم) ويعتبرها الباحث المدقق مجرد جماعات متحجرة تعزى نفسها عن تحجرها الفكرى، وتقوقعها الروحانى ببث الإيمان فى نفوسها بأنها شعوب مختارة تسمو على بقية شعوب العالم!

ولكن ما هى الصدمات التى تعرضت لها النفسية اليهودية، وطبعتها بهذا الطابع الكريه.. مما جعل العالم يمقت وينفر منهم؟

لقد كابدت اليهودية عدة صدمات أهمها ماكابدته على أيدى بختنصر فى خلال العقد الثانى من القرن السادس قبل الميلاد، وما لاقوه من هوان على أيدى الرومان، أثناء الحروب اليهودية الرومانية فى خلال القرنين الأولين الميلاديين.

هذا الصراع اليهودى الرومانى دفع اليهود للحفاظ على ذاتيتهم. فكان أن أتم أحبارهم صياغة شريعة التوراة المكتوبة، والتعليق على التوراة (أى المشنا) وإنتاج تعليق آخر يعرف ب (الجمارة).. ومن المشنا والجمارة يتألف التلمود.

ولا نجد فى المشنا أو الجمارة أى ذكر للسيد المسيح أو الانجيل.. ولا يذكر التلمود حرفا واحدا عن لقب المسيح مكتفيا باسم عيسى. واتخذت اليهودية شكلها المحدد خلال مائة وخمسين سنة تقع بين جيل الحاخام (يونان بن زكاى) وإقامة السنهدريم (المجلس اليهودى القديم) عام ٧٠ ميلادية. وأقر هذا المجلس شريعة التوراة المكتوبة ويبدو للباحث. أن أحبار اليهود قد عمدوا إلى تسجيل تراثهم الروحى والأدبى بعد ما شاهدوا تداعيه بفعل التأثيرات الأجنبية.

والعقيدة اليهودية استوعبت الكثير من أساطير مصر وبابل.. وحكتها من ثقافات الشعوب المحيطة بها سيما الكنعانيون والفينيقيون.. وقد تأثرت اليهودية بعقيدة زرادشت، تأثرا يتجلى بالذات فى المشابهة القوية بين تعاليم زرادشت وسفر أشعيا الثانى

ومن الواضح لمتتبع التاريخ اليهودى أنهم فى محاولتهم إقامة دولة لهم فى فلسطين كانوا دائما يعتمدون على الحركة اليهودية العالمية بحيث يكون اليهود فى العالم كله من الممولين والمساندين لهذه المحاولات التى فشلت عبر مراحل التاريخ المختلفة..

ونتيجة لهذا اليأس من الوصول إلى دولة تجمع شتاتهم. سعى اليهود لإلقاء عبء تنفيذ مشروع مستحيل من على كواهلهم الذاتية.. على كاهل إلهى تصورى يقوم هو شخصيا بتنفيذ المشروع لصالح اليهود على حساب بقية شعوب العالم وأجناسه.. ويدفعها هذا البحث إلى تطور طبيعة الآلهة عند اليهود لاتصالها الشديد بصياغة الفكر اليهودى واتجاهاته على الصورة التى تشاهدها فى الوقت الحاضر.

فما هى طبيعة الإله عند اليهود وتأثيرها الفكرى؟

نتيجة للمتغيرات التى حدثت عبر القرون تطورت فكرتهم بالتالى عن الإله (يهوى). ولكن فكرهم عن طبيعة هذا الإله لم تتبدل.

فهم يصورون إلههم فى صورة إنسان ويتطلب هذا الكائن الإنسانى الإلهى من اتباعه طاعة عمياء وولاء صادقا كاملا.

ولا تختلف وجهة النظر هذه بشأن طبيعة إله اليهود ذات المنحى الإنسانى بين منقف وجاهل. قديما وحديثا.. ويعثر عليها الباحث بين القبائل البربرية الإسرائيلية فى سالف الأيام ولا يسلم من الأيمان بها فلاسفة اليهود المحدثون ثم تختلف طبيعة التغير باختلاف العصور. وعلى حسب الظروف التى مرت بها اسرائيل. فهو حينا فى رأيهم نكد.. متقلب.. مندفع.. أخو نزوة.. وتعدد التوراة أحكامه الجائزة التى لاتعد ولاتحصى. كما تبدى التوراة شدة بطشه بالناس كقوة عمياء لا تبق ولا تذر. وفى أحيان أخرى منزه عن النقائض وعادل.

ويبرز المؤلف تساؤلا هاما وهو: ما هى الغاية من إنشاء إسرائيل؟

إن المؤلف بعد أن يستعرض لنا الشعوبية اليهودية، يرى أن هذه الشعوبية تستند على دعامتين:

الأولى: التشتت

الثانية: الفيتو

والشعوبية اليهودية أشبه بقوقعة يحرص حيوانها داخل المحارة على البقاء فيها وعدم مغادرتها إلا بالقدر اللازم لمصلحته، فإن غادرها تعرض لعوامل التطور التى إما أن تحيله إلى كائن جديد أو تقضى على ذاتيته إن لم يتوام مع البيئة الجديد.

وفى ظل ليبرالية الغرب التى دفعت إلى اندماج عناصر السكان. وهذا يعنى نهاية المعزل اليهودى (الفيتو) كما أن انتشار الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية كان ضربة على نظرية الفيتو. ومن هنا كان إصرار مفكرى اليهود على إنشاء دولة إسرائيل ليتكون منهم (فيتو) دولى يحفظ لليهود ذاتيتهم. وبقيام إسرائيل يتحقق لليهود الحفاظ على الذاتية اليهودية من جهة، ومن جهة أخرى تستفيد من التشتت أو الأمميين بما لايؤثر فى معدن الذاتية اليهودية، وتوهم أقطاب اليهود أن تتولى اسرائيل الفيض على ناصية التجارة والمال فى الشرق الأوسط، فتحقق لهم السيطرة على العالم. وهنا تصبح الأحلام التى راودت أحلام اليهود ابتداء من عزرا عن صيرورة أورشليم عاصمة امبراطورية يكون فيها الشعب المختار سيد العالم باسرة تصبح حقيقية واقعة. وفى سبيل ذلك تتحالف الصهيونية مع الاستعمار العالمى، ومع الامبريالية الخاضعة لنفوذ يهود نيويورك، ومع الرجعية التى تتستر وراء الدين لكفالة استغلالها للشعوب. وكان وعد بلفور ثمرة هذا التحالف الذى تكاتفت على تحقيقه عمليا قوى الاستعمار.

والمؤلف يرى أن أبشع تناقضات مجتمع اسرائيل متنافره إلى أبعد الحدود مع المنحى التفكيرى لمجتمع الشرق الأوسط. إذ تبرز إسرائيل فى بحر خضم من الدول العربية التى يجمع بينها الدين واللغة والتاريخ المشترك والأمانى والأهداف والآلام. **فالدول العربية وحدة حضارية تضم مائة مليون نسمة وتنتسب إلى الحضارة الاسلامية التى تضم أكثر من ٦٠٠ مليون نسمة. فإسرائيل كائن شاذ لا يمكن أن يستقيم وجوده فى قلب هذا المحيط الحضارى الإسلامى. مع ماتحتله من مفاهيم سياسية واقتصادية وثقافية تناهض على طول الخط القيم العربية والإسلامية وتعاديها.. وبكلمة جامعة، تمثل اسرائيل تناقضا خطيرا فى المجتمعات الأسيوية والأفريقية لا مناص من القضاء عليه فى نهاية المطاف.**

مع الله

عرض وتلخيص
الأستاذ
حسين هاشم

التصوف يعنى التجرد الخالص لله والارتفاع بالروح الانسانى إلى أعلى مستويات الكمال . وذلك بجهاد النفس ومقاومة الشهوات .

والصوفية فى أصلها تعنى العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله عز وجل ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذات ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة .

وقد كثر الحديث عن التصوف وعن المتصوفين ، بعد أن ظهر تطرف بعض المتصوفين ، أو من يسمون أنفسهم متصوفين وإساءة المسيئين الى هذه العبادة الروحية الصافية . مع أن المتصوفة لهم دور كبير فى المجتمعات الإسلامية - فهم لم يبعدوا عن الحياة ومشاكلها ، ولم يكونوا سلبيين فيما يتعلق بقضايا الناس وكانوا يؤدون النصيحة لكل مسلم فقد كان ولاؤهم لله ولرسوله قبل كل شيء .

وحول موضوع التصوف - يحاول كتاب « مع الله » لمؤلفه الأستاذ محمد فتحى حافظ قوره - فى سلسلة كتبه فى الدعوة الى الله - أن يعطى لنا صورة واضحة عن الحياة الصوفية والكتاب مقسم الى عدة أبواب تشمل جوانب هذا الموضوع .

والقارىء يعيش مع الله - حينما يمعن النظر فى الباب الأول - ففيه ينصت إلى أصداء هذه العبارة « الله » حينما يذكره الإنسان يشعر براحة نفسية تسيطر على حواسه ، وبقوة تامة تملأ جوانب نفسه - ويرى نوراً يضىء له كل ما حوله ، ويحلق بفكره فى عالم علوى يسلب لبه ، ويجذب إليه روحه ويشعر أنه انتقل من عالم المحسات الى عالم المغيبات ، ويتخيل تلك اللحظة الجليلة التى عاشها رسولنا الكريم ﷺ فى ضيافة رب العزة ليلة المعراج - وقد تجلى المولى بأنواره القدسية فخرّ ساجداً خاشعاً يسبح ربه وقد اضطرب فؤاده واهتزت جوارحه رغبة ورهبة . . . »

وفى هذا الباب أيضا يعرف القارىء ماذا قال أحد ساسة إيطاليا عن الله سبحانه وتعالى .

فيما قاله (الله موجود - لأننا موجودون - وهو موجود فينا وفى شعور الإنسانية جمعاء وفى كل ما يحيط بها من عوالم وإنا نشعر بذلك فى كل الأوقات . . .) ولم يكن أول ملحد فى الأرض إلا أحد هؤلاء المجرمين الذين أخفوا جرائمهم عن كل الناس وظنوا أنهم قد يتخلصون بإنكارهم لوجود الله من شهادة الشاهد الذى لا تخفى عليه خافية . . .) .

ثم تحدث المؤلف عن التصوف - وعن الحياة الروحية التى يحياها الصوفية الذين خضعوا لسلطان حب الله حتى لقد ملك عليهم كل جارحة من جوارحهم . ومما ذكره الغزالى عن تربية القلوب (إن الأعضاء الظاهرة والباطنة خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافاً ولا عليه تمرداً وقد تتمرد الأعضاء إن لم تمرن على الطاعة . . .) .

ثم أوضح المؤلف مقامات العارفين ودرجاتهم فى العبادة وكيف وصل بعضهم إلى أسمى درجات الحب الالهى .

وفى الباب الثانى يتحدث عن حياة إمام العابدين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه فهو القدوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وأوضح كيف كان ﷺ يقضى وقته فى خلوته - مع تفصيل أنواع خلوة طلاّب الحق - ثم ذكر دعاء الرسول الشامل لكل ألوان التضرع والتقرب إلى الله ليردده الذاكرون .

ثم أوضح فضل مجالس الذكر وكيف يتدرج الذاكرون فى مقامات السلوك . وقد ذكر المؤلف موقفاً حدث له من مواقف الفيض الالهى والاتصال الروحى حينما سعد بدرجة الصفاء والمصافحة مع الله فى الروضة الشريفة . هناك بالمدينة المنورة .

وفى الباب الثالث تحدث عن العبادة فى بيت النبوة - وحسبنا عبارة قالها سيد الشهداء لأحد سائليه - (يا هذا نحن قوم لا نعطى المعروف إلا على قدر المعرفة) ثم أوضح المؤلف ما كان عليه الصحابة وكيف أمات العلم بالله أهواءهم - وغلب لهم أعداءهم وأحكم لهم أمرهم وصارت أرواحهم مع الله فلم يروا غيره سبحانه وتعالى فشغلهم به عما سواه .

وفى الباب الرابع ذكر حياة بعض رواد التصوف وكيف كانوا يقفون أمام جلال الاسم الأعظم خاشعين . فالقلوب الراغبة فى الوصول خاشعة مشغولة به . . وصفاته المنزهة عن الحوادث تملؤها بالحب ، والحب هو أسمى درجات العرفان للذات العلية .

وختم الكتاب بالباب الخامس الذى ذكر فيه آراء حول التصوف والمتصوفين فحق التصوف أن تبقى له حرمته وكرامته - والتصوف الحق ليس إفلاسا ولا تهريجا ولا بطالة - إنما هو اليقين المضىء الذى يرتفع بالروح الانسانى إلى أعلى مستويات الكمال فى جهاد النفس وفى مقاومة الشر وفى عمارة الحياة .

وبعد : فالكتاب شيق يحتاج إليه كل سالك فى طريق العبادة - وفى طريق الدعوة إلى الله - فهو يفند آراء العلماء حول التصوف - ويوضح جهاد المتصوفين فى مجال السلم وميادين الحياة ويذكر حياة بعض الصوفية للعظة والاعتبار لينسج العاشقون لله على منوالهم لعلهم يصلون إلى ما وصلوا إليه .

نسأل الله العلى القدير أن يجعلنا ممن أحبهم فأفاض عليهم الرحمات وسلك بهم طريق الرضوان .

الإفتاء

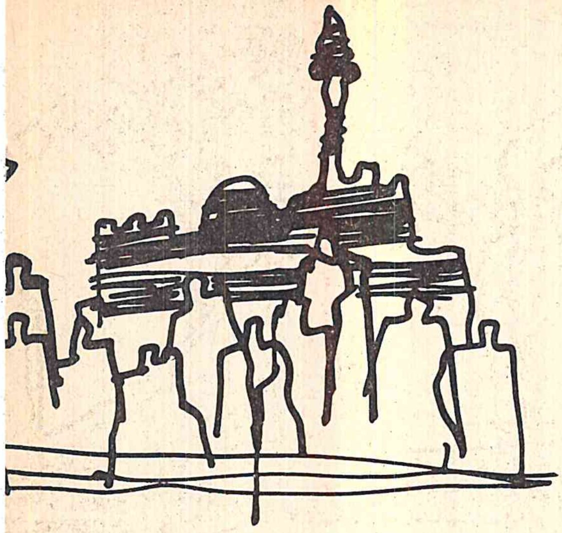

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر

س ١ من السيد/ عبد الرحيم الخطيب خطيب مسجد الشافعية بقرية جزيرة القشم الايرانيه يقول : لأهل القرية جامع ضاق بالناس وبجوار المسجد مقابر فأضافوا الى المسجد جزءا منها فما الحكم ؟

ج ١ لا مانع شرعا من نقل مقابر المسلمين أو بعضها الى مكان غير مكانها اذا كان ذلك لدفع ضرر او لتحقق مصلحة عامة تحقق نفعا للمسلمين . ولا ضرر من توسعة المسجد ولا حرج من الصلاة فيه حتى ولو كان يجاور بعض المقابر او يطل عليها والمصلى انما يتجه الى الله وحده فى صلاته فصلاته صحيحة . وقد سئل ابن القاسم هل كان مالك يوسع ان يصلى الرجل وبين يديه قبر يكون سترة له قال : كان مالك لا يرى بأسا بالصلاة فى المقابر وهو اذا صلى فى المقبرة كانت القبور بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله ، وأما ماورد فى الحديث من لعن اليهود لاتخاذهم القبور مساجد فانهم كانوا يعظمونها ، فالنهى فيها لتعظيمهم لها وتعظيم من دفن فيها .

س ٢ من مواطن يقول كيف يصلى المسلم ويصوم فى البلاد التى يطول فيها النهار إلى ٢١ ساعة والليل ثلاث ساعات أو العكس قد يكون الليل ٢١ ساعة والنهار ثلاث ساعات ، وكيف يصلى أهل القطبين .

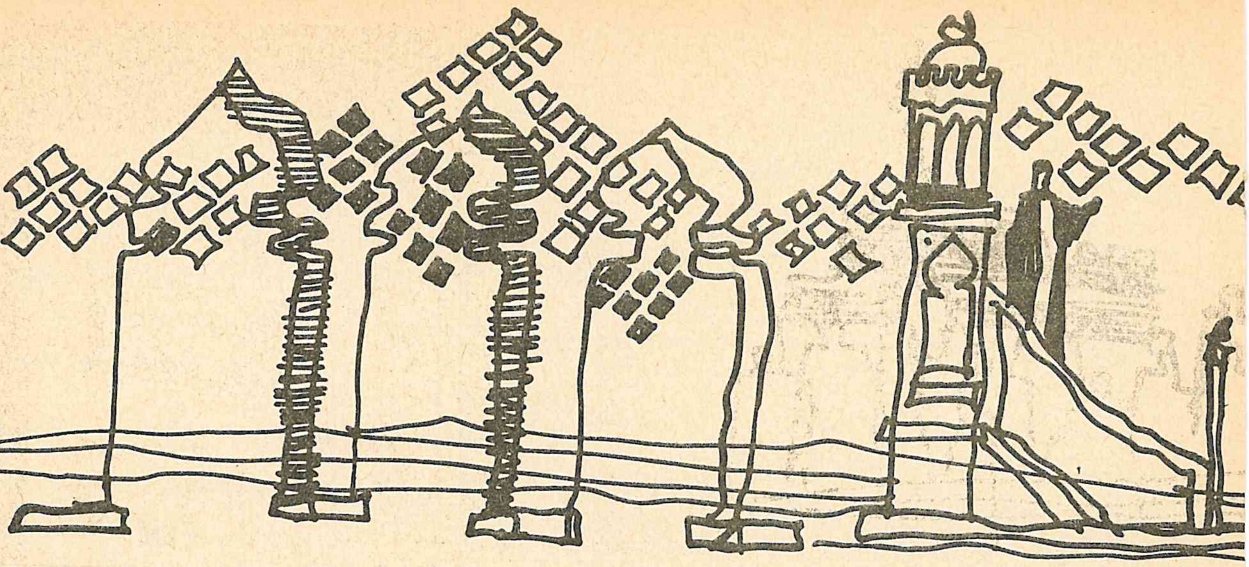

ج ٢ حيث يوجد فى البلد شروق وغروب فالحكم منوط به . فيصلى الصبح بعد طلوع الفجر والظهر عند الزوال والعصر حين يصير ظل كل شىء مثله سوى ظل الزوال ، والمغرب عند غروب الشمس والعشاء بعد مغيب الشفق الأحمر .

اما الصيام فانه يمسك حين يطلع الفجر ويفطر حين تغرب الشمس ، فاذا دام الليل او النهار فى بلد بحيث لا شروق ولا غروب فيها اعتبر قدر الليل والنهار لهم منسوبا لأقرب البلاد المعتدلة اليهم التى يكون فيها الشروق والغروب .

فاذا كان النهار فى بلد الشروق ربع مجموع ليلهم ونهارهم اعتبر للبلد الآخر التى لا شروق فيها بهذه النسبة فيكون نهارهم ربع المجموع ، واذا كان الثلث او النصف اعتبر الثلث او النصف على حسب اختلاف الحال فى بلد الشروق والغروب .

س ٣ ما الذى يجوز للمرأة كشفه من جسدها وما الواجب عليها . .

ج ٣ جمهور العلماء قرروا ان جميع بدن المرأة عورة الا وجهها وكفيها . . لقول الله تبارك وتعالى : « **ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها** » فالاية تنهى النساء عن ابداء مواضع الزينة الا ما جرت العادة بظهوره ، وهو الوجه والكفان ، لأن فى سترهما حرجا . فلا يجوز ابداء غيرهما من الرأس والشعر والرقبة والصدر والزراعين والساقين ، لانها من الزينة الباطنة . . وهذا الحكم يشمل الشابة والعجوز . فقد روى عن عائشة ان اسماء بنت ابى بكر دخلت على الرسول صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض النبى عنها وقال يا أسماء أن المراة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا واشار الى وجهه وكفيه . وابيح النظر الى الوجه والكفين بغير شهوة ، لان المرأة لابد لها من مزاولة الاعمال بيدها امام الرجال وكشف وجهها خصوصا فى الشهادة وامام القضاء والخطبة . وتضطر الى المشى فى الطرقات ففى سترهما حرج . فالواجب على المرأة ان تتحشم امام الرجال وان تستر جسمها الا وجهها وكفيها بمالا يلفت النظر اليها من لبس الملابس الضيقة التى تظهر اعضاء جسمها لان فى هذا اثارة للغريزة .

س ٤ امرأة طلقت وتزوجت بآخر فهل يجوز للزوج الاول المطلق ان يسلم عليها او يكلمها او يمشى معها او يجلس معها ؟

ج ٤ اذا طلقت المرأة من زوجها وانقضت عدتها منه اصبحت اجنبيه عنه فلا يجوز لها الا ما يجوز للاجنبيه سواء تزوجت بآخر اولم تتزوج وعلى الزوج الأول ان يراعى حدود الاسلام فى ذلك فلا يتعامل معها الا فى حدود شرع الله باعتبارها اجنبيه عنه . وعليه ان يراعى حق الزوج الثانى ولا يفعل شيئا يؤذى شعوره ، او يتسبب فى وقوع الخلاف بينهما حتى ولو كان ذلك سلاما او كلاما . .

س ٥ رجل تزوج وخلف ولدين الابن الاكبر تزوج بزوجتين انجب من الاولى بنتين ومن الثانية بنتا . ثم توفى قبل والده بشهر والابن الثانى لم يتزوج فما نصيبه من تركة والده وما نصيب الام وما نصيب البنات الثلاث وما نصيب امهاتهم فى تركة الجد

ج ٥ لبنات الابن الثلاثة اللاتى توفى والدهن فى حياة الجد وصية واجبة بمقدار ما كان يستحقه والدهن لو كان على قيد الحياة . . حين وفاة والده فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الصادرة فى أغسطس ١٩٤٦ . وحيث ان نصيب والدهن يزيد عن الثلث فى هذه المسالة فلا يحق لهن الا الثلث يقسم بينهن بالتساوى والباقى بعد اخراج الوصية . هو التركة لزوجة الجد الثمن فرضا ، والباقى للابن الذى لم يتزوج تعصيبا ، ولاشىء لامهات البنات فى تركة الجد .

ج ٥ لبنات الابن الثلاثة اللاتى توفى والدهن فى حياة الجد وصية واجبة بمقدار ما كان يستحقه والدهن لو كان على قيد الحياة .. حين وفاة والده فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الصادرة فى أغسطس ١٩٤٦ . وحيث ان نصيب والدهن يزيد عن الثلث فى هذه المسالة فلا يحق لهن الا الثلث يقسم بينهن بالتساوى والباقى بعد اخراج الوصية . هو التركة لزوجة الجد الثمن فرضا ، والباقى للابن الذى لم يتزوج تعصبيا ، ولاشىء لامهات البنات فى تركة الجد .

س ٦ هل يجوز لمن يدخل المسجد يوم الجمعه والامام يخطب ان يصلى ركعتين ؟

ج ٦ من السنة اذا دخل المصلى المسجد يوم الجمعه والامام يخطب ان يصلى ركعتين خفيفتين تحية المسجد قبل الجلوس فاذا جلس ولم يصل فالافضل له عدم القيام بعد ذلك . لانشغاله بسماع الذكر

س ٧ ادى الخطيب خطبة الجمعة واناب غيره للصلاة . فاختلف المسلمون . فما حكم الصلاة ..

ج ٧ صلاة الجمعة صحيحة اذا كانت الخطبة من شخص والامامة من آخر عند جمهور الفقهاء ، ويرى الامام مالك ان من شروط صحة الجمعة ان يكون الامام هو الخطيب فلو صلى بهم غير من خطب فالصلاة باطلة الا اذا منع الخطيب من الصلاة مانع يبيح استحلاف غيره ، فانها تصح ولا داعى للاختلاف فى مثل هذه الأمور حيث ان جمهور الفقهاء يقولون بصحتها .

كلمة

■ اليوم الجميل : هو اليوم الذى نملك فيه دنيانا ..

ولا تملكنا فيه الدنيا ..

وهو اليوم الذى نقود فيه شهواتنا ولذاتنا ..

لا ننقاد لها صاغرين أو طائعين .. !

« عباس محمود العقاد »

الأسرة المسلمة

ركائز المجتمع الإسلامي

القران الكريم هو دستور المسلمين نزل من عند العليم بالداء والدواء فبلغه رسول الله ، وفهمه المسلمين ، وطبقه فى مجتمعهم ، فخلق منهم خير امة تتجمع بالحب ، وتتمسك بالعدل ، وتنادى بالحرية وتقبل على العلم ، وتتسم بالصبر والمساواة والتسامح ، والوفاء والامانة ، والنظافة والاستقامة ، وكل ما هو كريم لقول الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم :

« كنتم خير أمة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ورسول الله ﷺ ارسل الى مجتمع جاهلى مريض بامراض اجتماعية تنخر فى عظامه وتؤدى الى تخلفه واعدامه فقضى على كل داء بدواء يقول الحق تبارك وتعالى :

« يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » ويقول جل شانه : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » .

فرسول الله ﷺ ارسل الى مجتمع تتفشى فيه الامية ، الكتابة فيه مقصورة على الكهنة وعلى ندرة معدودة فكانت أول آية نزلت من كتاب الله تدعو إلى العلم قراءة وكتابة وتعلماً قال تعالى :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ويقول رسول الله ﷺ : من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة . وفى اول غزوة إسلامية ـ وهى معركة بدر ـ جعل رسول الله ﷺ فداء الاسير تعليم عشرة من ابناء المسلمين القراءة والكتابة .

ورسول الله ﷺ ارسل الى مجتمع طبق الناس فيه سادة وعبيد ، فقضى بمبادىء الله

الأستاذ محمد النظامي

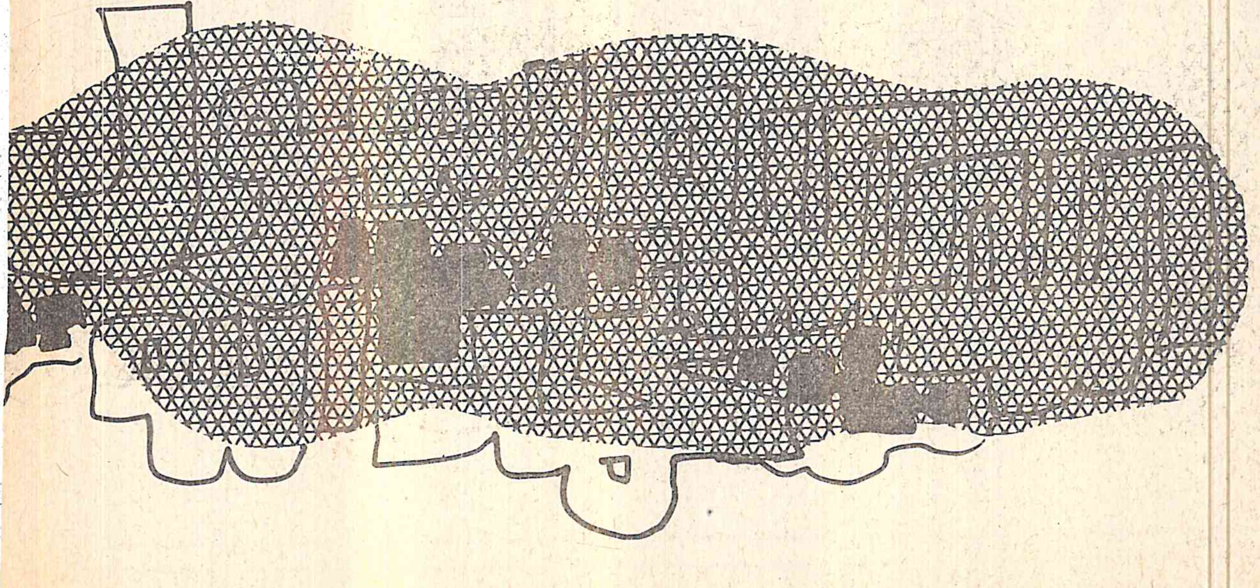

على التفرقة الطبقية والعنصرية ، ويبين انه لا تفاضل الا بالعمل الصالح والخلق الطيب ، لان الناس جميعا نشأوا من اصل واحد هو التراب ، ولان الناس جميعا نسلوا من اب واحد وأم واحدة ولان الناس جميعا يحملون فى بطونهم التراب ، ولان الناس جميعا سوف يعودون إلى التراب بقول الحق تبارك وتعالى :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .

ويغضب رسول الله ﷺ عندما سمع أباذر يقول لبلال فى ثورة غضب - يا ابن السوداء - يقول : طف الكيل ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء الا بالتقوى فوضع ابوذر عنقه على التراب وطلب من بلال ان يطأ بقدمه فعفا عنه .

ورسول الله ﷺ ارسل الى مجتمع كله كان ظالما القوى يأكل فيه الضعيف وتنتهك حرماته ويسلبه زوجته وماله ومتاعه ، فحقق رسول الله ﷺ مبدأ العدالة بين الجميع فأمن الانسان على نفسه وعرضه ، وماله وحريته بقول الحق تبارك وتعالى : « وقد خاب من حمل ظلما » .

ويقول سبحانه : « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » ويقول : ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « ان الناس اذا أوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده .. وعندما شاهد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود يضرب غلاما له بالسوط غضب وقال : يا ابن مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا الغلام ، فسقط السوط من يد ابن مسعود وقال : هو حر لوجه الله يارسول الله فقال ﷺ » اما لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة .

ويقول : ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل يوم القيامة الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وماولوا ..

ورسول الله ﷺ بعث الى مجتمع تفرض الضرائب فيه على الفقراء للأغنياء ، وتلهب ظهور الفقراء فيه سياط الاغنياء ، فالاغنياء خلقوا للسيادة والفقراء عبيد يعملون وينتجون لصالح الاغنياء فقدم الاسلام فانصف الفقراء من الاغنياء وحارب الفقر ، ومع ذلك لم يحارب الغنى متى قدم عن طريق سليم مشروع وانما جعل من اموال الاغنياء حقا مقررا ومشروعا للفقراء فقال تعالى :

« والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . »

ويقول ﷺ : إيما مسلم مات جوعا بين اغنياء فقد برىء منه الله ورسوله » .
ويقول « ما آمن بى من بات شبعان وجاره الى جانبه طاو (أى جائع .) وهو يعلم » .
ورسول الله ﷺ ارسل الى مجتمع شعاره الغدر والانتقام فحقق مجتمع الحب والرحمه والتسامح والوفاء ، وزرع مبادىء الله فى القلوب قال تعالى : **« انما المؤمنون اخوة » وقال عز من قائل : واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا »**

ويقول ﷺ : « انما يرحم الله من عباده الرحماء » ويقول ﷺ : الادلك على مايرفع الله به الدرجات « تحلم على من جهل عليك . وتعفو عمن ظلمك . وتعطى من حرمك . وتصل من قطعك .

ويقول فى حديث قدسى : « عن رب العزة : يقول الله عز وجل يوم القيامة : اين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم بظلى يوم لاظل إلا ظلى » .

ورسول الله ﷺ بلغ المبادىء وطبق المبادىء على اقرب الناس اليه وكان صورة حية للمبادىء كما جاءت فى كتاب الله الكريم فكان خير قدوة واعظم اسوة بقول الحق تبارك وتعالى :

« يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ويقول الرسول ﷺ : انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

ولقد سئلت السيدة عائشة عن اخلاق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن - اى كانت تصرفاته صورة لمبادىء الله فكان قرانا يمشى على الأرض .

ورسول الله ﷺ بلغ الرسالة وادى الامانة واعلم عنها بطرق الإعلام السليم حيث امره رب العزة بالاعلام فقال تعالى :

يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته » .

ورسول الله ﷺ وضع مبادىء الاعلام السليم فالاعلام غير الدعاية لان الدعاية لاتلتزم بالصدق وتعتمد على المبالغة ولكن الإعلام السليم كما وضع الاسلام مبادئه تتلخص فى امور منها :

اولا : ان يكون الداعية قدوة فى سلوكه حائزا لثقة الناس باخلاقه فالقول اذا خرج من القلب حل بالقلب . واذا خرج من اللسان لم يتجاوز الاذان .

ورسول الله ﷺ كان صورة صادقة للمبادىء ، كان مثلا عاليا للاخلاقيات الكريمة طبق المبادىء على نفسه واهله طبقها على سائر الناس ، وطبق مبدأ المشورة فاشترك المسلمون فى صنع القرار ، وكان القرار بذلك واجب التنفيذ وبذلك أثار الحماس للتقبل واشعر الجمهور بانه يشارك فى صنع القرار فاعتنقوا القرار وعملوا على تنفيذه لانه أمر اتخذ بعد مشورة فهو امرهم ولانه امر يهدف الى تحقيق العزة والخير ورفعة شأنهم بقول الحق تبارك وتعالى : **« يا ايها المدثر . قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر .. ويقول عز من قائل : « وانك لعلى خلق عظيم »** ويقول سبحانه : **وشاورهم فى الامر . ويقول عز وجل . وامرهم شورى بينهم .**

وذلك رسول الله ﷺ يطبق المبادىء على نفسه واهله كما يطبقها على سائر الناس فعندما كان يسوى الصفوف فى الجهاد وقال احد الصحابة اوجعتنى يارسول الله

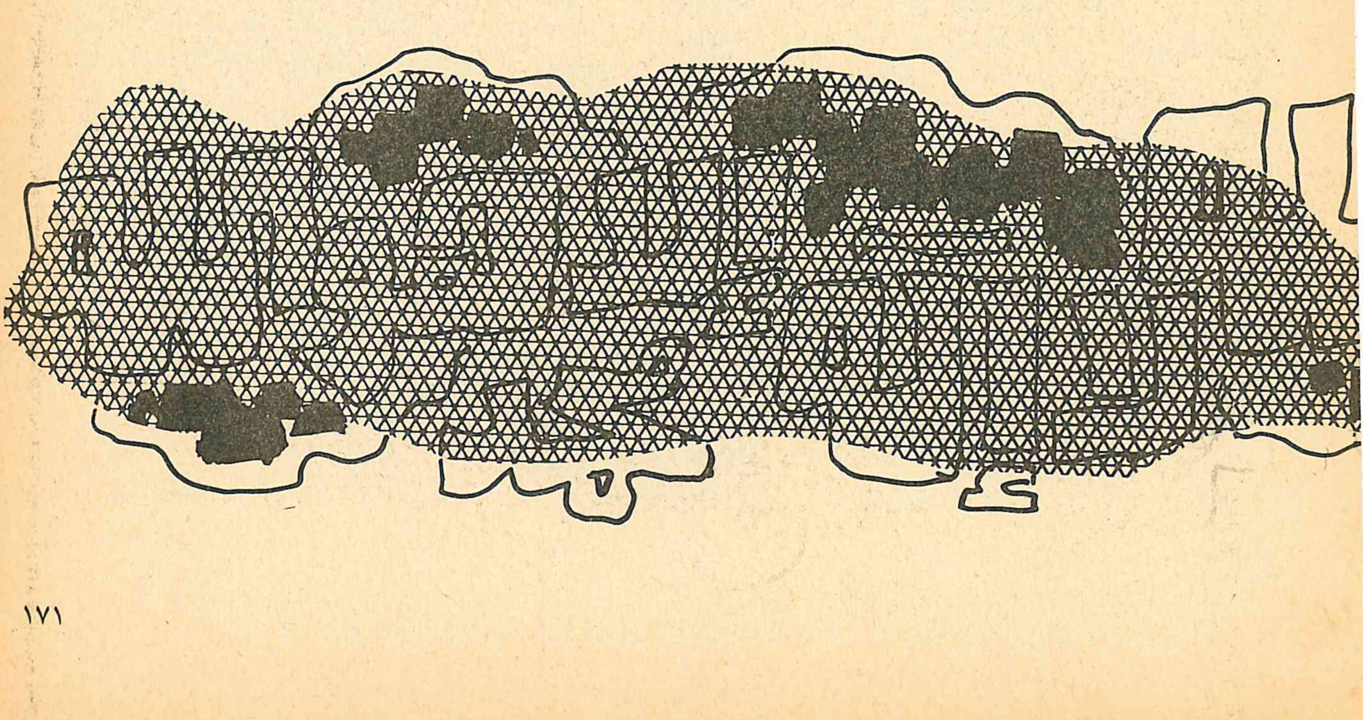

فكشف له رسول الله ﷺ عن بطنه ليقتص منه فقبل الصحابى بطن الرسول ﷺ وقال : اريد ان يكون ذلك اخر عهدى بالحياة . .

وفى معركة بدر - اولى الغزوات الاسلامية نجد رسول الله ﷺ يقدم للمبارزة خير أهله عمه حمزة وابن عمه على وابن عمه عبيدة ابن الحارث . . ويقدم للاستشهاد فى - مؤته - ابن عمه جعفر ابن ابى طالب . ويقدم للقيادة والمبارزة فى معركة - الاحزاب - ابن عمه على ابن ابى طالب ويقول مبينا انه لاتمايز ولا استثناء فى حد من حدود الله وعقوباته على المرتدين . انما أهلك الامم قبلكم انه كانوا اذا سرق الشريف فيهم تركوه . واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »

ثانيا - والاعلام يحتاج الى ان يكون الامر الذى تدعو اليه يؤدى الى صلاح المجتمع ورقيه وسموه حتى يعتنقه الناس . .

ورسول الله ﷺ قدم بمبادىء كانت قاسما مشتركا اعظم لرقى الناس تعتبر حياة الفرد ، وحياة الاسرة ، وحياة للمجتمع ، وحياة للحاكم وحياة للمحكومين . . تفى بحاجة الروح والجسد ، وتحقق سعادة الاولى والاخرة ، ولمن امن بها وصدق وطبق وتمسك بما شرع الله من عبادات وبما سن من معاملات ، وبما رسمه من اخلاقيات قال تعالى :

« ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما » ويقول عز من قائل : وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » . . ويقول : ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا » .

ويقول رسول الله ﷺ : مامن شىء يقربكم الى الجنة ويبعدكم عن النار الا وقد امرتكم به » . ويقول : ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها .

ثالثا - والاعلام يحتاج دراسة لنفسية المخاطبين وطبيعتهم وتبليغ ما يراد تبليغه اليهم فى بيئاتهم وأماكن تجمعهم وان تكون الوسيلة للاتصال بالناس واضحة لديهم حتى يتقبلوها . .

والاسلام قدم بلغة عربية يجد فيها المستمع بغيته قال تعالى :

« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » ؟

واهتم بالنفس الانسانية وتحدث عن خيرها وشرها : ' ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها » قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها »

وخاطب جميع المستويات فالخاصة يجدون فيه بغيتهم . والعامة يجدون فيه ما يحتاجون الى فهمه قال تعالى : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن . »

ويقول رسول الله ﷺ : « امرت ان اخاطب الناس على قدر عقولهم » . .

ورسول الله ﷺ بلغ الرسالة بنفسه للاماكن القريبة وبلغها للاماكن البعيدة بارسال الدعاة لتحفيظ القرآن الكريم وتفقيههم فى دين الله . وبلغها عن طريق رسائل مكتوبة للملوك والرؤساء فى الجزيرة العربية وخارجها . وصدق قول الله عز وجل :

وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » واقبل الناس على دين الله افواجا وملا الايمان قلوبهم واصبح غذاء لعقولهم وريا لارواحهم فتحقق فى مدى ثلاثة وعشرين عاما مجتمع قوى متكامل متحاب يعجز اعظم المصلحين عن تحقيق مجتمع قريب منه لو تفرغوا فى عدة قرون . وصدق قول الله سبحانه **« اليوم اكملت لكم دينكم واقمت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .**

وعندما اعتنق المسلمون المبادىء حققوا الانتصار فى كل معركة خاضوها رغم قلة عددهم وعدتهم . بسلاح الايمان وكان ذلك اعظم اعلام عن عظمة مبادىء الاسلام . . وصدق قول الحق تبارك وتعالى : **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . . انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون »** .

ولن تصلح امتنا اليوم الا بما صلح به اولها . واول هذه الامة صلح بالقران . والقران كتاب الله الخالد **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** .

والذى نحتاج اليه ان يكون لدينا دعاة . والداعية لابد ان يكون قدوة . متمسكا بالمبادىء والاخلاقيات حتى لا يصدق علينا قول الله سبحانه : **« أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم »** وقوله جل شأنه :

« يا ايها الذين امنوا لم تقولون مالاتفعلون » .

وقول القائل :

والذى نحتاج اليه ان يكون لدينا دعاة . والداعية لابد ان يكون قدوة . متمسكا بالمبادىء والاخلاقيات حتى لا يصدق علينا قول الله سبحانه : **« أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم »** وقوله جل شأنه :

« يا ايها الذين امنوا لم تقولون مالاتفعلون » .

وقول القائل :

يا ايها الرجل المعلم غيره — هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدا بنفسك فانهها عن غيها — فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويستفى — بالقول منك وينفع التعليم

والداعية لا بد ان يعد لكل مقام القول المناسب . وقديما قيل : البلاغة هى مراعاة مقتضى الحال فخالى الذهن يحتاج الى خطاب غير خطاب الشاك أوالمنكر . وحديث المسجد لا يصلح للاذاعة والتليفزيون لان المستمع قدم للمسجد بروح التقبل والتهيوء . . اما المستمع الآخر . . فيحتاج الى أساليب تشويق . بعيدة عن الالتواء ، ترتبط بالواقع ، وتعالج المشكلات وتعمل على تعميق القيم الدينية والروحية . . والروابط الاخوية فى مجتمعنا . . والبعد عن السعى وراء ربح رخيص . . ولقد بات لدينا فراغ روحى يتطلب تكتيل الجهود لملئه بالقيم والمبادىء . . فالقيم والمبادىء هى التى تحل المشكلات وتقضى على الخوف وتحقق الامان . . بقول الحق تبارك وتعالى : ' فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . . ويقول عز من قائل : ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

ولابد من وضع خطة متكاملة للتربية الدينية والخلقية لتسيير التعاون الفكرى فى مجال الدين تتبناه الدولة (فالله يزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن ، يراعى فيها الواجب على الاسرة . والواجب على المدرسة والمعهد والجامعة .

والواجب على اجهزة الاعلام وجميع المؤسسات التى تتعامل مع الجماهير . . وتقضى مصالح الجماهير وخدماتهم .

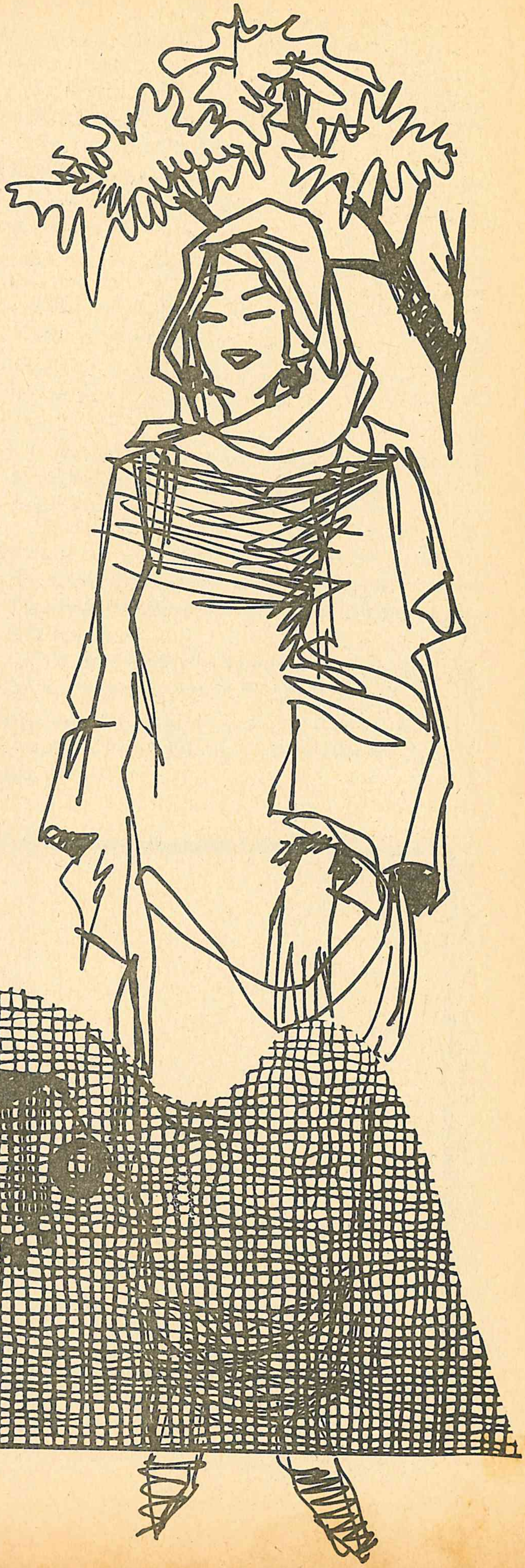

المرأة والأسلام وأخبار من الغرب

الأستاذ صلاح عزام

نقلت وكالات الأنباء العالمية .. بعض الأخبار التى تدور حول أمور ثلاثة .. تتعلق بكيان المرأة فى المجتمع الغربى القريب والبعيد ..

وقد مرت هذه الأخبار بلا تعليق من الدارسين والباحثين .. بل ومن بعض الذين يعلمون كل العلم تعاليم الاسلام التى كرمت المرأة .. بما لم يحدث لها من قبل .. وما لن تراه من بعد إلا فى ظلال الاسلام ..

والأخبار الثلاثة تقول ..

● فى فرنسا .. طالبت وفود النساء والجمعيات النسائية الفرنسية .. بمساواة المرأة فى فرنسا .. بالمرأة فى البلاد العربية الاسلامية .

لماذا .. ؟ لأنه من بين المميزات التى كفلها دين المرأة فى بلاد العرب .. لها .. الاحتفاظ بكيانها الشخصى .. بما فى ذلك اسم ابيها ولقب أسرتها ..

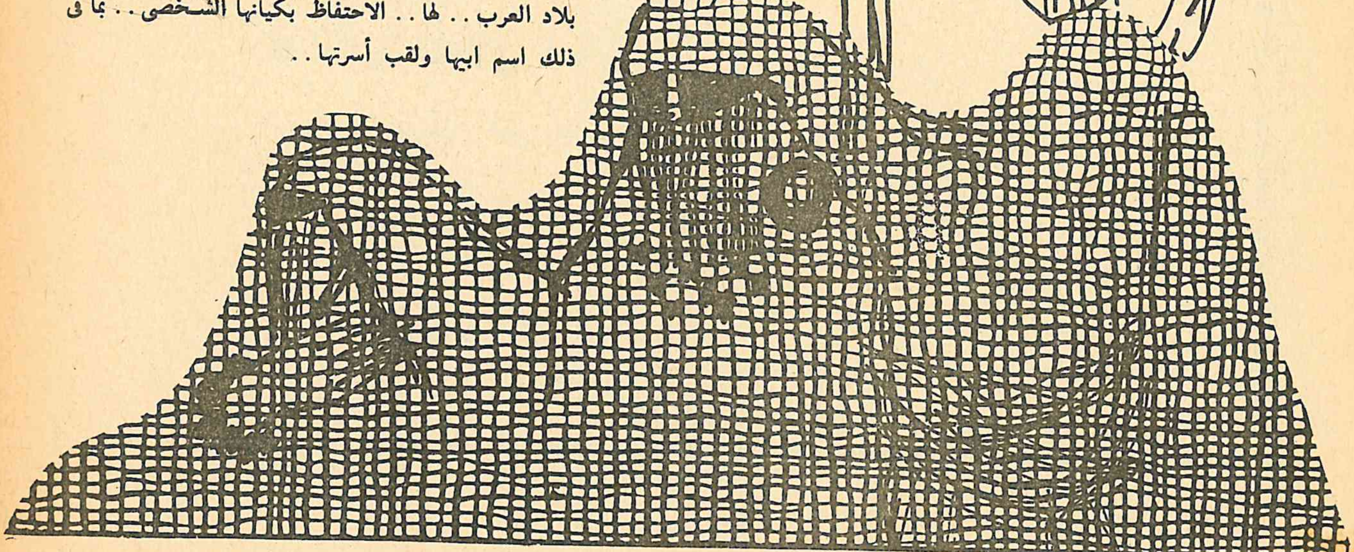

● وخبر آخر .. من اليابان .. فقد طالبت الجميعات النسائية بمساواة المرأة فى اليابان أيضاً فى الحقوق - بما حصلت عليه المرأة فى بلاد العرب .. بما فى ذلك الأجر المتساوى .

● والخبر الثالث .. من أمريكا .. ويقول إن الجمعيات النسائية .. يزداد عددها .. وكلها تجتمع حول معنى واحد .. هو (الدفاع عن حقوق المرأة) .. ومن هذه الحقوق .. حق المرأة فى أمريكا فى العودة إلى بيتها .. والاحتفاظ بكيانها الأسرى كزوجة .. وأم .. ومسئولة عن الأسرة ..

***

أخبار ثلاثة .. فى شهر واحد ..

والحمد لله .. فانها تدعو إلى مساواة المرأة فى كل المجتمعات .. بالمرأة المسلمة .. يقولها البعض فى صراحة ووضوح .. ويذكرها البعض الآخر .. فى استحياء واستخفاء ..

والاسلام هو وحده .. صاحب تكريم المرأة .. وحق تقرير مساواتها بالرجل فى تهيئه لها ظروفها وطبيعة تكوينها .. ومن أجل ذلك .. أعطاها حق العبادة .. وحق المعاملة .. التى للرجل .. وزادها تكريماً .. فكان نداء القرآن الكريم لها .. فى عدد كبير من الآيات .. هو نفس نداء القرآن الكريم للرجل كقوله تعالى : (**المؤمنين والمؤمنات**) . (**الصائمين والصائمات**) (**القانتين والقانتات**) .. **بل وأكثر من ذلك .. فقد جعل سيدنا رسول الله ﷺ الجنة بالنسبة للرجال .. عن طريق أمهاتهم بالحديث الشريف (الجنة تحت أقدام الأمهات)** .

● وقد كتب الامام الراحل الشيخ شلتوت رحمه الله بحثاً رائعاً عن المرأة وحقوقها المستمدة من القرآن الكريم فعدها لها ٦٣ حقاً وواجباً .. شملت كل مناحى الحياة .. وأختتمها بعبارة رائعة قال فيها (وبعد - فهذه حقوق المرأة التى منحها القرآن الكريم واياها .. وهذه واجبات المرأة التى ضمها القرآن الكريم عليها فإن قامت المرأة بكل ما يجب عليها كان لها الحق بالتمتع بجميع مالها وان أهدرت واجباتها أو أهملت بعضها كان من حق المجتمع - وهى أمه التى يحرص على كرامتها وشرفها - أن يمنعها حقوقها حتى تؤدى ما عليها)

● والسنة والشريفة بها من الأحاديث ما يحقق للمرأة كل عزة .. وكرامة ..

ومن ذلك قوله ﷺ : (**إنما النساء شقائق الرجال ..**)

و .. (**أتت النساء رسول الله ﷺ فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل بالجهاد فى سبيل الله فما لنا عمل ندرك به عمل الجهاد فى سبيل الله فقال : مهنة احداكن فى بيتها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله**) .

● و .. يحدثنا ثانى الراشدين فيقول (والله انا كنا فى الجاهلية ما نعد النساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل . وقسم لهن ما قسم . فبينا أنا فى أمر أئتمره إذ قالت لى امرأتى لو صنعت كذا وكذا .. ؟

فقلت لها (وما لك أنت ولما ها هنا ؟ وما تكلمك بأمر أريده ؟)

فقالت لى . عجباً يا بن الخطاب . ما تريد أن تراجع أنت وان إبنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان !

فأخذت ردائى ثم انطلقت حتى دخلت على حفصه فقلت لها يا بنيه . انك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان ؟

فأجابتنى . انا لنراجعه

ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة رضى الله عنها لقرابتى منها فكلمتها فقالت لى : « عجباً لك يابن الخطاب قد دخلت فى كل شىء حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه)

● وقبل ذلك وبعده .. آيات الكتاب الكريم وهى تعلى من قدر المرأة . من ذلك قوله تعالى (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم** .

وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر. ذلك هو الفوز العظيم) .

● وليت شعرى ماذا سيكون عليه حال نساء الغرب والشرق إذا عرفوا حقوق المرأة فى الاسلام .. وماذا ستكون الأخبار التى ستنقلها إلينا وكالات الأنباء إذا إزدادوا معرفة ..

كلمة

■ **تخلّقوا بأخلاق الله ..**

إن ربى على صراط مستقيم ..

« نبى الإسلام »

بوادر النمو الاجتماعي لشخصية الطفل

الأستاذة
سهير محمد الحلبي

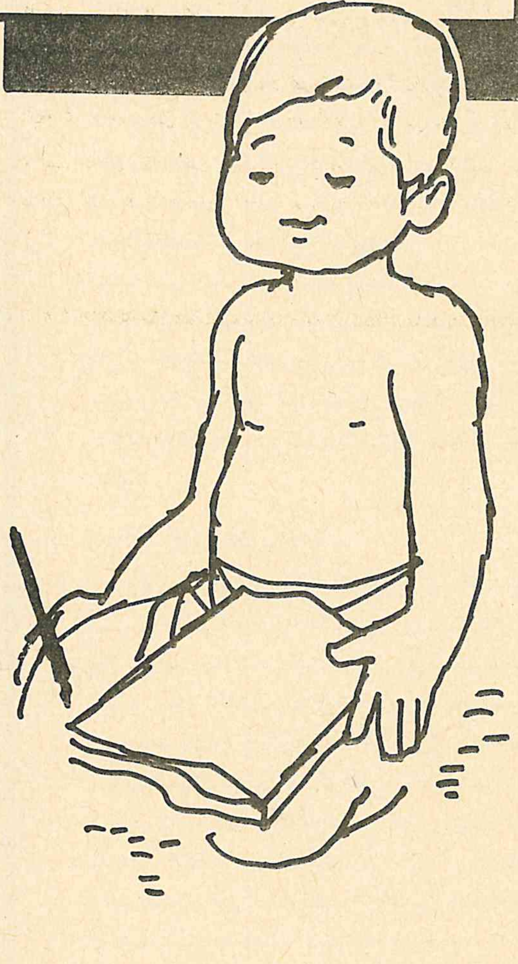

فى المقال السابق من سلسلة المقالات هذه التى نتناول فيها بالدراسة النمو الاجتماعى للطفل ، عرضنا للأبعاد الأربعة التى ترتقى من خلالها الشخصية الأنسانية للطفل وهى : ظهور بوادر التآزر العضلى العصبى ، ونمو القدرة التخيلية ، ونمو القدرات التعبيرية الصوتية وخاصة القدرات اللغوية ، ونمو الاستجابات التكيفية العامة للمواقف الاجتماعية . . . وانتهينا إلى أن الطفل الانسانى يكون عند الميلاد عاجزا تمام العجز ، بل إنه يعتبر فى الواقع أعجز الكائنات الحية جميعا فى هذه السن . وأوضحنا أن عجزه هذا تعوضه إمكانات هائلة لا يدانيه فيها حيوان آخر . وعجز الوليد الانسانى وضعفه يجعلانه يعتمد كل الاعتماد على الأفراد الذين يحيطون به ويرعونه وينشئونه . ومدة الاعتماد على الغير أى مدة الطفولة عند الإنسان ـ أطول كثيرا منها عند سائر الحيوان ، ولذا فإن الجو الاجتماعى الذى يحيط بالطفل منذ نشأته ذو أهمية بالغة فى صياغة شخصيته وتوجيه نموه نحو ما يتطلبه المجتمع الإسلامى فى الطفل .

ومعنى ذلك أن عملية التنشئة الاجتماعية للطفل فى غاية الأهمية بالنسبة لتكوين شخصيته وتكوين ذاته . وتتوقف هذه العملية على عادات المجتمع وأعرافه وتقاليده والاتجاهات الفكرية السائدة فيه ، وكذلك على القانون والمعايير الخلقية والاجتماعية والعقيدة الدينية ومختلف أنماط السلوك السائدة فى المجتمع ، وبعبارة موجزة تتوقف على « ثقافة » Cultare المجتمع .

والثقافة الاجتماعية التى تحدد سمات شخصية الطفل ـ ماهى إلا تنظيم للسلوك المكتسب ، ونتائج ذلك السلوك يشترك أفراد مجتمع معين فى مكوناتها الجزئية ، ثم عن طريق هؤلاء الأفراد الى أطفال . **والثقافة بعبارة موجزة ـ مفهوم** كلى ديناميكى يشمل أفراد المجتمع كافة ، وإن كان هذا لا يعنى أن كل أفراد المجتمع يشتركون **فى كافة جزئيات الثقافة أو فى مختلف الأنماط الثقافية . وهى كذلك مفهوم ذو بعد زمنى ينتقل من جيل إلى جيل ، وهو أيضا معرض للتغيير المستمر بدرجات متفاوتة من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى آخر .**

ولقد انتهى علماء النفس الى أن « الشخصية لا تولد مع الفرد عند ولادته ، ولكنها تتكون وتنمو تدريجيا بتفاعل الفرد فى المحيط الاجتماعى الذى ينشأ فيه » وقد دلت دراسة حالات الأطفال الذين نشأوا لسبب أولآخر فى عزلة عن المجتمع الانسانى أو بين الحيوانات ، على أن هؤلاء الأطفال يفتقدون الصفات والخصائص الانسانية الأساسية التى تميز الانسان على الحيوان .

طبيعة الطفل :

والطفل الانسانى ـ كما ـ قدمنا أكثر الكائنات الحيوانية عجزا وأشدها ضعفا عند ولادته ، هذا إذا نظرنا الى قدراته فى مواجهة الحياة . **غير أن الله جلت قدرته قد عوضه عن هذا العجز الشديد بحساسية هائلة للمؤثرات الخارجية وبمرونة تمكنه من أكتساب أنماط سلوكية متعددة ومتباينة .**

خصائص الوليد البيولوجية .

ومن خصائص الطفل الوليد أن حاجاته البيولوجية تكون واضحة الأثر فى سلوكه وفى سلوك الآخرين من حوله فى طفولته الأولى ، بمعنى أن **عمليات التغذية والإخراج والتنفس تكون ذات أهمية بالغة فى توجيه نموه ونشأته .** ولكننا لا نستطيع أن ننظر إلى الطفل أو أن نفهم سلوكه ونموه فهما سليما على ضوء هذه الحاجات وسلوك الراشدين بإزائها فحسب بالرغم مما لها من أهمية كبرى ذلك أن دراسة السلوك على أساس هذه الحاجات فقط يؤدى الى النظر الى الطفل نظرة تحليلية ذرية كما تفعل المدارس السلوكية . بيد أننا لا ننسى أهمية الحساسية الكبيرة التى يتميز بها الطفل الصغير ، والتى تتطلب ـ طبقا للمنهاج العلمى السليم ـ **النظر الى الطفل على أنه وحدة عضوية ، وأن سلوكه ينمو من الاتجاه الكلى الى التخصص ، كما أكدت ذلك المدرسة** العضوية Organisme

استجابة الطفل للمؤثرات الخارجية :

فى مقال لجون ديوى بعنوان «مفهوم القوس المنعكس» Reflex arr Concept قال إن الطفل **لا يستجيب للمؤثرات الخارجية استجابات جزئية وأن حواسه لا تعمل منفصلة أو مستقلة بعضها عن البعض الآخر ،** أو بعبارة أخرى ان الطفل عندما يبصر شيئا ما ، فإن هذا لا يعنى أن حواسه الأخرى تكون معطلة . كما أنه من جهة أخرى لا يستجيب للمثيرات بعد أن تقع تلك المثيرات على أعضاء حسه ، وإنما يكون مهيئا بصفة دائمة لا ستقبال مختلف المثيرات . ومعنى ذلك أن أعضاء الحس تنشط لا ستقبال مختلف المثيرات . واستجابة الطفل للمثيرات لا تكون ـ بتعبير ديوى أيضا ـ **رد فعل للمثيرات الخارجية ، وإنما الاستجابة تكون فى المثيرات وليست رد فعل لها ، وأنها تكيف أو تجعل هذه المثيرات متوافقه معها ،** ذلك أنها هذه العملية تتضمن تآزرا حسيا حركيا . وهذا يفسر 1—Semsori—mofor Coordinition. الحساسية البالغة لدى الطفل ، ونشاطه الكبير الذى يساعده على التكيف السريع لمواقف الحياة ، ذلك أن الطفل يتفاعل مع الظروف المحيطة به بالفعل تفاعلا كليا فى بادىء الأمر ، ثم تتحدد أنماط سلوكه على التدريج نتيجة لعملية التآزر Ordinition Co. بين الجوانب الحسية والجوانب الحركية للسلوك .

الحاجات البيولوجية والتعليم :

ولما كانت حاجات الطفل البيولوجية ذات أهمية خاصة بالنسبة لحياة الطفل وذات تأثير بارز فى سلوكه ـ أى فى مظاهر سروره وألمه ـ فان هذه الحاجات تلق أهمية خاصة من المحيطين به من الكبار ، وربما كان هذا هو السبب الذى أدى برجال علم النفس من السلوكيين الى أن يركزوا اهتمامهم فى تفسيرهم للتعلم وتكوين العادات على هذه الحاجات ، مما أدى إلى جعل مبدأ « التدعيم » من أبرز مبادىء تفسير التعلم ، بل إعتبره البعض المبدأ الوحيد للتعلم . أما استجابة الكائن الكلية للمجال الكلى أو **الوسط الاجتماعى** الذى يوجد فيه فلا أهمية له بالنسبة لعملية التعلم عند السلوكيين ، مما جعل

نظرياتهم تقوم بصفة أساسية على تحليل الأنماط السلوكية الى مكوناتها الجزئية وتركيبها فى صورة عادات ميكانيكية تضم وتربط هذه الجزئيات معا بحسب مبدأ التدعيم أو قانون الأثر ومعنى ذلك أن خفض التوتر - أى التوتر الفسيولوجى للأنسجة الداخلية - الناتج عن الحاجات البيولوجية بالتدعيم هو العامل الاساسى والوحيد الذى يفسر كافة أنواع التعلم . وذلك مع ملاحظة أن بعض التجارب قد بينت أن المجال الإدراكى ذو أثر لا يمكن إغفاله فى عملية التعلم . ولذلك يؤكد « هارلو » أنه لا يوجد أى دليل فى الدراسات التجريبية يثبت أن الحوافز الداخلية أعمق أثرا من الاستثارة الخارجية فى تحديد السلوك ومغزى هذا أننا لا نستطيع أن نفصل بين العناصر الداخلية والخارجية ، أو أن نعتبر الحاجات البيولوجية والتوتر الناشىء عنها فى الأنسجة هى الأساس الوحيد للتعلم عن طريق التدعيم أو مبدأ الأثر الذى يؤدى إلى خفض ذلك التوتر . ومن ثم فإن الإدراك الحسى العام جزء من الموقف الذى يؤدى الى التعلم ، بل إن هناك أدلة تؤكد أن الحرمان الطويل من الطعام قد يؤدى إلى إعاقة الطفل عن حل المشكلة التى قد تواجهه ، لأنه قد يركز سلوكه تجاه الهدف المثير ويغفل العوامل والمثيرات الأخرى نسبيا .

وعلى هذا الأساس يمكن تأكيد أن تفسير السلوك الأجتماعى عند الأطفال بارجاعه إلى اشباع الحاجات البيولوجية الأولية واغفال الجانب الادراكى فى الموقف الكلى تفسير ناقص ومخل . وأنه لا يصح أن نركز فى تفسيرنا للسلوك على جانب واحد من الموقف ، سواء فيما يتعلق بالنسبة للبيئة المحيطة أو باستجابات محددة للكائن الحى تنتهى بالوصول الى الهدف .

هذا وبالرغم من أن الحاجات البيولوجية بالمعنى الذى يعنيه غالبية السلوكيين قد تكون ذات أهمية بارزة فى مواقف معينة بالنسبة للطفل ، فان هذا لا يعنى أن حواس الطفل المختلفة تبقى معطلة . إن « التدعيم » عامل هام فى تكوين السلوك وفى الأداء **Performance** وفى عملية التمايز ولكنه لا يعمل وحده بل هو نفسه يفسر السلوك فى الإطار الأكبر للتناسق الحسى الحركى للطفل . كما أن هذا الاتجاه بطبيعة الحال لا يتفق ورأى أصحاب النظرية المجالية فى أن البصيرة أو عملية التنظيم الادراكى سابقة للأداء لانهما فى نظرنا متلازمان ولأن مفهوم البصيرة والتنظيم الادراكى للمجال لا يفيد - كما أسلفنا - فى تطوير عملية التعليم .

تلك كلها أمثلة تدلل على الأهمية الكبرى للظروف البيئية والثقافية فى تشكيل وصياغة سلوك الطفل وشخصيته الانسانية . وهى تبين أن المجال الذى ينشأ فيه الطفل يؤثر تأثيرا كبيرا وهائلا فى نموه . وهى أيضا تشير إلى الامكانات

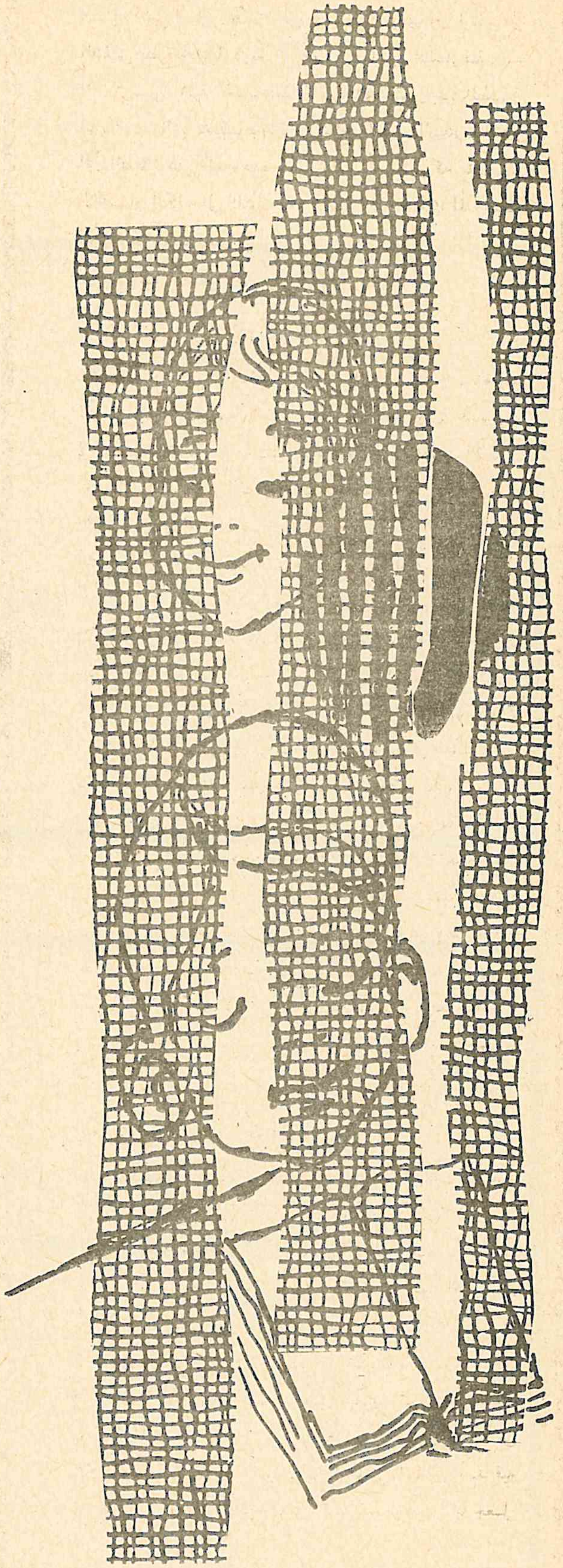

الهائلة التى تميز الوليد الانسانى وأثر المواقف الاجتماعية والعوامل الثقافية فى تحويل هذه القوى والامكانات الى واقع حى وسلوك « شخصيته » ، أنها أدلة تشير إلى أن الشخصية الانسانية للطفل لا تتكون بمعزل عن مجالات الحياة الاجتماعية . وكل ذلك يؤكد ـ بالأسلوب العلمى ـ قوله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » هذا وظهور بوادر اكتساب العادات والاعراف والتقاليد والقيم والمبادىء وانماط السلوك الاجتماعى على هذا النحو ، يؤكد اتجاه شخصية الطفل الى النمو الاجتماعى وذلك هو الأساس الذى تشيد عليه عملية التطبيع الاجتماعى للطفل .. وهذا هو موضوع مقالنا التالى .

كلمة

■ المعتزون بغير الله ، أذلة . .
والمدثرون بغير الله ، عرايا . .
واللائذون بغير الله فى قلق طاحن !

« أنور السادات »

كلمة

■ ملعون من يخون بلاده ، لمرض فى قلبه . .
ملعون من يبيع عقيدته بحطام يلتذ به . . !

« جمال الدين الافغانى »

عزيزى القارىء..

حكمة بالغة تطالع الأمة الاسلامية مع كل اشراقة لشهر رمضان المعظم حيث ينعم المسلم خلاله بالخير الكثير والفضل العظيم الذى يعم البشرية.. فقد اقتضت المشيئه الالهية أن يجمع شهر رمضان المعظم بين نزول القرآن الكريم والصوم والنصر..

●● والقرآن الكريم كما عرفه رب العزة تبارك وتعالى هو « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون: أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »

●● أما الصوم فهو سر بين العبد وربه ولذا قال عنه المولى جل وعلا فى الحديث القدسى « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به »

ومعلوم فضل الصوم فى تجلية النفس من الشوائب وتغذية الروح بالمكارم.. وقدرته على تهذيب الفكر الانسانى وتقويم العلاقات الاجتماعيه وقيام المجتمع الاسلامى الأصيل المتكامل..

●● ويأتى النصر محصلة أصيلة للتمسك بالقرآن الكريم وسنة رسوله الأمين وصوم رمضان العظيم..

ومن هنا كانت معايشة المسلم لكل أبعاد معادلة النصر والاقتصاد والصفاء والاخاء فى شهر رمضان الكريم.. وهى الحكمة البالغة التى أراد الله ان تنعم بها الأمة الإسلامية فى رمضان وللمسلم أن ينعم بكل مكارم معادلة النصر طوال عمره طالما عاش المسلم فى رحابها..

●● ويأتى فتح مكة فى العاشر من رمضان دليلا. ناصعا على صدق المعادله ودقة أبعادها..

ومن ثم كان الإقتداء بالرسول وهو ما يسمى بالاتباع الذى كان رائده الأول أبوبكر الصديق.. سبيل كل إنتصار وعزة وإقتدار.. (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين).

●● وفى عصرنا الحاضر يأتى انتصار العاشر من رمضان دليلا أخر على صدق معادلة النصر وصدق أبعادها إذ أن الرئيس المؤمن محمد أنور السادات كان كاظما غيظه مستلهما ربه معدا جيشه إلى أن أصبحت دولة العلم والأيمان شجرة وارفة الظلال قادرة على أن تؤتى أكلها كل حين بل أكثر من هذا أنه أعطى تعليمات الى الصحف اليومية بالتركيز على آيات الجهاد والقتال حضاً للناس وشحنا للروح وتمهيدا للمعركة ايمانا من الرئيس السادات بأن السلوك الاسلامى والاقتداء بالرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه هو أعظم طريق للنصر وهو العروة الوثقى التى لا تنفصم..

●● وقد كان نداء الله أكبر سرا من أسرار الانتصار فى العاشر من رمضان..

●● كما كانت **البسمله** التى تتصدر كل بيان عسكرى آيه من أيات النصر العظيم والفتح المبين..

وصدق الله العظيم اذ يقول فى محكم كتابه العزيز « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذله فاتقوا الله لعلكم تشكرون »

فعلى كل مسلم ومسلمة أن يغتنم نفحات ربه فى شهر رمضان وأن يطبق معادلة النصر اذا أراد الفلاح والنجاح وآمن وصدق بقوله جل وعلا « **ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين** »

[صدق الله العظيم]

رسالة الجزائر بقلم الصديق

خليل عبد الحفيظ - معلم - يقول

بالأمل المشرق.. بالحب الصادق.. بالمودة الدائمة.. أبعث إلى سيادتكم المحترمة طيات هذا الكتاب أحر السلام وجزيل الشكر لما تبذله من خدمة يعود نفعها على الاسلام والمسلمين جميعا.. يسرنى

جدا وأنا من قراء مجلتنا الغراء [منبر الاسلام] أن أرى بابا للتعارف .. وكم أنا سعيد جدا أن تكون مجلتنا الغراء سببا للتعرف بين أفراد المسلمين شرقا وغربا .. قال سبحانه وتعالى :« **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ».. فمبلغ سرورى هنا أنكم آليتم على أنفسكم أن تنفذوا آيات الله الكريمة كاملة .. فهناك أبواب لتعليم الاسلام والتقوى ونشرها وإلى جانب ذلك باب للتعارف .. وفقكم الله لخدمة الاسلام والمسلمين

■ **المجلة تشكر الأخ من الجزائر على تقريظه وتعمل دائما على نشر تعاليم الدين الاسلامى والله يوفقنا جميعا إلى ما فيه خير الاسلام والمسلمين .**

رسالة المغرب بقلم الصديق

محمد خنشان - طالب يقول

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين من الصحابة والأتقياء .. وبعد .. حضرات السادة الأجلاء المشرفين على المجلة الاسلامية الرائدة منبر الاسلام إننى فخور جداً بمجلتكم التى أتمنى لها إن شاء الله تعالى المزيد من النصر والتوفيق ولقرائها الأعزاء كل الخير والهداية فى ظل الدين الإسلامى الحنيف أكرمكم الله وأبقاكم ذخراً للإسلام والمسلمين

■ **والمجلة وهى تشكر لأبناء المغرب الأشقاء تقريظهم تتمنى أن تصل بجهدها الى مايعضد استمرارية هذا التقريظ والله الموفق إلى ما فيه الخير دائما .**

ومن قصيدة بعنوان « تحية شهر رمضان »

بقلم الصديق على سيد عاشور - المدرس يقول

سلاما أيها الشهر ففيك البر والطهر
وفيك الحق والنور وفيك المرء مأجور
وفيك الله قد أنزل كلاماً طيباً أمثل
صيامك صحة البدن به تقوى مدى الزمن
علاج النفس بالصبر ومنهاج إلى النصر
فجاهد أيها الصائم لترقى مصر فى العالم
فمن يسعى لعزته ينلها فوق بغيته
إله العرش قد صمنا فآجرنا وآزرنا
أعد رمضان بالخير علينا باسم الثغر

ومن رسالة الحث على العمل والسعى

بقلم الصديق مجدى محمود السعدنى - الجيزة - يقول

أيها الاخوان .. إن الآيات القرآنية كثيرة تحثنا على العمل والسعى وأختار منها قوله تعالى « **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** ». والمناكب هى الأكتاف فى الإنسان وهى أعلى مكان فيه ، فشبه الله تعالى الأماكن الوعرة فى الأرض بأكتاف الإنسان ، فالله يطلب منا ألا نتخاذل فى طلب الرزق ، بل يجب علينا أن نركب كل صعب فى الحصول عليه .. والأحاديث النبوية كثيرة ترسخ هذا المعنى فى ضمير الأمة الاسلامية فالرسول ﷺ يقول « **ما أكل أحد طعاماً قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده** » وقال أيضا « **إن الله يحب المؤمن المحترف** » يعنى المؤمن الذى يحترف مهنة أو عملاً يتكسب منه . وليس هذا فحسب بل يحثنا الرسول ﷺ أن نصحوا من نومنا ساعين إلى رزقنا مبكرين فقال « **باكروا الغدونى طلب الرزق فإن الغدو بركة ونجاح** » وقال « **نوم الصبحة يمنع الرزق** » ولكن يجب أن يكون بين طلب الرزق وذكر الله والعبادة توازن واتساق وأن نكون فى طلب الرزق بعيدين عن الدنيا نؤدى عملنا بطريقة يرضى الله تعالى عنها ولا يلهينا طلب الرزق عن أداء العبادات المفروضة فقد قال الله سبحانه « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا** »

ومن خطبة منبرية بقلم الصديق

عبد الحميد عبد الحليم الإسماعيلية - يقول

ويقول « **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه** » .. استعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه .. المديد زمانه .. القاهر سلطانه .. القريب أوانه .. يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من حوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس إلى الأبدان قد زوجت يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان يوم يمنع العاصى عن الكلام فتخرس الألسن وتنطلق الجوارح . ربى .. حقا إنه ليوم عظيم يوم القارعة والواقعة اليوم الذى ذكره سيد المرسلين ﷺ . فكن أخا الإسلام حذراً مما شيب شعر حبيب الله وسيد خلقه صلوات الله وسلامه عليه .

النفس تعلم أنى لا أصادقها
ولست أرشد إلا حين أعصيها
لا تتركنى إلى الدنيا وما فيها
فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار غدا رضوان خازنها
والجار احمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها
والزعفران حشيش نابت فيها

■ **والمجلة وهى تشكر للأصدقاء بحوثهم فى الاسلام وعملهم من أجل رفعة كلمة الله والحق تأمل أن يصلها دائما رسائل اصدقائها من جميع البلاد الاسلامية وتأمل أن يوفقها الله لتحقيق كل ما يتمنوه والله الموفق والمستعان .. والله غالب على أمره ..**

وإلى لقاء .. إن شاء الله ؟

بريد التعارف

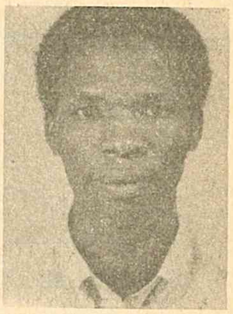

الأسم : عبد الله سانقوا
البلد : جمهورية توجو
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والقراءة
العنوان : ص . ب ٤١٢٥ - لومى - توجو

الأسم : رمالى محمد
البلد : جمهورية الجزائر
السن : ٢٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة الكتب الدينية
العنوان : أبيض مجاجة ولاية الأصنام - الجزائر

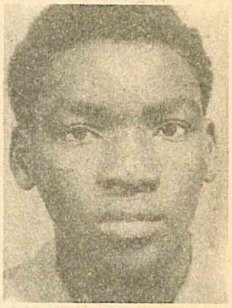

الأسم : خليل الله سعيد محمد
البلد : جمهورية توجو
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والقراءة
العنوان : ص . ب ٢١٠ - لومى - توجو

الأسم : الحبيب بن عامر فديعة
البلد : جمهورية تونس
المهنة : طالب
السن : ٢٠ سنة
الهواية : المراسلة وتبادل الكتب الدينية
العنوان : جرجيس - قريبيس - تونس

الأسم : عبد الله عثمان زاتو
البلد : جمهورية توجو
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والقراءة الدينية
العنوان : ص . ب ٢١٠ - لومى - توجو

الأسم : السيد عبد الجليل سليمان احمد
البلد : ج . م . ع
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والقراءة الدينية
العنوان : ٤٨ ش سيدى أبو الديل متفرع من ش الخلا المنصورة

الأسم : احمد الرويبى
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل الآراء
العنوان : رقم ١١٦٤ قاعد المراجعة ٢٨ المعهد الفنى بولاية مليانة

الأسم : عمر السيد عمر
البلد : ج . م . ع
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل الآراء الدينية
العنوان : ٧٦ حارة محمد موسى من شارع الورشة شبرا

الأسم : بنسامين لاهين
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ٢٥ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والقراءة الدينية
العنوان : ١١ شارع ناحية القسرين ـ تلمسان .

الأسم : سيد أحمد عباس مصطفى
البلد : ج . م . ع
السن : ٢٥ سنة
المهنة : طالب جامعى
الهواية : القراءات الصوفية والعقيدية
العنوان : ١٣٩ ش ترعة الجبل منشية الصدر

الأسم : الهاشمى كشيدة
البلد : تونس
السن : ٢٣ سنة
المهنة : دهان
الهواية : القراءة الدينيةوالمراسلة
العنوان : نهج عقبة بن نافع ـ قصر هلال تونس

الأسم : احمد ماهر محمد الغريب
البلد : ج . م . ع
السن : ٢٥ سنة
المهنة : مدرس
الهواية : القراءات والمراسلات
العنوان : الكوم الطويل محافظة كفر الشيخ

الأسم : ابراهيم هاشم ابراهيم
البلد : ج . م . ع
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : التصوف والخطابة بالمساجد
العنوان : شنواى مركز أشمون منوفية

الأسم : ابراهيم على عطية موسى
البلد : ج . م . ع
السن : ٢٤ سنة
المهنة : موظف
الهواية : القراءات الدينية والمراسلة
العنوان : كفر ابراش مركز بلبيس شرقية

فى هذا العدد

■ معالم الطريق : دراسات قرآنيـة

مع الرئيس أنور السادات فى الاجتماع الهام بأعضاء اللجنة المركزية ١٩٧٧/٧/١٦ ... ٣

تفسير سورة آل عمران .... الأستاذ أحمد حسين ١٤

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .... الشيخ عبدالجليل عيسى ١٩

خصائص القصة القرآنية .... الاستاذ فتحى رضوان ٢٢

العلم فى القرآن .... الدكتور احمد حسنين القفل ٢٥

قضايا فكرية فى فهم العربية .... الدكتور محمد بدرى عبدالجليل ٢٨

من أخلاق القرآن .... الدكتور أحمد الشرباصى ٣٠

من علوم القرآن .... الدكتور محمد القيعى ٣٣

اقسام الوقف فى القرآن .... الشيخ محمود برانق ٣٥

تأملات فى البيان القرآنى .... الدكتور ابراهيم عوضين ٣٦

فى رياض القرآن العظيم .... الشيخ احمد منصور ٣٩

ورتل القرآن ترتيلا .... الشيخ احمد مرعى ٤٣

■ التشريع الإسلامى

توزيع الأرض على المحرومين .... الدكتور احمد الحوفى ٤٦

فى أصول الفقه .... الدكتور محمد سعاد جلال ٤٧

البشرية فى ظل الشرائع الوضعية .... الأستاذ عبدالعظيم منصور ٤٩

خلق الانسان وآيات الله فى الأكوان .... الأستاذ محمد بن الخطيب ٥٢

القصاص من القاتل فى الدنيا .... الدكتور محمد جمال الدين غوار ٥٤

القضاء فى الإسلام .... الدكتور محمد خميس ٥٨

الاجتهاد فى الشريعة ومدى حاجتنا اليه .... الدكتور عبد العزيز محمد عزام ٥٨

بين العقيدة والاخلاق .... الدكتور احمد عبد الحميد الشاعر ٦١

■ الدعوة والدعاة

يشرف على تحريره منصور عبيد / فؤاد هيبه / على عيسى

حديث إلى الأئمة ٦٥

منهج الإسلام فى تربية الشباب (كرامة الولى) الشيخ منصور الرفاعى عبيد ٦٥

خطبة ليلة الحب الالهى .... الشيخ اسماعيل صادق العدوى ٦٩

رمضان شهر الصيام والقرآن .... الشيخ عبدالفتاح احمد مصطفى ٧٢

الداعية الى الله تعالى .... الدكتور مصلح سيد بيومى ٧٤

حقوق المساجد .... الشيخ محمد جمعه العدوى ٧٦

من اسرار الصيام .... الشيخ صلاح الدين محمد نورالدين ٧٨

أزاهير .... الاستاذ محمد عبده قناوى ٧٩

الدعوة الاسلامية والاعلام .... الاستاذ محمد كمال الدين ٨١

وجاء رمضان .... الشيخ محمد هلال عبدالرسول ٨٢

دعاء ٨٤

■ التصوف والقلعة الإسلامية

الصوفية فى إلهامهم .... الأستاذ حسن كامل الملطاوى ٨٦

■ العلم والإيمان

الصوفية فى صومهم .... الاستاذ زكريا عامر ٨٦

الاسلام دين الله .... الشيخ محمد حافظ سليمان ٩١

	الدين وقيادة الدنيا	الدكتور ابراهيم هلال	٩٥
	من ملامح مجتمع العلم والايمان	الشيخ مصطفى الجندى	٩٧
	الجهاد الأكبر	الاستاذ احمد وافى	١٠٠
	تقوى الله	الاستاذ محمد حسن عبد العزيز	١٠٣
	اضواء من الجنة	الأستاذ عبدالسلام الشاذلى القوصى	١٠٥
	العمل فى مفهوم الإسلام	الأستاذ أحمد خيرى	١٠٧
	حول حقيقة المعرفة	الدكتور بدوى طبانه	١٠٨
	الإسلام وقدرته على مواجهة التحديات	الشيخ حسن عرابى عطوة	١١٠
	منطق السلم ومنطق الحرب فى الإسلام	الدكتور عبدالغنى عبود	١١٢
	آثارنا تدل علينا	الدكتور محمود محمد عمارة	١١٤
	قبلة نبى الاسلام	الدكتور احمد حجازى السقا	١١٦
	الإسلام والمجتمع المتعاطف	الشيخ سيد ناجى	١٢٠
	كيف انتشرت الدعوة الإسلامية فى شبه القارة الهندية	الدكتور محيى الدين الالوانى	١٢٣
الفن الإسلامى	الاسس الفنية والصناعية للسجاد الإيرانى	الدكتورة سعاد أحمد جمعة	١٢٦
القصة الإسلامية	رجل ومعارك : [الفدائى عبدالله بن عتيك]	الأستاذ محمد صالح	١٣٠
الشعر الإسلامى	شهر العبور	الشاعر عبد المنعم الفن	١٣٤
	انها مصر	الشاعر رشاد محمد يوسف	١٣٥
	تفكرت فى مخلوقات الله	الشيخ الصاوى شعلان	١٣٦
الطب فى الإسلام	الطب الوقائى بين الهدى النبوى ونظريات الطب الحديثة	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	١٣٨
شخصيات إسلامية	من حياة الانبياء والرسل [أيوب عليه السلام]	الأستاذ ابراهيم الابيارى	١٤٢
	عيسى عليه السلام رسول الله وكلمته	الأستاذ محمود معوض	١٤٤
	الحسن بن على رضى الله عنه	الأستاذ توفيق أبوعلم	١٤٥
	من قضاة الإسلام [كعب بن سور الازدى]	الدكتور فؤاد عبدالمنعم	١٤٧
	مصعب بن عمير	الأستاذ حمدى عبدالقادر	١٥٠
	ابن دقيق العيد المصرى	الدكتور احمد جمال العمرى	١٥٢
	من الفلاسفة العلماء [الكندى]	الاستاذ احمد حامد	١٥٥
المكتبة الإسلامية	تفسير الشيخ محمد عبده	الدكتور منيع عبدالحليم محمود	١٥٨
	قراءات جديدة فى كتب قديمة	الاستاذ صبرى ابو المجد	١٦١
	مشكلة اليهودية العالمية	عرض وتحليل الاستاذ مأمون غريب	١٦٣
	مع الله	عرض وتلخيص الاستاذ حسين هاشم	١٦٤
الإفتاء	أنت تسأل والمفتى يجيب	الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود	١٦٦
الأسرة المسلمة	ركائز المجتمع الاسلامى	الاستاذ محمد النظامى	١٧٠
	المراة والاسلام ٠٠ وأخبار من الغرب	الأستاذ صلاح عزام	١٧٣
	بوادر النمو الاجتماعى لشخصية الطفل	الاستاذه سهير محمد الحلبى	١٧٥
	مع القراء	إعداد فؤاد هيبه	١٧٩
	بريد التعارف		١٨١

لا تُرهق نفسك بالتفكير في مستقبل أسرتك !

دع

شركة الشرق للتأمين

تتولى عنك ذلك

بفضل وثائقها المبتكرة ..

اختر ما يناسب ظروفك ودخلك من هذه الأنواع

- المختلط مع الاشتراك في الأرباح
- المختلط معاش
- المختلط على شخص
- الوالد والطفل
- المهر والتعليم
- الشرق الجديدة
- الميسّرة

شركة الشرق للتأمين

المركز الرئيسي : ١٥ شارع قصر النيل - القاهرة . انظر الكوبون ص ١٥٤

مطابع الأهرام